

كلية الآداب والعلوم الانسانية
بني ملال



جامعة السلطان مولاي سليمان

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه
تخصص التاريخ والتراث الجهوي

**الموروث الثقافي بالأطلس المركزي
المواسم والمهرجانات خلال القرن 20م ومطلع
القرن 21م**

الإستاذ المشرف:

د. محمد العاملي

الطالب الباحث:

حسن ايت علي

السنة الجامعية 2020 / 2021

كلمة شكر

إن هذا البحث الذي نقدمه اليوم، لم يكن ليخرج إلى الوجود لولا الدعم المادي والمعنوي من قبل أساتذتنا الفضلاء، والذين لم يبخلوا علينا يوماً بكل المعلومات والنصائح العلمية حول الموضوع. وأخص بالشكر الأستاذ المشرف الدكتور محمد العاملي، الذي تشرفت بتأطيره هذا العمل العلمي. كما أشكر جزيل الشكر الأستاذة الدكتورة الفاضلة سعاد بلحسين التي تحملت معنا هم الموضوع منذ البداية، ولم تتوقف نصائحها لنا طيلة ست سنوات.

أوجه جزيل الشكر إلى جميع أساتذة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، الذين لم يترددوا في تقديم المساعدة أثناء إنجاز هذا البحث. كما أوجه الشكر الجزيل للعديد من المؤسسات والأصدقاء، الذين ساهموا في إخراج هذا العمل إلى الوجود، ونخص بالذكر هنا، مؤسسة أرشيف المغرب، ووزارة السياحة المغربية، والمكتبة الوطنية بالرباط، والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

ولا يفوتني أن اتقدم بالشكر والإمتنان، إلى أسرتي التي لم تتوقف يوماً من تشجيعنا ودعمنا، وأشكر كذلك العديد من الأسر التي رحبت بنا وكرمتنا في منزلها، ووضعت وثائقها الخاصة رهن وتنقلنا عن طريق معارفها، وخاصة أسرة سيدي الطيبي بناور، وحفدة سيدي علي بن إبراهيم بني عياط، وحفدة سيدي بن داود بإغرم لعلام، وحفدة سيد أحمد ألمغني بإملشيل... وأتقدم بالشكر الجزيل كذلك، للعديد من الأساتذة بكليات مغربية وخارج المغرب، وخاصة بدولتي الجزائر وتونس.

كما أوجه الشكر الجزيل، لبعض الأساتذة الأصدقاء في العمل الذين قدموا لنا مساعدات مهمة، الشكر موصول كذلك، لكل من الدكتور الحسن بودرفا على ملاحظاته المنهجية العميقة، والباحث صالح لبريني، الذي ساهم في تصحيح الأخطاء اللغوية والأسلوبية. كما أوجه شكري الجزيل للباحث رشيد بصور، الذي قام بمراجعة وتوضيح الخرائط والرسوم البيانية. وفي الأخير استسمحكم جميعاً، من لم يرد اسمه ضمن هذه القائمة، فالقائمة طويلة، لكن أوجه لكم جميعاً فائق التقدير والامتنان، ولكل لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل الموسوم بلحظاته المرهقة والممتعة في نفس الوقت. وبفضل هذه المساعدات والدعم، من قبل هؤلاء الأساتذة والزملاء والطلبة، تمكنا بفضل الله وقوته من إنجاز هذه الدراسة، حول تظاهرات المواسم بالأطلس المركزي خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م.

مقدمة

يتناول هذا البحث، المواسم والمهرجانات الاحتفالية بالأطلس المركزي خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م، باعتبارها موروثا ثقافيا عريقا مستمرا إلى يومنا هذا. وتعد هذه الاحتفالات وثيقة تاريخية حية، تؤرخ للجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية لقبائل الأطلس المركزي. يمتد "مجال الدراسة"، الأطلس المركزي، من منطقة املشيل بإقليم ميدلت، ومنطقة مولاي بوعزة بإقليم خنيفرة شمالا، إلى منطقتي انولتان وكطيوة بدمنات بإقليم أزيلال جنوبا، ويتميز هذا المجال بالتنوع الطبيعي، والثقافي واللغوي، وانفتاح قبائله على محيطها، وخاصة مجال تادلا السفلى، والقبائل المسقرة بالسفوح الأطلسية الجنوبية الشرقية.

ركزنا في هذه الدراسة على مواسم الأضرحة والزوايا والمزارات الطبيعية، بما فيها المواسم اليهودية، التي يرجح أن ترجع أصولها إلى المعتقدات والطقوس الوثنية التعبدية القديمة، والتي بدأت في الارتباط بالحركة الصوفية منذ القرن 12م، 6هـ، وشهدت تطورات مهمة منذ هذا التاريخ إلى غاية مطلع القرن 21م.

وقفنا في هذه الدراسة، على جرد وتصنيف المواسم والمهرجانات والتحويلات المورفولوجية التي شهدتها هذه التظاهرات خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م. وأبرزنا إلى جانب ذلك، موقف السلطات المتباين تجاه المواسم والمهرجانات، باعتبارها المواسم، نشاطا من أنشطة الزوايا والطرق الصوفية، وارتباط شرعية السلطة سياسيا للسلطة بالشرف والمؤسسة الدينية. لذلك، وحاولنا تشكيل صورة واضحة لهذه العلاقات رغم ندرة المادة المصدرية.

إضافة إلى ذلك، تناولنا عن مختلف الطقوس ومظاهر الاحتفال التي تؤثت فضاءات المواسم والمهرجانات، والتطورات التي شهدتها خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، ومختلف ردود فعل المجتمع المغربي، تجاه هذه الطقوس ومظاهر الاحتفال. ووضحنا أيضا مختلف الأدوار التاريخية التي لعبتها هذه التظاهرات، والتي لازالت تلعبها في ظل التحويلات الاقتصادية والسياسية والثقافية التي شهدتها الأطلس المركزي مطلع القرن 21م.

لقد فرضت علينا طبيعة الموضوع تصنيف الفترات التاريخية لمقاربة التطورات والأدوار والوظائف التي لعبتها احتفالات المواسم والمهرجانات، إلى ثلاث مراحل تاريخية، تتعلق الأولى، بفترة ما قبل فرض الحماية إلى غاية سنة 1912م، وذلك بهدف الوقوف على التطورات والتحويلات التي

شهدتها تظاهرات المواسم قبل فرض الحماية على المنطقة. وخصصنا المرحلة الثانية لفترة الحماية 1912-1956م، والهدف وقوفنا على هذه الفترة، معرفة أثر التدخل الاستعماري على احتفالات المواسم خاصة والبنيات القبلية عموما. أما المرحلة الأخيرة، فقد خصصناها لفترة استقلال المغرب من سنة 1956م إلى يومنا هذا، وذلك للتعرف على التطورات التي شهدتها المواسم والمهرجانات بعد استقلال البلاد.

إن اختيارنا لموضوع المواسم، جاء تتويجا لمسار تكوين علمي أكاديمي حول التاريخ والتراث بجهة بني ملال خنيفرة، حيث وضعنا اللبنة الأولى لهذا الموضوع في بحث الماستر المتخصص في التاريخ والتراث الجهوي. وقد تبين لنا بعد إنجاز هذا البحث، أهمية تظاهرات المواسم في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والتراثية بالنسبة لقبائل الأطلس المركزي، بالرغم من ضعف الإشارات المصدرية حول الموضوع، باستثناء بعض الإشارات التي وردت في المصادر منذ القرن 6هـ-12م.

إن دراسة هذه التظاهرات بالأطلس المركزي، يعد في غاية الأهمية كون المواسم والمهرجانات، وثائق تاريخية، تشهد على تاريخ وتراث المنطقة، وتعبّر عن عمق وأهمية هذا الموروث الثقافي في الحياة اليومية لسكان الأطلس المركزي من جهة، والدور الذي يمكن أن يلعبه استثمار هذا التراث كرأس مال رمزي للترويج للسياحة والتراث الثقافي المادي وغير المادي في أفق النهوض بالتنمية المحلية والجهوية.

ومن الدواعي الموضوعية لاختيار هذا الموضوع، محاولتنا إثارة الانتباه إلى دور المواسم والمهرجانات في تنشيط العجلة الاقتصادية، باعتبارها أسواق تجارية سنوية، ومعارض للماشية والمنتوجات الفلاحية والحرفية، ومناسبة تعزز فيها مداخل العديد من العائلات التي تدعي انتسابها للولي، وتخلق رواجاً تجارياً لدى العديد من التجار والحرفيين، كصناع الفرجة والتسليّة والترفيه، وممتهني التداوي الشعبي، وتجار المواد الغذائية وغيرها.

ومن أهداف تناول هذا الموضوع، إبراز الأهمية الروحية والنفسية والاجتماعية لطقوس الأضرحة والزوايا والتسليّة والترفيه في المواسم والمهرجانات بالنسبة لفئة عريضة من السكان سواء في المدن أو القرى، باعتبارها احتفالات تساهم في التخفيف من المشاكل الاجتماعية والنفسية، وتساهم في خلق التماسك والتضامن الاجتماعي.

نأمل أن تساهم هذه الدراسة في إثارة الانتباه، إلى أهمية المواسم والمهرجانات، وخاصة مواسم الزوايا والأضرحة في نشر قيم التعايش والتسامح بين مختلف الإثنيات والثقافات من عرب وأمازيغ ويهود، ناهيك عن دورها في المساهمة في تحقيق التكامل والتوافق بين رموز الدولة الوطنية والعادات والتقاليد المحلية.

أما بخصوص الدراسات السابقة التي اطلعنا عليها حول الموضوع، فقد اتضح لنا أن مجمل الأبحاث ركزت على المواضيع السياسية والدينية والأنثروبولوجية للاحتفالات الإسلامية المشهورة، كعيد الفطر وعيد الأضحى، وذكرى عاشوراء، وعيد المولد النبوي. إلى جانب هذه الأعياد الإسلامية المعروفة، تطرقت بعض الأبحاث إلى احتفالات محلية قديمة لها علاقة بالطقوس الفلاحية الموسمية المرتبطة بالتقويم الشمسي، وقد نالت احتفالات عاشوراء والعنصرة الحيز الأكبر في هذه الدراسات، وتمت مقاربتها بشكل مفصل، في حين لم تحظ المواسم باهتمام كبير مقارنة بالموضوعات المشار إليها.

ومما اطلعنا عليه حول موضوع المواسم، إشارات وفقرات في بعض المقالات التي نشرت سنة 1905م، و1906م و1907م في مجلة أرشيف المغرب في سلسلة من الكتابات المتخصصة في المدن والقبائل المغربية، التي نشرتها البعثة العلمية في المغرب التي تأسست في طنجة سنة 1904م، إضافة إلى ما كتبه العديد من الأنثروبولوجيين والسوسيولوجيين المتخصصين في الإسلام والمهتمين بهذا الموضوع¹. ومن أهم الباحثين الذين تناولوا الموضوع، نجد الفنلندي E. Westermarck سنة (1926)²، وتضمنت كتاباته احتفالية المواسم، في ثمانية وستين صفحة بدون إحالات. على العكس تماما، تم إدراج "عشوراء" مع ثلاثين مرجعا، وعيد الأضحى مع واحد وأربعين مرجعا، و عيد الفطر مع أربعة عشر مرجعا.

-
- 1 - BROWN Kenneth, People of Salé: Tradition and Change in a Moroccan City 1830- 1930. Manchester: University Press , 1976. p-p. 20-200.
- CRAPANZANO Vincent, The Hamadsha a Study in Moroccan Ethnopsychiatry Berkeley The University of California Press, 1973. p-p. 04- 170.
- DWYER Daisy , Women, Sufism, and Decision-Making in Moroccan Islam in BECK, Lois and Nikki KEDDIE (éd), Women in the Muslim World Cambridge Harvard University Press, 1978. p-p. 98-585.
- EICKELMAN Dale, Moroccan Islam Tradition and Society in a Pilgrimage Center Austin University of Texas Press, 1976.
- GEERTZ Clifford et Lawrence ROSEN, Meaning and order in Moroccan Society, Cambridge, CUP. 1979.
2- WESTERMARCK Edward, Rituel and Belier in Morocco, Mac Millan, 2 Volumes , London, 1926.

محمد بن عيسى في مكناس، وموسم سيدي علي بن حمدوش وسيدي أحمد دغوشي في زهون، وموسم مولاي بوسلهام، وموسم سيدي خطاب بالغرب، وموسم مولاي عبد السلام بن مشيش في منطقة جبالته.

وأمام تعدد هذه المقاربات المعتمدة لتناول موضوع المواسم، فمن الطبيعي أن تتنوع المادة المصدرية والمرجعية التي قاربنا بها الإشكالات التي يطرحها هذا البحث. ومما اعتمدها مجموعة من المصادر التاريخية الإسلامية التي ترجع للعصر الوسيط، هدفنا من ذلك، معرفة الأصول التاريخية للمواسم والتطورات التي عرفتھا.

ومن بين المصادر التي وقفنا عندها، مؤلف صورة الأرض لابن حوقل، الذي يرجع للقرن 4هـ - 10م، وكتاب المسالك والممالك، لأبي عبيد الله البكري خلال القرن 5هـ - 11م، وكتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، لمؤلف مجهول من أهل القرن 6هـ - 12م. وكتاب أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين أبي بكر بن علي الصنهاجي خلال القرن 6هـ - 12م... وقد تضمنت هذه المصادر العديد من العادات والتقاليد والطقوس والمعتقدات الغربية بالعديد من الناطق المغربية، وخاصة عادات تبجيل الأولياء. ولم نعثر فيها على إشارات واضحة حول المواسم الاحتفالية، باستثناء صاحب كتاب الاستبصار، الذي أشار إلى تنظيم المواسم الاحتفالية بالجنوب الشرقي للمغرب⁵.

وفي نفس السياق، اطلعنا على مجموعة من كتب المناقب، وهو ما مكننا من توظيف إشارات مفيدة حول مواسم الأضرحة والزوايا، خصوصا وأن المواسم مرتبطة بشكل كبير بالزوايا والأضرحة. ومن بين أهم المؤلفات التي اطلعنا عليها، كتاب التشوف إلى معرفة رجال التصوف، لابن الزيات التادلي، الذي يرجع للقرن 6هـ - 12م، ومؤلف المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى لأحمد التادلي الصومعي، الذي يرجع إلى النصف الثاني من القرن 10هـ - 16م.

إن ما يميز كتب المناقب التي اطلعنا عليها، والتي ترجع لفترة مابين القرنين 11م - 16م، تضمنها إشارات حول احتفال المواسم، التي بدأت ترتبط بالحركة الصوفية منذ القرن 6هـ - 12م. وعلى سبيل

5 - مؤلف مجهول، الاستبصار في عجاب الأمصار، وصف مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق، سعد زغول عبد الحميد، 2012، ص ص. 200، 212.

المثال، إشارة أحمد التادلي الصومعي، في مؤلف المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى⁶.
بيد أننا لاحظنا، أن الاهتمام بموضوع المواسم والطقوس المرتبطة بها، كزيارة الأضرحة والحضرة
أو الجذبة، بدأ منذ القرن 15م، خاصة بعدما تبنت السلطات والحركة الصوفية لاحتفالات المواسم
المتزامنة مع الاحتفال بعيد المولد النبوي، وأصبحت العديد من الزوايا بالأطلس المركزي تحتفل
بمواسمها في عيد المولد النبوي.

من أهم المصادر التي وقفنا عندها في هذه الفترة، والتي تضمنت إشارات حول المواسم، كتاب
الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس إبن أبي زرع الفاسي،
الذي عاصر الدولة المرينية، إضافة إلى مؤلف وصف إفريقيا للحسن الوزان، الذي عاصر فترة حكم
الأشراف السعديين خلال القرن 16م، وتضمن مؤلفه، إشارات واضحة للمواسم سواء المرتبطة بالزوايا
أو المواسم الفلاحية القديمة.

إلى جانب ذلك، وقفنا على العديد من المصادر، التي ترجع إلى فترة حكم العلويين منذ القرن 17م
من أبرزها، كتاب تاريخ الدولة السعيدة، لصاحبه محمد الضعيف الرباطي، المعروف بتاريخ الضعيف،
وكتاب الترجمانة الكبرى، في أخبار المعمور برا وبحرا، لأبي القاسم الزياتي، ومؤلف الإستقصا لأخبار
دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري.

والملاحظ، أن الكتابات التاريخية التي ترجع لهذه الفترة، اهتمت بموضوع المواسم، خاصة
المرتبطة بالزوايا والأضرحة، في فترة السلطان مولاي سليمان، الذي شن حربا على الزوايا والأضرحة
والمواسم لأسباب سياسية ودينية عديدة. ويفسر اهتمام المصادر باحتفال المواسم بعلاقات المد
والجزر الذي ميز سياسات الدولة العلوية، بالزوايا والطرق الصوفية مند نشأتها.

كما بحثنا في مجموعة من المصادر المحلية المرتبطة بتاريخ الأطلس المركزي، كمؤلف الدرّة
الجليلة في مناقب الخليفة، لمحمد بن عبد الله الخليفتي في أواخر القرن 18م. وكتاب التسلي عن
الآفات بذكر الأحوال وما فات، لمحمد بن أحمد الغجدامي، نهاية القرن 19م والنصف الأول من القرن

6 - أحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير.

مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996، ص. 217.

إياها حفدة سيدي الطيبي بناور، وحفدة سيدي بن داود بإغرم لعلام، وحفدة سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي ببني عياط.

واعتمدنا كذلك، على مجموعة من الوثائق الخاصة التي ترجع للنصف الثاني من القرن 20م، وبداية القرن 21م، والتي لم تبخل علينا بها بعض الأسر التي تنتمي للمراكز الصوفية بمجال الأطلس المركزي. ومن أهم هذه الوثائق صور ووثائق وظهائر، منحنا إياها حفدة سيدي الطيبي بناور، وحفدة سيدي بن داود بإغرم لعلام، وحفدة سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي ببني عياط. واعتمدنا كذلك، على مجموعة من الجرائد الصادرة خلال النصف الثاني من القرن 20م، ومطلع القرن 21م من أهمها جريدة: Le Matin du Sahara 1984 - Le Petit Marocain 1966.

إلى جانب المصادر المشار إليها، اعتمدنا على وثائق ترجع لفترة مطلع القرن 21م، منها المذكرات والمراسلات الوزارية التي تهتم بالموااسم الاحتفالية، سواء تلك الصادرة عن وزارة الثقافة، أو الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، واستعنا كذلك، على ما يقارب ستين موقعا إلكترونيا إخباريا، تضمن مادة إخبارية مهمة حول تظاهرات المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي.

وشملت المادة المعتمدة أيضا في هذه الدراسة، العديد من الصور والفيديوهات التي توفرها المواقع الإلكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي حول احتفال المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي، وما جاء في بعض برامج قنوات التلفزة الوطنية والدولية حول الموضوع، والتي توضح رصد اهتمامات السلطات والمجتمع بهذه التظاهرات، خاصة وأن هناك تزايدا برامج التلفزية في السنوات الأخيرة حول المواسم والفتنازيا، ويشكل برنامج "مرحبا بكم" سنة 2013م بمشاركة الأولى المغربية والقناة "TV5" الفرنسية نموذجا لهذه البرامج.

وفي الأخير، لابد من الإشارة إلى أن المادة الميدانية تعتبر أساسية في تناول إشكاليات البحث، خصوصا في المحاور التي وجدنا صعوبة في إيجاد مادة مصدرية ومرجعية مكتوبة، لذلك، راهنا على جمع مادة شفوية مهمة من مجموعة من الشيوخ في الأطلس المتوسط، والعائلات المسؤولة على أضرحة وزوايا المواسم الاحتفالية، وبعض الحاخامات اليهودية، من أبرزهم مقدم ضريح مول البرج بإمين تاغيا ببلدة ابزو.

وقد عالجتنا إشكالية المواسم والمهرجانات الاحتفالية بالأطلس المركزي في ثمانية فصول كبرى، وتكمن الدوافع المنهجية لتقسيم الموضوع لهذا العدد من الفصول والمباحث، إلى كون موضوع هذه

التظاهرات مركب من مواضيع ومداخل عديدة، مرتبطة بالجوانب التاريخية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية والذهنية لقبائل منطقة الأطلس المركزي ...

وقفنا في الفصل الأول من هذه الدراسة، على المعطيات الطبيعية والبشرية والاقتصادية التي يتميز بها الأطلس المركزي. هدفنا من ذلك إبراز دور هذه الخصائص في ظهور وتطور بعض العادات والتقاليد والطقوس المرتبطة بالمواسم والمهرجانات الاحتفالية لدى قبائل الأطلس المركزي. أما الفصل الثاني، فقد خصصناه لتعريف الموسم والمهرجان والسياقات التاريخية لظهورها وتطورها. والهدف من مقارنة إشكاليات هذا الفصل، هو معرفة الامتدادات التاريخية للمواسم، والعوامل المفسرة لظهورها وتطورها، خاصة بعد ارتباطها بالحركة الصوفية.

وتناولنا في الفصل الثالث، جرد وتصنيف المواسم والمهرجانات وتنظيمها المورفولوجي بكل من الأطلس المركزي وسهل تادلا السفلى المجاور له، وتكمن المبررات العلمية التي دفعتنا إلى إدراج المواسم المنظمة بسهل تادلا، هو التداخل والتفاعل الثقافي الواضح بين قبائل دير وجبال الأطلس المركزي من جهة، وقبائل سهل تادلا من جهة ثانية، خاصة العلاقات الثقافية والروحية التي نسجتها الحركة الصوفية والتمظهرة خلال احتفالات مواسم الزوايا والأضرحة.

أما الفصل الرابع، فقد عالجنا فيه مكانة مواسم الأولياء والأضرحة والزوايا، وأهمية مؤسسة الولي وأدوارها التاريخية بالأطلس المركزي، والنفوذ الواسع الذي كانت تتمتع بها، سواء الأولياء المسلمين أو اليهود. كما وقفنا على مظاهر وعوامل التطورات التي عرفتها مواسم الأضرحة والزوايا خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م. إن سبب مقاربتنا لهذا الفصل الرابع، هو فهم الأسباب المفسرة للهالة والتبجيل الذي يحظى به الأولياء بالأطلس المركزي، واستمرارية الاحتفاء بهم من خلال تنظيم مواسم ومهرجانات سنوية بجوار أضرحتهم تيمنا بهذه الشخصيات.

تطرقنا في الفصل الخامس، لإشكاليات سياسات وعلاقات السلطات الحاكمة المحلية والمركزية المغربية تجاه المواسم والمهرجانات منذ قيام دولة الأدراسة إلى يومنا هذا، حيث وضحنا أولا، علاقات وسياسات هذه السلطات المحلية تجاه المواسم والمهرجانات قبل فرض الحماية على المغرب سنة 1912م. كما وقفنا ثانيا، على مواقف وسياسات الدولة تجاه هذه التظاهرات خلال فترة الحماية 1912م-1956م، وبعد استقلال المغرب سنة 1956م. وقصدنا من مقارنة هذا الفصل رصد علاقات المد والجزر التي ميزت هذه السياسات والعلاقات بين السلطات من جهة والمواسم والمهرجانات من

جهة ثانية، وخاصة مواسم الزوايا والأضرحة.

أما الفصل السادس فقد خصصناه، لموضوع مظاهر الاحتفال والتسليّة الترفيهيّة بالمواسم والمهرجانات الراهنة بالأطلس المركزي، ومن بين هذه المظاهر الاحتفالية التي وقفنا عندها، التبوريدة أو الفروسية، أو الفنتازيا، التي تعتبر تجليا من تجليات المواسم، بامتداداتها التاريخية ومختلف التحولات التي عرفتها في المنطقة، حينما كانت التبوريدة استعدادا عسكريا، وحينما تحولت إلى فلكلور فني احتفالي. إلى جانب التبوريدة، تطرقنا لموضوع الرقص والغناء وعروض التسليّة والترفيه بمواسم ومهرجانات الأطلس المركزي، بخصوصياتها التاريخية والثقافية والتطورات التي عرفتها، ومجمل تمثلاث الساكنة المحلية لهذا التراث، وردود فعل (الجماهير) والفقهاء تجاهه.

وعالجا في الفصل السابع، بعض الطقوس الاحتفالية الصوفية التي يمارسها زوار مواسم الزوايا والأضرحة والمزارات بالأطلس المركزي. من أهم الطقوس الاحتفالية التي تطرقنا إليها: الجذبة والرقص الصوفي، بامتداداتها التاريخية والثقافية، والتحولات التي عرفتها الظاهرة، والعوامل المفسرة لحضورها وارتباطها بمواسم الزوايا والأضرحة والمزارات، ومختلف ردود فعل الفقهاء تجاه هذه الطقوس. ووقفنا في آخر هذا الفصل، عند طقوس الأضحية أو الذبيحة الجماعية المقدسة بمواسم الأضرحة والزوايا والمزارات بالأطلس المركزي، وأبرزنا أدوارها التاريخية وردود فعل المجتمع والفقهاء حولها، ومختلف التحولات التي عرفتها طقوس الذبيحة خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م. وفي الفصل الأخير من هذا البحث، عالجا إشكالية الأدوار الاقتصادية والتنموية التي تلعبها المواسم والمهرجانات، باعتبارها من جهة، معارض وأسواق سنوية، تمارس فيها مختلف أنواع التجارة، وفرصة للساكنة المحلية للتزود بحاجياتها من السلع، وتصريف منتجاتها الفلاحية والحرفية. ومن جهة ثانية، تعتبر المواسم والمهرجانات مناسبة لتعزيز موارد الزوايا والأضرحة، وخلق رواج تجاري خاصة المبادلات المرتبطة بالجوانب الرمزية والروحية والبركة والمقدس والتداوي الشعبي، نظرا للقيمة الرمزية لهذه للمبادلات في ذهنية زوار مواسم الأضرحة والزوايا.

علاوة على ذلك، تناولنا في هذا الفصل الأخير، مجمل الآليات والأعراف الموروثة لتدبير عائدات المواسم وفضاءات الأضرحة والزوايا بالأطلس المركزي، وأبرزنا في هذا الإطار، مختلف التحولات الاقتصادية والتنموية التي عرفتها المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي خلال القرن 20م وبداية

مجال الأطلس المركزي: الخصوصيات
الطبيعية والبشرية والاقتصادية

الفصل
الأول

مجال الأطلس المركزي وخصوصياته الطبيعية

البحث
الأول

التركيب القبلية للأطلس المركزي

البحث
الثاني

الأنشطة الاقتصادية للأطلس المركزي

البحث
الثالث

مقدمة الفصل الأول

قبل أن نعرض لموضوع المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي، حاولنا إثارة الانتباه إلى بعض الإشكالات التي يطرحها مجال الدراسة على المستوى النظري والمفاهيمي، أي أنه لا بد من أن نبدأ بأصل تسمية الأطلس المركزي، وتحديد مجاله الجغرافي، والتطرق لمختلف معطياته الطبيعية والبشرية والاقتصادية.

قاربنا هذا الفصل في ثلاثة مباحث رئيسية، يتعلق المبحث الأول، بتحديد مجال الأطلس المركزي، وبعض مميزاتة الطبيعية. وتطرقنا في المبحث الثاني، لأهم العناصر البشرية المستقرة بالأطلس المركزي. وقمنا في المبحث الثالث، بإبراز بعض المعطيات الاقتصادية التاريخية التي يتميز بها مجال الأطلس المركزي. والهدف من التطرق لهذه المعطيات الطبيعية والبشرية والاقتصادية التاريخية للأطلس المركزي، هو معرفة دور هذه الخصائص في ظهور وتطور العديد من الأنماط الثقافية، بما فيها المواسم والمهرجانات الاحتفالية لدى قبائل المنطقة، في أوقات محددة من كل سنة.

المبحث الأول: مجال الأطلس المركزي وخصوصياته الطبيعية

يطرح تحديد مجال الأطلس المركزي مجموعة من الإشكالات تتمثل أهمها، في اختلاف وجهات نظر الباحثين، حول الحدود المجالية للأطلس المركزي. لذلك، تناولنا في هذا المبحث مجال الأطلس المركزي، وحصرننا فيه مجال الدراسة. كما تطرقنا إلى أصل تسميته، ومميزاتة الطبيعية.

1 - أصل تسمية الأطلس

أثناء تصفحنا للكتابات القديمة، لم نعثر إلا على تعميم اسم الأطلس على القمم المكسوة بالثلوج المنتصبة وسط المغرب. وقد أورد بعض الكتاب اللاتينون مصطلح الأطلس، للحديث عن كل الكتلة التي تخترق المغرب الكبير، من موكادور في المحيط الأطلسي إلى رأس بون Cap Bon بتونس¹.

1 - شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1888 - 1884، ترجمة المختار بلعربي، مطبعة النجاح الجديدة، ج 1، الدار البيضاء، 1999، ص. 129.

وقد استعملت لفظتا الأطلس الكبير والأطلس الصغير من طرف بطليموس²، في إشارة إلى الأطلس المغربي المتشكل من سلسلتين واضحتي المعالم: الأولى مرتفعة، تكاد تكون مكسوة بالثلوج، وسماها الأطلس الكبير. والثانية جنوب السلسلة الأولى، أقل ارتفاعاً، وسماها الأطلس الصغير³. إلا أنه ربما جهل تواجد سلسلة ثالثة، وهي أقل علواً من الأطلس الكبير وأكثر علواً من الأطلس الصغير، وهي التي أطلق عليها شارل دوفوكو خلال القرن 19م اسم الأطلس المتوسط، وهي تسمية تناسب علو هذه السلسلة.

أما المؤرخون المغاربة، فقد اختلفت تسمياتهم للسلاسل الجبلية التي تخترق المغرب، وهكذا قسمها أبو بكر بن علي الصنهاجي خلال القرن 12م إلى جبال درن وجبال فازان، وجعل من وادي العبيد حداً فاصلاً بينهما⁴. وأطلق محمد الضعيف الرباطي اسم فازان خلال القرن 18م على مجموع الجبال المغربية⁵. وفي نفس الاتجاه، أطلق أبو القاسم الزياني في نهاية القرن 18م، جبال درن على كل السلاسل الجبلية من خليج أكادير إلى برقة بليبيا⁶.

وفي السياق ذاته، حافظ أحمد بن خالد الناصري على تسمية السلسلة الجبلية الواقعة جنوب وادي العبيد بجبال درن، والتي تنتهي عند سهل سوس. أما جبال فازان فإنها لا تعدو أن تكون إلا جبالاً محلية بالقرب من قبائل زيان، وإلى جانبها، ذكر جبالاً نسبها إلى القبائل القاطنة بها من قبيل: (جبل هنتاتة، جبل مسفيوة، جبل آيت أومالو، جبل آيت اسري). كما نسب جبال أخرى إلى نوع المنتج السائد بها، ومنها: جبل الزعفران، جبل الزبيب...⁷.

غير أنه، تم تجاوز هذه التسميات التي أوردها المؤرخون المغاربة من قبل الرحالة شارل دوفوكو،

2 - كلوديوس بطليموس، رياضي وجغرافي وعالم فلك إغريقي، ولد سنة 87 م، وتوفي حوالي سنة 150 م. من أهم مؤلفاته، كتاب "الجغرافية".

3 - شارل دوفوكو، م. س، ص. 130.

4 - أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، مطبعة دار المنصور، الرباط، طبعة 1971، ص. 17، والهامش، ص. 51، 94.

5 - محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، نشر دار المأثورات، الرباط، 1986، ص. 122.

6 - أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1991، ص. 66.

7 - أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب البيضاء، ط 1956 ج. 4، ص. 189، ج. 7، ص. 220، ج. 9، ص. 234.

أثناء رحلته للمغرب 1883م / 1884م، وتفيد جزئياً بالتقسيم الذي قدمه بطليموس (الأطلس الكبير، والأطلس الصغير)، لكنه ربما يعد أول من فصل في تحديد بدايتها ونهايتها، كما أضاف إليها سلسلة أغفلها بطليموس، ويتعلق الأمر بالأطلس المتوسط. ولا ندري لماذا جعلها تنتهي عند منابع نهر ملوية، كما أخطأ في تحديد طول القمم، وهذا شيء طبيعي بالنظر إلى تواضع عدته التقنية⁸.

2 - موقع مجال الأطلس المركزي

إن تفحصنا لكتب التاريخ والجغرافيا، وكتب الرحلة المهمة بالتقسيمات المجالية للمغرب، والتي من خلالها وقفنا على بعض التسميات من قبل الأطلس الكبير الغربي والأطلس الكبير الشرقي، والأطلس المتوسط الهضبي والملتوي، غير أننا لم نعثر فيها على مصطلح الأطلس المركزي، لكن أول إشارة تتعلق بالأطلس المركزي، وجدناها في بحث لصاحبه، الجنرال أوكيست كيوم⁹ August Guillaume بداية القرن 20م، والذي عنونه ب"البربر المغاربة والتهدئة بالأطلس المركزي". نتساءل إذن، ما هي الحدود المجالية التي رسمها كيوم للأطلس المركزي؟

يحد منطقة الأطلس المركزي، حسب الجنرال كيوم¹⁰، خطان عموديان، يضمن بينهما منطقة جبلية تمتد من سهول تادلا ومكناس إلى الصحراء، ففي الشمال الشرقي، حدده بخط مكناس في اتجاه ميدلت وصولاً إلى تيزي نتلغمت. وفي الجنوب الغربي، حدده بخط واد زم في اتجاه أزيلال بقمة أزوركي.

بناء على هذا التعريف، يمتد الأطلس المركزي على الجزء الغربي من الأطلس المتوسط، بالإضافة إلى الجزء الشمالي من الأطلس الكبير الشرقي، بطول يبلغ 200 كلم وعمق 100 كلم. ورغم أننا نجعل المصدر الذي اعتمد عليه كيوم في رسمه لهذه الخريطة، التي تدخل الهضاب العليا من تادلا في

8 - شارل دو فوكو. م. س. ص. ص. 08. 133.

9 - ولد أوكيست ليون كيوم في 30 يوليو 1895 في قرية كيلبيستر Guillestre بجبال الألب الفرنسية. والتحق بالمدرسة العسكرية سان سير Sant- Syr في سنة 1913، شارك في الحرب العالمية الأولى. وقضى في الأسر أربع سنوات عين في مكتب الاستعلامات بمكناس. ولعب دوراً عسكرياً واستخباراتياً أثناء عملية التهدئة (1912-1934م). كان من ضمن ضباط أركان الحرب للفرقة المتنقلة لتادلا تحت قيادة العقيد دولوستال. و عين رئيساً لدائرة أزيلال سنة 1934م، و أصبح رئيساً للمكتب السياسي لمصلحة الشؤون الأهلية في سنة 1939م. وفي سنة 1951م تم تعيين كيوم مقيماً عاماً فرنسياً على المغرب. لكن أحداث نفي محمد الخامس وتأجج الحركات الوطنية عجلت بعزله سنة 1954.

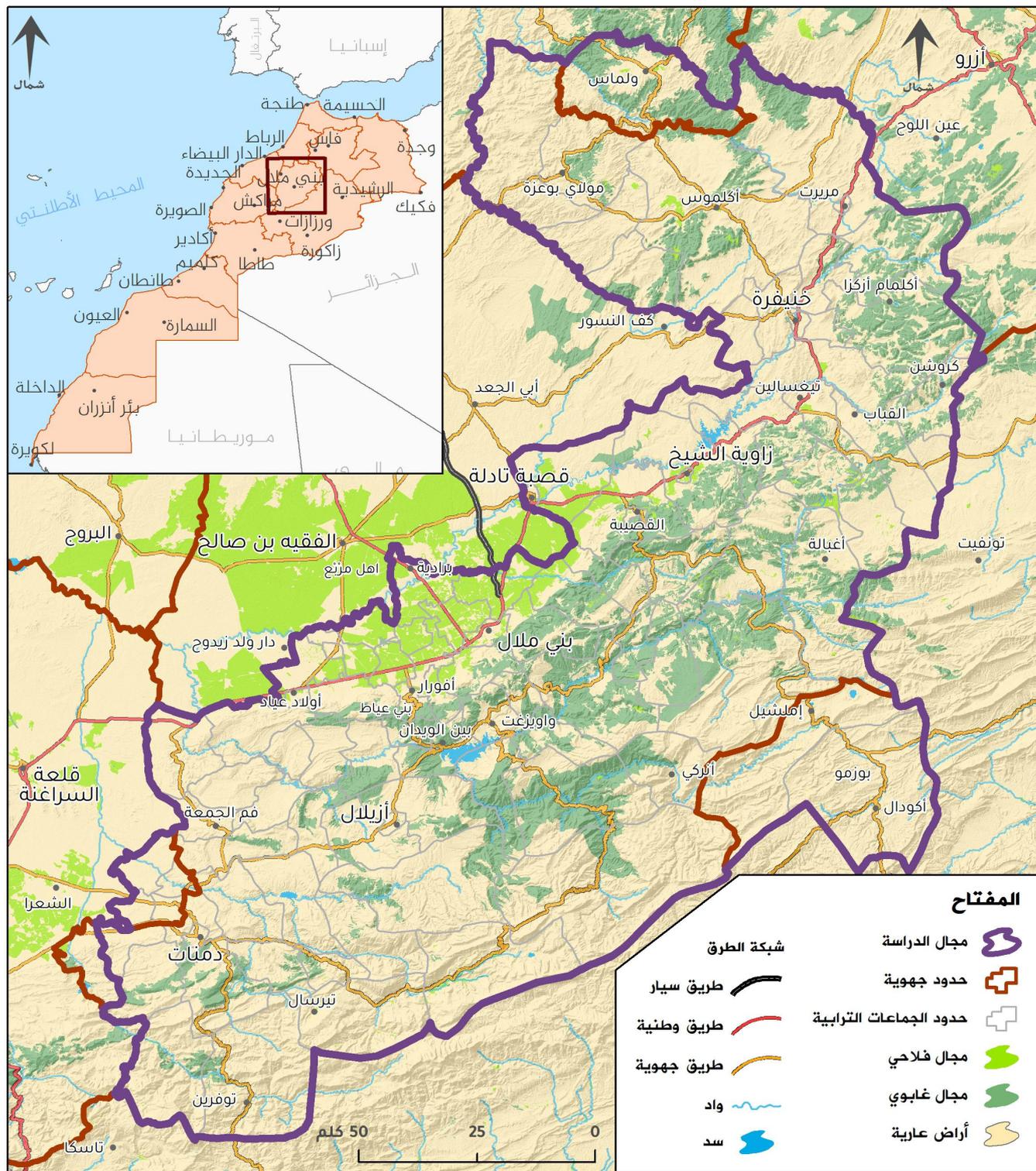
10- Auguste Guillaume, les berbères marocains et la pacification de l' Atlas central, ed. renejuillard, Paris, 1946, p.14.

الأطلس المركزي، فإنها مع ذلك تبقى مفيدة في معرفة توطين الجزء المركزي من سلسلة جبال الأطلس.

وبناء عليه، فإن بحثنا سيشمل المجالات المحددة في الخرائط أسفله، وتشمل الأقاليم التالية: خنيفرة وبني ملال، وأزيلال، والفقيه بن صالح وميدلت. ويرجع السبب الداعي إلى اختيار هذا المجال بالتحديد، إلى عدة اعتبارات منها، شساعة مجال الأطلس المركزي، وانخراطنا في البحث في التاريخ والتراث الجهوي لجهة بني ملال - خنيفرة، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال.

لذلك، نرى أنه من المفيد أن تتماشى هذه الدراسات التراثية مع الجهوية الموسعة، في أفق المساهمة في تثمين الرأسمال الرمزي والتراث الثقافي للجهة. وعليه حاولت أن تشمل دراستنا جميع أقاليم جهة بني ملال خنيفرة باستثناء إقليم خريبكة، لكن في المقابل تم الانفتاح على إقليم ميدلت الذي ينتمي لجهة درعة تافيلالت. ولعل ما دفعنا إلى عدم إدراج إقليم خريبكة وتعويضه بإقليم ميدلت، أولاً، كون منطقة وريغة، لا تدخل ضمن مجال الأطلس المركزي. وثانياً، الأهمية الوظيفية للمواسم بإقليم ميدلت، خاصة موسم إملشيل، بالنسبة لسكانة مهمة بالجهة. ناهيك عن أهمية هذا الموسم في التراث الثقافي الجهوي.

الخريطة رقم 1 : موقع مجال الأطلس المركزي¹¹



11 - خريطة من إنجاز الباحث.

3 - خصوصيات المجال الطبيعي للأطلس المركزي

إن الهدف من اهتمامنا بالمعطيات الطبيعية للأطلس المركزي، هو محاولة معرفة العلاقات التفاعلية بين الإنسان ومجاله، وأثر ذلك التفاعل، في ظهور العديد من الأنماط الثقافية والطقوس الاحتفالية. وقد فسر بعض الأنثروبولوجيين في هذا الصدد، بعض الطقوس المنتشرة بشمال إفريقيا عموماً على أسس الحتمية الجغرافية، إذ اعتبر هؤلاء أن هناك علاقة وطيدة تفسيرية بين الظروف الطبيعية وبعض الطقوس والعادات المنتشرة بالمجال¹². لذلك، نرى أن الإشارة للمجال الطبيعي ولو بإيجاز أمر ضروري، لفهم أثر الظروف الطبيعية على تشكل وتطور البنيات والنظم الثقافية بالمنطقة. وعموماً، يتميز مجال الأطلس المركزي بالغنى والتنوع الطبيعي من تضاريس ومناخ وغطاء نباتي وموارد ومائية.

يتكون الأطلس المركزي من وحدتين تضاريسيتين أساسيتين: المجال الجبلي، ومجال الدير. ويتميز المجال الجبلي، بارتفاع قممه، وتختلف شدة انحدار سفوحها، وتدرج ارتفاعها في اتجاه الجنوب الشرقي. كما يتميز هذا المجال، بوعورة المسالك، وصعوبة التنقل، إذ تتجاوز الارتفاعات في أغلب الأحيان 2500 متر، كما يظهر في قمة أزوركي التي تبلغ 3677 متر. ويعد جبل العياشي أعلى قمة بالأطلس المركزي، بعلو يبلغ 3737 متر¹³.

تتخلل هذه المرتفعات الجبلية منخفضات داخلية، يصل مستوى ارتفاعها إلى 2500 م، نذكر منها: منخفض خنيفرة، ومنخفض آيت بوكماز، ومنخفض أزيلال، ومنخفض تاكلفت، ومنخفض واويزغت، ومنخفض أزغار فاد. ويحتل هذا الأخير، مركز الأطلس المركزي، إذ فيه يظهر التمهصل بشكل واضح بين الأطلس الكبير الشرقي والأطلس المتوسط. كما يجري بهذه المنخفضات شبكة من الوديان أهمها: واد ملوية، وواد العبيد¹⁴.

أما مجال الدير: فهو مجال متدرج الإرتفاع، يربط بين جبال الأطلسين المتوسط والكبير

12 - الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامية للطباعة والنشر، ط. 3، 1987.

13- Les guides blues du Maroc, Hachette, Paris, 1954, p. 521.

14 - الكتاب المدرسي، الجغرافيا، مستوى الثانية ثانوي تأهيلي، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 2000، ص. 414.

بالسهول الرسوبية الممتدة على قدم الأطلس المعروف بتادلا السفلى¹⁵. ويتميز الدير بوفرة المياه، والغطاء النباتي، وبتربته المتوسطة الخصوبة. يبدو أن هذه الظروف ساهمت في ارتفاع الكثافة السكانية بمجال الدير، ويفسر انتشار الزوايا والأضرحة المحتفى بهم خلال تنظيم اختلافات المواسم في هذا المجال.

ورغم هيمنة التضاريس المرتفعة بالأطلس المركزي، إلا أن وجود ممرات طبيعية سهل أمر اختراقها، حيث لعبت هذه الممرات أهمية استراتيجية في ربط السهول المجاورة بالمناطق الجنوبية الشرقية. كما استعملها الرحل للتنقل بمواشيهم بين مراعي الشتاء والصيف، وربطت هذه الممرات الساكنة بالأسواق والمواسم المحلية، وسهلت شق الطرق والمسالك ومرور المواصلات. والظاهر أن منطقة الأطلس المركزي تخترقها ثلاث ممرات رئيسية بالإضافة إلى ممر أقل أهمية¹⁶.

- ففي الشرق: يشق جبال الأطلس المركزي ممر "تلغمت"، الذي يربط بين خنيفرة، وآزرو، وتيمحضيت ثم ميدلت. وفي وسط الأطلس المركزي: نجد ممر خنيفرة، في اتجاه لقباب، وألمسيد، وأغبالة، وتاسنت، وصولاً إلى أعالي أسيف ملول. وفي الغرب، نجد ممر تيزي ن - غنين، والذي يربط بين بني ملال، باويزغت، وتيلوكيت، وزاوية أحنصال.

وينطلق ممر آخر من واويزغت عبر أزيلال، وآيت أمحمد، وتيزي نايت إمي - دادس . ويعد ممر تيزي نايت ويرة أقل أهمية، يبتدئ من جنوب القصيبة، ويتفرع عنه محوران، واحد في اتجاه أغباله عبر درنة وتيزي نيسلي، ومنه إلى باب نويما ثم إملشيل، وآخر في اتجاه تاكلفت وآيت وانركي، عبر أغزيف وعتبة إسناين.

أما بخصوص الشبكة المائية في الأطلس المركزي، يعتبر واد العبيد من أهم الأنهار التي تخترق مجال الأطلس المركزي، وتبدأ منابعه من مقربة "تنفيت" بملوية العليا، في اتجاه تاكلفت ليصل إلى بحيرة بين الويدان، ليصب في نهر أم الربيع عند سهل بني موسى¹⁷. ومن أهم روافده الأساسية

15- تضم تادلا السفلى: قبائل بني موسى وبني عمير وآيت الربيع. وتتشكل قبائل "آيت الربيع من: سمكت، وكطاية، وبني معدان، وبني ملال. أما تادلا العليا: فهي تتكون من قبائل بني زمر، والسماعلة، وبني خيران. وورديفة، أنظر: محمد بن البشير بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال 1854-1916، مطبعة المعارف الجديدة، سنة 1991، ص 23-24.

16- Auguste Guillaume, op. cit. p.27.

17 - أحمد زروال، مادة "واد العبيد"، معلمة المغرب، ج. 18، مطابع سلا، 2003، ص. 5168.

أسيف أورين، أسيف أغندو، أسيف أكاسن، وواد أحنصال، وأسيف ملول.

مجل القول، إن مجال الأطلس المركزي، يتميز بالتنوع والغنى الطبيعي، المتمثل في تنوع التضاريس والمناخ، وتوفر المجاري المائية، وتنوع الغطاء النباتي. هذه الخصائص الطبيعية والجغرافية، كان لها أثر في ظهور وتطور العديد من الأنماط الثقافية المرتبطة بتدبير واستغلال مجال وموارد الأطلس المركزي.

البحث الثاني: التركيبة القبلية للأطلس المركزي

تتميز ساكنة الأطلس المركزي بالتنوع والغنى الثقافي المتجلي في مختلف العادات والتقاليد والطقوس المنتشرة بهذا المجال. لذلك، نرى أنه لا بد من الإشارة لهذه المعطيات البشرية وخصوصياتها وأصولها، وأهم مناطق استقرارها، ثم العلاقات التي تربط بين مكوناتها.

1 - أصول ساكنة الأطلس المركزي

إن التركيبة السكانية للأطلس المركزي، لا تخرج في عمومها عن التركيبة البشرية للأطلس المغربي، حيث ينتمون حصريا لقبائل صنهاجة¹⁸ ومصمودة¹⁹، رغم أنه من الصعب تحديد الحدود التاريخية بين القبيلتين²⁰. وللإشارة، عرفت قبيلة صنهاجة انتشارا واسعا في المنطقة أواخر القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين، بسبب قيام دولة المرابطين على إحدى قبائلها الأكثر عددا وهي لمتونة وقد استطاعت أن تزحف من الجنوب إلى الشمال، فدخلت في صراع مع البورغواطييين

18 - صنهاجة أو زناكة: ينتمي إليهم قسم من بربر التخوم المغربية الجزائرية والقبائل الأطلس المتوسط، وتافيلالت وطوارق الصحراء ووسط الأطلس، ويشكل الصنهاجيون فريقين: الرعاة المتنقلون، والمستوطنون وأهم مجموعاتهم زناكة الذين يشغلون منطقة الأطلس المتوسط. أنظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، منشورات دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2009، ج1، ج3، ص25، 26؛ و هوبس بيجن، "تنظيم المجال المغربي"، في: مجلة علم الاجتماع السياسي، العدد7-8، السنة1988، ص51-52؛ ومولاي التقي العلوي، أصول المغاربة، مراجعة، عدل ركوك وحفيظة الهاني، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الطبعة الثانية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2019، ص15.

19 - مصمودة: ينتمي إليها قسم من غمارة غرب الريف، وشلوح الأطلس الكبير الغربي وأكثر بلاد السوس والأطلس الصغير، فالمصامدة قد استطنوا كل غرب البلاد ومناطق الريف والأطلس المتوسط، وهم من البرانس المستوطنين المتحضرين، وكانوا يؤلفون معظم سكان المغرب أيام الفتوح، وكانوا يشغلون أكثر المناطق الجبلية، ويعتبر الأطلسان الصغير والكبير موطننا لمصامدة اليوم. أنظر: إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، م، س، ص. ص. 25، 22، 26.

20 - صالح بن عبد الحليم، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق عبد القادر بويابة، منشورات دار أبي رقرق، ط. 1، 2005، ص. 26.

المنتمين إلى المصامدة وتجاوزاتهم إلى الأندلس²¹ .

وحسب ابن خلدون فإن قبيلة صنهاجة، "كانت...من أوفر قبائل البربر، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمور البربر... ولصنهاجة هؤلاء بين قبائل الغرب وقور وشدة بأس ومنعة، وأعزهم جانبا أهل الجبال المطلة على تادلا"²².

إلى جانب صنهاجة، كان مجال الأطلس المركزي منطقة استقرار قبائل هسكورة المصمودية، التي قال ابن خلدون عنها "أما هسكورة هم لهذا العهد في عداد المصامدة، وينسبون إلى دعوة الموحدين وهم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن وتادلا من جانب الشرق إلى درعة"²³ . وهو ما ذهب إليه صاحب القول الجامع "بأن ولتانة من جملة قبائل مصمودة وهم هنتاتة وقبائل المصامدة من البربر"²⁴ .

إلا أن هناك من يعتبر الاتحاد الهسكوري اتحاداً قبلياً مستقلاً عن صنهاجة ومصمودة، وهو ما وقف عنده مولاي التقي العلوي "الذي اعتبر مجال هسكورة بين بلاد المصامدة غربا وبلاد صنهاجة أوزناكة شرقاً"²⁵ . ونفس الإشارة وردت عند ابن الزيات في إطار حديثه عن أحد تلاميذه أبي يعزى الذي كان بجبل دمنات من جبال هسكورة"²⁶ .

ومن الصعب الحديث عن البدايات الأولى للاستقرار الهسكوري بالمنطقة، إذ من غير المستبعد، أن يكون قبيل هسكورة قد نشأ في فترات وظروف مجهولة، من طرف رعاة رحل، هاجموا ابتداء من

21 - عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية الرباط، ج. 1، ط. 1968 ص. 321، 322.
22- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج. 6، ط. 1983، ص. 309.
23- نفسه، ج. 6، ص. 270.
24- أحمد نجيب الدمناتي، القول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع، تحقيق أحمد بن محمد عمّالك، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط. 2012، ص. 21.
25- التقي العلوي، أصول المغاربة، م. س، ص. 142.
26- أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط. 1984، ص. 381.

التخوم الصحراوية منطقة الأطلس المركزي الغربي، بين تيزي نتلوات وتيزي نغدات²⁷.
عموما، يظهر أن القبائل المنتشرة بمجال الأطلس المركزي، ترجع أصولها إلى بطون صنهاجة
ومصودة بالدرجة الأولى، إضافة إلى بعض العناصر الهلالية العربية المستقرة بتادلا خلال القرن
12م. وتفرعت هذه القبائل مع مرور الوقت إلى مجموعة من الاتحاديات القبلية. علاوة على بعض
العناصر اليهودية.

2 - الخريطة القبلية للأطلس المركزي

2 - 1 أهم القبائل المستقرة بالأطلس المركزي

إن دراسة المواسم بالأطلس المركزي وأدوارها التاريخية، يستدعي التعريف بالقبائل الكبرى
المستقرة والمنتشرة بالمجال، لكي يتسنى لنا معرفة مجالات انعقاد المواسم والمهرجانات، وكذا
القبائل المحتضنة والمرتدة عليها. ومن بين أهم القبائل المنتشرة بالأطلس المركزي، نجد قبائل
آيت سخمان²⁸، التي تمتد مواقعها على طول وادي العبيد، من منابعه بجبال تونفيت شرقا، إلى
حدود مرتفعات واويغت غربا، ويتعبير آخر من قمة جبل إغيل بامغداس بالقرب من قبائل آيت
حديدو إلى سهل بني ملال²⁹.

بجوار قبائل آيت سخمان، تتواجد اتحادية آيت اسري بدير تادلا، ومن فخذاتها آيت ويرة، وآيت عبد
اللوي وآيت امحنو. واستقرت هذه الاتحادية بحوض واد درنة، والجزء الشمالي للأطلس المتوسط،
وتتخذ من ممر تيزي نايت ويرة معبرا طبيعيا تجاه آيت سخمان، وتراقب اتحادية آيت سري المسالك
الرابطة بين القصيبة أغباله وتاكلت. وتوجد وبين قبيلتي آيت سري وزيان قبيلتان صغيرتان،

27- أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، اينولتان 1850-1912، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة
النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط. 2، 2011، ص. 50.

28 - آيت سخمان: هي اتحادية وسط الأطلس المركزي، وتشكل قبائل آيت سخمان من أربعة قبائل كبرى وهي: آيت عدي أعلي،
ومركزهم تيزي نسلي، وآيت داود أعلي، ومركزهم تاكلفت، وأنركي، وأربعاء أقبلي، ثم قبيلة آيت حمامة أعلي، ومركزهم أغبال، وأخيرا
آيت سعيد أعلي، ومركزهم فم العنصر. أنظر: التقي العلوي، م. س. ص. 61، 62، 63؛ ومحمد آيت حمزة، مادة "آيت أمالو"، معلمة
المغرب، ج. 2، ص. 684، 685.

29- Auguste Guillaume, op. cit. p. 60.

يتعلق الأمر بقبيلة آيت أم البخت وآيت إسحاق³⁰.

وتستقر قبيلة إشقرن جنوب زيان في المنطقة الفاصلة بين واد سرو وواد ملوية، وتتحكم في ممر تافيلالت وألمسيد وخنيفرة. كما تتحكم في الممرات الرابطة بين أعالي أم الربيع وملوية العليا. وتمتلك هذه القبائل خيولا قليلة، وعددا كبيرا من قطعان الماشية³¹. وتجاورهم قبائل آيت سكوكو المستوطنة عيون أم الربيع إلى حدود وادي تيكريكرا، في حين تستقر قبيلة آيت إحد جنوب قبائل ايت سكوكو بواد سرو³².

ولالإشارة، فإن قبائل زيان تنتشر بالجزء المركزي من الأطلس المتوسط، وتراقب حركة الانتجاع بين السهل والجبل، وتستفيد من مراعي الجبل في الصيف(جنان إماس، هضبة آيت بومزيل) من جهة، ومن مراعي سهل أدخسان في الشتاء من جهة أخرى. وتتميز قبائل زيان بحبها واعتنائها بالخيول الكثيرة العدد التي تشكل أساس قوتهم العسكرية³³. أما الحدود الشمالية للأطلس المركزي، فإنه مجال استقرار قبائل بني مطير، بين هضبة الحاجب وسهول مكناس، ويعد الانتجاع حرفتهم، وتمر عبر ديارهم الطريق الرابطة بين فاس ومكناس³⁴. وبجوار قبائل بني مطير، تستقر قبائل بني مكيد، بين آزر و تيمحضيت³⁵.

هذا في ما يخص المناطق الشمالية للأطلس المركزي، أما فيما يخص القبائل المستقرة بوسط وجنوب الأطلس المركزي، نجد في مقدمتها اتحاد قبائل انتيفة المستوطنة للمنطقة الممتدة جنوب تادلا، والتي يجاورها من الشرق كل من قبيلتي آيت عتاب وآيت مصاض، ومن الشمال قبيلة بني موسى العربية، ومن الغرب قبائل السراغنة ومن الجنوب قبيلتي "ولتانة و فطاوكة" بدمنات³⁶. وقد ذكر البيدق الصنهاجي قبيلة انتيفة في كتابه الأنساب في معرفة الأصحاب باسم "هنتيفة أو إنتفت"³⁷، وجعلها ابن خلدون ضمن بطون هسكورة تحت اسم "إنتفت"، الذين كانت الرئاسة فيهم في أولاد

30- Ibid. p. 65.

31- Auguste Guillaume, op. cit. p.64.

32- Ibid.

33- Ibid. p. 62.

34- Ibid. p. 61.

35-Ibid.

36- المالكي الملكي، مادة "انتيفة"، معلمة المغرب، ج. 22، ص. 7409، 7410؛ ومصطفى فرحات، طقوس وعادات أهل بزو، مطبعة المعارف، الرباط، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ط. 2007، ص. 15.

37- أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، مطبعة دار المنصور، الرباط، ط. 1971، ص. 53.

هنو³⁸.

تضم اتحاد قبائل انتيفة بلدات كثيرة ومنها: القرية، وتابيا، وإيغير، وماسكوران، والشعبة الحمراء، وأزود، وإيغير ن عبد الله، وآباينو، وتيسليت، وآيت تاكوست، ومكوسة، وأورنيت، وتاكانت، وتيهاريسين، وفم الجمعة، أو إيبي الجمعة باللسان الأمازيغي، وأولى، تاشوريت، وتعتبر بلدة ابزو مركز قبائل انتيفة. وللإشارة، هناك قبيلة أخرى تقطن المجال الفاصل بين انتيفة وآيت مصاض، ويتعلق الأمر بقبيلة آيت تكلا الصنهاجية، التي كان موطنها الأصلي قرب وادي أحنصال وبلاد آيت إصحا، كما هو الشأن بالنسبة لقبيلة آيت واستر المستقرة بمنطقة نفوذ قبيلة آيت عتاب، وكان العامل الأكبر الذي أدى إلى هجرة آيت تكلا لمجالها واستقرارها بموطنها الحالي (بين ملتقى الطرق الرابطة بين أزيلال - مراكش - أزود) "هو وقوع بلادهم أمام تيار الهجرة العطابية الذي نزل على المنطقة نزول الصاعقة، وانطلقت عصابه تغزو المنطقة بالعنف والقوة منذ القرن 15م³⁹.

علاوة على ذلك، استقرت قبائل آيت عطا - ن - ومالو، الجبال المطلية على تادلا في وسط الأطلس المركزي، وتعتبر هذه الاتحادية، من القبائل الصحراوية الصنهاجية التي نزلت نحو منخفض واويزغت، وتتحكم في ممر تيزي غانين⁴⁰. وتجاور قبائل آيت عطا ن أمالو، قبائل آيت بوزيد القاطنين الضفة الشمالية لواد العبيد⁴¹، وقبائل آيت إصحا المستقرة في المنطقة الفاصلة بين واد العبيد وواد أحنصال، ومركزهم تيلكيت⁴². ويحد مجال آيت إصحا، كل من قبيلة آيت بوكنيفن المنتمية لاتحادية آيت عطا الصحراء... وقبيلة العائلة المرابطية الحنصالية المستوطنة ضفاف واد أحنصال في المنطقة التي شيدت فيها زاوية أحنصال الأولى⁴³.

وللإشارة فإن اتحادية آيت عطا، تشكلت ككيان سوسيو- سياسي منذ منتصف القرن 16 م، وتمتد مواقع هذه الاتحادية على وجه التقريب بين مرتفعات الأطلس شمالا وحوض درعة جنوبا وواحات تافيلالت شرقا، وتنفذ على الصحراء من جهة الجنوب. وتضم آيت عطا ن أمالو عدة قبائل كبرى

38- ابن خلدون. م. س. ج. 6. ص. 421، 422.

39- التقي العلوي. م. س. ص. 70.

40- Auguste Guillaume, op. cit. p. 65.

42- Ibid. p. 66.

43- Ibid.

أبرزها قبيلة آيت أنير، ومركزهم منخفض واويزغت، وآيت بويكنفن ومركزهم تالماست غربي زاوية أحنصال⁴⁴.

وتستقر بالسفوح الشمالية الشرقية والجنوبية للأطلس المركزي العديد من القبائل منها قبائل آيت حديدو بأعلي أسيف ملول، وتوجد لنفس القبيلة فخذات على طول الأودية الصحراوية (دادس، غريس، زيز). وتتميز قبائل آيت حديدو بالتحامهم وبتفرد عاداتهم، وتكمن أهميتهم في سيطرتهم على الممرات الرابطة بين أعالي واد العبيد والصحراء⁴⁵.

و على السفح الصحراوي للأطلس الكبير، نجد إتحادية آيت يفلمان، وتضم من بين ما تضم قبائل آيت يزدك في الشمال وتشكل ميدلت مركزها الرئيسي، ويقطن آيت مرغاد جنوب شرق الأطلس المركزي على ضفاف واد غريس وإمدغاس. بينما يقطن آيت يحي المنخفض بين جبل العياشي وجبل معسكر، ومركزهم تونفيت، تتصل إتحادية آيت يفلمان بالشمال عبر فج ودغاسو أنسكمير، وتملك ماشية وافرة وعدد أقل من الخيول⁴⁶. تنتقل هذه القبائل بقطعانها خلال الصيف إلى أسيف ملول عند آيت حديدو وضفاف ملوية⁴⁷.

2 - 2 القبائل الهلالية العربية في سهل تادلا المجاور للأطلس المركزي

إن الدافع الرئيسي وراء إدراج لمحة تاريخية عن القبائل الهلالية العربية المستوطنة لسهل تادلا المجاور للأطلس المركزي هو وجود علاقات تأثير وتأثر بين هذه القبائل العربية والقبائل الأمازيغية في الدير والجبل، حيث يلاحظ تداخل ثقافي كبير بينها، خاصة في مجال المواسم والتصوف الاحتفالات والعادات والطقوس. لذلك، من المفيد معرفة مجال وتاريخ استقرار هذه القبائل. تستوطن القبائل الهلالية العربية سهل تادلا السفلى المحاذي لدير الأطلس المركزي، ويرجع تاريخ استقرارها بالمنطقة إلى القرن 12م حسب ما ورد عند علي بن أبي زرع الفاسي⁴⁸، وهو التاريخ

44- محمد بن البشير بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال... م، س، ص، ص. 172.

-Auguste Guillaume, op. Cit. p. 65.

45 - Ibid. p. 67.

46 - Ibid. p. 68.

47 - Auguste Guillaume, op. cit. p. 68.

48- محمد بن البشير بوسلام، م، س، ص، ص. 31.

الذي نقل فيه يعقوب المنصور الموحي قبائل بني هلال من إفريقية إلى المغرب الأقصى تأديبا لها وإضعافا لقوتها خلال القرن 12م⁴⁹.

وكانت القبائل الهلالية تتكون من عدة فروع أهمها: فرع بني رياح وبني جشم، اللذان نقلتا كلاهما إلى المغرب الأقصى. وكانت بني جشم، تنقسم إلى عدة فروع: العاصم، ومقدم، والخلط، وسفيان، وبني جابر، الذين اضطروا عند وفاة يحيى بن الناصر سنة 633 هـ، إلى الفرار من مضائقة الموحيين إلى سفح الجبل من منطقة تادلا⁵⁰.

وحسب ابن خلدون، فقد استقر فرع بني جابر بسفح الجبل بتادلا وما ولاها يجاورون صناكة من البربر فيسهلون إلى البسيط تارة، ويأوون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم...⁵¹ فابن خلدون يشير إلى استقرار بني جابر في المنطقة الممتدة شمال جبال الأطلس وتادلا. وقد تفرعت بنو جابر مع مرور الوقت إلى عدة فصائل اقتسمت المجال التادلي فيما بينها، وهي قبيلة بني عمير على الضفة اليمنى لأم الربيع، وقبيلة بني موسى على الضفة اليسرى قبيلة بني معدان وقبيلة بني ملال شمال تادلا السفلى.

وقد شكل نهر أم الربيع حدا فاصلا بين قبيلتي بني موسى وبني عمير، رغم امتداد بعض الفصائل من القبيلتين على الضفة اليمنى أو اليسرى للنهر. ويوجد شمال النهر، بني عمير الشرقيين ومركزهم الفقيه بن صالح، أما من الناحية الغربية، نجد بني عمير الغربيين ومركزهم (بني شك달)، وفيهم خدام الزاوية الشرقاوية، ومن أعيانها شرفاء أولاد سيدي ميمون⁵².

أما بني موسى فينقسمون إلى ثلاثة أقسام⁵³، أولاد عريف ومركزهم سيدي عيسى، على وادي أم الربيع، وتمتد أراضيهم على ضفتي أم الربيع، ومنطقة أفورار والدير. والقسم الثاني، بني وجين، المستوطنين الضفة اليسرى غرب أولاد عريف، ويمتد مجالهم إلى دار ولد زيدوح، ومركزهم سوق

49- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، منشورات دار المنصور الرباط، ط. 2، 1972، ص. 218.

50- أحمد بن خالد الناصري، م. س، ص. ج. 8، 163، 164.

51- عيد الرحمان بن خلدون، م. س، ص. ج. 6، 30.

52- الملكي المالكي، مادة "بني عمير"، معلمة المغرب، ج. 5، ص. 1546؛ وبوسلام محمد، م. س، ص. 34.

53- عيد العزيز الضعيفي، مادة "بني موسى"، معلمة المغرب، ج. 21، ص. 7320.

السبت أولاد نمة. والقسم الأخير، بوموسى، ويمتد مجالهم غرب سهل بني موسى، ومركزهم دار ولد زيدوح. واستوطنت عناصر من بني موسى الدير المحاذي لمجالهم، ولعل ما يركي هذه الفرضية وجود بعض القبائل الناطقة باللغة العربية بهذه المناطق خاصة بتسقي غرب قبيلة آيت عتاب، وببلدة بزو بقبيلة انتيفة⁵⁴.

أما فيما يخص مركز قصبة تادلة، فالمنطقة تعتبر مجال التقاء القبائل الأمازيغية والعربية على حد سواء، لذلك تعتبر تادلة منطقة نفود العديد من بعض القبائل العربية والأمازيغية مثل: بني عمير وبني معدان والسماعلة العربية، وقبائل آيت الربيع، وسمكت، وكطاية، وايت سري الأمازيغية⁵⁵.

2 - 3 الأقليات اليهودية والمسيحية في الأطلس المركزي

كانت منطقة الأطلس المركزي تحتضن تجمعات سكانية ذات أصول يهودية ومسيحية، ولعل ما يركي هذه الفرضية، إشارة علي بن أبي زرع الفاسي، الذي ذكر بأن إدريس الأول "سار إلى بلاد تادلة ففتح معاقها وحصونها، وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية والإسلام بها قليل"⁵⁶.

يفهم من كلام ابن أبي زرع بأن المنطقة عرفت استقرار عناصر بشرية يهودية ومسيحية، ولكننا لا نعرف هل هذه العناصر أمازيغية دخلوا في الديانة اليهودية والمسيحية، أم أنها عناصر خارجية أتت إلى المنطقة واستقرت بها، وفي هذه الحالة قد تكون الطائفتان حملتا معها ثقافتها التي تفاعلت مع الثقافة المحلية.

لكن باستثناء إشارة صاحب الأنيس المطرب، لا نتوفر على معلومات كافية تؤكد وجود للديانة والثقافة المسيحية في المنطقة، نتساءل أيكون إدريس الأول قضى على الديانة المسيحية؟ لا سيما أن ابن أبي زرع ذكر "بأنهم أسلموا جميعا على يديه"⁵⁷. ويختلف الأمر بالنسبة للطائفة اليهودية،

54- عيسى العربي، قبيلة آيت عتاب السكان وحياتهم الدينية عبر التاريخ، دار الخطابى للطباعة والنشر، مطبعة الأفق، ط 1، البيضاء 1992، ص.ص. 55، 56.

55- عبد الرحيم بن علي، مادة "قصبة تادلا"، معلمة المغرب، ج. 19، ص.ص. 6636، 6637.

56- علي ابن أبي زرع، م. س. ص. 20.

57- علي ابن أبي زرع، م. س. ص. 20.

فقد بقيت مندمجة وتعيش جنبا إلى جنب مع المسلمين في أحياء خاصة بهم المعروفة "بالملاحات"، وظلوا منتشرين بمجال الأطلس المركزي إلى حدود الهجرات اليهودية إلى فلسطين، بل ومازالت بعض العائلات اليهودية إلى يومنا هذا مستقرة بالجهة، خاصة في منطقة (بني ملال، وآيت عتاب، وتابيا، وفم الجمعة، وبزؤ، ودمنات...).

2 - 4 العلاقات الاجتماعية بين ساكنة الأطلس المركزي

تتميز العلاقات الاجتماعية بين مختلف القبائل والأفراد بالأطلس المركزي، إما بالوثام والتضامن في أحيان كثيرة، وبخلافات وصراعات أحيانا أخرى، خاصة عندما يتعلق الأمر باستغلال الأراضي الزراعية والماء والمراعي. وحاولت القبائل تجاوز هذه الخلافات التي تؤدي في بعض الحالات إلى صراعات دموية بين القبائل فيما بينها، أو بين فخذات من نفس القبيلة. وشكل التعاقد والتحالف إحدى الوسائل التي تتبعها القبائل لتجاوز هذه الصراعات .

ويعد التحالف وتبادل الطعام وتناوله جماعيا، من أهم العادات التي تساهم في تقوية وتعزيز الروابط الاجتماعية والتضامن بين الأفراد والقبائل في أوقات الشدة والأزمات. ويضمن قدسية المكان المتعاقد فيه استمرار هذه التحالفات والتضامن بين هذه القبائل، وتشكل المواسم الدينية مناسبة مواتية لإقامة هذه المواثيق وربط التحالفات، والتعاون من أجل تجاوز التحديات الطبيعية وأعباء الحياة، وإبعاد شبح الصراعات.

أما في ما يتعلق بتوزيع العمل والمهام بين أفراد القبيلة بالأطلس المركزي، فيخضع ويتمشى مع الأعراف المحلية وخصوصياتها، حسب الجنس والسن. وهكذا، تتحمل النساء مهاما لا تقل ثقلا عن المهام الموكلة للرجال. فإذا لم تكن ملزمات بالأشغال الشاقة الكبرى كالبناء وإصلاح شبكة الري، أو حفر السواقي وصيانتها في بعض المناطق، فهن بخلاف الرجال، مهتمات باستمرار بالمشاغل البيتية وموقوفات على أعمال عديدة مرتبطة بالفلاحة والرعي.

إن أهم ما يمكن استنتاجه من هذا المبحث، أن الخريطة القبلية بمجال "الأطلس المركزي"، تأثرت كثيرا جراء حركات الهجرة والتهجير، وهذا ما أعطى للمنطقة تنوعا ثقافيا وإثنيا قل نظيره. مع العلم

أن المنطقة عرفت فترات التعمير والإفراغ نتيجة لتوالي سنوات الجفاف والمجاعات، وانتشار الأوبئة⁵⁸. وكانت الجبال المطللة على السهل دائما جد مأهولة⁵⁹، نظرا لعدم تأثرها بوطأة الأوبئة مقارنة بالسهول والمناطق الرطبة، وظلت القبائل تختار لنفسها مواقع محصنة، بحيث أن عددا منها يدعى "إغير الكدية..." نظرا لانعدام الأمن الذي كان سائدا خلال فترات عدم الاستقرار السياسي⁶⁰. تنحدر أصول أغلب ساكنة الأطلس المركزي من قبيلتي مصمودة وصنهاجة الأمازيغيتين في الجبل والدير، إضافة إلى مجموعات من أصول قبائل هلالية عربية في السهل والدير. كما استقرت بالأطلس المركزي أقليات يهودية ومسيحية خلال فترات تاريخية سابقة. ونتج هذه التركيبة البشرية تنوعا إثنيا وثقافيا فريدا من نوعه، وطبع علاقاتها روابط التضامن والتحالف والتعاون تارة والصراع والتنافس تارة أخرى.

البحث الثالث: الأنشطة الاقتصادية بالأطلس المركزي

يمارس سكان الأطلس المركزي أنشطة اقتصادية متنوعة. ويعتبر القطاع الفلاحي نشاطا رئيسيا مقارنة بباقي الأنشطة الأخرى الحرفية والتجارية. وقد حاولنا الوقوف عند هذه الأنشطة الاقتصادية للأطلس المركزي، لمعرفة مساهمة المواسم في انعاش الحركة الاقتصادية وخاصة المبادلات التجارية بين القبائل.

1 - الأنشطة الفلاحية

يهيمن القطاع الفلاحي المعاشي، على باقي الأنشطة الاقتصادية الأخرى بالأطلس المركزي، خاصة الرعي، ويرجع سيادة هذا الأخير بهذا المجال، إلى وفرة المراعي، وتوافد الرعاة من المناطق الجافة بالجنوب بفعل التصحر في فترات تاريخية سابقة⁶¹. ورغم أن أغلب المصادر التاريخية، لا تقدم وصفا

58- ابن عداري المراكشي، البيان في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد بن إبراهيم الكتاني ومحمد زنيبر ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، منشورات دار الثقافة، ط. 1، البيضاء 1985، ص. 325؛ و علي ابن أبي زرع، م. س. ص. 13.

59- شارل دوفوكو، م. س. ص. 98.
60 - Laoust Emile , L'habitation chez les transhumants du Maroc central, Larousse, Paris, 1935, p. 8.

61- هوبس بيجين، "تنظيم المجال المغربي"، م. س. ص. 44.

دقيقا للأنشطة الاقتصادية بالأطلس المركزي، إلا أنه يبدو أن الرعي كان نشاطا اقتصاديا مهما، ويشكل المورد الرئيسي في هذه المناطق⁶².

إلى جانب الرعي، تعتبر الزراعة نشاطا فلاحيا مهما، قبل سيطرة سلطات الحماية على الأطلس المركزي، ويظهر من خلال بعض الإشارات التاريخية، ومن ذلك ما ذكر في نوازل ابن الحاج، حول إدخال زراعة القطن وازدهارها في العهد المرابطي، حيث أصبحت تادلا تزود مختلف مناطق المغرب بمادة القطن، وتصدرها إلى السودان والأندلس وإفريقية⁶³.

كما أورد محمد حجاج الطويل معطيات مهمة، مرتبطة بازدهار الزراعة وتربية الماشية في العهد الموحد، وسماها "بالثورة الفلاحية"، حيث تضاعفت الرقعة الزراعية مئات المرات، وتنوعت المزروعات، فانتقلت تادلا من الزراعة الخفيفة الوحيدة المنتج، والمكملة للرعي إلى الزراعة الكثيفة، وأصبحت تربية المواشي والدواب في الحظائر والإسطبلات⁶⁴.

وعموما، يفهم من إشارات الجغرافيين الأولين الذين كانوا يلتقطون أخبار المغرب عن بعد، أن المنطقة كانت تتركز أساسا على رعي الأغنام والعيش منها، وكانت الأغنام من الكثرة لدرجة أن السكان لا يهتمون بجلودها وأصوافها⁶⁵. وحسب المصادر التي ترجع لفترتي ما بين القرنين 16م و19م، كان الأهالي يملكون بجبل سكيم، العديد من الماعز والبغال القصيرة في حجم الحمير، التي ترعى في غابات الجبل، المتميز بصعوبة ووعورته...⁶⁶.

ويملك الأهالي في منطقة تكوداست⁶⁷ ... قطعان كثيرة من الماشية الصغيرة، تسرح في هذه الجبال، التي يوجد بها الكلاً والمرعى بكثرة، حتى أن بعض السكان يملكون ما يربو على ثلاثين

62- نفسه، ص 50، 51.

63- البيضاوية بلكامل، مخطوط "نوازل ابن الحاج"، مصدر جديد في تاريخ المجال القروي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط. 1، 1420/1999، ص 11، 12.

64- محمد حجاج الطويل، "النشاط الاقتصادي في تادلا خلال العصر الوسيط"، في: تادلا، التاريخ، المجال، الثقافة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993، ص 45.

65- نفسه، ص 40.

66- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، مطبعة دار الغرب الإسلامي بيروت، ج. 1، ط 2، 1983، ص 186-187.

67- منطقة تقع بالجبال المطلقة على مدينة دمنات.

وأربعين ألف رأس من الماشية الصغيرة⁶⁸. أما في منطقة هسكورة، فقد كانت فيها زراعة القمح وتربية الماشية الكبيرة والصغيرة، وهناك يعالج جلد الماعز الجميل الذي تصنع منه الأحذية النصفية، وأغطية السروج المطرزة...⁶⁹.

وأورد الرحالة الأجانب خلال القرن 19م، معلومات مهمة تهم الرعي وتربية الماشية بالمنطقة، ومن أهم هؤلاء شارل دوفوكو 1883م-1884م، الذي أعطى معلومات مستفيضة وإحصائيات مهمة للثروة الحيوانية، ووصف كذلك طرق تربية الماشية بالمناطق التي زارها، إذ قال عن آيت عطان أمالو "...الخيول قليلة في هذه البقعة، وعكس هذا يربى الناس عددا كبيرا من البغال، وقطعانهم القليلة العدد، لهم الضأن والماعز وبعض الأبقار، وكل هذه المواشي من جنس دون المستوى...⁷⁰".

وقد تغير نمط عيش سكان المنطقة، التي كانت إلى حد كبير تعتمد على تربية الماشية أكثر من الزراعة، لكن بعد سنة 1920م، تغير نمط عيش السكان، خاصة بالسهل والدير، بعد تهيئة سهلي بني عمير وبني موسى، وإنشاء سدي الزيدانية وبين الويدان، حيث بدأ الاهتمام بالفلاحة العصرية وبأدواتها وتقنياتها الحديثة⁷¹.

2 - الأنشطة الحرفية والتجارة

تعتبر الأنشطة الحرفية والمبادلات التجارية، من بين الأنشطة الاقتصادية التي تمارسها الساكنة المحلية، وكانت المواد الأولية المستعملة في الحرف التقليدية، تستخرج من عين المكان، أو تجلب من مناطق بعيدة. وتعد أغلب المنتجات الحرفية من مستلزمات الأنشطة الفلاحية الممارسة داخل القبيلة مثل: (المحراث، صفائح الدواب، المناجل، المعاول، الفؤوس وترميم الأواني المكسورة، وكل ما يتعلق بالحدادة).

وقد عرفت حرفة الخزف ازدهارا في بعض المراكز التي كانت تتوفر على المواد الأولية لصنع

68- مارمول كربيخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي، أحمد التوفيق وآخرون، دار نشر المعرفة، ج. 2، ط. 1989، ص. 109، 110.

69- مارمول كربيخال، م. س، ص. 106.

70- شارل دوفوكو، م. س، ص. 94، 95، 96.

71- تحول نمط عيش سكان سهل تادلا من نمط عيش تقليدي يعتمد على الرعي والزراعة المعاشية إلى نمط عيش يعتمد اقتصاده في الغالب على الفلاحة تسويقية، ورغم التحول الذي عرفه نمط عيش السكان إلا أن الحياة الثقافية والرمزية لم تعرف تغيرات مهمة، خاصة وأن الاحتلال شجع الاحتلال الفرنسي الطقوس والعادات المحلية في إطار السياسة الاستعمارية الأهلية.

الفخاريات بجميع أشكالها المعروفة آنذاك، بالإضافة إلى وجود "صناعات خشبية ونحاسية توارثتها أسر معروفة، كما هو الشأن في الأطلس الصغير والكبير دمنات وسيرا⁷².

كان حرفيو الأطلس المركزي، يحصلون على الأخشاب من غابات المنطقة، وكانوا يستعملونها في البناء، وصنع أدوات منزلية وفلاحية. كما كانوا يستخدمون الدوم لصنع القفف والأسل لصنع الحصائر. وكانت بدمنات صناعة الفرجون القرشال الذي يندف به الصوف، وصناعة المنفاخ (الرابوزن)، وكانتا من أكثر الصناعات اتقانا⁷³.

تقتصر الحرف المرتبطة بالمعادن في أغلب الأحيان على فئة محدودة من الناس، لا يملكون أرضا، أو يعتبرون لاجئين أو غرباء على القبيلة، ويكونون في الغالب "امزواكين"، لذا نجد أن العبيد أو "الحراطين" هم الفئة الأكثر امتهانا لها. فالحدادة من اختصاص الحداد "أمزبل"، الذي يعطى له مكانا أو دكانا في القبيلة يسمى في المناطق الأمازيغية "أونوض - ن - أمزبل"، حيث تتم عمليات الصياغة وترميم الأواني المكسورة وصناعة الفؤوس والمحاريث.

وكان بدمنات، في عهد مولاي الحسن الأول على الأقل ثمانية من يهود عائلتي ابن شلول وابن البهوش المعروفين بـ"تقنهم لصنع البنادق". أما البارود والرصاص، فكان صنعهما معلوما عند بعض الإيبولتانيين. وكانت الذخيرة المحلية مقتصرة على حشو البارود بقطع صغيرة من جذور الدوم⁷⁴، أو جذور الدفلة "أبيلي"، مخلط مع الملح، المعروف بـ"ملح البارود".

وشهدت حرفة الخزف انتشارا في العديد من مناطق الأطلس المركزي، ويمارسها فئة لا تملك الأراضي، أصولهم في الغالب من الجنوب المغربي "الحراطين"، ويعرفون لدى الساكنة المحلية بـ"باقدران"، وتشتهر بهذه الحرفة كل من دمنات وتكلا وآيت عتاب وايت بولي وانتيفة. وكانت الأواني المصنوعة هي: (القدور، الجرات، البراريد، الصحاف، القصاع، المجامر، القناديل، الأكواب، الطواجن، والأواني المزججة بإدخال مواد مجلوبة من مراکش⁷⁵.

72- الهادي الهروي، القبيلة الإقطاع والمخزن مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، منشورات إفريقيا الشرق، 2005، ص. 80.

73- أحمد التوفيق، م. س. ص. 233.

74- نفسه، ص. ص. 35، 36، 37.

75- نفسه، ص. ص. 241، 242.

أما حرف النسيج فقد ظلت منزلية وعائلية بالدرجة الأولى، وكان مصدر المادة الأولية لهذه الحرفة من ملاك قطعان الأغنام والمعز. وتشير الرواية الشفوية إلى أن هذه الحرفة كانت تستجيب لحاجيات أفراد الأسرة الكبيرة أولاً، ثم القبيلة أو الاتحاد القبلي ثانياً، وقد (تصدر) في أحيان نادرة⁷⁶.

وتعتبر بلدة ابزو وتافزة، مركز إشعاع بالنسبة لهذه الحرفة حسب مصادر القرن 16م، ويتم في الغالب صنع خرق من الصوف تخاط منها الجلابيب والبرانس، والفراش (أفراش). وقد أورد محمد بن الحسن الوزان شهادة في هذا السياق إذ يقول: "...لأهل البلاد "تافزة" بضائع محلية، كالرقيق والبرانس والنيلة والجلد... إلخ"⁷⁷.

أما صناعة الجلود فهي بخلاف الحرف السابقة غير مشتتة، بل كانت مركزة فيما كان وما زال يسمى "دار الدباغ". ونجد في هذا الصدد "دار الدباغ بني ملال"، "دار الدباغ تاونزة آيت عتاب" دار الدباغ دمنات "...، وكانت هذه الحرف قائمة على معالجة الجلود، التي كانت تأتي من الأسواق المجاورة للمنطقة أو خارجها.

وللإشارة، فالطائفة اليهودية لعبت دوراً مهماً في تطوير وتنشيط مختلف الحرف بالمنطقة، وكانت لهؤلاء علاقات وطيدة بتجار العواصم التقليدية للمغرب (فاس، مراكش). وتؤكد الرواية الشفوية أن يهود آيت عتاب كانوا يمارسون صناعة الجلود، ويصدرونها إلى فاس وإسبانيا. وقد يكون حرفيو منطقة دمنات وانتيفة لهم علاقة بتجار مراكش، في حين أن المناطق الشمالية للمنطقة (بني ملال، آيت عتاب) كانت لهم علاقات تجارية مع حرفيي فاس⁷⁸.

إن أهم ما يمكن استنتاجه من خلال هذه النقطة المتعلقة بالحرف التقليدية، هو أن هذه الأخيرة ظلت محتفظة بطابع بدائي، تتمثل في بساطة الأدوات واختصارها في عدم تطور التقنيات المتبعة، وقلة تراكم الرأسمال الموظف بها، وضعف نسبة عدد الصناع، وكانت المواسم والأسواق الأسبوعية بمثابة معارض لهذه المنتجات الحرفية.

يبدو أن الإنتاج الاقتصادي للسكان المحلية يدخل ضمن الاقتصاد المعاشي، الموجه نحو

76 - رواية شفوية، عائشة بنت محمد، ناشطة في حرفة النسيج بابرزو، عمرها 63 سنة، بتاريخ 07 أبريل 2018.

77- الحسن الوزان، م. س، ص. 117.

78- أحمد التوفيق، م. س، ص. 244.

الاستهلاك المحلي، رغم أن الساكنة لا تعيش في اقتصاد مغلق في الغالب، إذ لها تربطها علاقات تجارية مع بعضها البعض عبر الأسواق المحلية والأسواق الجهوية والمواسم غير البعيدة، حيث يمكن البلوغ إليها مشيا على الأقدام أو ركوبا على الحمير، وتسمح لكل وحدة اقتصادية صغيرة بالتبادل مع جارتها، وبالدخول في علاقة مع تجار المدينة، أو بعض الأسواق التي تنعقد بمناسبة الأعياد الدينية الكبرى (المواسم والمهرجانات)...⁷⁹.

وشكل عامل الجوار والصراعات والتحالفات دوراً، في دفع القبائل إلى خلق علاقات اقتصادية، ساعدت على توسيع رقعة المبادلات التجارية الداخلية، متمثلة في تنظيم أسواق محلية وإقليمية أسبوعية أو سنوية. والواقع أن هذه العلاقات قد تتجاوز بعدها الاقتصادي لتقوم بوظائف سياسية واجتماعية. فالسوق سواء الأسبوعي أو السنوي، يعكس بشكل واضح بتنظيمه المحكم، البنية التحتية للمجتمع القبلي، وأسس اقتصاده وثقافته وسياسته.

يتضح من خلال ما يتعلق بالأنشطة الاقتصادية، التي تمارسها قبائل الأطلس المركزي، أن الأنشطة الفلاحية سواء الزراعة أو الرعي كانا النشاطين الرئيسيين اللذين يشكلان عصب اقتصاد هذه القبائل، إضافة إلى بعض الحرف التقليدية الممارسة من قبل اليهود بالدرجة الأولى، وكانت المواسم الاحتفالية والأسواق الأسبوعية فضاءات للتجارة بين قبائل المنطقة، التي لعبت فيها الطائفة اليهودية دوراً في ربط علاقات تجارية بين المنطقة والقبائل البعيدة، بل وحتى خارج البلد قبل هجرتهم لإسرائيل ودول الغرب.

والملاحظ في هذا السياق، أن النمط الاقتصادي بالأطلس المركزي مطلع القرن 20م عرف تغييراً، بسبب، محاولات فرنسا جعل الاقتصاد المغربي في خدمة المتربول الاستعماري، ودفع البلد لنهج سياسة الانفتاح الاقتصادي المبني على الرأسمالية واقتصاد السوق. وهذا ما خلق اقتصاد مزدوج بين اقتصاد عصري موجه نحو التسويق، واقتصاد معاشي موجه للاستهلاك المحلي. وبالتالي انتشار الأنماط الاقتصادية التقليدية والعصرية، التي تظهر بالمواسم الاحتفالية والأسواق الأسبوعية.

79- البير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعود، مطبعة دار الخطابية للطباعة والنشر، ط. 1، 1985، ص. 246.

خاتمة الفصل الأول

يتميز الأطلس المركزي بتنوع وغنى طبيعي من تضاريس، ومناخ، وموارد مائية وغطاء نباتي، وكان لهذه المعطيات الطبيعية دور في تشكل وتطور الأنماط الثقافية بما فيها احتفال المواسم الاحتفالية. وتضم التركيبة البشرية المستقرة بمجال الأطلس المركزي، ساكنة الأمازيغية صنهاجية ومصمودية وعربية الهلالية وبعض الأقليات اليهودية والمسيحية، وهو ما ساهم في تنوع لغوي وثقافي، تجسده احتفال الاحتفالية عموما والمواسم على وجه الخصوص.

وكانت الأنشطة الاقتصادية التي تمارسها الساكنة المحلية بالأطلس المركزي، تدور في مجملها على الأنشطة الفلاحية وبعض الحرف والتجارة التي كانتا حاضرتين بقوة. وتعتبر احتفالات المواسم فرصة ومناسبة للقبائل لممارسة التجارة والتزود بحاجياتها من المواد الفلاحية والحرفية. غير أن المعطيات الاقتصادية بالأطلس المركزي مطلع القرن 20م شهد تحولات كبرى، بسبب محاولة فرنسا دمج الاقتصاد المغربي في اقتصاد السوق، مما ساهم في خلق اقتصاد يتميز بالازدواجية بين اقتصاد عصري موجه نحو التسويق، واقتصاد معاشي موجه للاستهلاك المحلي.

الفصل الثاني

السياق التاريخي لظهور وتطور المواسم والمهرجانات

البحث الأول

تعريف الموسم والمهرجان

البحث الثاني

البراهصات الأولى لظهور احتفالات المواسم

البحث الثالث

لمحة عن التطورات التي عرفت بها المواسم من الفتح الإسلامي
إلى غاية مطلع القرن 20م

مقدمة الفصل الثاني

قبل الحديث عن السياق التاريخي لظهور وتطور احتفالات المواسم، نرى أنه لابد من الوقوف على تعريف مفهوم الموسم والمهرجان، ودلالاتهما في اللسان الأمازيغي والعربي، وفي التعاريف التي أوردتها بعض الدراسات السوسولوجية والأنثربولوجية، والهدف إبراز خصوصيات المواسم بالأطلس المركزي.

أما السياق التاريخي لظهور وتطور احتفالات المواسم، فقد اتضح أن معرفة المراحل الكبرى المساهمة في ظهور وتطور المواسم، تتطلب تصنيفها إلى أربع فترات كبرى. تتعلق المرحلة الأولى بالفترة القديمة، أي قبل الفتح الإسلامي، ولا يستبعد أن تكون المواسم الاحتفالية القديمة في هذه المرحلة مرتبطة بالطقوس والمعتقدات الوثنية التعبدية الموجهة للطبيعة. أما المرحلة الثانية، وتمتد من بداية الفتح الإسلامي للمنطقة، إلى غاية فترة حكم السلطة الموحدة، وتميزت هذه المرحلة بوجود إشارات تاريخية تفيد ببداية ارتباط الحركة الصوفية بالمواسم الفلاحية بالأطلس المركزي.

أما المرحلة الثالثة، التي تمتد من القرن 13م إلى غاية القرن 17م، باعتبارها مرحلة فاصلة، حيث تبنت السلطة والمجتمع المواسم الاحتفالية القديمة، وجعلها ضمن طقوسها الروحية الاحتفالية. والتي تميزت بتزايد ارتباط المواسم بالحركة الصوفية خلال حقبة حكم السلطة المرينية، التي سهلت اندماج المواسم الاحتفالية في منظومة الدين الجديد عبر الحركة الصوفية التي دعموها مادياً ومعنوياً، خاصة بعد إقرارهم رسمياً بالاحتفال بعيد المولد النبوي الذي كان بمثابة موسماً سنوياً لدى المتصوفة. ولعبت الزوايا الكبرى بالأطلس المركزي دوراً في دمج المواسم في مشاريعها السياسية والدينية في هذه المرحلة.

وتمتد المرحلة الرابعة والأخيرة، من مطلع القرن 18م إلى بداية القرن 20م، وتميزت هذه الفترة بالانتشار الواضح لاحتفالات مواسم الزوايا والأضرحة بالأطلس المركزي، خاصة بعد ظهور طرق صوفية شعبية جديدة شجعت المواسم الاحتفالية وكل الطقوس المرتبطة بها. واتسمت هذه المرحلة أيضاً، بتدهور أوضاع المغرب بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل، وتزايد نفوذ الزوايا من جهة وانتشار الوهابية المناهضة للتصوف، وتبنيها من قبل السلطان مولاي سليمان خلال القرن 19م، مما خلق نوعاً من الصراع بين السلطة الحاكمة من جهة، والزوايا وأنشطتها من جهة ثانية.

المبحث الأول: تعريف الرسم والمهرجان

إن أول سؤال يطرح نفسه، ما المقصود بالموسم؟ هل الموسم مهرجان فلكلوري؟ وهل هو احتفال ديني أم سوق تجاري سنوي على غرار الأسواق الأسبوعية؟ وهل يعني الفرجة وفي غيابها يغيب مفهومه ومدلوله...؟. لقد حاولنا الإجابة على هذه الإشكالات من خلال البحث في دلالات الموسم في اللسان الأمازيغي البربري واللسان العربي، وفي التعاريف التي أوردتها بعض الدراسات الأنثربولوجية والسوسيولوجية.

1 - تعريف الموسم

أ- في اللسان الأمازيغي

يقصد بالموسم في اللسان البربري الأمازيغي، الملتقى "أمنوكار"¹ وجمعها "إموكارن" أو "إمنوكارن"، أي (الملتقيات - المواسم). ويقال "أنمنكار" بمعنى نلتقي، ويسمى كذلك "بأكدود" أي الملتقى التجاري السنوي "السوق عام". وعليه فالموسم في اللسان الأمازيغي مكان للالتقاء بين الأفراد، وبين الأسر، وبين القبائل. وقد يكون مكانا للتعارف بين الفتيان والفتيات الذي ينتهي بالزواج، كما هو الحال في الأطلس المركزي، خاصة في كل من موسم إملشيل بأيت حديدو، وموسم مولاي عيسى بن إدريس سابقا بأيت عتاب.

والموسم في الثقافة الأمازيغية، يعني احتفالية طقوسية، تتخذ من الضريح وقبور الأولياء والمزارات مكانا للإقامة وممارسة تلك الطقوس الاحتفالية والالتقاء. ويتضمن الموسم الأمازيغي بالأطلس المركزي، معتقدات متعددة المرجعيات، تتلون بلون كل منطقة، وتختلف حسب دوريات السنة². وتبرز الطبيعة الشمولية للموسم في مظاهرها المتعددة والمتنوعة، إنه بمثابة حج للفقراء، ينهل الزوار أو الحجاج من مقام وليهم الصالح، أو مزارهم البركة، مثلما تقدم في رحابه

1- لم يعد سكان الأطلس المركزي ينطقون بمصطلح "أمنوكار" أي "الموسم"، بينما يلاحظ أن كلمة أمنوكار التي أوردناها لازالت تستعمل في منطقة سوس للدلالة على الموسم.

2 - الهروي الهادي، م. س. ص. 85.

ب- تعريف الموسم في اللسان العربي

اشتقت كلمة الموسم في لسان العرب من الوسم أي العلامة، فالموسم بذلك معلم، والمعلم هو ما يستدل به، فكان وقتنا معيناً من السنة أعلم بعلامة، فصار موسماً، أو معلماً، كلما رآه الناس، أو أدركهم أو أنه، واجتمعوا إليه، واقبلوا عليه، كالعيد ومواسم العبادة والحج، والأسواق الموسمية العامة⁴. ومن تم فالمعلم يجب أن يكون معلوماً، معيناً وثابتاً، سواء أكان زمناً أو مكاناً. إذ لا يمكن أن يستدل بمجهول على معلوم، وإذا كان ما أسندت الدلالة إليه مجهولاً أو متقلباً غير ثابت، فهو ليس معلماً، ولا يمكن أن يكون موسماً، لأنه فقد الأساس الذي جعل منه ذلك المعلم.

والموسم هو العلامة الثابتة المحددة، والوسم المميز، وصار كالأعمى الذي يقود البصير. "فكيف يستدل بمعلم زمني، إذا كان متقلباً غير ثابت على موعد اجتماع قوم. والأصل فيه أن يكون محددًا أو ثابتًا، يعرفه الناس إذا أرف على تباعد أقطارهم، واختلاف بلادهم وتباين طرقهم في تقسيمهم الأزمنة وحسابها، فيسعون إلى التلاقي فيه، والاحتفال بموسمه⁵. فالأساس في المواسم، أن تكون مواعيتها معروفة، ولكي تكون معروفة، لابد أن تحد مواعيتها في أزمان ثابتة وغير متقلبة، بالقدر الذي يتمكن معه كل إنسان من حسابها، ومعرفة حدودها، إن كان يريد قصدها لشهودها قادمًا إليها من مطارح بعيدة"⁶.

والمعنى في ذلك، أن مواسم العرب كالحج والأسواق الكبرى، وهي وجه من وجوه الحضارة في عصر الجاهلية، لا يكفي أن تكون مواعيدها معروفة، وأيام قيامها وانقضائها معلومة، بل يجب أن تكون لها مواعيت ثابتة، لا تدور في الأزمنة، دوران الشهور في السنة القمرية، تكون مرة في الشتاء، وأخرى في الصيف، تارة في الربيع، وأخرى في الخريف.

إن المواسم عند العرب القدماء، احتفالات جماهيرية شعبية ذات طابع ديني...، كما يشترك في

3- Fenneke Royso, Pèlerinages au Maroc, Fête Politique et échange dans l'islam populaire, EDIEN Paris, 1991, p. 22.

4 - عرفان محمد حمور، المواسم وحساب الزمن عند العرب قبل الإسلام، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، ط. 1، 2000، ص. 74.

5- نفسه، ص. 7.

6- نفسه، ص. 7.

الموسم أفراد ذو مواهب فلكلورية، فيقدمون للجمهور أغاني ورقصات ودكات شعبية. وتجري بين أنصار الطرق الصوفية المختلفة مناقشات ومجادلات حول ارتباط كل طريقة من الطرق بالشيخ، ومدى إطالة تلك الطريقة وانسجامها مع التعاليم الأساسية للدين الإسلامي...⁷.

وبكلمة موجزة، يمكن أن ينظر لمفهوم الموسم في اللسان العربي، على أنه فرصة تمارس فيه الجماهير الشعبية شتى أنواع النشاطات الإنسانية. وتعبر فيه عن رغباتها وهمومها واهتماماتها...⁸. وقد يكون أصل المصطلح مرتبطاً بأسواق مكة، حيث كانت مكة مكاناً محايداً مقدساً، موضعاً محمياً إلهياً، وفي نفس الوقت مركزاً للتبادل التجاري (تجارة القوافل). وكان يعقد بها احتفال سنوي يسمى قبل الإسلام الحج أو موسم مكة⁹.

وللإشارة، كانت مكة واحدة من تلك الأسواق السنوية التي تقام على مفترق طرق القوافل. وتتميز هذا السوق بشهرته كمركز تجاري، بالإضافة إلى كونه مركزاً دينياً. يمكن إرجاع ثلوث المواسم - السوق والحج الزيارة والمهرجان الاحتفال الشعبي - إلى فترة ما قبل الإسلام، وتطور مع بروز الإسلام، بطرق مختلفة وفي المناطق التي تم فتحها. خاصة حينما جعل النبي عليه السلام مكة كمركز إسلامي مقدس. ولم تكن مكة المكان المقدس الوحيد في الجزيرة العربية، بل إن توزيع الأضرحة المقدسة يتمشى مع تواجد المحطات الرئيسية للطرق التجارية في الفترة [ما قبل الإسلامية]¹⁰.

ج- تعريف المواسم في الدراسات الأنثربولوجية والسوسولوجية

إن التعريف الأكثر شيوعاً للمواسم، هو الذي نقرأه في الدراسات الأجنبية المعاصرة، وتعرفها بالمهرجانات والمعارض الموسمية وزيارة للضريح ولي صالح والتي تعقد بالقرب من ضريح مقدس¹¹.

7- عبد الفتاح صديق، أعرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، القاهرة، ط. 1، 1414هـ / 1994م، ص. 355.

8- سيد عبد الفتاح صديق، نفسه، ص. 357.

9-Pascale Ranzier Marie, Moussems et fêtes traditionnelles au Maroc Courbevoie, ACR Edition, paris, 1997. p. 8.
10- Eickelman Dale, op. cit. p. 254.

11- أنظر على سبيل المثال:

-BROWN Kenneth, People of Salé: Tradition and Change in a Moroccan City 1830- 1930. Manchester: Manchester University Press. 1976. pp. 20-200.
- CRAPANZANO Vincent, The Hamadsha a Study in Moroccan Ethnopsychiatry Berkeley The University of California Press, 1973. Pp. 04- 170.
- EICKELMAN Dale, Moroccan Islam Tradition and Society in a Pilgrimage Center Austin University of Texas Press, 1976.

وتجمع العديد من الدراسات السوسولوجية¹²، أن المواسم احتفالات تقام حول قبور الأولياء، وتقدم فيها الأضاحي لتحقيق الأماني المرجوة...¹³، حيث يتحول من خلاله الولي أو المرابط إلى محور لهذه العبادات والتقديس، وتصبح معه طقوس الموسم كلحظة مهمة للقاء والاحتفال والتقديس بمجاله الضريحي¹⁴. وقد انتشر هذا النوع من الاحتفالات في المجتمعات الزراعية القديمة، التي كانت تشكل لديها فصول الحصاد وجني الغلابة، فرصة مناسبة للاحتفال في مواسم معلومة، وتقديم الأضاحي¹⁵. إن هذه الاحتفالات المرتبطة بالقرابين حسب Ranzier Marie- Pascal ليست فقط حقيقة لدى الشعوب السامية، بل تم العثور على نفس النوع من الاحتفالات التبجيلية لدى اليونان القديمة وإيطاليا. وقد خلص Ranzier Marie- Pascal إلى أن هذه الطقوس والعبادات إرث مشترك، وظواهر معروفة ومرتسخة في جميع بقاع البحر الأبيض المتوسط: البدويين، والفرس، واليهود، والمسيحيين، ولم تكن هذه الطقوس بالمطلق مرتبطة بالفترة الإسلامية، بل كانت قبل ذلك بكثير¹⁶.

وتعد المواسم عند مجتمعات حوض البحر الأبيض المتوسط عموما، والمغرب الكبير خاصة، حسب الدراسات الأنثروبولوجية والسوسولوجية التي سنشير إليها لاحقا، تعبيرا بشريا، غايتها ترويض وعبادة للطبيعة، لتحقيق التوافق بين الإنسان وبيئته الاجتماعية والطبيعية¹⁷. وربط رواد الأنثروبولوجية الاجتماعية، « E.Frizer- taylor »، و« J.Chelhod »، « Doutté » المواسم والطقوس بصفة عامة بالظروف الطبيعية، كشكل من أشكال التعامل الأسطوري مع الطبيعة الهادف للحفاظ على الخصوبة التي تشكل أساس التواجد والاستمرار الطبيعي والإنساني¹⁸. فالمواسم بالنسبة للأنثروبولوجيين والسوسولوجيين من جهة، احتفالات شعبية موسمية، وحج

12- Azeddeian sossie, Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine, Adeptes dans saints dans la région de Tlemcen, CNRS Editions, Paris, 2001, p. 122.

13- Ibid.

14 - نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، ط. 1، 2005، ص. 51.

15- SMITH ROBERTSON William, Lectures on the Religion of the Semites, Adam & Charles Black, London, 1907, p. 255.

16- Ranzier Marie Pascale, op. cit. p. 8.

17- يوشمة الهادي، "الوعدة والتمثل والممارسة، دراسة انثروبولوجية بمنطقة أولاد نهار"، في: مجلة إنسانيات، عدد مزدوج، 39-40.

يناير- يونيو 2008، ص. 83-101.

18- Ranzier Marie Pascale, op. cit. p.8.

إلى أضرحة الأولياء، ومعرضا تجاريا ومكانا للترويج عن النفس. وتختلف أهمية كل واحد منهم حسب موقعه الجغرافي وشهرة فروسيته، وأهميته التجارية، ومكانة وليه الصالح الذي يقام على شرفه الموسم¹⁹. من جهة أخرى، طقس يقام على شرف الولي الصالح، لأجل إبعاد الشر، وتحقيق الأمان والشفاء والنجاح²⁰.

بيد أن الباحثون في علم الاجتماع، لا يتردد في تصنيف المواسم من بين الأعياد الدينية الإسلامية، لكونها مناسبة للكثير من الممارسات والمعتقدات المرتبطة بهذه الاحتفالات الموجهة نحو المقدس. وفي المقابل يرجع بعض الباحثين²¹ مطلع القرن 20م، أصل المواسم إلى الطقوس الزراعية، وتستند هذه الحجة، إلى أن العديد منها تقام تبعا للتقويم الزراعي، وتركز الطقوس حول موضوع الخصوبة²².

ومن نقائص هذا الطرح، هو أن الباحثين الأجانب، لا يترددون في مقارنة المواسم بالمعارض الفرنسية والفلمانية في العصور الوسطى. ورغم أن هذا النهج يبدو مشروعاً، لأن ثلوث الحج والمعارض والمهرجانات حاضرة هناك كما هو الحال بالمغرب. ولكن التشابه الواضح في الشكل لا يعني بالضرورة الانسجام والتوافق والتطابق على مستوى الوظائف. ومن اللافت للنظر أن جميع الباحثين، يركزون كثيراً على الجوانب الدينية للمواسم، رغم أنها في الحقيقة جزء لا يتجزأ من المجتمع المغربي، لذلك، تعتبر المواسم ولو بشكل (ضمني) احتفالات إسلامية.

وبالجملة، يدور مفهوم المواسم عند الأنثروبولوجيين والسوسيولوجيين بالاحتفالات التي تقام حول ضريح، أو مزار، أو ولي أوجد قبلي، وضمن فضاءاتها تعقد مراسيم الرزاف والختان، مثلما تنشط التجارة وتبرم المصالحات، لكن من دون أن يتم نسيان الهدف الأكبر للموسم، المتمثل في جني ثمار البركة، وتخزينها للموسم المقبل. هذا الاحتفال بمثابة عمليات تكرار ذكرى موت ولي صالح، حيث تتأثر هذه العملية بذكرى موت النبي (ص)، أو الاحتفال بذكرى ميلاده²³.

19- Ibid.

20- Dermenghem Emile, le culte des saints dans l'Islam maghrébin, Gallimard, Paris, 1954, p. p. 152, 153.

21 - LAOUST Emile, Mots et choses berbères, notes de linguistique et d'ethnographie, Société Marocaine d'Édition, collection Calques, Rabat, 1983, p.100- 150

22- Ibid.

23- نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012، ص ص. 84، 85.

هذا الارتباط بين احتفالات المواسم والمعتقدات، جعل الزيارة الموسمية الاحتفالية إلى أرضحة الأولياء متجذرة ومرتبطة بالمجال المغربي والمتوسطي. وشهدت تطورا كبيرا في الفترة الإسلامية باستغلال عناصر جديدة، وخاصة تلك القادمة من التصوف الإسلامي. فالمواسم في السياق المغربي، مرتبطة بمجموعة من الطقوس الزراعية، وتبجيل الأولياء الصوفية وتنظيم الأسواق الدورية.

2- تعريف المهرجان

تشير كلمة مهرجان إلى الاحتفال والفرجة، وجمعها مهرجانات، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين، الأولى: مهر، ومن معانيها الشمس، والثانية: جان، ومن معانيها الحياة أو الروح، والمهرجَان، احتفالٌ يُقام ابتهاجًا بحادث سعيد، أو إحياءً لذكرى عزيزة، كمهرجان الأزهار، ومهرجان الشَّباب، ومهرجان الجلاء، ومنه هَرَجَ المَهْرَجُ: أي الشخص الذي يُضحكُ القومَ بحركاته وكلماته وهيئته. المَهْرَجُ: من يروِّج الهَرْجَ والمَرْجَ، ويذيع الأباطيلَ المزيَّفة²⁴.

تحظى المهرجانات الاحتفالية باهتمام كبير من مختلف فئات المجتمع المحلي، سواء الرجل أو النساء الحضريين أو القرويين المسنين والشباب. هذا لا يعني أن كل هذه الفئات تحمل نفس الاهتمام ونفس المقاصد، وفقا لمبدأ السن، والجنس والوضعية الاجتماعية ومحل السكنى. يبدو من خلال هذا التعريف أن هناك تداخل بين مفهومي المهرجان والمواسم من حيث أهدافهما الاحتفالية، بيد أن المهرجان في تمثلات الساكنة، احتفالات للاستمتاع بعروض الفرجة والتسلية... وغير مرتبطة بالضرورة بالزوايا والأضرحة والمزارات، ولا ترمي أهدافه لنيل البركة. وقد ارتبط المهرجان بالتحويلات التي عرفها المغرب خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، حيث ظهرت مهرجانات فولكلورية احتفالية مستحدثة، غاياتها خلق الرواج الاقتصادية، وإقامة معارض لمختلف المنتوجات الفلاحية والحرفية، إضافة إلى استعراض الفلكلور المحلي. بناء على هذه التعاريف المتعددة، نستخلص أن المواسم والمهرجانات تتميز بطبيعتها المركبة والمعقدة، ومن تم لابد من الإشارة إلى بعض الملاحظات بخصوص المفهوم الشامل للمواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي من أهمها:

24- معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي.

أولاً- صعوبة منح كل من الموسم والمهرجان تعريفاً واحداً وموحداً²⁵، لكونها احتفالات مركبة ومعقدة تحيا فيها التقاليد، وتعتبر محط اهتمام معظم الناس، خاصة أولئك القادمين من الريف، المولعين بهذه الاحتفالات .

ثانياً- تعتبر الموسم والمهرجانات خاصية من خصوصيات الشعوب المغربية، متعددة الاصطلاحات في الأقطار العربية والمغربية وحتى داخل القطر الواحد، فالبعض يسميها بالزردة، أو الوعدة وآخرون بالفشطة²⁶، أو المعروف²⁶، وغيرها من الأسماء حتى وإن تعددت فإن معناه يبقى ذا بعد وهدف.

ثالثاً، تحتل المواسم والمهرجانات مكانة مهمة وكبيرة في الحياة اليومية لأغلب سكان الأطلس المركزي. حيث تنظم القبائل مواسمها كذكرى لتبجيل شخصية تتميز بالتقوى والفضيلة، واحتفالات تستغلها القبائل لتدبير مجالاتها الاقتصادية والسياسية، كالمراعي الجماعية أو تنظيف السواقي وتدبير أمورها، وتعيين أعضاء "الجماعة"، وتمتين روابط التحالف بين القبائل²⁷، وكذا تنظيم الزفاف الجماعي، وعلى هامشه تقام معارض للحرف والمنتجات الفلاحية²⁸.

السؤال الأول المطروح هنا، هو كيف يجب علينا معرفة هذه التظاهرات في سياقها الإسلامي؟ إذ أن العقيدة الإسلامية الأصيلة، لا تعترف بتقديس أي شخص في منزلة الصلحاء. وأنها لا تتسامح مع أي عبادة لا تقر بوحداية الله. وعلى الرغم من هذا التضارب في مميزات المواسم، فهي غير مرتبطة بالدين الإسلامي الرسمي.

البحث الثاني: الإرهاصات الأولى لظهور المواسم قبل الفتح الإسلامي

تعتبر المواسم احتفالات قديمة، ومعروفة لدى شعوب العالم القديم. التي يرجح الباحثون أن

25 - نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، م. س. ص. 85، 86.

26 - يقصد بالمعروف، هو الطعام الذي يقدمه شخص أو عائلة أو عدة عائلات مجتمعة بمناسبة ولادة أو في حالة الاستسقاء خلال فترة الجفاف أو لطلب العون الإلهي، هذه العادة ذات طابع ديني، باعتبارها مأدبة قربانية تنحر قرب طريح الولي، وتؤكل من قبل الزوار... أنظر: إدمون دوتي، السحر والدين في إفريقيا الشمالية، ترجمة فريد الزاهي، دار رؤية للنشر والتوزيع، 2018، ص. 326، 327.

27 - سعيد كنون، الجبل الأمازيغي آيت أمالو وبلاد زيان، المجال الإنسان والتاريخ، تعريب محمد بوكبوت، منشورات الزمن، الرباط، 2014، ص.

85

28 - نفسه، ص. 172.

أصول المواسم، ترجع إلى المعتقدات الوثنية التعبدية الموجهة للطبيعة قبل دخول الإسلام للمنطقة.

1 - احتفالات المواسم في الحضارات القديمة

تعد المواسم احتفالات عريقة عرفتتها الحضارات القديمة²⁹. وتشكل الطقوس ومظاهر الاحتفال الممارسة بالمواسم، إرث مشترك وظواهر متجذرة في العالم القديم، وخاصة بحوض البحر الأبيض المتوسط. وهي خاصة مشتركة تتقاسمها شعوب العالم القديم، ولم يرتبط ظهورها بالفترة الإسلامية، بل كانت قبل ذلك بكثير³⁰.

ترجع العديد من الطقوس الممارسة في فضاءات مواسم المنطقة، والمستمرة إلى يومنا هذا، إلى حقب تاريخية قبل دخول الإسلام إلى المنطقة، ونجدها بشكل أو بآخر لدى شعوب وحضارات قديمة. ففي مصر القديمة، كانت تعقد العديد من الأعياد (كعيد الحصاد، وعيد وفاء النيل)، ولعل أشهر الأعياد المصرية المرتبطة بهذا المعنى كان عيد اليوبيل الملكي أو عيد الزينة، وهو خاص بتجديد شباب الملك، من خلال طقوس دينية تشمل تقديم قرابين وأنشطة رياضية طقسية، يستعيد من خلالها الملك والدولة شبابهما³¹.

وكانت تقام أيضا، في بلاد فلسطين عدة مواسم دينية قديمة، كموسم النبي موسى والنبي صالح والنبي روبين...، وتعقد هذه الاحتفالات في فصل الربيع، ما عدا موسم النبي روبين الذي يقام في فصل الصيف³². وتتخللها زيارات إلى أضرحة أنبياء وأولياء عديدة في فلسطين. وقد اعتاد الناس أن يزوروا هذه الأضرحة في مواسم معينة، فيمضون أياما حول الضريح، يتسابقون بالخيول، ويذبحون الذبائح ويوزعون أقساما منها على الفقراء³³. وفي نفس السياق، كان الإغريق يحتفلون بموسم الألعاب الأولمبية، الذي تتخلله مجموعة من الطقوس والمعتقدات المنتشرة بمختلف مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط.

29- بوشمة الهادي، م. س. ص. 83-101.

30- Ranzier Marie Pascale, op. cit. p.8.

31- ممدوح الدماطي، أعياد مصر القديمة، جريدة "المصري اليوم"، 11 أبريل 2015.

32- محمد عبد الفتاح، م. س. ص. 375.

33- نفسه، ص. 357.

وكانت تنظم بالعديد من مناطق شمال إفريقيا احتفالات موسمية، قبائل ورغلة ببلاد الراب بالجزائر بالمواسم الفلاحية يتم خلالها ذبح الأبقار، والأغنام، والماعز³⁴، وتقدم قربانا للآلهة³⁵. ويحتفل اليهود بدورهم بعيد الفصح، حيث يحيون فيه ذكرى خلاصهم من فرعون، وخروجهم من مصر بقيادة النبي موسى³⁶.

وكان سكان بلاد البحرين يحتفلون بموسم الخصب أو "البكرة" حسب اللهجة المحلية قبل شروق الشمس من ليلة أول مايو. ففي فجر يوم الموسم الربيعي المعروف "بالنيروز"³⁷ يبتلع أفراد كل عائلة، من مختلف الأعمار سبع حبات رمان، اعتقادا منهم أن ابتلاعها، ينجيه من المرض، ويجنبه العين الشريرة طيلة عام كامل.

إلى جانب ذلك، بينت النقوش الصخرية التي وقف عندها الباحث S-Gsell، مشاهد لاحتفالات تشبه إلى حد ما في مورفولوجيتها المواسم التي تقام حاليا في مختلف مناطق المغرب. وهي مشاهد جماعية للرقص تؤديها النساء لوحدهن أو بمعوية الذكور بمختلف مناطق شمال إفريقيا³⁸، وتحدث "S-Gsell"³⁹ أيضا، عن مجموعة من المشاهد الفنية ببلاد إفريقيا الشمالية، من بينها الرقص، بكل أنواعه وألوانه وآلاته الموسيقية.

أشار Gsell⁴⁰ كذلك، نقلا عن هيروودوت⁴¹، أن الليبيات الأمازيغيات كن يطلقن الزغاريد في الحفلات الدينية، وهي التي تتقنها الليبيات اليوم في مختلف الحفلات. ويحتفل أمازيغ شمال إفريقيا إلى يومنا هذا أيضا بالسنة الأمازيغية الجديدة بين يومي 12 و 13 من شهر يناير، وتسمى بـ "الناير" ويعني باللغة الأمازيغية "اخف أوسكاس" ويأخذ الاحتفال مظاهر بهيجة تتوخى سنة زراعية وفيرة.

34- مصطفى فرحات، م. س. ص. 228.

35- علي زيعور، التحليل النفسي للذات العربية، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط. 3، 1982، ص. 143.

36- عرفان محمد، م. س. هامش، ص. 17.

37- صديقي محمد الناصر، "تواصلية أعياد الخصب البشري في عادة النفاضة"، في: مجلة الحياة الثقافية، العدد 217، 2010، ص. 47.

38- المحفوظ أسمر، "بعض مظاهر الفرجة ببلاد الأمازيغ قبل الإسلام"، الفرجة و التنوع الثقافي في مقاربات متعددة الاختصاصات،

في: (نحو) منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، ط. 1، 2008، ص. 143.

39- Gsell Stéphane, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Tome VIII, ed. Hachette, Paris, 1928, P. P. 268-269.

40- Ibid. Tome VI, P. 71.

41- Ibid. Tome IV, P. 189.

2 - أصول طقوس وعادات احتفالات المواسم

تشير العديد من الطقوس والعادات الاحتفالية المرتبطة بالمواسم والمستمرة إلى يومنا هذا، نقاشا بين الباحثين حول مصدرها، وجذورها التاريخية. إلا أن جدهم يخلصون إلى أنها تعتبر مظهرا من مظاهر الطقوس الوثنية التي انتشرت بشمال إفريقيا، والمرتبطة بعبادة ظواهر طبيعية. ولا تزال بعض القبائل إلى الآن، تعظم بعض العناصر الطبيعية مثل: (الأحجار، والينابيع، والجبال، والأشجار...)، وتقيم لها مواسم سنوية، وتصدق كل الأشكال الأسطورية المرتبطة بها⁴².

وكان سكان المغرب عامة، ومنطقة الأطلس المركزي على وجه الخصوص على ديانات ومعتقدات متباينة، وهو ما منح عادات وتقاليد هذه المناطق غنى وتنوعا قل نظيره. ويظهر ذلك من خلال شهادة عبد الحليم الأيلاني التي تفيد أن الكثير من البربر تنصر، وبقي الآخرون يعبدون ما يعبد أهل الجاهلية من الأصنام والأوثان، وبعضهم يعبد الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك. ومنهم من تهود وتمجس...⁴³ وذكر ابن أبي زرع أن إدريس الأول، سار إلى بلاد تادلا ففتح معاقلها وحصونها، وكان أكثر هذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهودية، والإسلام فيها قليل، فأسلم جميعهم على يديه⁴⁴.

لا نستبعد إذن، من خلال هاتين الشهادتين التاريخيتين أن احتفالات المغاربة بالأعياد والمواسم اليوم، وما يميزها من طقوس وعادات لها جذور تاريخية قديمة، ناتجة عن احتكاك الأمازيغ بثقافات العوالم المحيطة بهم، وقد استمرت هذه التقاليد في طقوس الاحتفالات بعد مجيء الإسلام، وانصهرت جزئيا أو كليا في شروط العقيدة الجديدة. هذا الانتقال لا يقتصر فقط على شعوب شمال إفريقيا، بل يشمل كافة شعوب العالم القديم، بكل من مصر وبلاد الرافدين وفارس وبلادي فنيقيا وفلسطين⁴⁵.

42 - إبراهيم القادري البودشيشي، المجتمع، الذهنيات، الأولياء: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط. 1993، ص. 11.

43 - صالح بن عبد الحليم الأيلاني، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوبايا، دار أبي رقراق، ط. 2، 2008، ص. 209.

44 ابن أبي زرع الفاسي، م. س، ص 24.

45 - حسب علمنا، هناك ما يقارب خمسين مؤلفا رصينا حول العادات والطقوس المغربية أنجزها أجنب، وتمت ترجمة حوالي عشرين كتابا إلى اللغة العربية، وأكثر الكتب توفرا بالفرنسية والمشار إليها سابقا هي: كتاب السحر والدين في إفريقيا الشمالية سنة 1908.

وللإشارة، أن من بين العادات والطقوس المشتركة بين شعوب العالم القديم أيضا، طقس الطواف بالذبيحة حول الأضرحة، فنجد شائعا في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام، وبجبال الأطلس في شمال إفريقيا، لكن بعد دخول الإسلام إلى هذه المناطق أصبح هذا الطواف لدى بعض قبائلها في مقام الطواف حول الكعبة. هذا التأثير الإسلامي لم يستثن أي منطقة من العالم الإسلامي المعروف اليوم⁴⁶.

فسر الأنثربولوجي "الفرد بل"⁴⁷ انتشار طقوس الذبيحة بالمواسم الربيعية، كون البربر في فجر التاريخ وقبل ميلاد المسيح بعدة قرون، يعيشون على الزراعة وتربية الماشية، ومن ثم كانت ديانتهم ديانة زراع ورعاة قبل كل شيء، وكانت متجهة إلى وقاية الحقول والمحاصيل ووفرتها وجودة القطعان والمواشي. وللإشارة، فإن نمط الإنتاج المتمثل أساسا في ممارسة الرعي والزراعة، يوحد بين الشعوب الأمازيغية والعالم القديم، مما يجعلنا نتحدث عن وحدة ثقافية لهذا العالم⁴⁸.

وإذا كانت المواسم الزراعية القديمة بالأطلس المركزي، على غرار باقي مناطق شمال إفريقيا، تهدف إلى وقاية الحقول، وتحقيق الخصوبة، فإننا نرجح أن منطقتنا كانت لها معتقدات، تسهر على إقامة هذه الاحتفالات ذات الأبعاد الرمزية والروحية. وقد وجه العديد من الباحثين بحوثهم في هذا الباب إيماننا منهم في الوصول إلى بناء تصور عن ديانة أو معتقدات لشعوب شمال إفريقيا. وفي نظرنا يعتبر كل من دوتي، ووسترمارك، ولاوست، من الذين اقترحوا تأويلات أكثر شمولية، ووجهوا بحوثهم للبحث في احتمال وجود ديانة بدائية للأمازيغ، من خلال الطقوس والتقاليد الممارسة بشمال إفريقيا.

وفي هذا السياق، أشار الباحث عبد الله حمودي⁴⁹ أن تلك الديانة الوثنية المبحوث عنها، يمكن التعرف على وجودها من خلال الطقوس الممارسة في الأعياد والمواسم الزراعية اليوم. وأضاف

للباحث إدمون دوتي؛ وكتاب البقايا الوثنية في الحضارة المحمدية سنة 1933. للباحث Westermarck؛ ومؤلف عبادة الأولياء في

الإسلام المغربي للباحث إميل دير منغن سنة 1945م.

46- إدمون دوتي، م. س. ص. 394.

47- الفرد بل، م. س. ص. 55.

48- الفرد بل، م. س. ص. 72، 73.

49- عبد الله حمودي، الأضحية وأقنعتها، بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط. 1.

2010، ص. 31.

"هنري باصي" أن احتفالات المواسم، تحمل في طياتها العديد من الرموز والطقوس، وتحيل على ضبط تغيرات السنة، وتحمل آثار عبادة طبيعية، يمكن ربطها بطقوس فلاحية، التي تبدو ضاربة في القدم، وأن السمات المشتركة لهذه الاحتفالات، هي إعادة حياة أو موت النباتات، والتطهير بالماء والنار⁵⁰.

من خلال معاناة التمازج الحاصل في المواسم بين الطقوس المرتبطة بالأولياء والطرق الصوفية، والطقوس ما قبل إسلامية، لا نستبعد أن تكون المواسم التي تعقد بمباركة الأولياء وشيوخ الزوايا، كانت في الأصل مواسم زراعية، أو مواسم تعبدية وثنية، وتم تعديل تواريخ انعقادها وجعلها موافقة للأعياد والمناسبات الإسلامية⁵¹.

فالتحقيب الزمني عند شعوب شمال إفريقيا، كان غالبا ما يتحدد بالزمن الإنتاجي، (موسم الحرث / تايوكا⁵²، فصل الربيع / توكا⁵³، أو الحصاد / أنبدو⁵⁴...)، ويرتبط بحركة الشمس، الذي يسهل احتساب الزمن اعتمادا على التقويم الشمسي. غير أن التقويم القمري، كان هو الآخر معروفا في بلاد الأمازيغ قبل وبعد دخول الإسلام. وكانت ربما أغلب المواسم، تقام وفق التحقيب الشمسي، وتحولت بسبب الحركة الصوفية إلى تقويم قمري، لكي تتوافق موافقت تنظيم المواسم مع المناسبات الدينية.

ومجمل القول، إن المواسم احتفالات عريقة، وتراث مشترك لدى شعوب العالم القديم، وخصوصا شعوب العالم المتوسطي. وكانت هذه المواسم احتفالات معروفة لدى الحضارات القديمة، في كل من مصر وفلسطين، وبلاد الإغريق، وفارس، وبلاد الجريد، وشبه الجزيرة العربية، وشمال إفريقيا، ويرجع أن تكون الأصول التاريخية لمعظم طقوس المواسم، خاصة الذبيحة وزيارة الأضرحة مرتبطة بالمعتقدات الوثنية القديمة، حيث كانت هذه الاحتفالات في الأصل، مواسم طقوسية احتفالية

50 - روني باصي، أبحاث في دين الأمازيغ، ترجمة حمو بوشخار، في: مجلة دفاتر وجهة نظر، مطبعة النجاح الجديدة، ط. 1، 2012، ص. 68.

51- صديقي محمد الناصر، م. س. ص. ص. 44، 45.

52- يقصد ب "تايوكا" حرث وزرع الأرض، وهي مشتقة من كلمة توكا، التي تعني الربيع.

53- "وقت ن- توكا"، ومعناها فصل الربيع.

54- يقصد ب "أنبدو": زمن جمع الإنتاج والمحصول الفلاحي، ويقال في الأمازيغية: "أنسمون أنبدو"، بمعنى نجمع المحصول.

فلاحية تعبدية، موجهة لعناصر طبيعية هدفها وقاية الحقول، وتحقيق الخصوبة والاستسقاء.

البحث الثالث: الراسم بالأطلس المركزي من الفتح الإسلامي إلى غاية

مطلع القرن 20م

عرفت المواسم خلال الفتح الإسلامي، تحولات كبرى، نتيجة التي محاولات الفاتحين الأوائل إدماج الثقافات المحلية وأسلمتها قصد تماشيها مع ما كان ينادي به الدين الإسلامي الجديد. رغم أننا لا نعلم كيف كانت نظرة الفاتحين الأوائل للمواسم الزراعية القديمة، هل تعاملت معها بالرفض أو بالتسامح؟ أو لم يعيروا اهتماما لهذه العادات والتقاليد؟ غير أن الذي نعلمه، هو أن الحركة الصوفية سهلت اندماج المواسم الاحتفالية في منظومة الدين الجديد، منذ عهد الموحدين خلال القرن 12م.

1 - مواقف الفاتحين من المواسم الزراعية القديمة

لا نستبعد أن يكون الفاتحون الأوائل، حاولوا إدماج الساكنة المحلية في الدين الجديد، في المناطق التي شهدت الفتح الإسلامي منذ القرن السابع الميلادي. واستمرت هذه المحاولات إلى أن تأسست الدولة الإدريسية، حينما دخل إدريس الأول (686-917 م)، إلى المغرب قادما من الشرق مستغلا نسبه الشريف "آل البيت"، الذي قام بتوحيد المغرب وأدخل جزءاً كبيراً من الأراضي المغربية الحالية للإسلام.

وكان الإسلام في البداية، إسلاما سنيا مشرقيا. على عكس، الاتحاديات القبلية في البوادي والجبال التي لا تزال بعضها على دين اليهودية والمسيحية والوثنية، كما أشار إلى ذلك ابن أبي زرع الفاسي⁵⁵. وهو ما صعب على الساكنة المحلية الاندماج الشامل في الدين والثقافة الجديدة، خاصة وأن الإسلام ينبذ المعتقدات غير التوحيدية، ويرفض كل أشكال الوثنية، ويعارض بقوة كل إجلال للأوثان والأصنام. هذا ما جعل بعض القبائل المغربية في اعتقادنا، تصبو إلى تمزيغ الإسلام وجعله أكثر ملائمة مع الثقافة المحلية، وما ظهور ديانة بورغواطة في وسط المغرب، خير دليل على ذلك.

55 - أنظر: ابن أبي زرع الفاسي، م.س، ص. 24؛ و صالح بن عبد الحليم الأبلاندي، مفاخر البربر، م. س، ص. 209.

فالديانة البورغواطية صيغة أمازيغية توفيقية للإسلام، مستندة على مبادئ الخوارج، ومنفتحة على التقاليد والأعراف المحلية⁵⁶. واستمرت هذه الديانة إلى أن قضى عليها المرابطون.

لكن يجب أن نعترف أن هذه المرحلة، لا نعرف بالضبط كيف تعامل حاملو الدين الإسلامي إلى المغرب مع المواسم الفلاحية القديمة، لكن يمكن أن نرجح أن هؤلاء الفاتحين الأوائل، تراجعت مواقفهم بين رفض العادات والطقوس المنتشرة بالمنطقة، وبين عدم اهتمامهم بهذه العادات والتقاليد التي كانت سائدة، وكان هدفهم المحوري نشر الإسلام في هذه المناطق. وبالتالي، كانت الحاجة إلى طرف يدلل الصعاب ويسهل اندماج القبائل في الدين الجديد، وقد لعبت الحركة الصوفية هذا الدور، واستغلته لخدمة أجندتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

2 - الحركة الصوفية والمواسم خلال حكمي المرابطين والموحدين

يبدو أن تظاهرات المواسم الزراعية الوثنية، استمرت بعد دخول الإسلام لمختلف قبائل الأطلس المركزي على غرار جل القبائل المغربية، غير أن المصادر لم تول أهمية كبرى لهذه المواسم الاحتفالية، ولم تخصص لإشارات قليلة لهذه المواسم، سواء في فترة الفتوحات أو إلى غاية عهد الدولة الموحدية.

ومن الإشارات التي وقفنا عندها، ما أورده صاحب الاستبصار في ذكره لموسم بالأطلس الصغير، الذي يضم رباطا كبيرا، يقام فيه موسم عظيم ومجتمع جليل ومأوى للصالحين⁵⁷، فالعصر المرابطي والموحدي، تميز بانتشار مواسم اجتماع المتصوفة بالمنطقة، حيث برز صلحاء كبار، أمثال: أبي يعزى يلنور بقرية مولاي بوعزة⁵⁸.

والملاحظ كذلك، أن كتب المناقب التي ترجع لبداية ظهور التصوف المغربي، ذكرت مواسم للمتصوفة بالأطلس المركزي برباط شاعر وبزاوية أبي يعزى⁵⁹، إلا أنها لم تتحدث عن المواسم

56 - محمد ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1996، ص. 37-38-39.

57 - مؤلف مجهول، م. س. ص. 200، 2012.

58 - مولاي بوعزة، اسم جماعة إدارية تابعة لإقليم خنيفرة، كانت تسمى في العصر الوسيط تاغية، استوطنها أبي يعزى يلنور، وقبره مزار ويقام عليه موسم في فصل الربيع منتصف شهر أبريل.

59 - أحمد الصومعي التادلي، م. س. ص. 217.

والطقوس التي تواكب الزيارات والمواسم⁶⁰. لذلك، نرجح أن يكون سبب هذا الغياب راجع إلى سببين:
- أولاً: كون تظاهرات المواسم آنذاك مرتبطة بالقبيلة بشكل كبير، ولازال المتصوفة لم يتحكموا بعد في هذه الأنشطة الاحتفالية، التي ستشكل طقوساً مهمة في مواسم الأطلس المركزي، والتي سترتبط بالتصوف الشعبي.

- ثانياً: محاربة السلطة المغربية آنذاك، كل أشكال التدين الشعبي حول أضرحة الأولياء، لأن كل الدول المتعاقبة على حكم المغرب، من الأدارسة إلى المرابطين، وحتى الموحدين، قامت على أساس محاربة الشرك والبدع، التي كانت منتشرة في المغرب⁶¹.

ورغم محاولة الدولة الموحدية السير على نفس النهج المرابطي، فيما يتعلق بمحاربة طقوس الأضرحة والمتصوفة⁶². إلا أنه في العهد الموحي، انتشر التصوف بشكل كبير، وظهرت ممارسات ومعتقدات غريبة، ومن ذلك، تجميل قبر المهدي بن تومرت، الذي استمر بعد قرنين ونصف من وفاته، حيث بقي حراس من قراء القرآن بجوار ضريحه، وتتوافد عليه حشود الحجاج، كما انتشرت بضريح مسجد تنمل المدمر عبادات وطقوس غريبة⁶³.

لذلك، تميز العصر الموحي، بانتشار التصوف المغربي المتميز، مقابل تراجع الحركة الصوفية الأصيلة المرتبطة بالشرق. واستمر هذا التراجع إلى عهد الدولة السعدية، ومن مؤشرات ذلك قلة المشايخ الكبار، أمثال أبو الحسن الشاذلي، ومحمد بن سليمان الجزولي، وأحمد زروق⁶⁴. وفي نفس الوقت، بدأت تترسخ العديد من العادات والطقوس التبجيلية في المجتمع المغربي، الناتجة عن انتشار التصوف الشعبي المغربي.

إن الفترة الموحدية، كانت البداية الجينية لارتباط المواسم الاحتفالية الربيعية الفلاحية

60- نفسه، ص. 37.

61- رشيد يوسف أبو رشد، الحضارة الإسلامية: نظم، علوم، فنون، مكتبة العبيكان الرياض، ط. 2، 2005، ص. 303.
62-Henri Basset et Henri Terrasse , « sanctuaires et forteresses almohades , TINMEL »,in: *Hespéris*, Archives marocaines, volume 4, premier trimestre, Ed. Edaraf, 1924. p. 33.

63- Ibid. p. 41.

64- أحمد الصومعي التادلي، م. س. ص. 36.

بالحركة الصوفية التي تحدثت عنها بعض المصادر التي اطلعنا عليها والتي تعود إلى هذه الفترة⁶⁵. ولا بد من التذكير هنا، أن المغرب عرف إلى حدود القرن 16م، انتشارا للفكر الفلسفي، وفي نفس الوقت، عرف الفكر الصوفي نموا وتطورا وصراعا مع الفكر العقلاني. وبمجرد انتقال التصوف إلى ممارسة تجمع بين السلوك والنظر، هاجم الفقهاء الفكر الصوفي⁶⁶.

ولعل ما يفسر تزايد تغلغل المتصوفة في الحياة اليومية للسكان، وتزايد نفوذهم وأنشطتهم خلال العهد الموحد، الصراع بين الفقهاء بدعم من الدولة من جهة، والمتصوفة من جهة ثانية. ويعتبر إحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، واضطهاد المتصوفة في عهد علي بن يوسف 1107 / 1143هـ، وتاشفين بن علي 1143 / 1147هـ، بحجة وذريعة مواجهة البدع⁶⁷، مؤشرا واضحا على القيود التي واجهها المتصوفة في تلك الفترة، وهو ما قلص نفوذهم وعدم اقتحام بشكل كبير أنشطة القبائل، وخاصة المواسم في تلك الفترة.

ورغم بعض محاولات الموحدين لرد الاعتبار للمتصوفة، وإسكات المعارضة القوية التي يشكلونها، عمد الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور "حكم 1184م - 1199م"، إلى منع بعض كتب الفروع وإحراقه لعدد منها، واعتبر هذا القرار انتصارا للمتصوفة، وانتكاسة بالنسبة لفقهاء المالكية، وأخذ التصوف بالمغرب يسير بخطى ثابتة نحو الهيمنة على الثقافة المغربية، لتبدأ مرحلة الصراع بين التصوف السني والتصوف الشعبي والبدعة⁶⁸. ويبقى السؤال المحوري، كيف تحولت مواسم زراعية قديمة، هدفها دفع شر الطبيعة وتحقيق الخصوبة، إلى مواسم تعقد على شرف الأولياء بجانب الأضرحة والزوايا، لنيل البركة، وتحقيق التماسك الاجتماعي، والتأكيد على الروابط القوية بين القبائل وأولياءها⁶⁹.

65 - نفسه، ص. 217

66 - حسن مروة، النزاعات المادية في الفلسفة العربية، ج. 2، دار الفرابي، بيروت 1979، ص. 299، 310.

67 - محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، علائق وتفاعلات، دار توبقال، الدار البيضاء، 1997، ص. 38، 39.

68 - محمد المهناوي، "الولي والمجتمع، مدخل لدراسة تاريخ الخوف بالمغرب الحديث"، في: مجلة كلية الآداب الجديدة، العدد 11-12 ص. 102.

69 - يتخذ مفهوم الصوفية معاني متعددة، حيث نجد البعض يرجع أصل الكلمة إلى الأصل العربي "الصوف"، حيث كان يرتدي المتصوفة ثيابا منسوجة من الصوف، وهي علامة خارجية عن الفقر، أو على الأقل، الرغبة في العزلة. ويربط البعض أصل كلمة

ورغم بعض الإشارات التاريخية، التي تؤكد ارتباط بعض المواسم الفلاحية القديمة بالحركة الصوفية خلال الفترة الموحدة. إلا أنه بقيت أغلب المواسم القديمة في اعتقادنا، تسهر عليها القبائل، ولم تكن تتدخل فيها الحركة الصوفية، لكون التجربة الصوفية في المرحلة الأولى، كانت تجارب فردية معزولة خلال ق 12م، عاشها أناس عاديون، ذوو تجربة متواضعة في الطقوس الصوفية⁷⁰.

3 - المواسم والحركة الصوفية خلال حكم المرينيين

إن البروز الفعلي واهتمام الكتابات التاريخية باحتفالات المواسم، بدأت مع دولة بني مرين، التي اهتمت بالأولياء والصلحاء بالمنطقة، ودعمت أنشطتهم وعاداتهم معنويا وماديا. ويفسر ذلك بمحاولتهم البحث عن الشرعية، واستمالة هذه الفئة الاجتماعية ذات النفوذ الكبير داخل المجتمع المغربي.

وفي هذا الإطار، تشير المصادر إلى أن إقرار عادة الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب، كان في الفترة المرينية، ويرجع اتفاق ضمني بين الدولة ورجال التصوف على أن تتزامن أوقات انعقاد المواسم مع مناسبة عيد المولد النبوي. ولا زالت العديد من المواسم بالأطلس المركزي تقام بمناسبة عيد المولد النبوي وفق التقويم القمري، الذي كان ربما تحقيا شمسيا، تحول في هذه الفترة إلى تقويم قمري⁷¹.

ولإشارة، أن تكريس الاحتفال بعيد المولد النبوي في عهد بني مرين، جاء نتيجة مشاركة مسلمي سبتة والأندلس إلى جانب المسيحيين في احتفالاتهم بعيد يوم فاتح يناير (السنة الميلادية)، والمهرجان أو العنصرة، الشيء الذي جعل أبو العباس أحمد بن محمد عميد الأسرة العزفية بمدينة سبتة، إلى تكريس عادة الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب⁷². هذه الدعوة ستلقى قبولا واستحسانا

التصوف بالصفاء، إذ بها يظهر الصوفي معظم رغباته السرية". ويشترك الأصل الثالث للكلمة من العبارة الإغريقية. (الحكمة). التي

تدل على فلاسفة الزهد والتصوف من المسيحيين واليونان. أنظر:

-CHEVALIER Jean, Le soufisme, collection Que sais-je, Paris PUF, 1984, p p. 3, 4, 5.

70- TRIMINGHAM John, The Sufi Orders in Islam, Clarendon Press, Oxford, 1971. P. 172.

71 - أنظر: الفصل الثالث، الجدول الخاص بجدد المواسم ومواقيت انعقادها .

72- الزبير مهداد، "الاحتفاء بالفنون الشعبية في عيد المولد النبوي في المغرب"، في: مجلة الثقافة الشعبية، السنة 4، العدد 13، ص

ص. 133، 134.

لدى الجهاز السياسي الحاكم للبلاد، وستولع الأمراء بهذا الاحتفال، "فالمرتضى الذي كان معاصرا لأبي العباس العزفي، أصبح يقوم بليلة المولد النبوي خير قيام، ويفيض فيها الخير والأنعام"⁷³. وفي عهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الميريني (1259م / 1286م)، أقيمت ليلة المولد بفاس، واستمع السلطان والناس إلى قصائد مدح النبي (ص) وكلمات الخطباء. كما قام أبو يعقوب يوسف الناصر (1286م-1306م) بترسيم وتعميم هذا الاحتفال بالمولد النبوي الشريف على كافة أنحاء الدولة، وفق التقاليد المعروفة، وأخرى سنها وأصدر بشأنها مرسوما تنفيذيا، وهو بصيرة من بلاد الريف في آخر شهر صفر 691هـ الموافق 1292م، وأشرف على تطبيقه بحضرة فاس الفقيه الخطيب ابن يحيى بن أيوب أبي الصبر⁷⁴.

بناء على ذلك، ربما ترجع بداية الاحتفال بمواسم عيد المولد النبوي بالأطلس المركزي إلى هذه الفترة، خصوصا إذا علمنا أن المنطقة في هذا التاريخ، كانت محطة صراع بين القوى السياسية المتنافسة على المغرب. إلى جانب ذلك، نرجح أن بداية ارتباط المواسم الاحتفالية القديمة بالأضرحة والزوايا، حدث حينما بدأ المتصوفة يتغلغلون في الحياة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية للبلاد منذ القرن 13م، وحينما تبنى سلاطين بني مرين (1195م-1470م) سياسة دينية شريفة، تتجلى في خلق أشراف الدولة في مختلف المناطق المغربية، ومنحت لهم امتيازات مادية وإعفاءات ضريبية، واستثمار التعاطف الشعبي مع آل البيت، وإحياء المولد النبوي، وتبجيل الأولياء. في هذا السياق، لازال بعض الشرفاء الأدارسة في مختلف مناطق الأطلس المركزي يحتفظون بظواهر التوقير والاحترام من الدولة المرينية⁷⁵. التي عملت في نفس الوقت على ترميم العديد من أضرحة الأولياء، ومن ذلك تشييد أبي الحسن المريني، قبة ضريح مولاي عيسى بن إدريس بآيت عتاب⁷⁶. إلى جانب ذلك، حرصت الدولة المرينية على تنظيم احتفالات بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف. وقد أدت هذه التجربة إلى تقوية علاقة الأشراف بالسلطة، وأصبحوا تبعا لذلك يتمتعون

73- نفسه، ص. ص. 134.

74- علي ابن زرع الفاسي، م. س. ص. 179.

75 - محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال، ط. 1، 1987، ص. ص. 79، 126.

76 - عيسى العربي، م. س. ص. 144.

بنفوذ معنوي، ويكونون فئة اجتماعية تتمتع بامتيازات مادية، وتحظى بنفوذ سياسي⁷⁷. وقد أدى الاعتراف الرسمي بالاحتفال بعيد المولد النبوي، ودعم الدولة للمتصوفة، إلى تزامن العديد من احتفالات المواسم الزراعية الوثنية القديمة مع عيد المولد النبوي، واهتمام شيوخ التصوف بالتعليم⁷⁸، عن طريق بناء العديد من المدارس. كما لعب ذلك، دورا في تزعم شيوخ التصوف الجهاد ضد الغزو البرتغالي والإسباني المتغلغلين بالسواحل المغربية. وتميزت هذه الفترة من جهة أخرى، بانتشار ما يسمى بحركة "المرابطة"⁷⁹ والزوايا" أو حركة البركة⁸⁰.

من هنا، نستخلص أن الفترة المرينية، هي البداية الواضحة لارتباط المواسم بالأولياء والمتصوفة وشيوخ الزوايا، حيث لا زالت تعقد العديد من المواسم بالأطلس المركزي، بمناسبة عيد المولد النبوي، والتي كانت في الغالب مواسم زراعية قديمة، تنظم وفق التحقيب الشمسي، وتحولت إلى مواسم دينية صوفية، وفق التقويم القمري، من بين هذه المواسم: موسم سيدي أحمد بن ناصر بايت أم البخت، وموسم سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط...⁸¹.

عموما، تميزت فترة الدولة المرينية بانتشار المواسم وارتباطها بالأضرحة والزوايا، وساهم حدث إبراز الأهمية الروحية لضريح مولاي إدريس الثاني بفاس خلال 15م، 1437م، بتزايد هذا الارتباط⁸². منذ هذه الفترة، شهد احتفالات تبجيل الشرفاء والأولياء والأضرحة انتشارا واسعا⁸³. وفي نفس الوقت، زاد تعرض المجالات القروية لتأثيرات شيوخ التصوف، عن طريق الزوايا المنتشرة في جميع

77 - أبي الربيع سليمان الحوات الشفشاوني، السر الظاهر في من أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر، دراسة

وتحقيق حسن بلحبيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2017، ص. 63، 64.

78 - يعتبر أبو مدين شعيب بن الحسين، أحد أكبر شيوخ الصوفية، وقد حافظ من بعده تلميذه عبد السلام بن مشيش على نهجه، ومن أشهر أتباع أبو مدين، أبو الحسن علي الشاذلي الذي طور لاحقاً مسار الشاذلية.

79 - يمكن تعريف المرابطة كشكل خاص من التفاني، مرتبطة بالأشخاص الصالحين الذين يتميزون في حياتهم بالاستقامة والسمعة الطيبة، وشيدت لهؤلاء قبور أو أضرحة بعد وفاتهم، وأصبحت مزارات وأماكن العبادة الحقيقية. بحيث يبحث فيها الناس البسطاء عن البركة، التي يتمتع بها المتصوفة وأل بيت رسول الله". أنظر:

- BRIGNON Jean. Histoire du Maroc, Librairie nationale, Casablanca, 1967, p. 172.

80 - Ibid. p. 172.

- DRAGUE Georges, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Peyronnet, Paris, 1951, P. 302.

81 - أنظر: الفصل الثالث، جدول جرد وتصنيف المواسم ومواعيد انعقادها.

82 - REYSOO Fenneke, Des Moussems du Maroc Une approche anthropologique de fêtes patronales, Enschede: Sneldruh 1988, p p 159- 164/ pdf.

83 - Ibid , p p 159- 164/ pdf.

أنحاء المناطق. وتزامن ذلك في تهافت الأفراد والقبائل لربط نسبهم بآل البيت، وقد سهلت الدولة المرينية هذا الأمر، لكونها في بحث عن شرعية دينية لسلطتها.

ولالإشارة، فإن كل الطرق الصوفية التي ظهرت بالمغرب ترجع إلى طريقتين صوفيتين، الأولى بقيادة الولي الصالح، قطب الغرب الإسلامي، عبد السلام بن مشيش⁸⁴، والثانية بزعامة قطب الشرق الولي الصالح عبد القادر الجيلاني ببغداد⁸⁵. إلا أن الفضل في انتشار التصوف بالمغرب، يرجع للشيخ "الجازولي الذي عاش في القرن الخامس عشر، وهو تلميذ أبي الحسن الشاذلي، الذي رسخ الحركة الصوفية في البلاد⁸⁶. وقد أسس مجموعة من مريدي هؤلاء الشيوخ عدة زوايا، سرعان تشكلت شبكة صوفية متكاملة، تمثل قوة سياسية ودينية بمختلف ربوع البلاد⁸⁷.

عمل شيوخ الزوايا المنتشرة بجل المناطق، على نشر التعليم في القرى على غرار المدارس الحضرية الكبرى، ودعا هؤلاء الشيوخ إلى الجهاد⁸⁸، خاصة بعد التدخل الإبري بالسواحل المغربية نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر. وقد شكل ذلك، دافعا أساسيا لتوسع نفوذ وأنشطة الزوايا والطرقية، خاصة في الأوساط الريفية، ومن تم أصبحت القبائل تابعة للزوايا وتخابط ودها، في المقابل، اشتد التنافس بين شيوخ تلك الزوايا، لجذب أنصار ومريدين جدد، وعيا منهم أن

84 - يعتبر مولاي عبد السلام بن مشيش (المتوفي حوالي 1228م) " شريفا إدريسيا. من بني عروس بجبل علام. تتلمذ على يد سيدي بومدين الغوات. والشيخ سيدي عبد الرحمن المدني الزيات. لم يؤسس مولاي عبد السلام أي زاوية مكتفيا بنقل تعاليمه إلى تلميذه المشهور الشيخ حسن علي بن عبد الله بن جبار الشاذلي... ولا يبدو أن سمعة مولاي عبد السلام قيد حياته كانت مشهورة جداً... لكنها أصبحت معتبرة في القرن الخامس عشر. في فترة أوج الزاوية الجازولية والشرفاء السعديين. أنظر: Drague Georges, op. Cit. p. 42.

85 - مولاي عبد القادر الجيلاني. يسمى قطب الشرق، توفي ببغداد 1166. أنظر: زكية زوانات، ابن مشيش شيخ الشاذلي، ترجمة أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، 2006.

86 - لم تترك تعاليم الشاذلية أي كتابات، ولم تؤسس أي تنظيم ديني. من تم يبدو أن مذهب الشاذلي كان أصيلا. ويؤكد على الإخلاص لله. ويدعوا هذا المذهب لدم الرهبانية، وتشجيع أتباعه على متابعة مهمتهم العالمية. يلقن المبادئ الرئيسية الخمس وهي: هي الخوف من الله في السر والعلن، والالتزام بالسيرة النبوية في الأقوال والأفعال، ومؤازرة الناس في الرخاء والشدائد، والاستسلام لإرادة الله في الأمور الكبيرة والصغيرة؛ واللجوء إلى الله في الفرح والحزن أنظر. - David Samuel Margoliouth, Encyclopaedia of Islam, 1934, p, 247.

87 - كان من أهم فروعها طائفة عيساوة، وقد نال مؤسسها، محمد بن عيسى (1465-1524)، البركة من الشيخ أحمد الحارثي، تلميذ الجزولي، واستخدم السيوف والنار في ممارسات الحضرة. أنظر: BRUNEL Paul, Essai sur la confrérie religieuse des Aïssàoua au Maroc, Geuthner, Paris, 1926. P. 230.

88 - كانت محاولات السعديين الثلاثة لتوسيع سلطة الزاوية الجزولية ذات الأهمية الكبيرة، الأولى، من قبل رجل الجهاد العياشي في سهل الشمال الغربي، والثانية، بقيادة محمد الحاج، شيخ زاوية الدلاء في وسط البلاد، والثالثة، على يد أبي محلي والحاحي في الصحراء على وادي درعة، وقد حاول هؤلاء الاستفادة من مكانتهم الدينية.

قوة الزاوية في عدد أنصارها.

وهكذا، تحقق نوع من الانسجام، والتطابق في المواقف والأهداف بين المتصوفة وشيوخ الزوايا من جهة، والقبيلة من جهة ثانية. والقول باطمئنان أن في هذه الفترة بدأت فيه المواسم الوثنية الزراعية ترتمي في أحضان الزوايا والأولياء والأضرحة شيئاً فشيئاً، مع حفاظها على الطقوس والعادات المتوارثة التي أضفت عليها الطابع الإسلامي. ولعبت مجموعة من الظروف التي عاشها المغرب خلال القرن 15م دوراً في تموقع المتصوفة في مركز المجتمع المغربي، ومنها سقوط الأندلس، واحتلال النصارى السواحل المغربية وتأزم الوضع الداخلي، وانتشار الأوبئة⁸⁹.

في هذا المناخ، تعاضد دور المتصوفة، وتزايدت الرباطات والزوايا، وعجت البلاد بالمتدروشين الزاهدين في الدنيا والداعين إلى الاستعداد للآخرة. وهكذا شرعت الحركة الصوفية في نشر ثقافتها في كتب المناقب، وروجت لنظرية النجاعة الشاملة للولاية، ورسخت الاعتقاد بالأولياء وفضلهم في حفظ الله للعباد والبلاد⁹⁰.

ابتداء من القرن 13م بدأ التصوف ممارسة شعبية جماهيرية في متناول الجميع، وتمكنت الشاذلية إخراج التصوف من الاحتكار النخبوي سلوكاً ونظراً، وصبغتها بسميزات أهمها البساطة والوسطية والإبتعاد عن التفلسف⁹¹. وعمل محمد بن سليمان الجازولي (ت 870هـ-1465م) وأحمد زروق الفاسي (ت 895هـ-1490م) بإعطاء دفعة جديدة للطريقة الشاذلية في تقويم اعوجاج سلوك المتصوفة ومحاربة البدع⁹².

وهكذا، تمكن هؤلاء الأولياء من الهيمنة على كل المؤسسات الموروثة المركزية والمحلية، في خضم جو مفعم بالمبالغة في تبجيل الأولياء، وشيوخ التصوف، وتأكيد كرماتهم في كتب المناقب، وقدرة الأولياء على قضاء حوائج الناس عن طريق البركة والدعاء، باستغلال النسب الشريف، والصلاح عوض العصبية القبلية.

89 - عبد المجيد القدوري، المغرب وأوروبا ما بين القرنين 15م و-18م "مسألة التجاوز"، المركز الثقافي العربي، البيضاء، 2000، ص. 79-

132.

90 - أحمد الصومعي التادلي، م. س، ص. 31.

91 - محمد المهناوي، م. س، ص. 103.

92 - نفسه.

تمكنت الزوايا بفعل هذه العوامل، من الوصول إلى الحكم كما فعل الأشراف السعديون وبعدهم الدلائيون بالأطلس المتوسط، والسملاليون في سوس، وإنهاء الدولة القبيلة المرابطية والموحدية والمرينية والوطاسية. وأصبحوا الفاعل الأول في القبيلة، يوجهون كل أنشطتها في ما يخدم مصالحهم، ومنها المواسم التي حولها الأولياء وشيوخ الزوايا من أنشطة القبيلة، إلى أنشطة الصحاء والزوايا، هدفها الأول نيل البركة، وتحقيق النجاح والشفاء من الأمراض، وهي الإيديولوجيا التي كان الترويج لها منذ القرن 13م.

وبفعل هذا، رسخ المتصوفة الإسلام في الأطلس المركزي والمغرب عامة منذ القرن 13م. وعملوا على أسلمة العديد من الطقوس التي نشاهدها اليوم في المواسم. حيث نهج هؤلاء سياسية اتسمت بالتسامح مع الأعراف والثقافة المحلية، والتغاضي عن دمجها مع الدين الإسلامي، خاصة بعد بروز الطرق الصوفية الشعبية، إذ انتبه العديد من شيوخ الزوايا إلى ضرورة التسامح مع تقاليد وعادات الأجداد لدى القبائل، ورخصوا للأتباع بممارسة طقوس بعيدة كل البعد عن التصوف الرسمي.

ومن ذلك، السماح بالسماع والرقص والشطح والتعبد والاحتفالات الجماعية خلال زيارات الزوايا وأضرحة الأولياء. وفي المقابل، ترتب عن الصرامة والقطيعة مع العادات المحلية من لدن طرق صوفية أخرى، خاصة التيجانية، انتشارها البطيء، بسبب تركيز شيخ التجانية على العودة إلى العقيدة الإسلامية السنية الأصيلة، وإدائته للزيارات إلى مقابر الأولياء، والمواسم. وقد خلقت هذه الصرامة نفورا من التيجانية⁹³.

ساهمت هذه التطورات في انتشار الإسلام في البوادي، وجعلها أرضا خصبا للتصوف. وأصبحت جزءا أساسيا من الحياة الدينية المغربية⁹⁴. لذلك نعتقد أنه منذ القرن 16م بدأت الممارسات الإسلامية بالمنطقة، تعرف تغييرات وتحولات بفضل اصطدامها بالمؤسسات والعادات والتقاليد والطقوس المغربية الموروثة. ولا نستبعد أن تكون الحقبة التاريخية القرن 15م و16م هي بداية الفعلية لإضفاء الطابع الإسلامي على العادات والتقاليد المغربية، وخصوصا المواسم الزراعية القديمة⁹⁵.

93 - Druge Georges, op. cit. p. 103.

- SpencerTrimingham, op. cit. p. 108.

94 - Brignon Jean, op. cit. p. 157.

95 - Eickelman Dale, op. cit. p. 207.

اتخذت الصوفية طابعا مؤسساتيا منذ نهاية القرن 15م، واختار بعض شيوخها الاستقرار في مراكز قارة وزوايا، التي أصبحت مراكز جذب وإشعاع⁹⁶. وأصبح من الصعب دراسة تاريخ المغرب بمعزل عن هذه المراكز الدينية، التي هي جزء لا يتجزأ من تاريخ هذا البلد⁹⁷.

ومجمل القول، شهدت المواسم الاحتفالية تحولات كبرى بعد الفتح الإسلامي، نتيجة اصطدام بين الطقوس والعادات الاحتفالية المحلية التي تتضمنها المواسم، وبين التعاليم التوحيدية الإسلامية. ولعبت الحركة الصوفية دورا كبيرا في تدليل تلك الصعاب، وتسهيل اندماج الساكنة المحلية في الدين الجديد، دون المساس بعمق ثقافتهم المحلية. وشكلت الفترة المرينية، مرحلة فاصلة في حصول هذا التوافق، خاصة بعد تبني الدولة والمتصوفة المواسم الاحتفالية، وطبعها بالطابع الإسلامي. ومنذ تلك الفترة، بدأت تترسخ عادات ارتباط المواسم بالأولياء والأضرحة والزوايا الطرقية.

4- المواسم والحركة الصوفية خلال حكمي السعديين وبداية تشكل الدولة العلوية

تبني الأولياء وشيوخ الزوايا بشكل لافت، احتفالات المواسم الاحتفالية بالأطلس المركزي خلال القرنين 16م و17م، وإعطاءها طابعا دينيا إسلاميا. ولعبت الزوايا الكبرى، التي كانت تتقاسم النفوذ بالأطلس المركزي، دورا كبيرا في دمج المواسم الزراعية القديمة ضمن مشاريعها السياسية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.

أ- مواسم الزوايا الكبرى بالأطلس المركزي خلال القرنين 16م و17م
من أهم الزوايا الكبرى التي كانت تتقاسم النفوذ بالأطلس المركزي، والتي كانت تقام فيها مواسم كبرى بالمنطقة، ولعبت أدوارا اجتماعية وسياسية وثقافية اقتصادية مهمة خلال القرنين 16م و17م، وساهمت في نشر الإسلام والتصوف بمختلف مناطق الأطلس المركزي، وإدماج المواسم الزراعية القديمة في مشاريعها الدينية والسياسية والاقتصادية. ويمكن تصنيف هذه الزوايا إلى

96 - حسب Brignon . كانت الزوايا خلال ق 16م، تتمتع بسلطة دينية . حيث لديها أراضي تستغلها، وتتلقى تبرعات ومساهمات

تطوعية، كما أصبحت هذه الزوايا تمارس الحرب باسم الجهاد. أنظر: Brignon Jean, op, cit, p. 201.

97 -Bellaire Michaux , Archives marocaines: publication de la Mission scientifique du Maroc, V. 27 . ed. P. Geuthner, Paris, 1927, p. 92.

-DRAGUE Georges, op. cit. p p.16, 36,175.

سنة أصناف كبرى، حسب أهميتها الروحية والتاريخية :

أولاً: زاوية سيدي علي بن إبراهيم، وزاوية الصومعة، الأولى أسسها سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط بدير تادلا، المتوفي عام 1549م، أو 1550م، وتتلّمذ يد عبد العزيز التباع. أما زاوية الصومعة فقد أسسها أبو سعيد أمسناو ببني ملال، وتتلّمذ هو الآخر على يد عبد العزيز التباع، وكانت زاويته يتقاطر عليها ما بين 800 و1000 زاهد، إلا أن شهرتها ومكانتها بين الزوايا، لم تترسخ إلا مع تلميذه وخلفه أحمد بن أبي القاسم الصومعي⁹⁸. وكانت زاوية الصومعة تنظم موسما يمتد طيلة فصل الصيف، وكانت الزيارات تشكل في حد ذاتها موسما متكاملا لكون الضريح لم يكن ينظم فيه حفدة الولي وخدامه موسما بانتظام.

ثانياً: زاوية أزراك قرب إغرم لعلام، التي أسسها سيدي محمد بن داود الشاوي، الذي قال عنه صاحب كتاب دوحة الناشر، نخبة المحبين من الأولياء من مشايخ الصوفية، أخذ عن الشيخ عبد العزيز التباع، توفي العشرة الرابعة، وقبره مشهور ببلاد تامسنا⁹⁹.

ثالثاً: زاوية أبو بكر محمد الدلائي، والزاوية الشرقاوية، الأولى بملوية العليا، بموضع مجاط قرب خنيفرة، 1536م-1612م، الذي تتلمذ على يد آبن مبارك الزعري. وكانت زاويته مقرا لتلاوة القرآن، ومجالس ذكر واحتفاء. استمرت أدوارها إلى أن دمرها السلطان مولاي رشيد العلوي. أما الزاوية الشرقاوية التي أسسها محمد الشرقي بن أبي القاسم الزعري بتادلا السفلى، بأبي الجعد المتوفي سنة 1601م، ومن شيوخه ووالده بالقاسم الزعري بقصبة تادلا، والشيخ سعيد أمسناو مؤسس زاوية الصومعة.

رابعاً: زاوية سيدي محمد بن محمد بن الحسن الدادسي الواويزغتي، المتوفي عام 1652م، وتتلّمذ على يد أبي بكر الدلائي، وعبد الله بن حسون، وتشكل زاويته مناسبة لقراءة الأذكار والحضرة الصوفية.. إلى جانب زاوية الواويزغتي نجد زاوية سيدي محمد الصغير بن محمد المنيار بن أحمد

98 - لطيفة شرّاس. الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10 و11هـ/16 و17م. أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ بكلية الآداب بالرباط، سنة 2004. ص. 103، 104.

99 - محمد بن علي بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر. تحقيق محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط. 3، ص. 95.

البوزيدي، حفيد سيدي علي بن إبراهيم دفين ابزو انتيفة، المتوفى عام 1646م، وله زاوية ببزو تقام فيها الأذكار والأوراد.

خامسا: زاوية سيدي علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن يعقوب بن صالح علي الدرعي، في أكدز الحالي بأحواز تادلا بالأطلس المتوسط، الذي ولد 1609م وتوفي 1680م. ومن شيوخه محمد السوداني ومحمد الصغير بن محمد بن المنيار، ومحمد الدادسي الواويزغتي. وله زاوية كبيرة وتتلقى زيارات كبيرة حوالي 17 ألف في ليلة واحدة. إلى جانب زاوية سيدي علي بأكدز، نجد زاوية تانغملت قرب شلالات أوزود، التي أسسها أبو عمران موسى البوكمازي، الذي يرجع أصل مؤسسها إلى ايت بوكماز، المتوفى عام 1656م، ومن شيوخه محمد الدادسي، ومحمد الصغير المنيار.

سادسا: زاوية أحنصال، التي أسسها سيدي سعيد أو سيدي يوسف، وهما من حفدة دادا سعيد أحنصال، مؤسس الزاوي الحنصالية الأم. لكن إشعاع الزاوية ارتبط بتأسيس زاوية ايت مضريف من قبل يوسف بن سعيد على بعد أربع كلمترت عن واويزغت، والمتوفى حوالي 1701م أو 1702م، ومن شيوخه علي بن عبد الرحمان الدرعي. وكانت الزاوية تتمتع بنفوذ كبير داخل قبائل ايت مصاض والحوز ودادس وتدغة¹⁰⁰.

تأسست مجموعة من الفروع للزاوية الحنصالية في العديد من المناطق، منها القصر الكبير، وتطوان وطنجة، والرباط¹⁰¹، وزاويتان صغيرتان في مراكش في الحوز¹⁰². ومن المرجح جداً أن إشعاع الزاوية الحنصالية، كان في النصف الثاني من القرن السابع عشر، حينما تم تأسيس "الطريقة الحنصالية"¹⁰³.

وتشكل زاوية أحنصال نموذجاً، لزاوية نشأت وترعرعت في عمق الأطلس المركزي، والتي تجاوز إشعاعها الديني موطن نشأتها. وقد أصبح لها طموحٌ سياسيٌ بعد الدور الديني والاجتماعي التقليدي التي كان أحد أهدافها، والذي تضطلع به معظم الزوايا في المغرب. وجعلت الأطلس المركزي في

100 - Michaux bellaire, « note sur les Amhaouch et ahançal », in: les Archives berbères, vol. 2, fasc 3, 1917, p. 209.

101 - أحمد عمالك، مادة "زاوية أحنصال"، معلمة المغرب، ج. 1، ص. 184.

102 - VOINOT Louis, « Les Zaouia de Marrakech... », Société de géographie marocaine », in: revue de géographie marocaine, 21 eme année , n1, 1937, p. 28.

103- Michaux Bellaire, Archives marocaines..., op. cit. p. 95.

خضم الأحداث السياسية والدينية التي يعرفها المغرب¹⁰⁴.

ومن المواسم المرتبطة بالزاوية الحنصالية والمشهورة بالأطلس المركزي، موسم سيدي محند وامحمد بواويزغت، وبالضبط بدوار آيت سيدي امحمد أمحمد¹⁰⁵. المشهور عند الساكنة المحلية بسيدي محمد بن محمد بن الحسن بن علي الملقب بسيدي أمحمد المعروف في المصادر التاريخية بمحمد بن الحسن الدادسي¹⁰⁶.

ب- مواسم الزوايا والأضرحة بالأطلس المركزي خلال ق 16م و17م

عمل شيوخ الزوايا بالأطلس المركزي خلال القرنين 16 و17م، على دمج أغلب المؤسسات والأنشطة القبلية في مشاريعها السياسية والدينية، بعد تعاضم نفوذ الزوايا بالمنطقة¹⁰⁷. ويستنتج من المعطيات التي أوردتها بعض الأبحاث حول هذا الموضوع¹⁰⁸، أن فترة القرنين 15م و16م، هي البداية الحقيقية لترسخ واندماج أنشطة المتصوفة والزوايا، مع عادات وتقاليدها محلية ترجع إلى فترات تاريخية قبل دخول الإسلام للمنطقة، ومنها المواسم الزراعية القديمة.

وفي هذا السياق، أورد المرحوم محمد حجي، إشارة مفادها، أن الدلائل في عهد محمد بن أبي بكر الدلائي، احتفلوا بموسم عيد المولد النبوي بمقر زاويتهم بآيت سحاق، وكانت الاحتفالات عبارة قراءات شعرية، ومدح النبي. وقد سمح شيخ الزاوية بالرقص والغناء، ومنح بالمناسبة لأحد الشعراء صرة فيها مائة دينار مكافئة له على مدح الرسول وشيخ الزاوية¹⁰⁹.

أمام تعاضم دور المتصوفة وشيوخ الزوايا، وتزايد عدد أتباعهم، أصبحت ظاهرة الصلاح والشرف، تطغى على المجتمع، وتشكل معيارا للرفقي الاجتماعي والاقتصادي، وغاية لتحقيق الطموحات السياسية. وفي المقابل، كانت العديد من الزوايا، تتوافد عليها الزيارات من مختلف القبائل، والتي تدوم لعدة أيام، تتلقى خلالها الزوايا تبرعات وهدايا من القبائل، مقابل توفير الإطعام والإيواء لزوار

104 - Ibid, p.107.

105 - محمد بن الطيب القادري، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق: محمد حجي و أحمد توفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة و النشر، نشر و توزيع مكتبة الطالب، ج. 2، ط. 1، الرباط 1982، ص. 62.

106 - نفسه، ص. 62.

107 - محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة الجديدة، ط. 2، 1988، ص. 50، 51.

108 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p p. 28- 40.

109 - محمد حجي، الزاوية الدلائية، م. س. ص. 50، 51.

وأُتباع الزوايا، ويستغل الزوار هذه المناسبة للاحتفال وممارسة طقوس الحضرة والرقص¹¹⁰. وقد ساهم في نظرنا، تزايد نفوذ الزوايا بالمنطقة، إلى احتفال ساكنة القبائل بعدة مواسم احتفالية، منها: المواسم الزراعية القديمة المرتبطة بدورة الإنتاج، والمنظمة وفق التحقيب الشمسي، إضافة إلى مواسم مرتبطة بالزيارات الكبرى للزوايا، التي كانت تنظمها القبائل وفق التقويم الشمسي المرتبط بدورة الإنتاج أيضا، والمعرفة بالركب. وأخيرا مواسم عيد المولد النبوي المنعقدة وفق التقويم القمري.

ومن بين المواسم بالأطلس المركزي التي نرجح أنها اندمجت مع مؤسسة الزوايا بفعل الظروف التي أشرنا إليها، موسم سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي ببني عياط، وموسم سيدي بن داود الشاوي بإغرم لعلام، وموسم سيدي امحمد الشرقي بأبي الجعد، وموسم سيدي أحمد بن ناصر بآيت أم البخش، وموسم سيدي أحمد بالقاسم ببني ملال... ونشير هنا، إلى أن هذه المواسم ربما كانت مواسم زراعية قديمة مرتبطة بالقبيلة، انصهرت مع مؤسسة الزاوية، خاصة الزوايا التي تسامحت مع ممارسة بعض الطقوس التي تتنافى والمذاهب الإسلامية الصوفية.

غير أن الزوايا بعدما تعاضم نفوذها، وتضاعف أتباعها ومواردها، حاولت بعض الزوايا استثمار هذه المؤهلات البشرية والاقتصادية للتطلع للسلطة. لذلك انتبهت عملت العلوية لهذا الأمر منذ تأسيسها، ومن تم نهجت سياسة هدفها إضعاف الطرق الصوفية والزوايا التي تشكل خطرا عليها، ومنع أنشطتها خاصة المواسم كالذي حدث مع الزاوية الناصرية، حيث تعهد الشيخ علي بن ناصر، للسلطان مولاي إسماعيل العلوي (1672م - 1727م) بعدم تجاوز صلاحياته الدينية¹¹¹.

وللإشارة، أنه رغم التضيق الذي تعرضت له العديد من الزوايا والمواسم خلال القرن 17م، إلا أن قبائل الأطلس المركزي كانت تحت تأثير قوي من طرف العديد الزوايا الكبرى، وعلى سبيل المثال، الزاوية القادرية، نسبة إلى مولاي عبد القادر الجلاني في بغداد¹¹²، والزاوية الناصرية في تمركروت،

110 - نفسه.

111 - Eickelme Dale, op. cit. p. 215.

112 - إن غياب الوثائق المكتوبة، وعدم اهتمام النخبة المثقفة بموضوع وتطور الطوائف الصوفية الشعبية وأهميتها أثر في فهم طقوس واحتفالات هذه الطوائف والتميز بينها. وعلى سبيل المثال لا الحصر، يشكل جيلالة خليطا شعبيا من الطائفة القادرية والجلالية. من الصعب معرفة معرفة أوجه الاختلاف والتشابه بين طقوس الطائفتين.

اللتين أسستا فروعاً لهما في مختلف مناطق الأطلس المركزي، ولا تزال فروع هذه الزوايا في تسهر على تنظيم مواسم لها في المنطقة.

5- تطورات المواسم بالأطلس المركزي ما بين القرنين 18م والقرن 20م

تميز القرنين 18م و19م بالانتشار الواضح لاحتفالات مواسم الزوايا والأضرحة بالأطلس المركزي. ويعزى هذا الانتشار الكبير في نظرنا، للفرغ السياسي الذي عرفه المغرب بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل، وتزايد نفوذ الزوايا، إضافة إلى الأهمية الكبرى التي بدأت تكتسبها مؤسسة الضريح والولي بالأطلس المركزي، علاوة على ظهور طرق صوفية شعبية جديدة، شجعت واحتضنت المواسم الاحتفالية وكل الطقوس المرتبطة بها خلال القرنين 18م و19م.

أ- علاقات التصوف الشعبي بالمواسم الاحتفالية

تميز القرن 18م، بظهور طرق صوفية جديدة، حلت محل الزوايا التقليدية، التي تراجعت أدوارها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية. ويعزى هذا التراجع إلى التنافس بين الزوايا الكبرى من جهة، وصراع بعضها مع المخزن من جهة ثانية. مما نتج عنه النهاية المأساوية لبعض الزوايا كالزوايا الدلائية.

وللإشارة، فقد تميزت فترة نهاية القرن 17م وبداية القرن 18م، بتزايد الصراعات والتحالفات الحادة بين السلاطين والطرق الصوفية، تبعا للمصالح السياسية والاقتصادية لكل طرف آنذاك¹¹³. واتسمت هذه الفترة بارتباط المواسم الزراعية القديمة بالأولياء والزوايا والأضرحة بشكل كبير، وأصبحت المواسم والزيارات من الأنشطة الاقتصادية المهمة التي توفر موارد مهمة لهذه الزوايا والأضرحة الكبرى.

ومن بين الزوايا التي ظهرت وتعاضم نفوذها خلال هذه الفترة، نجد الزاوية الدرقاوية، والزاوية التيجانية، والزاوية الكتانية، والزاوية البوعزاوية. وكانت كل هذه الزوايا، مرتبطة بالطريقة الشاذلية الجازولية، باستثناء الطائفة التيجانية من جهة، وكان لها فروع في الأطلس المركزي، وتشرف على تنظيم العديد من المواسم من جهة ثانية. بيد أن الملاحظ أن الأطلس المركزي كان خاضعا بشكل

113 - Brignon Jean, op. cit. p.112.

كبير لتأثير الدرقاوية خلال القرنين 18م و19م، بفعل استغلالها تراجع مكانة الزوايا التقليدية كالدلائية والناصرية والحنصالية¹¹⁴.

وللإشارة، فقد تأسست الطريقة الدرقاوية نهاية القرن الثامن عشر، من قبل الشريف الإدريسي مولاي العربي الدرقاوي، وعرفت تطورا وانتشارا واسعا في هذه الفترة، بعدما عمل مريدوها على تنظيم فروع تابعة لها في جميع أنحاء البلاد. وكان الأطلس المركزي، معقلا للزاوية الدرقاوية، حيث انظم العديد من الأعيان للزاوية الدرقاوية، وأصبحت المواسم بالمنطقة خاضعة لتأثير الزاوية الدرقاوية. وهكذا أصبح أغلب السكان القرويين والحضرين والريفيين أتباع الطريقة الصوفية الجديدة، وشكلت الزاوية الدرقاوية منذ بداية القرن 18م، قوة سياسية دينية يضرب لها ألف حساب بالنسبة للسلاطين الذين حكموا في تلك الفترة¹¹⁵.

أما الزاوية التيجانية، فقد تأسست من طرف مؤسسها أحمد التجاني، وانتشرت ببطء في البداية، بسبب رفض الشيخ التجاني تعاليم الشيوخ الآخرين. وكان يمنع على أتباعه أن يكونوا جزءا من طريقة صوفية أخرى، أو تابعا لولي صوفي غيره، ويركز التجاني على العودة إلى العقيدة الإسلامية الرسمية، ويدين الزيارات إلى مقابر الأولياء والمواسم. هذه الصرامة خلقت نفورا من التيجانية¹¹⁶، غير أن النخبة كانت متمسكة بها. لذلك، عملت على تقييد الانتماء إليه، فأصبحت الطريقة التيجانية بداية القرن العشرين، من أهم الطرق الصوفية المغربية.

والملاحظ في هذا السياق، أن الطريقة التيجانية شكلت استثناء في رفض شيوخها السماح بممارسة طقوس وعبادات العامة، وخاصة الرقص والاحتفال بالمواسم. ورغم رفض شيوخها الطقوس وزيارة الأضرحة والمواسم، كان لهذه الطائفة أتباع في الأطلس المركزي، وخاصة بمدينة دمنات¹¹⁷، وايت عتاب¹¹⁸. وتوجد لدى الطائفة عدد لا بأس به من المقدمين بدون زاوية. وللإشارة أن قبر

114 - تحول أغلب مريدي الزوايا الدلائية والناصرية والحنصالية والفاضية خلال القرنين 16 و17 إلى أنصار الزاوية الدرقاوية خلال ق18 بعد

التعاطف الذي أبداه شيوخ الزاوية الشرقاوية، وزاوية تانغلمت، وإمهاش بآيت سخمان، وزاوية سيدي حمزة بتغغير.

115 - محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792-1822، ترجمة محمد حبيدة، منشورات المركز الثقافي العربي،

الدار البيضاء، ط 1، 2006، ص ص 280 - 288 PDF.

116 - Druge Georges, op. Cit. p. 103.

- Spencer Trimmingham, op. Cit. p. 108.

117- VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 24.

118 - Ibid. p. 19.

مؤسس الزاوية سيدي احمد بن محمد التجاني يوجد بفاس.

أما بخصوص الزاوية الكتانية، التي أسسها الشريف الإدريسي سيدي محمد الكتاني سنة 1850م بفاس، ووضعها حفيده على الطريقة الدرقاوية منذ عام 1890م. واقتصر نفوذ هذه الطريقة على المراكز الحضرية. ويعتبر حضورها في تنظيم أنشطة المواسم بالأطلس المركزي باهتا باستثناء مشاركة أتباع هذه الطريقة في الحضرة والجدبة الصوفية التي تتخلل العديد من المواسم في المنطقة. أما الطائفة البوعزاوية، فإنها لم تتأسس إلا في نهاية القرن 19م، من قبل المقدم الدرقاوي

محمد البوعزاوي، الذي ادعي أنه ينحدر من سلالة من مولاي بوعزة، المتوفي في القرن 12م¹¹⁹.

إلى جانب الطائفة البوعزاوية، نجد الطائفة الحمدوشية التي تشبه في طقوسها الطائفة البوعزاوية، ويرجع نسبها إلى سيدي علي بن حمدوش (المتوفي سنة 1719 أو سنة 1723م)، وضريحه في بني رشيد على ثلة زهون بمكناس. ويعتبر سيدي علي بن حمدوش من حفدة مولاي عبد السلام بن مشيش، وسيدي بوعبيد الشرقي، المتوفى حوالي سنة 1600م.

ولإشارة، فإن الطائفة الحمدوشية ليس لها زوايا أو أتباع في الأطلس المركزي¹²⁰. غير أن أتباع الزاوية يحجون إلى موسمين كبيرين مولاي بوعزة بخنيفرة، وموسم الطائفتين الحمدوشية والعيساوية بدمنات. مع العلم أن المقر الرئيسي للزاوية الحمدوشية في مكناس، ومؤسسها سيدي علي بن حمدوش. وللطائفة زاوية في قلب مراكش، يمارس أتباعها الحدادة والجزارة والخرابة¹²¹.

للطائفة الحمدوشية في منطقة الأطلس المركزي، مراكز دينية يتردد عليها الزوار، في منطقة دمنات وزيان، التي ما زالت إلى يومنا تحتفل بموسمها. وتفتقد الطائفة منذ نهاية القرن 19م إلى الآن إلى وحدة بين أتباعها المتواجدين بالأطلس المركزي، وخصوصا منطقة دمنات القريبة من الحوز، الذي تعرف انتشارا ضعيفا لعدد أتباع الطائفة. أما منطقة زيان القريبة من مكناس فهي تعرف انتشارا واسعا لأتباع هذه الطائفة وتمارس طقوسها في موسم مولاي بوعزة¹²².

وتعتبر الطائفة العساوية الأقدم، التي أسسها محمد بن عيسى المختاري، المعروف ب(الشيخ

119 - REYSOO Fenneke, Des Moussems du Maroc..., op. cit. p. 37-52. PDF.

120 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 27.

121 - Ibid.

122 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 11.

الكامل) الذي عاش في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر. وضريحه في مكناس، يصل نسبه إلى الجزولي. ويشير برونييل. إلى وجود علاقة وتشابه بين طقوس عيساوة وكنانة، مع استثناءات قليلة، فالعديد من الطقوس متطابقة بين الطائفتين خاصة طرد الأرواح الشريرة، وعند مشاهدة تلك الطقوس، لا نجد اختلاف بينهما¹²³.

أما الطائفة الكناوية، فهي لا ترتبط بالطرق الصوفية، كما يشير اسمها، بل ترجع أصولها لإفريقيا السوداء (غينيا). أو ما يسمى عموما "ببلاد السودان". وأن نسبهم يرجع إلى سيدي بلال (مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة). وهم على اتصال مع الجن "السوداني". غالبا ما يتكلمون بالسودانية أثناء الجذبة أو الحضرة¹²⁴. تمارس طائفة كنانة طقوسها ومعتقداتها في كل من مولاي إبراهيم¹²⁵، وسيدي شامهاروش (سلطان الجن)، ناحية مراكش، أكثر منه بضريح سيدي بلال. وهناك بعض فرق كنانة في الأطلس المركزي، وخاصة في قبيلتي تازروت وتانغلمت، ويحيون ليالي كنانة في فصل الصيف، عند قبائل انتيفة وايت عتاب وايت مضا. وتشير رواية شفوية غير مؤكدة إلى وجود فرقة كنانة في دمنات بداية القرن 20م، تقوم بطقوس كنانة التي تشبه جلاله وعيساوة.

ومن الطوائف الصوفية الشعبية التي لها حضور ضعيف في الأطلس المركزي، وتتميز بعدم وجود زوايا لها في المنطقة. يتعلق الأمر بالطائفة الهداوية، أو البوهالية، حيث للطائفة زاوية واحدة في بني عروس في منطقة جبالة بالقرب من ضريح مؤسسها سيدي هدي. ويشتهر أتباع الطائفة الهداوية بالتجول في مختلف أنحاء المغرب، ويمارسون التسول أحيانا، كما يقومون بدور الوشاة للطبقات الغنية. وحسب vainot، لا توجد في الأطلس المركزي عناصر من طائفة هداوة خلال القرن 20م. غير أن الذاكرة الجماعية تؤكد أن أتباع الطائفة الهداوية، يتجولون في الأطلس المركزي، خاصة في المواسم، ومعروفون بلباسهم الرث وهندامهم المتسخ¹²⁶.

إلى جانب هداوة، نجد الطائفة الرحالية، التي أسسها سيدي رحال، والتي عرفت انتشارا محدودا، ولا

123 - Brunel Paul , Essai sur la confrérie religieuse, op. cit. p.168.

124 - REYSOO Fenneke, Des Moussems du Maroc..., op. cit. p. 37-52. PDF

125 - اشتهر الولي مولاي إبراهيم بقدرته على علاج العقم أنظر.

- Westermarck Edward, Ritual and Belief in Morocco, Volumes II, Mac Millan , London, 1926, p. 120.

126 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op, cit, p. 22.

يتجاوز عدد زواياها عشرة زوايا مستقلات عن الزاوية الأم. وتشير بعض القرائن غير المؤكدة إلى وجود زاوية في نتيقة تابعة للطائفة الرحالية¹²⁷، ويتعلق الأمر بزاوية عين الحوت، في قبيلة سكورة حوالي ثمانية كيلومترات غرب تنانت. والتي تأسست حوالي عام 1616م، من قبل مولي محمد بن ناجي، ولها بعض الأحباس وترجع أصول مؤسس الزاوية إلى تونس، يقام له موسم في اليوم السابع من عيد المولد¹²⁸.

هذه بعض الزوايا والطرق الصوفية، التي كان لها دور في التنظيم الترابي والوظيفي بالأطلس المركزي من القرن 18م إلى غاية مطلع القرن 20م. والتي كان لها دور كبير في ترسيخ و إدماج الاحتفالات والمعتقدات والطقوس القبلية في الدين الإسلامي والتصوف، خصوصا إذا علمنا أن أغلب هذه الطرق الصوفية والأولياء تتسامح مع طقوس ومعتقدات الأهالي، بل وتعتبرها جزء من طقوسها ومعتقداتها.

غير أنه لابد من الإشارة إلى مجموعة من الملاحظات التي نرى أنها كانت ومازالت تحتفل بالمواسم احتفاء بشيوخ هذه الزوايا ومنها موسم سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي دفين أكرض ببني عياض. وموسم سيدي الصغير بالمنيار ببزو، وموسم سيدي امحمد الشرقي بأبي الجعد، وموسم سيدي بالقاسم والد امحمد الشرقي بقصبة تادلا، وموسم سيدي أحمد بالناصر بزاوية الشيخ ايت أم البخت... في المقابل هناك العديد من الزوايا لا تنظم فيها المواسم بشكل رسمي، وإنما يتوافد عليها الزوار محملين بالهدايا، ويحتفلون في الزاوية مدة ثلاثة إلى أربعة أيام، وغالبا ما يكون موعد هذه الزيارات بعد جني المحصول، وهي بمثابة مواسم احتفالية من نوع آخر. ومن الزوايا والأضرحة التي كانت معروفة بمثل هذه المواسم زاوية تانغمت، وزاوية الصومعة، والزاوية الدلائية والزاوية الحنصالية...

نعتقد أن سبب عدم انعقاد بعض المواسم بشكل رسمي في العديد من الزوايا، مرده إلى الصرامة التي كان يتمتع بها بعض شيوخ التصوف، وعدم سماحهم بالخلط بين الطقوس الزراعية الوثنية القديمة التي كانت تمارسها القبائل بالطقوس الممارسة بالزوايا، كما هو الحال عند التجانيين المشار

127- Ibid. p. 49.

128- Ibid. p. 23.

إليهم. وهذا ما جعل بعض المواسم تقام إما على شرف أحد الأولياء المحليين، أو زعماء القبائل. يلاحظ أن العديد من الأولياء معروفون ومشهورون كشخصيات تاريخية، يقام على شرفها المواسم منهم، سيدي عيسى بن إدريس، ومولاي بوعزة. إلا أن أغلبهم شخصيات محلية ومجهولة، وحتى تضي الرواية الشعبية نوعاً من الواقعية على وجودهم، تتدرج بأنهم غرباء دخلوا البلاد، وماتوا بها ثم دفنوا بها، ويعطي سيدي عبد الله بن احمد بأفورار أحسن مثال، حيث لا يعرف السكان عنه شيئاً، وحتى ضريحه، يرجع تاريخ تشييده إلى عهد الاستعمار، من طرف أحد المعمرين، لم يترك الولي حفدة، ولم نجد من يدعي الانتساب إليه، أو حق الاستفادة مما يقدم لضريحه من هدايا¹²⁹.

ب- أسباب انتشار المواسم بالأطلس المركزي خلال القرنين 18م و19م

تعتبر عملية ربط هذه الاحتفالات (المواسم) بالأولياء عادة معروفة عند كثير من الشعوب، فالمسيحيون يطلقون أسماء قديسين على كثير من احتفالات وثنية. يمنح هذا السلوك استفادة متبادلة بين الطرفين، فالجماعة القروية تحصل على الشرعية الإسلامية لأساطيرها وممارساتها واحتفالاتها، كما تحصل على زمان تاريخي مرتبط بحياة الولي، مما يضمن الواقعية والتجدد لأساطيرها المحلية¹³⁰. ومما لا يجب إغفاله ارتباط المواسم بالأطلس المركزي بالعديد من الأولياء اليهود الذين كانت لهم مكانة الأولياء المسلمين، وبشكل "ريبي إتسحاق هيليفي" مول البرج دفين بلدة أبزو نموذجاً في هذا الإطار.

ومن بين العوامل المفسرة لارتباط المواسم بالزوايا والأضرحة، نجد الأهمية التي تشكلها مؤسسة الولي الصالح، كقاعدة أساسية في التركيبة الثقافية في الأطلس المركزي. لذلك لا غرابة أن جل المواسم التي كانت تعقد خلال القرنين 18م و19م، إما مرتبطة بالزوايا، أو المتصوفة أمثال: عيسى بن إدريس الثاني بأيت عتاب، الذي يرجع إلى الفترة الإدريسية، والولي أبي يعزى يلنور، الذي يرجع إلى القرن 12م.

وتستمد مؤسسة الولي والضريح مرجعيتها التبجيلية من النسب الشريف، أو الاستقامة والتقوى،

129 - بدوي إبراهيم، بحث حول موسم سيدي عبد الله بن احمد بافورار، مندوبية وزارة الثقافة بيني ملال، 1996، غير منشور، ص. 3.
130 - HUBERT Henri, mélanges d' histoire des religions, étude sommaire de la représentation du temps dans la religion et la magie, Ecole pratique des hautes études, section des sciences religieuses, PARIS, 1906, p. 8.

والمكانة الروحية للولي الصالح، مع العلم أن ليس لهؤلاء لجميع هؤلاء الأولياء نسب شريف، بل ينتسبون فقط إلى شيخ صوفي. وحسب¹³¹ Gellner، فإن الولاية تبرز عندما يظهر غالبية سكان الجماعة نوعا من التبجيل والاحترام للولي الصالح، الذي يلعب دورا كبيرا في تمتين الروابط الاجتماعية بين القبائل، طالما أن المنطقة تعرف في بعض الأوقات ضعفا وفراغا للسلطة المركزية¹³².

إن انتشار مواسم الأضرحة بالأطلس المركزي على غرار باقي مناطق المغرب، يجد تفسيره غالبا في تخصص مريدي هؤلاء الأولياء أضرحة بعد وفاتهم. ولم يقتصر الأمر على بناء أضرحة لهم، بل أصبحت مزارات مقدسة، مع إقامة بنايات أخرى، يدرس فيها الشيوخ الصوفية، وتقام فيها الصلوات الخمس¹³³. وغالبا ما تبني الأضرحة على مناطق حدودية طبيعية متميزة، شاطئ البحر، أو سفح أو شجرة، أو عين ماء أو صخور بارزة. ويشكل دير الأطلس المركزي المناطق الاستراتيجية التي كان يؤسس فيها الأولياء أضرحتهم وزواياهم، ولا غرابة إذا أكدت لنا الإحصائيات أن أغلب المواسم بالأطلس المركزي، تعقد بالدير والمنبسطات الداخلية، مقارنة بأعالي الجبال والسهول.

ومن الملاحظ أيضا، أن المواسم والأضرحة بسهل تادلا، ليست بالقدم الذي يلاحظ في دير وجبال الأطلس المركزي، حيث تشير العديد من المؤشرات إلى أن الأضرحة والزوايا، كانت متمركزة بالدير والجبال، باستثناء الزاوية الشرقاوية والأضرحة التي تأسست ما بين زعير والشاوية مرورا بالسماعة وصولا إلى قصبة تادلا.

وشكل انتشار ذرية شيوخ الكبار المؤسسين للزوايا الكبرى بالمنطقة وخارجها خلال القرنين 16م و17م، عاملا من العوامل المفسرة لانتشار المواسم المرتبطة بالزوايا والأضرحة في الأطلس المركزي، ومنهم الشيخ سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي دفين بني عياط، وامحمد الشرقي دفين أبي الجعد

131 - GELLNER Ernest, Saints of the Atlas, Weldenfeld & Nicolson, London, 1969, p p. 115, 122.

132 - كانت المؤسسات التي نظمت المجال المغربي ترابيا ووظيفيا قبل 1912 هي الزوايا والمخزن والقبيلة. لذلك لم يكن العنف وفرض النظام محتكرا من قبل الدولة وحدها كما هو الحال في الدولة الحديثة.

133 - Michaux Bellaire, et Salmon Georges, « Les tribus arabes de la vallée du Lekkoùs », in: Archives Marocaines, Vol. IV , 1905, pp. 412-21.

ووالده سيدي بالقاسم الزعري دفين قصبة تادلا، وسيدي احمد بالقاسم دفين زاوية الصومعة ببني ملال ، سيدي بن داود الشاوي دفين أزراك بإغرم لعلام.

وهذا ما يفسر انتقال قبائل بعيدة عن الأطلس المركزي للأضرحة والزوايا للمنطقة خلال انعقاد مواسمها، لتقديم الزيارة وخاصة قبائل الصحراء والشاوية، التي تربطها علاقات دموية وروحية مع شيوخ زوايا وأولياء المنطقة. وعلى سبيل المثال فزاوية سيدي بو ناكة في غجدامة، ترجع أصوله إلى الصحراء، ويقال أن سكان المدشر من أحفاد أو تلاميذة الولي سيدي بو ناكة، وكان ينظم الزوار على شرفه مواسم الزيارات، تزوره بعض القبائل الصحراوية¹³⁴.

ومن الأسباب التي ساهمت في ارتباط المواسم بالأولياء أيضا، رغبة الزوار في نيل البركة والشفاء من بعض الأمراض، التي لا تكون دائما أمراضا جسدية بحتة، بل نفسية أو اجتماعية في بعض الأحيان، حيث اشتهر العديد من الأولياء في التمثلات الاجتماعية، بالقدرة على علاج العديد من الأمراض، كالأمرض التناسلية، والروماتيزم، الصرع أو الأزمات النفسية....، كما أن عددا كبيرا من الصحاء يستطيع فك عقم النساء. ويروي حفدة الولي الصالح تلك الكرمان للزوار عادة بالقرب من الضريح¹³⁵.

ومن الملاحظات التي يجب الإشارة إليها، هو أنه رغم تصاعد الحركات السلفية في المغرب بين الفينة والأخرى منذ القرن 16م، وخاصة في عهد السلطان مولاي سليمان، باعتبارها حركات إصلاحية، تدعو إلى نبذ الحركات الصوفية، لكونها تتخللها طقوس وعادات غير إسلامية، ومنها المواسم. بيد أن الحركات الصوفية كانت تتصدى لهذه الحركات المتطرفة، وساعدها في ذلك، حاجة المخزن لخلق نوعا من التوازن بين مختلف القوى السياسية والدينية في البلاد، لذلك تسامح المخزن مع بعض طقوس الطرقية والصوفية، بل وشجعوا مختلف أشكال التعبير الديني الصوفي.

وعموما فقد شهدت مواسم الزوايا والأضرحة انتشارا وتطورا مهما في بمختلف مناطق المغرب خلال الفترة الممتدة ما بين القرن 18م ومطلع القرن 20م، وقد لعبت الأوضاع الداخلية التي شهدتها المغرب دورا في اتساع السلطة الروحية والسياسية للأولياء وشيوخ الزوايا، وهذا ما سهل عليهم

134 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 47.

135- Eickelman Dale, op. cit. p. 204.

ادماج احتفالات المواسم القديمة في مشاريعهم الدينية والسياسية. إلى جانب ذلك، كان لترسخ مؤسسة الولي الصالح، كقاعدة أساسية في التركيبة الثقافية في الأطلس المركزي، وانتشار ذرية شيوخ الكبار المؤسسين للزوايا الكبرى بالمنطقة، إضافة إلى اعتقاد السكان في كرامات وبركة الأولياء دوراً كبيراً في تعاضد نفوذ شيوخ الزوايا سياسياً ودينياً واقتصادياً. هذا النفوذ استغلته الزوايا للهيمنة على كل الأنشطة القبلية بما فيها احتفالات المواسم التي صبغتها بطابع ديني إسلامي. وقد ساهم هذا النفوذ المتزايد لشيوخ الزوايا والصلحاء خلال القرنين 18م و19م إلى ظهور طرق صوفية جديدة وتشجيعها للمواسم والطقوس الاحتفالية المصاحبة لها، من أبرز هذه الطرق الصوفية الطريقة الدرقاوية، والطريقة الكتانية، الطريقة الحمدوشية، والطريقة العيساوية، والطريقة البوعزاوية...

ج- مواسم بالأطلس المركزي نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م.

كان للوضع المتدهور الذي عاشه المغرب خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، انعكاسات لا شك فيها على الاحتفالات والمواسم التي كانت تنظمها كل من القبائل والمخزن والزوايا على حد سواء. لذلك، لا نستبعد أن تكون هذه الفترة الزمنية الصعبة والمؤلمة في تاريخ المغرب، عرفت تغييراً في وثيرة تنظيم المناسبات الاحتفالية.

وللإشارة، فقد تميزت الأوضاع المغربية نهاية القرن 19م، بعدم الاستقرار بفعل تدهور الوضع الاقتصادي للبلاد وفراغ في خزينة الدولة، الناتجة عن انتشار الفساد في مؤسسات المخزن، وتوالي التمردات والثورات القبلية، واستفحال الكوارث الطبيعية، وتزايد الضغوط الاستعمارية، خاصة بعد انهزام المغرب في معركة إسلي سنة 1844م وحرب تطوان سنة 1959م..

ج- أ المواسم المنظمة بالأطلس المركزي نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م

أولاً: مواسم الزوايا والأضرحة والمزارات

كانت القبائل تنظم العديد من مواسم الزوايا والأضرحة والمزارات، نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م. غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن المواسم التي كانت تنظمها القبائل بجوار الضريح والزوايا

كانت قليلة العدد، مقارنة بمواسم الزيارات الجماعية الموسمية التي كانت كثيرة العدد، إذ تعد الزيارات إلى الزوايا آنذاك، بمثابة مواسم تزور فيها القبائل تلك الزوايا، محملة بالهدايا¹³⁶.

تتلقى هذه المراكز الدينية قبل سيطرت سلطات الحماية على الأطلس المركزي، الزيارات والهدايا المتنوعة من لدن اتباعها ومريدها، ومن بين هذه الهدايا التي تمنح للزوايا والأضرحة والمزارات نجد: الحبوب، والمواشي، والأثواب، والنقود... الشيء الذي ساعد شيوخها على تحصيل الأملاك وتكديس الثروات. وهكذا أصبحت الزوايا والأضرحة تملك العبيد، ولعل ذلك ما مكن شيوخها من تقديم المساعدات للناس أثناء الأزمات الدورية¹³⁷.

ثانيا: مواسم تعيين شيخ القبيلة "أمغارن تقبيلت" وأعضاء "الجماعة".

كانت القبائل غير الخاضعة للمخزن عموما، تنظم مواسم لتعيين شيخ القبيلة "أمغارن تقبيلت" وأعضاء "الجماعة". فقبائل آيت امالو "أهل الظل" التي تضم زيان-اشقرن، آيت ايحاند وآيت اسحاق وآيت ام البخت، وآيت وبرا وآيت سخمان¹³⁸، كانت تنظم حفلا ضخما خلال تنصيب "أمغارن تقبيلت"، بعد جني المحصول، الذي يشكل الوقت الملائم مبدئيا لكل الحفلات.

ويحرص أمازيغ آيت امالو على التجديد السنوي لولاية أمغار، لقطع الطريق أمام فرض هيمنته عليهم¹³⁹. ويوجه (أمغار-الشيخ) الدعوة للناس لحضور "أصيفض" (حفل الوداع)، محمدا تاريخ ومكان الحفل، ويتم اختيار اليوم تبعا لفترات ضوء القمر، الذي يسمح بتسلية وترفيه الليل، ويكون غير ملائم لأعمال الحوامين واللصوص¹⁴⁰.

ويكون مكان الاحتفال واسعا، وكثير العشب والماء. وفي الموعد المحدد، تبعث كل مجموعة أكثر عدد ممكن من نوابها تبعا لأهمية الفخذات، مصحوبين بأحسن خيامها، وأفضل خيولها. كما يلبس الرجال والنساء والأطفال أجمل ثيابهم. لذلك، يشكل المشاركون في الحفل دوارا ضخما، وكل مجموعة تنظم خيمها داخل المخيم على شكل أحياء سكنية، تجرى التسلية داخل المخيم (الفروسية

136 - رواية شفوية، صالح ماضي، قبيلة آيت عتاب، عمره 80 سنة، بتاريخ 13 يوليوز 2013.

137 - نفيسة الذهبي، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1997م، ص. 196.

138 - سعيد كنون، م. س، ص. 28.

139 - نفسه، ص. 96.

140 - نفسه، ص. 95.

واحيدوس). تدوم الاحتفالات ثلاثة إلى أربعة أيام¹⁴¹.

ثالثا: مواسم "تاضا"، أو الرضاعة، أو التحالف بين القبائل:

كانت قبائل الأطلس تنظم مواسم "العهد والرضاعة والأخوة" لمواجهة التهديدات الداخلية من القبائل الأخرى، أو الخارجية من القوى الأجنبية المتربصة بالمنطقة نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م. ولهذه الغاية، تنظم القبائل احتفالا سنويا بعد جمع المحصول¹⁴²، ولا زال البعض مستمرا إلى يومنا هذا كما هو الحال بالنسبة لقبيلتي "ايت شيكر العطاوية"، و"ايت ويركان العتابية".

رابعا: مواسم تنظيف السواقي وتدبير أمورها:

كانت العديد من القبائل بالأطلس المركزي الذي يعتمد اقتصادها بشكل كبير على الفلاحة المسقية، تنظم مواسم لتدبير أمور السواقي، وخاصة في المناطق التي تعرف شحا في مياه السقي، كما هو الحال بالنسبة لبلاد انتيفة وانولتان. ولا زال موسم الساقية ينظم بجوار ضريح سيدي بو البخت بدمنات إلى يومنا هذا، وقد تسببت في نزاعات بين القبائل¹⁴³، ولا زالت هذه العادة منتشرة في العديد من مناطق الأطلس المركزي.

خامسا : مواسم غايتها التسوق والزواج والاحتفال وفتح المراعي

تعتبر المواسم في الأطلس المركزي، نهاية القرن 19م، وبداية القرن 20م، مناسبة بالنسبة للقبائل للتسوق من جهة، وإقامة حفلات الخطوبة والعرس الجماعي، وقد أشار عيسى العربي إلى هذه العادة المنتشرة في مواسم ايت عتاب¹⁴⁴.

كما تحدث عن هذه العادة القبطان الفرنسي الجزائري الأصل، سعيد كنون بداية القرن 20م، في الموسم أو السوق السنوي "لأكدود" بأسيف ملول، الذي اعتبره معرضا حقيقيا لتسوق الساكنة، التي تعيش حصارا بسبب الثلوج بدءاً من أكتوبر إلى غاية شهر أبريل، يغتنمه الشبان لاختيار زوجة من

141 - سعيد كنون، م. س، ص. 85، 86.

142 - نفسه، ص. 85.

143 - أنظر : المبحث الخاص بأدوار المواسم في تدبير المجال في هذا البحث.

144 - عيسى العربي، م. س، ص. 194، 195.

بين الفتيات اللاتي يأتين "لأكدود" في أبهى زينتهن أملا في إثارة الانتباه والظفر بزواج¹⁴⁵. وينعقد مدة ثلاثة أيام حوالي 10 شتنبر من كل سنة.

ومن جهة أخرى، تعتبر مواسم أعالي جبال الأطلس المركزي، مناسبة تحتفل فيها القبائل بفتح المراعي، وهي مواسم كانت منتشرة بالأطلس المركزي، خاصة في أعالي الجبال. لدى كطوة، وآيت بولي، وآيت بوكمار، وآيت مصاض، وآيت عطان أمالو، وآيت سخمان، وآيت سري، وآيت ويرا، وإشقرن، وقبائل زيان. إلا أن أغلب هذه المواسم توقفت¹⁴⁶.

سادسا: المواسم اليهودية

تؤكد الذاكرة أن يهود الأطلس المركزي، كانوا ينظمون مواسم داخل ملاحاتهم وبجوار أضرحتهم، وكان المسلمون يشاركون اليهود احتفالاتهم خلال انعقاد مواسم الهيلولة¹⁴⁷. إلا أن ما يميز الاحتفالات اليهودية أنداك الصبغة الدينية والتجارية المحضة لمواسمهم السنوية.

ج- ب المراكز الصوفية المؤثرة بالأطلس المركزي

- مجال قبائل آيت أمالو وزيان

من بين المراكز الدينية التي كانت تحظى بالزيارات الجماعية والمؤثرة بشكل كبير، نهاية القرن 19م، وبداية القرن 20م، عند قبائل آيت أمالو وزيان نجد كل من أسرة "آل أمهاوش"، وسدي الطيبي وآيت سخمان وإشقرن وآيت سري وضريح مولاي بوعزة بزيان.

- زاوية إمهاوش

تعتبر أسرة أمهاوش، أسرة صوفية، استقر بعضها في منطقة لقباب ببلاد إشقرن، والبعض الآخر في مولاي إدريس زرهون. كان تأثيرهم قويا على قبائل ايشقيرن وآيت سخمان وآيت ويرا وآيت

145 - سعيد كنون، م. س. ص. 172.

146 - رواية شغوية، مجموعة من الشيوخ بقبائل الأطلس المركزي، ومنهم المهدي بن داود، من إغرم لعلام، فاطمة المحمدي، من مدينة خنيفرة...

147 - رواية شغوية، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا بيزو، عمره 70 سنة، بتاريخ، 03 غشت 2019.

ايحاند وآيت مكيد بملولية¹⁴⁸. وبعد استقرارها بجمال آيت أمالوا أصبحت أسرة "آل امهاوش" فرقة من آيت سخمان والتي يمتد نفوذها على طول واد العبيد من منابعه بجمال تونفيت شرقا إلى ما يقارب مرتفعات واويزغت¹⁴⁹.

ترجع تسميتهم إلى تمهاوش التي تزوجها جدهم سيدي علي أوحساين خلال القرن 18م. وكان شيخ سيدي علي أوحساين جد امهاوش، تتلمذ على يد أحمد بن ناصر شيخ الزاوية الناصرية خلال القرن 18م¹⁵⁰. استقر "آل امهاوش (سيدي علي أوحساين)" في منطقة لقباب الذي أصبح كما قيل، وريثا للزاوية الدلائية، كما ورث بركة الناصرية التي تتلمذ فيها¹⁵¹.

ومن أبرز شيوخ زاوية امهاوش، سيدي بوبكر أمهاوش، ابن سيدي محمد أناصر، وحفيد سيدي علي ولد سيدي الحساين دفين تينغاليين. وتفرعت شهرته لورعه واستقامته. وكان سيدي علي أمهاوش الشيخ المشهور نهاية القرن 19م، ومطلع القرن 20م. وقد قاد المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في منطقة بودنيب. وخلفه سيدي المكي ابن سيدي علي، الذي تزعم معركة تيزراوت 1933م¹⁵².

إن ما ميز هذه الأسرة هو تخليهم التدريجي عن الطريقتين الناصرية بتامكروت¹⁵³، والحنصالية بالأطلس الكبير المركزي، والارتقاء في أحضان الطريقة الدرقاوية¹⁵⁴. حيث كانت الزاوية الدرقاوية منذ إنشائها، ذات نفوذ كبير بين قبائل الأطلس المركزي، وبدت كأنها حلت محل الزاوية الناصرية. وأصبحت هذه الأخيرة مثل الحنصاليين في المرحلة الثانية، تابعين تابعتين للزاوية الدرقاوية

148 - قاسم الحادك، "الانتشار الدرقاوي في الأطلس المتوسط: الخلفيات والتجليات"، في "ندوة" التصوف التادلي في العصر الحديث عصر الأوج والقهوة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 16، مطبعة وورك بيرو، بني ملال 2018، ص. 233.

149 - التقي العلوي، م. س، ص. 106.

150 - قاسم الحادك، م. س، ص. 233.

151 - حسب Michaux Bellaire، كانت أول شخصية معروفة في عائلة إمهاوش تدعى أبو بكر، ولم يشر بالضبط إلى تاريخ ولادته أو وفاته، لكنه أكد أن أبو بكر كان تلميذاً لأحمد بن ناصر الدرعي، مؤسس زاوية تامكروت، المتوفي حوالاً 1716م، وقد اشتهرت هذه الأسرة الصوفية بالجهاد وتبني الطريقة الدرقاوية، ودعمها للمولي يزيد ضد والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله عام 1770م، أنظر:

- Michaux Bellaire, Archives marocaines..., op. Cit. p.93.

152 - سعيد كنون، م. س، ص. 100.

153 - سمى أبو بكر أمهاوش إبنه اسم ناصر، تيمناً بشيخه أحمد بن ناصر الدرعي، أنظر:

- Michaux Bellaire, Archives marocaines..., op. cit, p. 94.

154 - سعيد كنون، م. س، ص. 101.

حسب ميشو بليير¹⁵⁵.

- زوايا أولاد سيدي الطيبي الدرقاويين

استوطنت أسرة أولاد سيدي الطيبي الدرقاويين الأطلس المتوسط (آيت اسحاق) نهاية القرن 19م. وقد تحالف أبناء سيدي الطيبي مع أسرة آل أمهاوش، حيث استقر سيدي الطيبي بن عبد المالك الهواري¹⁵⁶ في بلاد اشقرن لتربية أبناء أسرة أمهاوش الصوفية. وتمكن سيدي الطيبي من تحقيق نفوذ روجي في المنطقة، وزوجه سيدي المكي أمهاوش إحدى بناته، وأصبح حفدة سيدي الطيبي من سلالة أمهاوش¹⁵⁷.

تمكنت أسرة سيدي الطيبي الدرقاوي المدفون في سكور، على بعد 6 كلم غرب المركز الحالي لآيت اسحاق، من تحقيق نفوذ وسلطة روحية وسياسية في بلاد آيت أمالو، خاصة بعد وفاة سيدي علي أمهاوش. ومن بين الشخصيات المؤثرة في أسرة سيدي الطيبي، نجد سيدي عبد المالك، وسيدي محمد بن الطيبي، ولهم باع طويل في الجهاد. وقد استقر سيدي عبد المالك في آيت ويرا بناور، في حين استقر اخوه سيدي محمد بن الطيبي بقبيلة آيت حماد أعيى التابعة لقبيلة اشقرن¹⁵⁸.

إن ما ميز أبناء سيدي الطيبي، عزمهم القوي من الخروج من دورهم الديني الصرف لتولي القيادة الفعلية للرأي وللعمليات الحربية في كل الخيام وفي كل الأسواق، ضد الاحتلال الفرنسي¹⁵⁹ الذي تجرأ على مهاجمتهم. وكان سيدي محمد بن الطيبي، يوزع بركته في موضع "تيحونا"، ويضع العديد من خطط الدفاع¹⁶⁰، ويقوم بطقوس دينية مذهشة جدا موجهة لإثارة حماس المحاربين¹⁶¹.

155 - Michaux Bellaire , Archives marocaines..., op. cit. p. 94.

156 - سيدي الطيبي بن عبد الملك، هو ابن عم سيدي العربي بن عبد الله الهواري، مؤسس زاوية فركلة الدرقاوية. أنظر: سعيد كنون، م. س. ص. 43، 112، 113.

157 - سعيد كنون، م. س. ص. 43، 44، 51، 112، 113.

158 - لم يكن لسيدي المكي بن الطيبي أي دور مقارنة بإخوته، وتوفي سنة 1926م. عكس سيدي محمد بن الطيبي البالغ من العمر ما بين 50 و60 سنة 1923، المشهور بنشاطه الجهادي في منطقة الأطلس المركزي وفي أعالي زيز، بحيث كان مقر سكنه في "تيحونا" على بعد 6 كلم من المسيد، واضطر إلى الانتقال سنة 1922م إلى ناوور ببلاد آيت ويرا. منطقة استقرار أخيه سيدي عبد المالك بن الطيبي، الذي مارس هو الآخر نفوذا على هذه القبيلة وعلى آيت أم البخت والمتوفي بمرض التيفوس، أنظر: سعيد كنون، م. س. ص. 43-44-51-112-113.

159 - "أرومي" بالأمازيغية تعني "نصراني"، ومنه، "إرومين" أي النصراني.

160 - سعيد كنون، م. س. ص. 138.

161 - نفسه، ص. 141.

لعل ما زاد من تبجيل هذه الأسرة الصوفية حسب كنون، هو تدخلاتها الحاسمة في حالة الحرب، فهذه الشخصيات تؤثر في لجماعت، وينجحون في وقف إطلاق النار فوراً، بان دفاعهم بين المتحاربين على ظهور الجياد وسط درقاويهم، الذين يرددون أذكارا ويلوحون بأعلامهم المرفوعة.¹⁶² وعموماً كان يحظى "الصلحاء-إكرامن" من "الامهاوش" أو سيدي محمد بن الطيبي، بتبجيل واحترام خاص، عند استقبالهم في قبائل آيت امالو، حيث كان يرتدي الرجال والنساء والأطفال أجمل ثيابهم، ويعملون على إخراج السروج المزينة، ويسارع فرسان إلى حدود مضارب القبيلة للقاء الضيف، حيث يستقبلونه بمظاهر الحفاوة البالغة والمحترمة وطلقات البارود...¹⁶³.

- زاوية سيدي يحيى أويوسف

من بين الزوايا التي كانت قبلة للزوار قبيل الاحتلال الفرنسي للأطلس المركزي، نجد زاوية سيدي يحيى أويوسف، على منابع واد العبيد، على بعد ثلاثين كلم شرق أغباله في اتجاه تونفيت، وهو مركز ديني دفن فيه ولي بنفس الاسم، وكانت ملجأ لآيت سيدي علي أمهاوش بداية القرن 20م.

- زاوية سيدي عمر أحلي

يعد سيدي عمر أحلي، مركزاً دينياً صوفياً مهماً لدى قبائل آيت سخمان، وخاصة آيت حمامة بأغباله، ويتحكم في الممر المؤدي من اغباله - بوتفردا نحو آيت حديدو. ويحظى بزيارة قبائل المنطقة. غير أن سيدي عمر أحلي لم يكن بنفس التأثير التي كانت تمارسها كل من زاوية أمهاوش في أغباله واشقرن، وزاوية أحنصال ببلاد آيت مصاض اللتان تأثرتا بالزاوية الدلائية¹⁶⁴.

أما قبائل زيان فقد كانت من الناحية الروحية نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، تحت تأثير زاوية مولاي بوعزة، وأسرتي "أل امهاوش"، وأبناء سيدي الطيبي. إلا أن المنطقة كانت من الناحية السياسية والعسكرية تحت نفوذ القائد موحى أحمو الزباني، الذي عمل على مقاومة المد الدرقاوي، الذي كان يتزعمه كل من إمهاوش وأبناء سيدي الطيبي¹⁶⁵.

رغم أن قائد المخزن موحى أحمو الزباني، كان يتمتع بقوة عسكرية وسياسية، إلا أن ذلك لم يمنع

162 - نفسه، ص. 46.

163 - نفسه، ص. 43.

164 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p. 93.

165 - سعيد كنون، م. س. ص. 101.

من توسع نفوذ إمهاوش، وأبناء سيدي الطيبي ببلاد آيت أمالو وزيان، نظرا لتحكمهما في السلطتين الدينية و الروحية من جهة، والسياسية والعسكرية من جهة ثانية. حيث رأت هذه الأسر الصوفية أن التأثير الديني الصوفي الذي تمارسه غير كاف، لذلك، أراد شيوخها أن يكونوا أيضا زعماء حرب، كما هو الحال بالنسبة لسيدي علي وسيدي المكي امهاوش وابناء سيدي الطيبي¹⁶⁶.

ويعتبر الصراع بين "آل أمهاوش" وموحي أحمو الزيناني على استقطاب ايشقرن بداية القرن 20م، دليلا على مدى توسع وقوة زاوية "آل أمهاوش"، وتزايد نفوذها عند قبائل آيت أمالو. ولعل أشهر فصول هذا الصراع، المعركة التي دارت بين الفريقين سنة 1909م قرب ازرو نيت لحسن، أدت إلى تسوية مؤقتة بين الطرفين، بقي بمقتضاها آيت يعقوب أوعيسى، وآيت حماد اوعيسى، وآيت لحسن أوزرو من ايشقرن، وآيت سعيد من آيت ايحاند، تحت سلطة سيدي علي، في حين انتقل ايمزنيانن ايشقيرن، وآيت الربع وآيت ايحاند إلى سلطة القائد موحي أوحمو.¹⁶⁷

أمام هذا الوضع، شكل المرابطون الدرقاويون بالأطلس المركزي بزعامة سيدي علي امهاوش وحلفائه أبناء سيدي الطيبي، قوة لا يستهان بها¹⁶⁸، حيث تربي سيدي علي امهاوش في الجبل وتابعا للدرقاوية وورث نفوذا كبيرا لدى آيت سخمان واشقرن وآيت ايحيى وآيت ويرا مع زعيم الحرب الشاب موحي أوسعيد الوراوي¹⁶⁹.

- مجال قبائل: آيت سري، وآيت عطان-أملو، وآيت عتاب، وآيت مصاض

كانت مجموعة من المراكز الدينية المهمة بالمناطق الوسطى للأطلس المركزي نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، تتمتع بنفوذ كبير. وكانت القبائل تنظم إليها زيارات جماعية موسمية احتفالية، تكون في الغالب بعد جني المحصول. تفسر هذه العادة، بالأدوار والوظائف التي كانت تقوم بها هذه المركز الدينية على كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والروحية والسياسية....

من بين هذه المراكز الدينية الكبيرة المؤثرة بهذه المناطق، نجد: زاوية سيدي محمد بن داود

166- سعيد كنون، م. س، ص. 101.

167- نفسه، ص. 101.

168 - Auguste Guillaume, op. cit. p. 80.

169- Auguste Guillaume, op. cit. p. 66 .

الشاوي بأزرراك بإغرم لعلام، وزاوية سيدي بلقاسم، ولالة رحمة بقصبة تادلا، وزاوية سيدي أحمد بالقاسم بزاوية الصومعة ببني ملال، وزاويتي سيدي علي بن إبراهيم، وآل بصير ببني عياط، وزاوية سيدي عبد الله الخليفتي بآيت مضا، وزاويتي مولاي عيسى بن إدريس ومولاي بوعنان، وضريح سيدي لحسن أوحساين بايت عتاب، وزاوية سيدي أمحمد أمحمد ببلاد آيت عطان أمالو بواويزغت.

- في قبيلة آيت عتاب

تعتبر زاوية مولاي عيسى بن إدريس، من أهم المراكز الدينية، التي كان لها دور تأثير روحي في المنطقة نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، والتي كانت يقام بها موسم كل سنة في الأربعماء الثاني من شهر مارس، وللإشارة فإن الولي لم يترك أولاد هناك¹⁷⁰، رغم أن الأسر القاطنة بجوار الضريح، تدعي نسبها للولي الإدريسي.

إلى جانب زاوية مولاي عيسى بن إدريس، يحج سكان قبيلة آيت عتاب إلى زاوية سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي، دفين أكرض ببلاد بني عياط، وهو من الأولياء الكبار بمنطقة الأطلس المركزي الذي وصل نفوذه الروحي الشاوية والصحراء وورديغة، وهذا ما يفسر حضور قبائل من هذه المناطق لموسمه السنوي، ويروي حفدته أن جد الولي الصالح سيدي علي بن إبراهيم هو مولاي عيسى بن إدريس دفين آيت عتاب.

إلى جانب مولاي عيسى بن إدريس، وسيدي علي بن إبراهيم، تعد زاوية مولاي بوعنان، مركزا دينيا مهما في آيت عتاب وبالضبط بموضع "تسقي". وتعتبر الزاوية ثالث أكبر مركز صوفي بايت عتاب¹⁷¹. هذا بالإضافة إلى بعض المراكز الدينية الصغيرة في القبائل المجاورة له من قبيل: زاوية الحدجة¹⁷²، و زاوية القرية، تسمى بذلك لأن بها قريتين، إحداهما لآيت عتاب، وأخرى لهنتيفة، وبها الولي سيدي عبد النعيم، أخ سيدي عبد الحق¹⁷³، بتسقي¹⁷⁴ بقبيلة آيت عتاب.

وللإشارة، فقد كانت بعض قبائل آيت عتاب بداية القرن 20م، تعقد مواسمها بجانب أوليائها

170 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 231.

171 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech ..., op. Cit. p. 50.

172 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 231.

173 - نفسه، ص. 223.

174 - نفسه، ص. 231.

المحليين، الذين استطاعوا أن ينالوا شهرة محلية، كما هو الحال بالنسبة لضريحي سيدي لحسن أوحساين في الحدود الترابية بين قبائل انتيفة وآيت عتاب، على الطريق الرابطة بين بين مركز آيت عتاب وشلالات أزود. إضافة إلى ضريح سيدي حديدو، بقبيلة آيت ويزكان جماعة تاونزة، شمال آيت عتاب.

من جهة أخرى، كانت منطقة آيت عتاب مقرا مهما للطرق الصوفية الكبرى بداية القرن 20م، حيث اشار الباحث فوانو، إلى جود أتباع كثر للزاوية التجانية بآيت عتاب، ويعدون بحوالي 300 فرد، وتوجد لدى الطائفة عدد لا بأس به من المقدميين في المنطقة بدون زاوية¹⁷⁵. أما الزاوية الدرقاوية، فقد كان يبلغ عدد اتباعها بآيت عتاب حسب الباحث المشار إليه 450 فرد، ضمنهم القائد والمسؤولين الكبار¹⁷⁶.

- في قبيلة آيت مصاض

كانت الزاوية الحنصالية تتمتع بنفوذ روحي وسياسي كبير في المناطق الوسطى للأطلس المركزي¹⁷⁷، نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، وكانت المواسم التي كانت تنظم بهذه المناطق تتم تحت إشراف ومباركة الزاوية الحنصالية، نظرا لما كانت تتمتع من شرعية دينية صوفية، وقوة عسكرية وسياسية مهمة. وللإشارة، فالزاوية الحنصالية، تأسست من قبل سيدي سعيد بن عامر أو "دادا سعيد" خلال القرن 13م، وتعرف أيضا بزاوية أكديم¹⁷⁸.

لكن الظهور الفعلي للزاوية الحنصالية كان خلال القرن 17م، حينما أسس أبي عثمان سعيد بن يوسف أحنصال المتوفي سنة 1702م، المعروف بسيدي سعيد أو يوسف مقرا جديدا للزاوية الحنصالية بآيت مضريف¹⁷⁹، قرب واويزغت ببلاد آيت عطان أمالو، جنوب جبل غنيم. وارتبطت الزاوية الحنصالية خلال القرن 17م باتحادية آيت عطا، التي تحالفت معها، واتسع نفوذها لتشمل

175 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p.19.

176 - ibid. p p. 20, 21, 22.

177 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ...,op. cit. p p.95, 96.

178- DRAGUE Georges, op. cit. p p.16, 36,175.

179 - حسب ما ادعاه سيدي موحا أوعلي، الذي كان مخبرا مألوفا عند الكولونيل سبيلمان. أن زاوية آيت مضريف ببلاد آيت عطان أمالو.

كان مقرها ما بين تيزي تايت عامر بووايزغت، إلى الجنوب من جبل غنيم. أنظر :

-Michaux Bellaire, Archives marocaines ...,op. cit. p p.95- 96.

القبائل الصنهاجية الواقعة جنوب وادي العبيد¹⁸⁰.

وعرفت الزاوية الحنصالية تراجعاً بعد مقتل سيدي يوسف أحنصال، الذي سنتحدث عنه "في الفصل الخاص بالدولة والمواسم"، وفقدت جل فروعها، وانقسم شيوخها إلى فريقين الأول ظل مقيماً في منطقة الزاوية الأم في "تاغيا" -ن- أحنصال، والفريق الثاني غادر مقر الزاوية الأم، واستقر في منطقة "تمكا"، قرب تيلكيت ببلاد آيت إصحا.

وكان نفوذ زاوية أحنصال الأم بأكديم، يشمل قبائل آيت أوكديد، وآيت اتفركال، وآيت امحمد، وقسم من آيت اصحا، بينما شمل نفوذ زاوية تمكا أسكر قبائل آيت عطا-ن-اومالو، وآيت سخمان، وآيت بوزيد وبعض قبائل آيت سري¹⁸¹. ومما زاد نفوذ الحنصاليين انخراطهم في الزاوية الدرقاوية على غرار آل امهاوش¹⁸². مع بداية القرن 20م، كانت زاوية أحنصال تمثل قوة سياسية كبيرة، ولها نفس الأدوار التي لعبتها عائلة امهاوش في أطلس المتوسط¹⁸³.

وقد عرف عن الحنصاليين معارضتهم الكثير من الممارسات الصوفية السائدة كالسماع والرقص في حلقات الذكر، ونبذوها باعتبارها من البدع المنافية للشريعة الإسلامية. في حين تتميز الطريقة الدرقاوية بالمرونة، ولم تدعو إلى التشبث بالسنة وتحريم البدع، بل كانت تبارك تعدد مرجعيتها المذهبية، وبالتالي، كانت تتكيف مع نمط عيش المجتمعات القبلية، المتسم بالبساطة والخشونة، وتقبل بطقوسها وممارستها المحلية¹⁸⁴، مما ساهم في تزايد نفوذ الدرقاوية على حساب الحنصالية. وهذا ما يفسر انضمام بعض شيوخ الزاوية الحنصالية للزاوية الدرقاوية، ومنهم، سيدي الحسين أوتمكا، الذي تزعم الجناح الدرقاوي للزاوية الحنصالية بأسكر، جنوب وادي العبيد، والمناهض لزعيم الزاوية الأم سيدي موحى الحنصالي، على صعيد الزعامة السياسية والدينية. وقد عوض الفراغ السياسي والروحي للزعيم الدرقاوي سيدي علي امهاوش، وامتد تأثيره ليشمل آيت داود أعلي (تاكلفت)

180- DRAGUE Georges, op. cit. p p. 16, 36, 175.

181 - DRAGUE Georges, « note sur la zaouia d'Ahançal », in: Archives Berbère, VXXVII, Paris 1927, p p. 23-29.

182 - أحمد بن خالد الناصري، م. س. ج. 8، ص. 139.

183 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p. 96.

184 - المنصور محمد، م. س. ص. 192؛ ونور الدين الزاهي، الزاوية والحزب، الإسلام السياسي في المجتمع المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط. 1، 2003، ص. 8.

وآيت سعيد أعلي (فم العنصر) وآيت عبدي أعلي (تيزي نسلي)¹⁸⁵.

وفي هذا الإطار، أشار الجنرال كيوم، أن الزاوية الحنصالية، كان بها عدد كبير من الأتباع، لدى آيت عبدي نكوسر، وآيت بوكنيف وآيت اصحا وآيت داود وعلي، ويوجد صراع بين الزاوية، وفروعها نهاية القرن 19م، حيث يدعي مرابطو تامكا تبعية ايت اصحا لهم، في حين يدعي مرابطو أسكر تبعية آيت داود أو علي لهم¹⁸⁶.

وعموماً، فقد كانت زاوية أحنصال نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، لها تأثير كبير لدى قبائل آيت مصاض، وكان لها زعيم قوي سيدي أحماد أوحماد، ذو النفوذ المطلق على بلاد آيت مصاض. ويمتد تأثير هذا النفوذ إلى مراكش، ودادس، وتودغا، وكان مشهوراً ومقدساً. وكان لدى زعيم زاوية أحنصال سيدي احماد أوحماد عبدا واحدا بداية القرن 20م، ويعتبر كافياً لتأمين تنقل القافلة بأمان من تودغا إلى مراكش، ويعتبر الوحيد الذي يلجأ إليه كل من يرغب في السفر إلى هذه المناطق¹⁸⁷. وكان أتباع زاوية أحنصال في ذلك الوقت، يتكونون من آيت بوزيد، وآيت عطا، وآيت إصحا، وآيت سخمان...¹⁸⁸

اعتقد كل ميشو بليير والملازم سبلمان، أن المركزين الدينيين الكبيرين في الأطلس المركزي، اللذين يتمتعان بنفوذ كبير في المنطقة هما: سيدي علي أو حسين أحنصال، وسيدي علي أمهاوش. ونرجح بشكل كبير كما أشار الباحثان أعلاه، أن هذين المركزين السياسيين والدينيين، يبدو أنهما يتقاسمان بشكل خاص السلطة في هذه المنطقة منذ تدمير مولاي رشيد لزاوية الديلاء الشهيرة¹⁸⁹. إن تنظيم قبائل الأطلس المركزي زيارات موسمية للزاوية الحنصالية، يمكن فهمه بما يتمتع بها شيوخها من نفوذ روحي، وأدوارهم الاقتصادية والسياسية، حيث كانت الزاوية الحنصالية الأم وفروعها تحظى بشعبية كبيرة¹⁹⁰، إذ كان ضريح أحنصال، يتمتع بسمعة طيبة بداية القرن 20م، في معالجة العقم لدى النساء، حيث تلجأ المرأة التي تتمنى طفلاً، لضريح أحنصال، وتفتح حزامها،

185 - قاسم الحادك، م. س. ص. 241.

186- Auguste Guillaume, op.cit. p. 80.

187 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p p .90.

188 - Ibid. p. 91.

189 - Ibid. p. 93.

190- Ibid. p. 102.

وتعلقه على شاهد القبر، حيث تقضي الليلة، وهي متأكدة أن أمنياتها قد تحققت¹⁹¹. أمام هذا التأثير الروحي القوي للزاوية الحنصالية، كانت تتلقى الهدايا في مواسم معلومة¹⁹²، وكان آيت يوسف أولحسن، من بين المواضيين على تقديم الذبيحة لقبر سيدي سعيد.

انقسمت الزاوية خلال القرن 19م، إلى شطرين، الأول يسيرها سيدي محاف في مقره بضريح سيدي سعيد أوعامر في تاغيا، وله تأثير قوي على قبائل الأطلس الشرقي على ضفاف أسيف -ن- أحنصال، والشر الثاني من الزاوية تزعمه سي حسين أوتمكا، ومقره "أسكار" في بلاد آيت سخمان، وتؤثر على جزء من قبائل "شلوح" الأطلس المتوسط¹⁹³.

ورغم أن سيدي محاف وسيدي حساين هما حفيدي سيدي علي أوحساين، الحفيد الأصغر لسيدي سعيد أوعامر، إلا أنهما أعداء، بسبب الصراع حول مصالح الزاويتين. ومن الصعب جداً تحديد القبائل الخادمة لهؤلاء المرابطين، إذ ليس من المألوف حقاً أن نرى قبيلة تخضع في الوقت نفسه لتأثير فرعين متنافسين. ولا بد من الإشارة، إلى ضرورة التمييز بين القبائل التي تنتخب "شيوخها" تحت رعاية أحد هؤلاء المرابطين، وبين القبائل التي تكتفي بإرسال "الزيارة"¹⁹⁴.

من أهم القبائل التي كانت تنتخب شيوخها تحت رعاية الولي الحنصالي سيدي محاف، نجد كل من قبيلة آيت أوكديد، وآيت أوتفيركال، وآيت مازيغ، وآيت محمد، وآيت بو كمان، وآيت إيمكون، وآيت أوسيكيس، وآيت بوايكنيفن، وآيت عيسى، وجزء من آيت عبدي¹⁹⁵. وللإشارة، فإن قبيلة آيت مازيغ كانت تحت نفوذ سيدي عبد الملك، الشقيق الأكبر لسيدي محاف، في حين يمارس سيدي مولاي، ابن عم سيدي سيدي محاف، تأثيره على آيت عبدي¹⁹⁶.

من بين القبائل الطائفة لسيدي محاف، والتي كانت ترسل له الزيارة بشكل منتظم نجد: كل من قبيلة آيت مازيغ، وآيت محمد، وآيت بويكنيفين، وآيت تالمست، وآيت حكيم (آيت بو كمان). والملاحظ أن سيدي محاف، كان له نفوذ على قبيلة آيت ايصحا، وآيت عبدي، وآيت أوسيكيسي، وآيت إيمغون، آيت

191- Ibid. p. 103.

192- Ibid. p. 106.

193 - Ibid. p. 110.

194 - Ibid.

195 - Ibid.

196 - Ibid. p. 111.

اينكر (آيت بوزيد)، آيت أونيدر من بيرنات آيت عباس، وجزء من آيت عطا القبلة. إن كل هذه القبائل المشار إليها تنظم الزيارة الموسمية، وتقدم الهدايا إلى زاوية سيدي محم، وتربط الولي بهذه القبائل علاقات روحية اجتماعية وسياسية وثيقة¹⁹⁷.

وكان سيدي محم الحنصالي، شيخ الزاوية الحنصالية بداية القرن 20م، شخصية سياسية موهوبة، من أصول مرابطية، لا جدال في بركته في المخيال الشعبي آنذاك، كما أن عمره في حدود ثلاثين سنة، وكان سياسياً وحيوياً جداً، ويلعب أدواراً مهمة. وكان سيدي محم الحنصالي لفترة طويلة يمثل نموذجاً للمقاومة، حيث عندما وصل الاحتلال الفرنسي إلى مراكش في اتجاههم لمدينة دمنات، جمع سيدي محم العديد من كتيباته ودعاهم إلى مسيرة ضد التوغل الفرنسي في الأطلس المركزي¹⁹⁸. أما بخصوص القبائل تنتخب "شيوخها" تحت رعاية الولي الصالح سيدي أوحساين أوتمكا، فقد كانت مجموعة من القبائل تنتخب "شيوخها" تحت رعاية الولي الصالح سيدي أوحساين أوتمكا، ومن بينها: قبيلة آيت عطا نومالو، وآيت سخمان، وآيت بو زيد، وجزء من آيت عدي. وللإشارة، فإن الولي سيدي أوحساين كان يرأس بداية القرن 20م انتخاب شيخ الفوقاني لتحالف اللف لدى كل من قبائل آيت عطا نومالو، وآيت سخمان، آيت إيصا¹⁹⁹. نفس القبائل تقريبا تواظب على تقديم الزيارة للولي الحنصالي سيدي أوحساين أوتمكا، وتنظم زيارات جماعية موسمية للزاوية بعد جمع المحصول، للإحتفال ونيل البركة وتقديم الطاعة للشيخ.

ج- في مجال قبائل إنولتان وفطواكة وانتيفة

- في مجال قبائل إنولتان وفطواكة

تتضمن قبيلتي إنولتان وكطوة ناحية دمنات، مجموعة من الزوايا والأضرحة المحلية، التي كانت تحظى بتبجيل وزيارة من قبل ساكنة هذه القبائل نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م. وذكر الغجدامي 21 وليا تحظى بتبجيل وزيارات موسمية، في منطقة دمنات منهم امرأة واحدة²⁰⁰.

197 - Ibid. p. 113.

198 - Ibid. p. 111.

199 - Ibid.

200- محمد الغجدامي ، التسلي عن الأفات بذكر الأحوال وما فات، تحقيق أحمد التوفيق، مراكش، 2019، ص. 102.

علاوة على ذلك، كانت قبيلتا انولتان وفطواكة، تتضمن فروعاً للزاويا الكبرى الوطنية من قبيل:
فرعين للزاوية القادرية²⁰¹، وفرع للزاوية الجزولية، وفرع للزاوية الدرقاوية²⁰²، وفرع للزاوية
العيساوية، وفرع للزاوية التجانية، وفرع للزاوية الكتانية²⁰³، وفرع للزاوية الناصرية، وفرع للزاوية
البونية، وقد اضمحت، الزاوية البونية بدمنات²⁰⁴، باضمحلال فقرائها²⁰⁵.
وقد أسس طالب تاجر اسمه سعيد البعمرائي فرعاً للزاوية التجانية بدمنات، وكان لها مقدم سنة
1904م. أما فرع الزاوية الكتانية، فقد أسسها تاجر من الرباط يدعون آيت بن حساين²⁰⁶. كما أسس
طالب آخر فرعاً للزاوية الدرقاوية بقصبة دمنات²⁰⁷، وكان لهذا الفرع عدد مهم من الأتباع في قبائل
انولتان وفطواكة وفي كل دائرة أزيلال، خاصة في منبسطات الأطلس المركزي. ورغم ذلك، فإن عدد
أتباع الزاوية الدرقاوية في أعالي الجبال ضعيف جداً، باستثناء غجدامة²⁰⁸.
وفي نفس السياق، أسس عبد العزيز بن يوسف بن سعيد أحضال من آيت مضريف بووايزغت،
فرعاً مهماً للزاوية الحنصالية في منطقة انولتان بموضع "كرول"، وأسس عبد العزيز بن يوسف هذا
الفرع من الزاوية، بعد مقتل والده على يد السلطان عبد الله بن إسماعيل أثناء صراعه مع آيت عطا
على ضفاف نهر أم الربيع²⁰⁹. واستقر بموضع كرول، وظل أحفاده يتوارثون ويحظون بالتقدير
والاحترام من قبل ساكنة قبائل اينولتان، ويحظون بأعشار زروعهم²¹⁰. وكان يعتقد سكان ناحية
اينولتان وانتيفة أن بعض المرابطين الحنصاليين بزاوية كرول، كانوا مخدومين من طرف الجن،
والتي بدون الجن لم تكن الزاوية لتستطيع القيام بإطعام من كانوا يقصدونها من الزوار.²¹¹

201- لم تكن الزاوية القادرية في مدينة دمنات أهمية كبيرة، وكان مقدمها عام 1913م هو أحمد أو سليمان. أنظر: محمد نجيب
الدمناتي، م. س. ص. 152.

- VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. Cit. p p. 120- 125.

202 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 152.

203 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 27.

204 - Ibid. p.14.

205 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 152.

206 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 434.

207 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 21,20.

208 - Ibid. pp. 20-21, 22.

209 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 435.

210 - نفسه، ص. 435.

211 - نفسه، ص. 423.

أما بخصوص الزاويتين الحمدوشية والعيساوية، فقد تأسستا في مدينة مكناس، وأسس أحد مريدي الطائفة العيساوية فرعا لها بمدينة دمنات، مستغلا رغبة المخزن بإنشاء فروع للزاويتين الحمدوشية والعيساوية المتشابهتان من حيث الطقوس والمرجعيات، حيث أن تنافس الزاويتين يسهل على المخزن التحكم في نفوذ الزاويتين. ورغم مساعي المخزن لخلق التفرقة بين الزاويتين، يلاحظ اليوم تعاون وتعایش أتباع الزاوية العيساوية مع أتباع الزاوية الحمدوشية في المواسم بدمنات ومولاي بوعزة، رغم أن الزاوية الحمدوشية، لم تأسس لها فروع في الأطلس المركزي أنداك.²¹² إلى جانب هذه الزوايا، هناك زوايا أخرى لها وضع خاص في المنطقة، وعلى سبيل المثال نجد، الزاوية التوامية-الطيبيية، وزاوية مبونيين أو أولاد سيدي بونو، والزاوية الغازية والزاوية الشرقاوية. ففي ما يتعلق بالزاوية التوامية - الطيبيية، فقد كان شيخها من شرفاء وزان، وتتميز الزاوية الأم بغناها، ولا يوجد أتباع لهذه الزاوية في المناطق الجبلية، لكن Renisio حسب VOINOT أشار إلى وجود مقدم الزاوية التوامية في دمنات سنة 1921م، لكن دون مقرر لها²¹³.

أما زاوية مبونيين، أو أولاد سيدي بونو، فهي قليلة الأهمية، تأسست في فزواطة في درعة ولها زاوية في دمنات، ويقال إنها نشيطة إلى حد ما، وليس لها أحباس، وكان مقدمها بداية القرن 20م هو الفقيه أحمد بالحاج²¹⁴. أما بخصوص الزاوية الغازية، فقد كان مركزها الأساسي في تابوبكرت بتافيلالت، أسسها أبو الحسن القاسم بن أحمد الغازي، وكان لها زاوية في دمنات، خارج أسوارها وبدون مقدم²¹⁵. وأخيرا نجد الزاوية الشرقاوية، التي كانت لها فروع مهم في دمنات بداية القرن 20م بدون مقدم²¹⁶.

– الزوايا المحلية ببلاد انولتان وفطواكة

إلى جانب فروع الزوايا الوطنية الكبرى في المنطقة، نجد بقبيلتي انولتان وفطواكة زوايا محلية، من قبيل: زاوية إنيشل، على الضفة اليمنى من تساوت الفوقانية، في آيت محمد في كطيوة، والتي

212 - رحمة بورقية، الدولة والسلطة والمجتمع. دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب. دار الطليعة بيروت

لبنان، ط. 1، 1991، ص. 44.

213 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p p. 16, 17.

214 - Ibid. p.24.

215 - Ibid. p. 25, 26.

216 - Ibid. p. 26, 27.

يرجع تاريخ تأسيسها للقرن 17م، ويتكفل بها خدام أولاد ناصر²¹⁷.

من أبرز المراكز الدينية المحلية التي كانت أيضا نشيطة وتنظم بها مواسم الزيارات الجماعية الكبرى، زاوية أبي البخت أبي موسى بمدشر آيت أمغار²¹⁸ الذي ترجم له ابن الزيات في التشوف²¹⁹، وهي من الزوايا المشهورة خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، بسبب صراع بعض فخذات قبائل إنولتان²²⁰ حول ماء الساقية.

وكانت تلك القبائل تنظم موسما سنويا في زاوية الولي سيدي أبو البخت، قصد ضمان استمرار تدفق مياه هذه الساقية، وري الحقول، حيث يشتري أهل الزاوية، بقرة أو ثور، يذبحون بباب الضريح، ويفرقون لحمه على من له القدرة على أعمال قصعة كبيرة من الكسكس²²¹. يستدعي أعيان آيت أمغار السلطة المحلية، ويجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم فينشرون حائكا، نقول له "أشضاض"، فتمر الخلائق، ويطرحون فيه من الدراهم ما يسره الله. يأخذ أهل زاوية آيت أمغار ومعهم مقدم الساقية الذي يعرف قواعدها وقوانينها، فيؤدون من تلك الدراهم ثمن البقرة أو الثور، وما بقي يضعونه في مصالح الساقية. أما في زمننا بعد الاستقلال فقد انتقص هذا، أو كاد أن يضمحل فيحتفلون ويخرجون²²².

ومن بين الزوايا النشيطة حسب بعض مصادر القرن 19م وبداية القرن 20م، زاوية سيدي سعيد بأرحبي إمليل²²³، وزاوية ناصر أعلي بالقصبة، وزاوية أبو موسى بمدشر بوغرارت²²⁴. وكل هذه الزوايا زارها الحسن الأول لما زار دمنات وأمليل نهاية القرن 19م²²⁵. من بين الزوايا النشيطة أيضا في إنولتان، زاوية أو تاغلاوت، في وادي تاساوت، في أسفل الجبل، باتجاه حدود فطاوكة، أسسها سيدي عبد الله بن الحسين بن أحمد بن حسين بن ناصر، كان يدير أولاد ناصر ويسكنها "دراوة" (السود)،

217 - Ibid. p.13.

218 - محمد نجيب الدمناتي، م. س، ص. 95.

219 - أحمد التوفيق، م. س، ص. 434، 435.

220 - الصراع بين قبيلة آيت أمغار منبع الساقية، وآيت إحيى مصب الساقية. أنظر: محمد نجيب الدمناتي، م. س، ص. 220، 221.

221 - نفسه، ص. 220، 221.

222 - نفسه.

223 - نفسه، ص. 93.

224 - نفسه، ص. 95.

225 - نفسه، ص. 93.

وتحيط بالزاوية قرية منازلها مبنية بالطين وأسقفها من القش، تشبه فندق الزنوج، مفتوح في وجه جميع العابرين من "ضراوة". وكان لدى هذه الزاوية خدام دينيون من زمران، والسراغنة، وفتواكة، وغوجامة²²⁶.

ومن الزوايا المشهورة في غجدامة، زاوية الولي سيدي بو ناكة، القابع في القبة. ويقال إن أصل الولي يرجع لأصول صحراوية، وكان مشهورا بعلاج المرضى²²⁷، ومعروف باسم المعالج²²⁸. أما في قبيلة فتواكة، فإنها كانت بها مجموعة من الزوايا والأضرحة التي لعبت أدوارا مهمة، من قبيل زاوية سيدي بوجمعة في آيت معلان²²⁹، وزاوية "بوساطة" في "تمليت" آيت معلان²³⁰، وزاوية سيدي بوجمعة في آيت بلال²³¹، وزاوية "تالان حكيم" في آيت بلال²³²، وزاوية آيت موسى في آيت أومديس²³³، وزاوية سيدي عمار في تساوت الوسطى²³⁴.

ومن بين أهم المراكز الدينية المهمة في منطقة انولتان وكطواة، زاوية سيدي محمد بن أحمد بايت كروال²³⁵، وزاوية أدوز بايت ماجدن، التي أسسها سيدي محمد مكاد²³⁶، وزاوية سيدي بو محمد صالح في قرية "أقرمود"، وهي قرية صغيرة بالقرب من بلدة بزو، التي أسسها سيدي أبو محمد صالح، الذي عاش خلال القرن الثاني عشر أو الثالث عشر، هو مدفون في الزاوية. وتعتبره الأسطورة من أصل قريشي، وشقيق مؤسس رباط آسفي. وقد أنكر عليه السلطان مولاي الحسن، على ما يبدو فقد أصله القريشي، واعتبره ببساطة بربري، يزور العدد من الحجاج ضريح هذا الولي، وتمتلك الزاوية بعض الأملاك الحبسية. ويقال إن الزاوية كانت تابعة للقادرية، وأن قبة سيدي أبو محمد صالح تم بناؤها من قبل السلطان الأسطوري الأسود²³⁷.

وكانت أغلب هذه الزوايا والأضرحة المشار إليها، تقوم بأدوار اجتماعية واقتصادية وسياسية

226 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 13.

227 - Ibid. p. 47.

228 - Ibid.

229 - Ibid..

230 -Ibid.

231 - Ibid.

232 - Ibid.

233 - Ibid.

234 - Ibid.

235 - Ibid. p. 48.

236 - Ibid.

237 - Ibid.

مهمة، وتحتضن مدارس تعليمية، منها مدرسة سيدي أحمد الماجطني بتساوت، ومدرسة زاوية تاكلاوت بفظاوة، ومدرسة أرحبي بدمنات...²³⁸. كما يسهر القيمين على هذه المؤسسات الدينية على تنظيم المواسم والزيارات الجماعية والمناسباتية.

- في مجال قبائل انتيفة:

من بين الزوايا والأضرحة التي كان لها دور كبير عند قبائل انتيفة نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، زاوية تانغمت قرب شلالات أزود، وزاوية سيدي الصغير بالمنيار ببلدة ابزو. وكان يسهر القيمين على هذه المراكز الدينية على ضمان السير العادي للزيارات المناسباتية الصغرى والموسمية الكبرى. تأسست زاوية تانغمت، من قبل أبي موسى البوكمازي خلال القرن 17م، وتقع بنين قبيلتي انتيفة وآيت عتاب، وكان لها نفوذ على منطقة دمنات وآيت مصاد وآيت عتاب. وتعتبر مركزاً صوفياً ومدرسة لتلقي المعارف، وبها خزانة كتب نفيسة²³⁹، ولعبت الزاوية دوراً اجتماعياً مهماً خاصة في ما يتعلق بالتحكيم في النزاعات²⁴⁰. تشارك القبائل المشار إليها في الزيارة الموسمية السنوية الكبرى بعد جني المحصول²⁴¹، وكان أهم حفدة سيدي موسى الذين كانوا يديرون أمور الزاوية نهاية القرن 19م والقرن 20م هم: سيدي العباس، وسيدي عبد الرحمان، وسيدي محمد البشير، وسيدي الحاج الحبيب، ومن بعده اخوه سيدي التهامي وأخوه سيدي اليزيد المتوفي سنة 1998م.

- زاوية سيدي الصغير بالمنيار

تسمى هذه الزاوية بزواوية سيدي الصغير بن المنيار الملقب ببوعسرية²⁴²، أو زاوية المدرسة، نسبة إلى المدرسة القرآنية المشهورة بخزانتها الثمينة ببلاد ابزو. وللإشارة، فإن سيدي الصغير بالمنيار وهو حفيد الولي سيدي علي بن إبراهيم، دفن في ببلاد آيت عياض²⁴³، كان يقصده

238 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 457.

239 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 226.227.

240 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 434.

241 - نفسه، ص. 425.

242 - قيل عن سيدي الصغير بن المنيار، أنه مات أعزبا، وقيل عنه دفن بالمدرسة بابزو، وبعد دفنه حملة أهل أكرض بني عياض عندهم، وهذا سبب تسميته عندهم ببو قبرين. قبر بزواوية سيدي صغير ببلدة ابزو. وقبر آخر بزواوية جده سيدي علي بن إبراهيم

ببني عياض. توفي رحمه الله حوالي عام 1635م. أنظر: محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 225.

243 - نفسه، ص. 225.

أهل الحرونة بالسراغنة طلبا للمطر والاستسقاء، ويحضرون موسمه بذبيحة كبرى. وكانت الزاوية في غالب الأحيان تابعة للزاوية القادرية، وكان حفدة الولي بداية القرن 20م، يتلقون الزيارات والهدايا من هنتيفة، والسراغنة، وغوجدامة، وفطاوكة، والشاوية وتادلة. ويقام له موسم في اليوم السابع لعيد المولد النبوي²⁴⁴.

- زاوية سيدي عبد الحق

زاوية سيدي عبد الحق في "تيعزيت"، على الضفة اليسرى لوادي العبيد، أسسها سيدي عبد الحق بن عبد الرحمن بن صلاح بن عيسى القيرواني، المتوفي حوالي عام 1655م ودفن في الزاوية. وتسمى بزاوية تعزيت، أو سيدي عبد الحق²⁴⁵، ويرجح الباحث فوانو أن يكون الولي من أصل تونسي²⁴⁶.

- زاوية عين الحوت

تقع زاوية عين الحوت، غرب تنانت بحوالي ثمانية كيلومترات، بين قبائل سكورة، والتي تأسست حوالي عام 1616م، من قبل مولاي محمد بن ناجي ولها بعض الأحباس، ويرجح أن يكون مؤسس الزاوية من أصول تونسية، وقد تزوج بامرأة من بلدة عين الحوت، ودفن هناك في الزاوية²⁴⁷، ويقام له موسم في اليوم السابع من عيد المولد²⁴⁸.

- زاوية آيت ويشوان

زاوية آيت ويشوان، وتسمى أيضا اكمورول، وتعني كلمة "آيت ويشوان"، الأذكياء، ويقال أن الزاوية ذفن بها مولاي عبد الله أمغار، جد مولاي عبد الله بن حساين دفين تامصلوحت²⁴⁹. وقد تم تأسيسها في القرن 11م من قبل سيدي علي بن سيدي محمد، وشقيقه سيدي يوسف، وتضم الزاوية سابقا مركزا لجماعة محلية صغيرة ذات ورد خاص²⁵⁰.

244 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 48.

246 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 49.

248 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 50.

245 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 223.

247 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 226.

249 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 223.

250 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 223.

مع بداية القرن 20م، تراجع إشعاع الزاوية، بحيث أصبحت لا يتلى فيها الورد والحزب القرآني إلا من قبل سكان الزاوية، ولم يكن شيخ هؤلاء المؤسسين سوى والدهما سيدي محمد، المدفون في "تيغانيمارين" بين دمنات وفطوكة،²⁵¹. وينحدر الولي من سلالة سيدي أوسمين الركراكي، وللزاوية خدام دينيون في كل من إنتيفة، وآيت عتاب، وآيت بو زيد، وفطوكة، وآيت شيتاشن، وآيت محمد. وكان يقام في زاوية آيت ويشوان، موسم سنوي، بتاريخ 15 مارس، إلا المخزن عمل على إلغائه بسبب وقوع حادث ما²⁵². لقد أسست هذه الزاوية فرعا لها في منطقة تابونوت في موضع منابع شلالات أزود، ويرجع أصل الزاوية للزاوية الأم بآيت وشوان ركراكة²⁵³.

- زاوية سيدي أحمد بن أو داديس في باحي (ابزو)

تأسست زاوية سيدي أحمد بن أو داديس في باحي (ابزو) من طرف سيدي هاشم، وابن عمه سيدي عبد السلام حوالي عام 1730م. ويعود أصل هؤلاء إلى أصول شريفة، ومن شيوخهم سيدي أحمد بن أو دادس بن علي بن إبراهيم دفين أكارض بني عياط. وكان أتباع هذه الزاوية من أتباع للطريقة القادرية. وكان مقدمها سنة 1923م، رجلاً مسناً، هو سي الحاج محمد بن أو دادس، يعطى الورد القادري، وحتى الورد الدرقاوي... وأغلب اتباعها الذين يقدرون بحوالي 200 فردا من قبيلة آيت عتاب²⁵⁴.

- زاوية أغبالو بموضع ابزو

تأسست زاوية أغبالو منتصف القرن 15م، من طرف مولاي الحسين، تسمى بالإضافة إلى زاوية أغبالو، بزاوية مولاي الحسين، والد مولاي عبد الله التملوحتي. كان يسكنها نحو 300 عائلة بداية القرن 20م، وكانت دورها تفوق المائة، وبها الشيخ سيدي محمد بن عبد الله أيام مولاي الحسن ومن كراماته قدرته على منع الطيور والقوارض من اتلاف المحاصيل²⁵⁵. تتلقى الزاوية الزيارة من قبائل انتيفة، وانولتان والسراغنة، وبني موسى، وآيت عتاب، وآيت بوزيد، وآيت عطا. ينعقد بها موسما

251 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 49.

252 -Ibid.

254 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p.10.

253 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 226.

255 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 224.

سنويا في اليوم السابع من المولد النبوي²⁵⁶.

ج - زوايا أخرى ضعيفة الإشعاع ببلاد انتيفة

من بين أهم الزوايا المحلية التي كان لها حضور مهم في بلاد انتيفة، وتحظى بالزيارات، لكن بإشعاع أقل مقارنة بالزوايا الكبرى المشار إليها في انتيفة، نجد زاوية سيدي سليمان بقم الجمعة التابعة للناصرية بتامكروت²⁵⁷، وزاوية آيت بودني بقم الجمعة²⁵⁸، والزاوية الرحالية²⁵⁹.

ج - تبجيل الأولياء الأحياء بالأطلس المركزي

كانت قبائل الأطلس المركزي نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م، تبجل الأولياء الأحياء²⁶⁰. وغالبا ما ينتقل هؤلاء الأولياء في الأسواق الأسبوعية والدواوير، وتواظب القبائل على استقبالهم، وتبجيلهم، حيث أنه عندما يصل أولياء الأطلس المركزي إلى السوق، يخاطبون الناس، ويدعوهم إلى التشبث بالدين، ومقاومة الاحتلال، ويحظى مقامهم وخطابهم باحترام وتبجيل²⁶¹.

وقد وصف كنون، طقوس وعادات زيارة أولياء أحياء، للأسواق الأسبوعية والدواوير بآيت أمالو، وكيف تبجلهم الساكنة المحلية بقوله: "وصل عجوز ممتطيا بغلة ذات قيمة، ومحاطا بحراسة مسلحة مثيرة، ثيابه نظيفة وقفطانه الآخر مشرق، وبلغته جديدة. وكانت الصفوف تفتح أمامه باحترام، يسارع الرجال والنساء والأطفال إلى تقبيل ركاب سرجه. وبينما هو شارد الذهن، يقوده خادمه الممسك بدابته حتى بلغ تحت شجرة التين، تم توقيف دابته ومساعدته على النزول، فامتد عشرين ذراعا للحيلولة دون أن يناله أي تعب. ولنيل شيء من بركته، كان أناس من القرية قد سارعوا إلى تهيب فراش من الزرابي تمدد عليها"²⁶².

وجرت العادة زيارة الأولياء للقبائل، حيث كانت القبيلة تنصب خيمة الولي "أكرام" وسط الدوار، وتتوالى الأطعمة والمؤن عليه، وعلى رفقته كثيرة العدد في الغالب، فيكثر الزرع والسمن والعسل

256 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p p. 31, 32, 33, 34.

257 - محمد نجيب الدمناتي، م. س. ص. 226.

258 - نفسه، ص. 226.

259 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 23.

260 - شارل دو فوكو، م. س. ص ص 30-100.

261 - سعيد كنون، م. س. ص. 51.

262 - نفسه، ص. 51.

والسكر والشاي والشعير. وتوفر القبيلة هذه المؤن، وفق توزيع موضوع مسبقا من طرف أمغار ولجماعت. وتتدفق الهبات الخاصة من طرف المحاربين الباحثين عن حماية أكرام، أو من المتخاصمين الراغبين في عرض نزاعهم عليه، أو من أعيان طامحين فقط في نيل رضاه²⁶³.

وعندما يصل موعد سفر الولي من القبيلة، يتم مرافقته إلى حدود تراب القبيلة، محملا بهدايا من جياذ عتاق، وبنادق رفيعة، وتلايس من القمح والشعير والسكر والشاي. وأحيانا ترافق القافلة واحدة أو أكثر من أجمل عذارى المكان، سعيدات بإعطائهن للولي²⁶⁴.

ومما يجب الإشارة إليه، أن عادة ظهور الأولياء كانت معروفة بالأطلس المركزي خلال القرن 19م ومطلع القرن 20م، ومن ذلك ما أورده سعيد كنون، حينما تحدث عن شخص زعم أنه شريف، واسمه مولاي مصطفى، وادعى أنه قادر على تحقيق النصر على الفرنسيين بعد فشل المخزن. والحقيقة أن الشخص كان مجهولا لدى آيت امالو، وكان متسحا ومقmlا وقذرا، ووعد أنصاره بأنه سيهزم الفرنسيين في جبال زيان بفضل كرماته، غير قوات الاحتلال، تمكنت من تدمير مخيم أنصار الشريف المزعوم. وقال كنون أنه عومل بخشونة من قبل اتباعه، بعدما تبين لهم كذبه²⁶⁵.

لقد كانت عادة ظهور الأولياء في الأطلس المركزي مألوفة، وهذا ما يفسر وجود أولياء حقيقيين معروفين تاريخيا، وآخرين مجهولين أو وهميين، كانوا موضوع قداسة من قبل المسلمين، أو كانوا يتمتعون بقداسة مزدوجة من طرف المسلمين واليهود على السواء، مثل حزان تيفرمن وايت بوحلو وسيدي امهاصر قرب دمنات²⁶⁶.

يظهر من خلال ما تم الوقوف عنده، أن التأثير الديني والروحي للزوايا والأضرحة لعب دورا في ارتباط المواسم الاحتفالية بهذه المراكز الدينية، وكانت لهذه المواسم غايات ومقاصد مرتبطة، إلى جانب الجوانب الروحية، بتدبير الأمور السياسية والاقتصادية الاجتماعية للقبائل، من قبيل تجديد العهود والتحالفات بين القبائل، والتسوق وتنظيم حفلات الزفاف الجماعي. وتواظب قبائل الأطلس المركزي على تنظيم زيارات جماعية لهذه المراكز الدينية المشار إليها، بعد جني المحصول، وهي

263 - نفسه، ص. 43.

264 - نفسه، ص. 43.

265 - نفسه، ص. 126، 127.

266 - أحمد التوفيق، م. س، ص. 426.

بمثابة مواسم معروفة عند قبائل الأطلس المركزي، ولكل منطقة مركزها الديني أو مراكزها الدينية المؤثرة، التي تنظم إليها هذه الزيارات الجماعية. نستنتج كذلك، أن من أهم المراكز الدينية التي كانت تحظى بالزيارات الجماعية والمؤثرة بشكل كبير، نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، بالأطلس المركزي نجد كل من أسرة "ال أمهاوش"، وأسرة سدي الطيبي الصوفية، ومولاي بوعزة ببلاد آيت أمالو وزيان الخاضعين لتأثير الدرقاوية وزاوية سيدي علي إبراهيم ببني عياط، وزاوية سيدي امحمد الشرقي بأبي الجعد، وزاوية سيدي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، وزاوية تناغملت بانتيفة، والزاوية الحنصالية وفروعها في مخلف مناطق الأطلس المركزي.

خاتمة الفصل الثاني

من أبرز الخلاصات التي توصلنا إليها بخصوص هذا الفصل، هو صعوبة منح احتفال المواسم الاحتفالية مفهوم واحد وشامل، بفعل الطبيعة المركبة والمعقدة التي تتميز بها هذه المواسم. غير أن المتفق عليه، هو أن احتفالية الموسم خاصة من خصوصيات الشعوب العالم القديم، وخاصة المجتمعات المغاربية. وكانت معروفة لدى الحضارات والشعوب القديمة، في كل من مصر والشام وبلاد الإغريق وفارس وبلاد الجريد، وشبه الجزيرة العربية... ويرجع ارتباطها بالمعتقدات والطقوس الوثنية القديمة، التي كانت في الأصل مواسم طقوسية احتفالية فلاحية تعبدية، هدفها وقاية الحقول، وتحقيق الخصوبة والاستسقاء.

وشهدت احتفال المواسم تطورات كبرى بعد الفتح الإسلامي للمنطقة، ارتبطت أساسا بمحاولات تكيف وإدماج الثقافات المحلية وخاصة المواسم الاحتفالية في الدين الجديد، ورغم صعوبة تحقيق ذلك، لكون الإسلام السني ينبذ المعتقدات غير التوحيدية، ويرفض كل أشكال الوثنية، غير أن الحركة الصوفية مند الفترة الموحدية، تمكنت من تذليل الصعاب وتسامح البعض من شيوخها مع العامة لممارسة الطقوس والعبادات، بل وجعلها من ممارسة إسلامية محمودة. وهكذا بدأت تترسخ عادات ارتباط المواسم بالأولياء والأضرحة والزوايا الطرقية شيئا فشيئا منذ القرن 12م.

وكان للمراكز الدينية بالأطلس المركزي، دور كبير في تقريب الثقافة المحلية بما فيها المواسم الاحتفالية بالدين الإسلامي. وكان للزوايا ذات لها نفوذ كبير بمجال الأطلس خلال القرنين 16م و17م دور في تسهيل ارتباط المواسم الاحتفالية بالزوايا والأضرحة...

ومن الخلاصات المهمة التي توصلنا إليها أن الانتشار الواسع للزوايا والأضرحة والمواسم خلال القرنين 18م و19م، يمكن إرجاعه إلى عدم الاستقرار الأوضاع المغربية بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل، حيث اتسعت فيها السلطة الروحية والسياسية للأولياء وشيوخ الزوايا، مما مهد لظهور طرق صوفية جديدة، وتشجيعها للمواسم والطقوس الاحتفالية المصاحبة لها وهذا ما سهل عليهم إدماج الاحتفالات الموسمية الفلاحية القديمة في مشاريعهم الدينية والسياسية. وهكذا أصبحت مؤسسة الولي الصالح، قاعدة أساسية في التركيبة الثقافية في الأطلس المركزي، خلال القرنين 18م و19م، رسخت اعتقاد السكان في بركة الأولياء. وكانت المواسم الاحتفالية بالأطلس المركزي نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م، سواء المتعلقة بالمسلمين أو اليهود، تؤطرها مراكز دينية أهمها: أسرة "ال أمهاوش"، وأسرة سدي الطيبي الصوفية، ومولاي بوعزة وزاوية سيدي علي إبراهيم ببني عياط، وزاوية سيدي امحمد الشرقي بأبي الجعد، وزاوية سيدي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، وزاوية تناغمت بانتيفة، والزواوية الحنصالية وفروعها في مخلف مناطق الأطلس المركزي.

المواسم بالأطلس المركزي، جردها
وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

الفصل
الثالث

الواسم المنظمة بالأطلس المركزي خلال القرن 20م ومطلع
القرن 21م

البحث
الأول

تصنيف مواسم الأطلس المركزي

البحث
الثاني

مورفولوجية الواسم خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م

البحث
الثالث

اهتمامات فئات المجتمع بظاهرة الواسم

البحث
الرابع

مقدمة الفصل الثالث

كانت القبائل تسهر على تنظيم العديد من المواسم بالأطلس المركزي خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، وتتميز هذه الاحتفالات بتشابه في بنياتها المورفولوجية. لدى يروم هذا الفصل التعريف بأهم المواسم والمهرجانات المنظمة في هذه الفترة بالأطلس المركزي، وحتى المواسم المنظمة بسهل تادلا السفلى المجاور للأطلس المركزي، بسبب التداخل والتفاعل الثقافي بين قبائل دير وجبال الأطلس المركزي من جهة، وقبائل سهل تادلا من جهة ثانية، خاصة العلاقات الثقافية التي نسجتها الحركة الصوفية، التي تظهر في احتفالات مواسم الزوايا والأضرحة.

واتضح أن هذه المواسم تخلف من حيث أهدافها ومواعيد انعقادها، لذلك قمنا بتصنيفها بناء على معايير، وخاصة التحقيب المتبع في تنظيم هذه المواسم. وقد أبرز لنا هذا التصنيف في عمقه خصوصيات هذه المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م. ووضحنا في المباحث الأخيرة، بالوصف والتحليل مميزات التنظيم المورفولوجي للمواسم بالأطلس المركزي، والتحويلات المرتبطة بهذا التنظيم خلال القرن 20 وبداية القرن 21م، بما في ذلك التحويلات الرمزية التي يظهرها التنظيم المورفولوجي للمواسم. وقد أتاح لنا هذا التنظيم المورفولوجي، معرفة غنى وتنوع الطقوس ومظاهر الاحتفال، الشيء الذي ترتب عنه تباين في اهتمامات مختلف فئات المجتمع تجاه تظاهرات المواسم بالأطلس المركزي، سواء النساء أو الشباب المراهق، وحتى بالنسبة للأطفال.

البحث الأول: جرد لأهم مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي خلال القرن

20م ومطلع القرن 21م

يطرح هذا المبحث مجموعة من الإشكالات، أبرزها قلة المادة المصدرية والمرجعية الإحصائية، التي لم تسعفنا في إعطاء أرقام إحصائية دقيقة حول عدد المواسم والمهرجانات المقامة بمجال الأطلس المركزي، خاصة في فترة الحماية.

ورغم هذه الندرة في المعطيات الإحصائية، حاولنا استغلال بعض المعطيات الإحصائية القليلة والذاكرة لتجاوز هذه الثغرة، لجرد لأهم المواسم والمهرجانات الاحتفالية المنظمة بالأطلس المركزي، وصنفناها إلى ثلاث فترات تاريخية، تتعلق الفترة الأولى، بمرحلة الحماية ما بين 1912-1956م. ثم

الفترة الثانية وسميها بمرحلة النصف الثاني من القرن 20م. والمرحلة الثالثة، وسميها بفترة مطلع القرن 21م.

إلى جانب ذلك، أضفنا جردا للمواسم المنظمة بسهولة تادلا السفلى، لما نراه من ضرورة في ذلك، حيث لاحظنا تداخلا وتفاعلا ثقافيا واضحا بين قبائل السهل والدير والجبل بالأطلس المركزي. خاصة العلاقات الثقافية التي نسجتها الحركة الصوفية، التي تظهر خيوط هذه العلاقات في احتفالات مواسم الزوايا والأضرحة. هذا التداخل أفرز وضعاً يصعب من خلاله دراسة كل مجال على حدة، دون التطرق للعلاقات التي تربط بين القبائل السهلية، وقبائل الجبال والدير خاصة في المواسم الاحتفالية بالأطلس المركزي.

1 - جرد لأهم مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي خلال النصف الأول من القرن 20م

من خلال وقوفنا على بعض المصادر والمراجع التي تعود لبداية القرن 20م، لم نعثر فيها على إحصائيات شاملة حول عدد المواسم المقامة بالمغرب عموماً، ومجال الأطلس المركزي على وجه الخصوص، باستثناء الدراسة التي قام المصطفى الرايس حول الزوايا والطرفية خلال فترة الحماية. الذي جرد مجموعة من المواسم المغربية المقامة في منطقة الحماية الفرنسية اعتماداً على الصحف العربية التي ترجع إلى تلك الفترة¹.

حاولنا استثمار هذه الدراسة، والأرشيف الكولونيالي، سواء المتعلق بالتقارير السياسية، أو التي كانت تتناول الصحف بخصوص المواسم خلال فترة الحماية. كما انفتحنا على الذاكرة الجماعية لتعزيز وتدعيم المادة التي اعتمدها. والهدف محاولة القيام بجرد شامل للمواسم التي كانت تقام بالأطلس المركزي، خلال فترة الحماية.

ولإشارة أن المادة الصحفية التي ترجع للفترة الاستعمارية، تتضمن إشارات مهمة حول المواسم المقامة في كامل التراب الوطني، وخصوصاً جريدة السعادة الناطقة بلسان سلطات الحماية، التي أوردت مواد عديدة حول المواسم بالمغرب عموماً، والأطلس المركزي على وجه الخصوص. بناء على

1 - أنظر : المصطفى الرايس. الزوايا والطرق الصوفية. من خلال الصحافة الصادرة بمنطقة الحماية الفرنسية. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ. كلية الآداب الجديدة، سنة 2012م.

هذه المادة المرجعية، تقدر المواسم المنظمة في المناطق التي كانت خاضعة لسلطات الحماية الفرنسية ما بين 1912-1956م إلى حوالي 120 موسم. أما أهم المواسم التي كانت تعقد بالأطلس المركزي والمناطق المجاورة خلال فترة الحماية هي كالتالي:

- موسم سيدي الصغير بالمنيار بابزو، الذي يقام خلال شهر مارس. بتاريخ 24 مارس 1945. الذي يقام تخليدا لذكرى وفاة الشيخ سيدي علي بن إبراهيم، بيد أن مراسل جريدة السعادة نسب هذا الموسم لبلدة بزو، بينما يعقد الموسم في موضع أكرض ببني عياض².

- موسم مولاي بوعزة، الذي كان ينعقد شهر مارس، وقد تغير زمن انعقاده في يومنا هذا وأصبح يعقد في شهر أبريل³.

- موسم سيدي امحمد الشرقي بأبي الجعد، الذي كان ينظم شهر يونيو من كل سنة، ويعتبر تخليدا لذكرى وفاة الشيخ سيدي محمد الشرقي. وقد عرف الموسم توشيح عدد من قواد المنطقة بأوسمة جوقة الشرف من درجة فارس، كما تم تقديم التلاميذ الناجحين في المدرسة الفلاحية لرئيس المراقبة الذي هناهم بمناسبة نجاحهم⁴.

- موسم سيدي محمد البصير بوادي زم، الذي يقام شهر غشت، كذكرى وفاة الشيخ محمد البصير، وقد حضره رئيس الدائرة وشخصيات مدنية وعسكرية⁵.

- موسم سيدي موسى بن قرقور، ببني مسكين، الذي يقام شهر أكتوبر، تخليدا لذكرى وفاة سيدي موسى بن قرقور⁶.

- موسم سيدي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، الذي ينعقد منتصف شهر مارس، وحضره القائد محمد بن إيشوا، وحاكم آيت عتاب كرندي، الذي سهر على إنجاح هذا الموسم بكل حزم، كما حضره حاكم دائرة أزيلال الكمندان لنز، والقبطان أبريا، بالإضافة إلى قاضي المنطقة والعدول والشيوخ والمقدمين⁷.

2 - جريدة السعادة، العدد 6368، بتاريخ 24 مارس 1945.

3- Le petit marocain, N 5867, 08 Mars 1934, p. 8.

4 - جريدة السعادة، العدد 7590، بتاريخ 28 يونيو، 1949.

5 - جريدة السعادة، العدد 7665، بتاريخ 20 شتنبر، 1949.

6 - جريدة السعادة، العدد 7701، بتاريخ 01 نونبر، 1949.

7 - جريدة السعادة، العدد 5207، بتاريخ 22 مارس 1941.

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

هذه نماذج لبعض المواسم التي احتفظ لنا بها الأرشيف الخاص بفترة الحماية. لكن يبقى السؤال مطروحا حول الغياب الكبير لعدد من مواسم منطقة الأطلس المركزي مقارنة بالمواسم التي تعقد في جهات أخرى، خاصة منطقة الغرب وفاس ومكناس من جهة، ومقارنة بالعدد الكبير من المواسم المنظمة اليوم.

وجهنا أسئلتنا هذه إلى شيوخ المنطقة⁸، وتضمنت شهادتهم أجوبة مطمئنة، إذ أكد لنا أغلبهم أن عدد المواسم في فترة الحماية كان قليلا مقارنة بفترة ما بعد 1956م، وتحدثوا لنا عن المواسم العريقة التي كانت معروفة ومستمرة إلى يومنا هذا، والتي فعلا تطرق إليها الأرشيف المشار إليه، ومن أهمها:

جدول رقم 1: عدد المواسم والمهرجانات المنظمة بالأطلس المركزي وتادلا خلال فترة الحماية

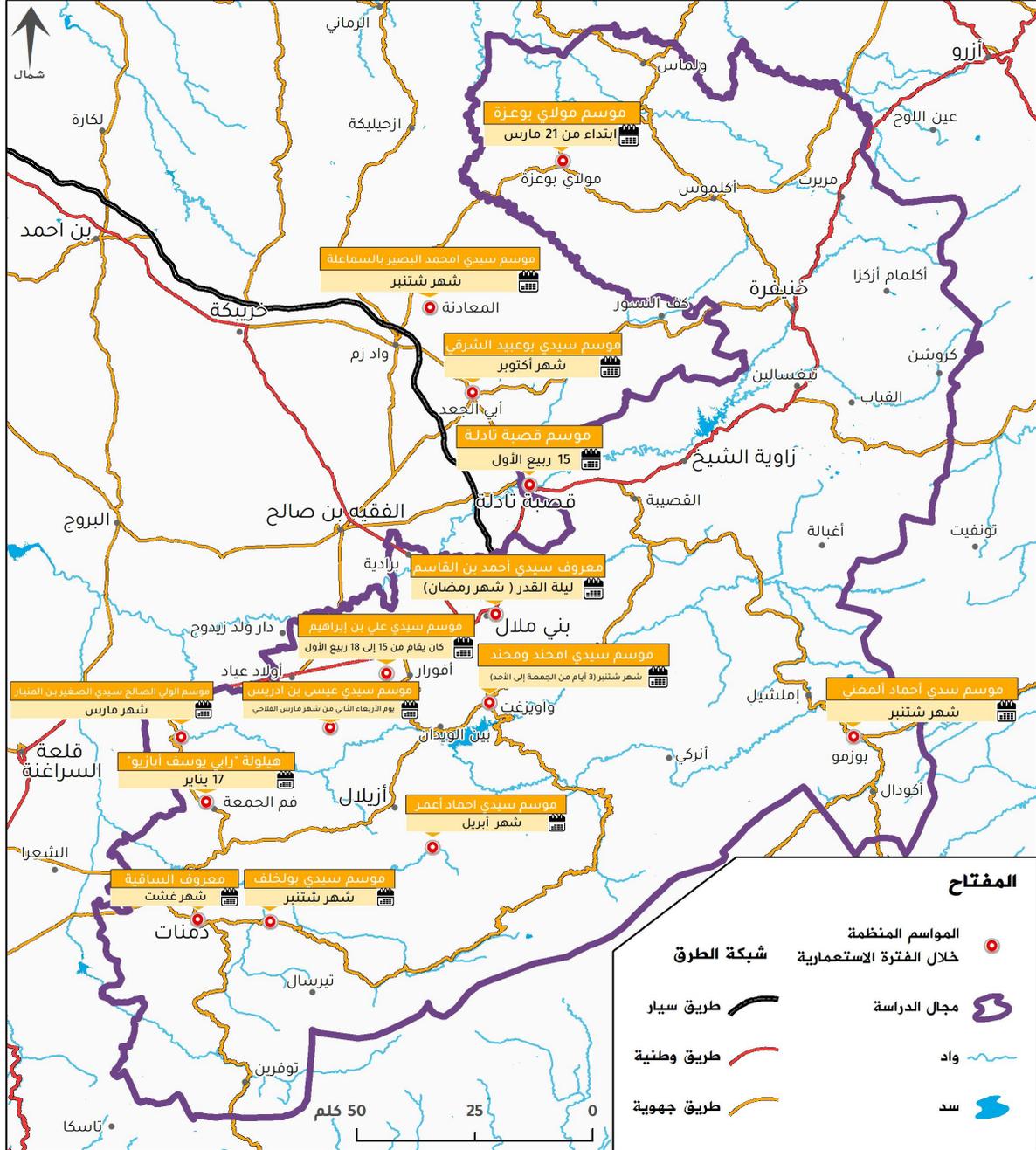
إسم الموسم	التوطين الجغرافي	تاريخ التنظيم
1 - معروف سيدي أحمد بن القاسم	الصومعة - مدينة بني ملال-	ليلة القدر (شهر رمضان)
2 - موسم قصبة تادلة	مدينة قصبة تادلة	15 ربيع الأول
4 - موسم آيت أمّ البخت	الجماعة الترابية لآيت أمّ البخت	عيد المولد النبوي
5 - موسم سيدي بوعبيد الشرقي	مدينة أبي الجعد	شهر أكتوبر
6 - الموسم سيدي امحمد البصير بالسماعلة	جماعة المعادنة وادي زم	شهر شتنبر
6 -موسم مولاي بوعزة	جماعة مولاي بوعزة	ابتداء من 21 مارس
7 -موسم سيدي علي بن إبراهيم	دوار أكرط، جماعة بني عياط	يقام من 15 إلى 18 ربيع الأول.
8 -موسم سيدي عيسى بن إدريس	جماعة مولاي عيسى بن إدريس آيت عتاب	يوم الأربعاء الثاني من شهر مارس الفلاحي
9 -موسم سيدي امحمد ومحمد	جماعة واويزغت	شهر شتنبر (3 أيام من الجمعة إلى الأحد)
10 -موسم سيدي احمد أعمر	جماعة آيت امحمد	شهر أبريل
11 -موسم سيدي الصغير بن المنيار	جماعة ابزو	منتصف شهر مارس

8 - شملت الرواية الشفوية المعتمدة على مجموعة من المسنين والمسنات من جميع أقاليم الجهة: إقليم أزيلال وإقليم بني ملال وإقليم خريبكة وإقليم خنيفرة.

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

12 - هيلولة "رابي يوسف أبازيو"	جماعة فم الجمعة	17 يناير
13 - موسم سيدي بولخلف	جماعة سيدي بولخلف	شهر شتنبر
14 - معروف الساقية	دوار أيت أمغار / دمنات	شهر غشت
15 - موسم سدي أحمد المغمني	جماعة بوزمو إملشيل	شهر شتنبر

الخريطة رقم 2: أهم المواسم والمهرجانات المنظمة بالأطلس المركزي خلال فترة الحماية⁹



9 - خريطة من إنجاز الباحث.

نرجح بشكل كبير أن تكون المواسم المدرجة في الجدول رقم 1، هي التي كانت تعقد في الفترة الاستعمارية حسب ما جاء في المادة المصدرية المكتوبة، وما احتفظت به الذاكرة الجماعية في هذا الموضوع. وتجدر الإشارة، إلى أن بعض المواسم التي كانت تعقد في الفترة الاستعمارية توقفت لأسباب عدة مادية اقتصادية وسياسية، منها على سبيل المثال لا الحصر، توقف موسم سيدي احديدو بآيت عتاب وغيرها من المناطق، لكن الواضح أن عدد المواسم المنظمة خلال الفترة الاستعمارية بالأطلس المركزي كان أقل مقارنة بفترة الاستقلال.

2 - جرد لأهم مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي خلال النصف الثاني من القرن 20م

إن جمع إحصائيات شاملة ودقيقة، حول عدد المواسم والمهرجانات المنظمة بالأطلس المركزي خلال النصف الثاني من القرن 20م، يطرح مجموعة من الصعوبات، تدور حول ندرة وعمومية المعطيات الإحصائية المتعلقة بهذا الموضوع. إلا أننا حاولنا الوصول إلى بعض هذه المعطيات حول عدد المواسم والمهرجانات التي تعود إلى هذه الفترة، والتي تخص بعض أقاليم الأطلس المركزي. الجدول رقم 2: عدد المواسم والمهرجانات المنظمة بالمغرب في النصف الثاني من القرن 20م¹⁰.

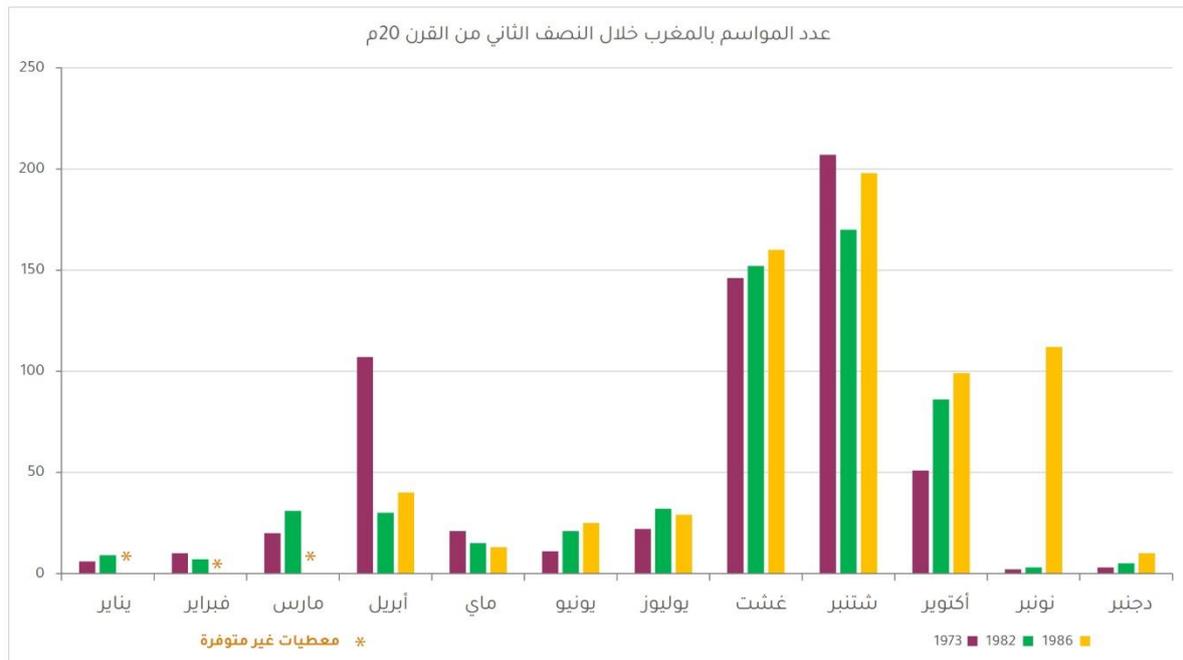
الشهر	عدد المواسم سنة 1973	%	عدد المواسم سنة 1982	%	عدد المواسم سنة 1986	%
يناير	06	% 1.00	09	% 1.30	-	-
فبراير	10	% 1.70	07	% 1.00	-	-
مارس	20	% 3.30	31	% 4.60	-	-
أبريل	107	% 17.70	30	% 4.50	40	% 5.80
ماي	21	% 3.50	15	% 2.20	13	% 1.90
يونيو	11	% 1.80	21	% 3.10	25	% 3.60
يوليو	22	% 3.60	32	% 4.70	29	% 4.20

10 - أرشيف وزارة السياحة المغربية، سنة 1973م؛ وأرشيف وزارة الداخلية المغربية (سنة 1982م)؛ أرشيف المكتب الوطني المغربي للسياحة (سنة 1986م).

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

غشت	146	% 24.10	152	% 22.60	160	% 23.30
شتنبر	207	% 34.20	170	25.20	198	% 28.90
أكتوبر	51	% 8.40	86	% 12.80	99	% 14.40
نونبر	02	% 0.30	03	% 0.50	112	% 16.30
دجنبر	03	% 0.50	05	% 0.70	10	% 1.50
المولود	-	-	115	% 16.80	-	-
المجموع	606	% 100	674	% 100	647	% 100

المبيان رقم 1: عدد المواسم والمهرجانات المنعقدة بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن 20م¹¹



يتبين من خلال الجدول رقم 2، والمبيان رقم 1، أن الغالبية العظمى من المواسم تقام خلال شهر غشت وسبتمبر وأكتوبر. وللإشارة، يجب الأخذ بعين الاعتبار فترات شهر رمضان عند قراءة هذه المعطيات الإحصائية، حيث لا يتم تنظيم أي موسم ومهرجان خلال شهر رمضان. وهذا ما لاحظناه في السنوات المشار إليها في الجدول الثاني. ففي سنة 1973م، امتد شهر رمضان من 28 شتنبر إلى 27 أكتوبر، وفي سنة 1982م، وامتد شهر رمضان من 23 يونيو إلى 22 يوليوز، وفي عام 1986م، امتد شهر

11 - أرشيف وزارة السياحة المغربية (سنة 1973م): وأرشيف وزارة الداخلية المغربية (سنة 1982م): وأرشيف المكتب الوطني المغربي للسياحة (سنة 1986م).

رمضان من 15 ماي إلى 14 يونيو.

وتجدر الإشارة، أن مواسم عيد المولد النبوي يمكن أن تنظم مرتين في السنة الشمسية والواحدة، وعلى سبيل المثال: كان الاحتفال بمواسم عيد المولد النبوي بتاريخ 15 أبريل سنة 1973م، و08 يناير و28-دجنبر سنة 1982م، و24 نونبر 1986م، مع العلم أن السنة الهجرية الإسلامية فيها حوالي 354 يوما. ومن تم يظهر أن تنظيم احتفالات عيد المولد النبوي حدثت مرتين خلال السنة الشمسية 1982م¹².

الجدول رقم 3: مجموع المواسم المنظمة في لكل من غشت وسبتمبر وأكتوبر¹³:

الشهور	عدد المواسم		عدد	
	سنة 1973	%	سنة 1982	%
غشت	146	24.10 %	152	22.60 %
شتنبر	207	34.20 %	170	25.20 %
أكتوبر	51	8.40 %	86	12.80 %
المجموع	404	66.7 %	408	60.6 %

ويلاحظ تفاوت بسيط في مواعيد تنظيم المواسم من منطقة إلى أخرى، تبعا لنوعية المحاصيل وبداية موسم الحصاد. والغالب أن هذه المواسم تقام وفق التقويم الزراعي التي ترتبط بالزمن الثابت للسنة الشمسية، إلا إذا كان الأمر يتعلق بتزامن شهر رمضان مع هذه الفترة، وقد تحدث هناك تغييرات، لكون تنظيم المواسم تتوقف خلال شهر رمضان بداعي الصيام¹⁴.

12 - أرشيف وزارة السياحة المغربية (سنة 1973م); وأرشيف وزارة الداخلية المغربية (سنة 1982م); وأرشيف المكتب الوطني المغربي للسياحة (سنة 1986م).

13 - نفسه.

14 - ذكر Westermarck Edward أن تغير مواعيد انعقاد المواسم عادة معروفة بالمغرب مطلع القرن 20م. وتحدث عن تعجيل لموعدها انعقاد أحد المواسم عام 1909م. أنظر: Westermarck Edward, op. cit. p. 176. وأشارت الباحثة الهولندية REYSOO إلى تعجيل موعد انعقاد موسم مولاي بوسهام سنة 1987. حيث تم تنظيمه خلال شهر أبريل. على عكس موعده المعتاد في شهر ماي. بسبب حلول شهر رمضان. Fenneke REYSOO, Des moussems..., op, cit, p p. 225-234.

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

إن التوزيع السنوي للمواسم في حركية تماشياً مع التقويم الشمسي، والواقع أن ما بين 16% إلى 17% من المواسم، انعقدت في أبريل سنة 1973م، وفي يناير ودجنبر عام 1982م، وفي نوفمبر من سنة 1986م، ويتعلق الأمر بالمواسم المرتبطة بعيد المولود، التي تقام حسب التقويم الإسلامي. وللإشارة، فقد قدمت فوزارة السياحة بيانات حددت فيها مواسم أخرى، تقام خلال فصل الصيف ما بين سنتي 1973م و1986م، ومن المحتمل أن تكون وزارة الداخلية تهدف من وراء ذلك، أن تتزامن هذه المواسم مع فعاليات ثقافية أخرى.

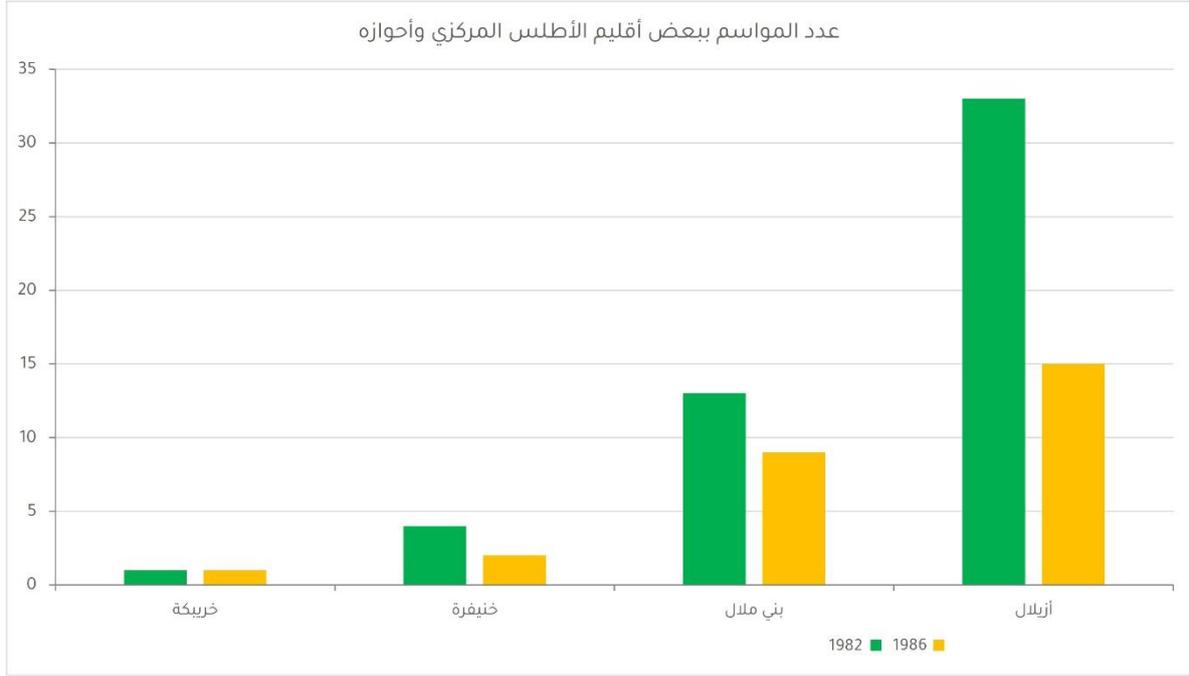
أما فيما يتعلق بمواسم المنطقة التي ترجع إلى فترة الثمانينات، فهي قليلة مقارنة بالفترة الراهنة، ويرجع سبب ذلك حسب الرواية الشفوية، إلى انتشار الجفاف، وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للسكان، ويمثل الجدول أسفله بعض المواسم المنظمة بأقاليم الأطلس المركزي وأحوازها.

الجدول رقم 4: عدد المواسم ببعض أقاليم الأطلس المركزي وتادلا خلال سنتي 1982 - 1986¹⁵

الإقليم	عدد المواسم 1982	% من مجموع المواسم وطنيا	عدد المواسم 1986	% من مجموع المواسم وطنيا
خريبكة	01	0.1 %	01	0.2 %
خنيفرة	04	0.6 %	02	0.6 %
بني ملال	13	1.8 %	09	1.3 %
أزيلال	33	4.7 %	15	2.2 %
المجموع	51	7.2 %	27	4.3 %

15 - أرشيف وزارة الداخلية المغربية (سنة 1982م): وأرشيف المكتب الوطني المغربي للسياحة (سنة 1986م).

المبيان رقم 2 عدد مواسم الأطلس المركزي وتادلا خلال سنتي 1982م - 1986م¹⁶



3 - جرد لأهم مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي مطلع القرن 21م

قامت المديرية الجهوية للثقافة لجهة تادلا أزيلال خلال تسعينيات من القرن 20م، بجرد للعديد من مواسم بإقليمي الجهة، أزيلال وبني ملال، قبل إحداث إقليم الفقيه بن صالح، وكان عدد المواسم بإقليم أزيلال حوالي 13 موسما، سنة 1999م، بينما كان عددها 11 موسما بإقليم بني ملال في نفس السنة¹⁷. غير أن هذه الإحصائيات تبقى غير تامة، وتفتقد إلى التدقيق الزمني والمجالي. لذلك، عملنا سنة 2012 على جرد كل المواسم والمهرجانات المنعقدة بجهة تادلا أزيلال، قبل إحداث الجهة الجديدة بني ملال - خنيفرة 2015م، وكان عدد المواسم المنظمة سنة 2012م حوالي 70 موسما¹⁸.

عملنا سنة 2019م، بجرد جميع المواسم والمهرجانات، بتعاون مع المديرية الجهوية للثقافة بني ملال - خنيفرة، مصلحة التراث، التي كانت مطالبة بجمع هذا التراث الثقافي في مختلف جهات

16 - نفسه.

17 - أرشيف المديرية الجهوية لوزارة الثقافة المغربية جهة تادلا أزيلال (سنة 1999م).

18 - حسن آيت علي، الموروث الثقافي بجهة تادلا أزيلال المواسم نموذجا، بحث مرقون لنيل شهادة الماستر المتخصص في التاريخ والتراث الجهوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، سنة 2013.

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

المملكة، استجابة للمراسلة الوزارية رقم 129-20، التي نصت على ضرورة جرد هذه المواسم والمهرجانات بفعل أهميتها التراثية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية. ويمثل الجدول أسفله جرد لأهم المواسم بالأطلس المركزي خلال سنتي 2018م-2019م.

الجدول رقم 5: أهم المواسم بالأطلس المركزي خلال سنتي 2018م-2019م.

اسم الموسم	التوطن الجغرافي	تاريخ التنظيم	فقرات الموسم ، وأبعاده التراثية والثقافية
موسم مولاي بوعزة	إقليم خنيفرة جماعة مولاي بوعزة	ابتداء من 21 مارس - يستمر طيلة شهر أبريل	يتميز هذا الموسم بالغنى من حيث الطقوس الاحتفالية مثل: طقوس زيارة الضريح "الساحة" و"الحجرة" المنسوبة للولي مولاي بوعزة. يتميز هذا الموسم أيضا، بعدد غفير من الزوار، وشهرة تاريخية وتراثية وثقافية جهويا ووطنيا.
موسم سيدي بوعباد	إقليم خنيفرة قرية سيدي بوعباد جماعة سيدي لامين	شهر شتنبر	من فقرات هذا الموسم، ممارسة طقوس زيارة ضريح سيدي بوعباد، وعروض في فن التبوريدة التقليدية، إضافة إلى فنون الرقص والغناء الأمازيغي.
الأسبوع الثقافي لمدينة مريرت	إقليم خنيفرة مدينة مريرت	شهر غشت	يعرض المنظمون خلال هذا المهرجان لوحات فنية حية من التراث المحلي تبرز دورة إعداد المنتوجات الصوفية، وورشات تراثية كطريقة مخض الحليب، وعملية درس القمح، ولوحات عن العرس الأمازيغي المحلي... إضافة لوحات من تراث رقصة أحيديوس المحلي.
"أجموع إعرّيمن" أو "أمنوكار إعرّيمن"	إقليم خنيفرة قبيلة آيت سيدي احمد أحمد عوام / جماعة الحمام.	4 غشت المدّة	من فقرات هذا الموسم، إحياء مجموعة من التقاليد الجماعية لدى قبيلة آيت سيدي احمد أو احمد، حيث يتمّ في هذا اللقاء نصب الخيام التقليدية، وتحضير الطعام التقليدي بحضور فرقة "أحيديوس" المحلية. بالإضافة إلى طقس تنصيب "أمغار" حيث يلبسونه البرنس كرمز للمسؤولية. ويعد "أجموع إعرّيمن"، تقليدا سنويا مرتبط بمؤسسة أمغار القبيلة التي تسعى للحفاظ على قيم القبيلة، والبتّ في النزاعات التي تنشأ بين السكان حول المراعي والمياه. تجتمع القبيلة سنويا لانتخاب مجلس القبيلة الجديد، الذي يتكوّن من أمغار وممثّلين عن جميع الفخذات يسمّون إيمساين.

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

من أهم ما يتضمن هذا المهرجان، تنظيم مسابقة في الصيد وفنون العرض التراثية، وعقد ندوات علمية حول الثقافة الأمازيغية. ويعد المهرجان مناسبة لالتقاء فنانيين وشعراء مبدعين تراثيين: إمدياز. وللإشارة فهو مهرجان دولي حديث العهد، يسعى إلى التعرف بالثقافة الأمازيغية ومعالمها الحضارية والتاريخية.	إقليم خنيفرة أجدير/جماعة أكلامم أزكزا شهر أكتوبر	مهرجان "إيزوران"
من أهم فقرات هذا المهرجان، تنظيم عروض في فن التبوريدة التقليدية. وعروض تتضمن لوحات من فن أحيديوس وفنون أخرى. علاوة على معارض للصناعة التقليدية. ويهدف هذا المهرجان للتعريف بالتراث المحلي للمنطقة وبمؤهلاتها السياحية.	إقليم خنيفرة جماعة أيت إسحاق شهر غشت	مهرجان "تايمات للثقافة الأمازيغية"
من أبرز فقرات هذا المهرجان، عروض فن التبوريدة التقليدية. ومعرض لمنتجات الصناعة التقليدية المحلية. وتعد على هامش هذا المهرجان، ندوات حول تاريخ وتراث المنطقة، وقراءات شعرية أمازيغية "إمدياز".	إقليم خنيفرة جماعة تغساليين شهر يوليوز	مهرجان "تامونت"
يتميز هذا الموسم بممارسة طقوس الذبيحة، وزيارة الضريح، والفروسية التقليدية. إضافة إلى عروض فن الحلقة، وسهرات موسيقية تحيها فرق موسيقية محلية خصوصا (عبيدات الرمي...) ويعقد الموسم كذكرى المولد النبوي.	إقليم أزبلا دوار أكرط، جماعة بني عياط يقام من 15 إلى 18 ربيع الأول.	موسم سيدي علي بن إبراهيم
من فقرات هذا الموسم، تنظيم عروض فن التبوريدة التقليدية، وفن موسيقى (أحيديوس) وتمديازت (قراءات شعرية أمازيغية).	جماعة أفورار إقليم أزبلا خلال شهر أكتوبر	موسم سيدي عبد الله بن أحمد
يتضمن هذا المهرجان عروض فن التبوريدة التقليدية، وفنون تراثية من قبيل: (الأهازيج الفلكلورية المحلية فرق أحيديوس وفرقة بوغانيم). وللإشارة فإن هذا المهرجان حديث النشأة، يهدف إلى التعرف بالمنطقة وبمؤهلاتها الكبيرة على المستوى السياحي. كما يعتبر	جماعة بين الويدان إقليم أزبلا خلال شهر ماي	المهرجان الربيعي لبيين الويدان

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

مناسبة للتواصل مع مختلف القبائل المجاورة.		
<p>هذا الموسم، احتفاء بسيدي عيسى بن إدريس الثاني، ويتضمن فقرات من تراث التبوريدة التقليدية، وطقوس زيارة ضريح الولي، إضافة إلى فن الحلقة...</p>	<p>جماعة مولاي عيسى بن إدريس آيت عتاب إقليم أزيلال</p>	<p>يوم الأربعاء الثاني من شهر مارس الفلاحي¹⁹</p>
<p>هو موسم حديث العهد كانت نسخته الأولى سنة 2010. ومن أبرز فقراته عروض فن التبوريدة التقليدية. ويعد هذا الموسم معرضا المنتوجات اليدوية التقليدية.</p>	<p>جماعة تاونزة - آيت عتاب - إقليم أزيلال</p>	<p>بداية شهر مارس</p>
<p>هو موسم ديني، تمارس فيه العديد من الطقوس، وخاصة طقوس زيارة الضريح والاستحمام المقدس، ويتميز كذلك بعروض في التبوريدة التقليدية، والحلقة. والفرق الموسيقية المحلية منها: (فرقة أحيودوس المحلية...)</p>	<p>جماعة واويزغت إقليم أزيلال</p>	<p>شهر شتنبر (3 أيام من الجمعة إلى الأحد)</p>
<p>يعد هذا الموسم مناسبة لصلة الرحم بين مختلف شرفاء الزوايا. وفرصة بالنسبة للقبائل لزيارة ضريح الولي، والاحتفال والاستمتاع فنون (فرقة أحيودوس التقليدية المحلية...). ويعتبر الموسم أيضا مناسبة لاجتماع القبائل المجاورة قصد التشاور في القضايا ذات الاهتمام المشترك.</p>	<p>آيت داود أعلي - جماعة أنركي - إقليم أزيلال</p>	<p>شهر أكتوبر</p>
<p>من أهم فقرات هذا الموسم، تنظيم عروض في فن التبوريدة التقليدية، والاحتفاء بالموروث التقليدي المحلي</p>	<p>آيت بولمان - جماعة تاكلفت - إقليم أزيلال</p>	<p>شهر غشت</p>
<p>من أهم فقرات هذا الموسم، تنظيم عروض في فن التبوريدة التقليدية، والاحتفاء بالموروث التقليدي المحلي</p>	<p>آيت إصحا - جماعة تيلوكيت - إقليم أزيلال</p>	<p>شهر مارس</p>
<p>هذا الموسم التاريخي والثقافي، يتضمن عروض فن التبوريدة التقليدية، ورقصات أحيودوس، كما ينظم</p>	<p>جماعة آيت امحمد إقليم أزيلال</p>	<p>شهر أبريل</p>

19 - حدث تغيير في تاريخ إقامة موسم مولاي عيسى بن إدريس، حيث أصبح انعقاده في السنوات الأخيرة يتزامن مع العطلة البينية الثانية، أي نهاية شهر مارس، وبداية شهر أبريل.

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

على هامش الموسم معارض موضوعاتية وندوات فكرية.			
من أبرز فقرات هذا الموسم عروض فن التبوريدة التقليدية، وتنظيم سهرات فنية موسيقية تحيها، كل من فرق بوغانيم وفرق أحيديوس وفرق أحواش.	الأسبوع الأخير من مارس الفلاحي	جماعة أيت عباس إقليم أزيلال	موسم سكاظ
يتضمن هذا الموسم مادة تراثية غنية خاصة فرق أحيديوس المحلية، وعروض فن التبوريدة التقليدية.	الأسبوع الأخير من شهر مارس الفلاحي	جماعة تامدة نومرصيد إقليم أزيلال	موسم تامدة نومرصيد
من أبرز فقراته، تنظيم عروض فن التبوريدة التقليدية، وتنظيم حفلات وسهرات موسيقية ليلية من الفرق الموسيقية المحلية والجهوية.	شهر غشت	جماعة واولي إقليم أزيلال	موسم سيدي خلوف
يعتبر هذا الموسم بمثابة، معرض خاص للتعريف بالمنتجات المحلية خصوصا منتج العسل واللوز، وعلى هامش المعرض يسهر المنظمون على عرض لوحات من فن التبوريدة التقليدية. كان يعرف بـ"موسم العسل أو موسم اللوز" وكان يقام في 15 يوليوز، حاليا أصبح مهرجانا يهدف إلى التعريف بالمنتجات المجالية التي تزرع بها جماعة تناننت.	أواخر شهر غشت	جماعة تناننت إقليم أزيلال	مهرجان تناننت
من أبرز فقراته، عروض فن التبوريدة التقليدية، وتنظيم حفل ديني للإحتفال بالمولد النبوي.	اليوم السابع بعد عيد المولد النبوي	جماعة انزو إقليم أزيلال	موسم سيدي مالك
من المهرجانات المستحدثة، ويتضمن عروض فن التبوريدة التقليدية، وعلى هامشه معارض للصناعة التقليدية اليدوية، والهدف من إقامته، التعريف بالموروث الثقافي والحرفي المحلي.	شهر نونبر	جماعة انزو إقليم أزيلال	المهرجان الثقافي والسياحي ابزو
هو من المواسم الدينية المشهورة في الجهة، ومن أهم فقراته، عروض فن التبوريدة التقليدية، وتنظيم مسابقات في تجويد القرآن الكريم، وعقد ندوات علمية ودينية وأمسيات في السماع والمديح، يهدف المنظمون من إقامة الموسم إبراز المقومات الدينية والتراثية للزاوية.	شهر مارس	جماعة ابزو إقليم أزيلال	موسم الولي الصالح سيدي الصغير بن المنيار
من أبرز فقرات هذا الموسم، تنظيم عروض فن التبوريدة التقليدية، ومعارض للصناعة التقليدية.	الأسبوع الأول من شهر شتنبر	جماعة أيت تكلا إقليم أزيلال	موسم أيت تكلا
هو من المواسم اليهودية المشهورة في إقليم أزيلال، ويتضمن طقوس زيارة ضريح "رابي يوسف أبازيو"، ويعد	17 يناير	جماعة فم الجمعة إقليم أزيلال	هيلولة "رابي يوسف أبازيو"

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

ملتقى ثقافي بالنسبة لليهود المغاربة.

يعتبر هذا الموسم متنفسا بالنسبة للسكان المحلية خلال فصل الصيف، ويتضمن الموسم عروض فن التبوريدة التقليدية. وتنظيم سهرات موسيقية ليلية "الشيخات".	شهر غشت	جماعة سيدي بولخلف إقليم أزيلال	موسم سيدي بوعلي
يعتبر هذا الموسم متنفسا بالنسبة للسكان المحلية خلال فصل الصيف، ويتضمن الموسم عروض فن التبوريدة التقليدية. وتنظيم سهرات موسيقية ليلية "الشيخات".	شهر شتنبر	جماعة سيدي بولخلف إقليم أزيلال	موسم سيدي بولخلف
يعتبر هذا الموسم متنفسا بالنسبة للسكان المحلية خلال فصل الصيف، ويتضمن الموسم عروض فن التبوريدة التقليدية. وتنظيم سهرات موسيقية ليلية "الشيخات".	شهر شتنبر	جماعة أيت ماجدن إقليم أزيلال	موسم سيدي صالح
يعتبر هذا الموسم متنفسا بالنسبة للسكان المحلية خلال فصل الصيف، ويتضمن الموسم عروض فن التبوريدة التقليدية. وتنظيم سهرات موسيقية ليلية "الشيخات".	الجمعة الرابعة من غشت	جماعة أيت ماجدن إقليم أزيلال	موسم سيدي عيسى
من أهم فقرات هذا الموسم، عروض فن التبوريدة التقليدية. ولوحات فنية من تراث أحواش، الدقة الدمنائية... وعلى هامش الموسم، عمل المنظمون على تنظيم معرض الصناعة التقليدية المحلية.	شهر أبريل	مدينة دمنات إقليم أزيلال	مهرجان ربيع أطلس دمنات "تيفراتين"
تؤثت ساحات هذا الموسم عروض فن التبوريدة التقليدية، وفرق موسيقية تراثية محلية : فرق أحواش، وفرق أحميدوس...	شهر شتنبر	"أسمسيل نوامان" - جماعة واولي- إقليم أزيلال	المهرجان الثقافي والسياحي لواولي
يعد هذا الموسم التاريخي، ملتقى سنوي بمقر إحدى الزاويتين العيساوية أو الحموشية. ومن أهم فقراته، تنظيم طقوس الذبيحة، وموكب الحضرة إضافة إلى إقامة "اليلة" الصوفية الشعبية.	شهر غشت من كل سنة والتناوب بين الطائفتين.	مدينة دمنات إقليم أزيلال	موسم عيساوية وحمادشة
يعد هذا الموسم التاريخي، وسيلة من بين الوسائل التي تدبر بها قبائل دمنات مجلاتها، حيث تواظب قبيلة أيت أمغار "منبع الساقية" على إستقبال فلاحي ايت إحيى دمنات "مصب الساقية". مقابل تقديم	شهر غشت	دوار أيت أمغار/ دمنات إقليم أزيلال	معروف الساقية

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

القبيلة الأخيرة ذبيحة سنوية. في مسعى لاستمرار تدفق مياه السقي. ويعتبر الموسم مناسبة للاحتفال والترفيه. وتتخللها طقوس مرتبطة بالماء والساقية، حيث ينظم فريق من الفلاحين المعروفين بـ"إمزوارن"، موكبا يتقدمه "مقدم" الساقية. وللإشارة ففي في السنين الأخيرة تمّ الاستغناء عن العديد من الطقوس المصاحبة لهذا المعروف. وترمي هذه العادة القديمة إلى تجاوز كل خلاف بين عالية دمنات وسافلتها بخصوص تقاسم المياه. وإيجاد حلول لمشاكل الساقية والإبقاء على روح المسؤولية في إطار جماعي.

هو موسم يهودي، تسهر الطائفة اليهودية على ممارسة طقوس زيارة لضريح "دافييد دراع" سنويا. وتجسد الهيلولة روابط والتاريخ المشترك بين اليهود المغاربة وبلدهم الأم.	جماعة تيديلي فطاوكة إقليم أزيلال	شهر ماي	هيلولة "دافييد دراع"
--	-------------------------------------	---------	-----------------------------

هذا المهرجان حديث النشأة، تقدم خلاله لوحات فنية مستوحاة من الفلكلور الشعبي المحلي (فن أحيديوس...)، وعروض فن التبوريدة التقليدية وتنظيم سهرات موسيقية ليلية على نغمات موسيقى الأطلس المتوسط "الشيخات"، وعلى هامش المهرجان، يتم تنظيم معرض للتعريف بالإنتاج الفلاحي والحرفي المحلي في إطار الاقتصاد الاجتماعي والتضامني.

من أبرز فقرات هذا الموسم، عروض فن التبوريدة التقليدية. وسهرات موسيقية من رقصات أحيديوس والأغاني الشعبية الأطلسية، إضافة إلى تنظيم معارض للصناعة التقليدية المحلية.	جماعة أفورار إقليم أزيلال	شهر شتنبر	مهرجان أفورار للثقافة والتراث المحلي
--	------------------------------	-----------	---

يتضمن هذا الموسم فقرات دينية صوفية. ويهدف المنظمون لهذا الموسم، إبراز العمق الديني والتاريخي للزاوية الحنصالية وتثمين التراث الديني والثقافي.	جماعة زاوية أحنصال إقليم أزيلال	شهر شتنبر	الملتقى الوطني لمريدي الطريقة الحنصالية
---	------------------------------------	-----------	--

هو موسم ديني تنظم خلالها القبائل المجاورة حفلا دينيا بمناسبة إحياء ليلة القدر بالزاوية.	الصومعة - مدينة بني ملال - إقليم بني ملال	ليلة القدر (شهر رمضان)	معروف سيدي أحمد بن قاسم
---	--	-------------------------	-------------------------

هو موسم فلاحية، يهدف إلى التعريف بجودة منتوج	مغيلة - مدينة بني	15 يناير	مهرجان الزيتون
--	-------------------	----------	-----------------------

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

الزيتون. ويتضمن عروض فن التبوريدة التقليدية، وحفلات للتسلية والرقص والغناء.	ملال- إقليم بني ملال	
يتضمن هذا الموسم الحديث النشأة عروضاً في فن التبوريدة التقليدية، وتنشط هذا الموسم جالية أولاد يوسف في الديار الأوربية ولهذا السبب غيرت السلطات المحلية اسم موسم أولاد يوسف وأصبح يطلق عليه موسم المهاجر.	جماعة أولاد يوسف إقليم بني ملال	شهر أبريل مهرجان أولاد يوسف
من أبرز فقرات هذا الموسم، تنظيم أمسية دينية في فن المديح، ويتميز هذا الموسم بخرجة ميدانية لكل المكونات الاجتماعية المشاركة فيه، بالإضافة إلى أطفال الكتاتيب القرآنية حيث تنطلق من مسجد الزاوية مروراً بمجموعة من المساجد العتيقة والزوايا ووصولاً إلى مسجد دلائل الخيرات قرب ضريح مولاي إدريس.	مدينة قصبة تادلة إقليم بني ملال	يوم 26 رجب موسم تادلة الديني (ذكرى الإسراء والمعراج)
كان هذا الموسم يقام كذكرى الولي الصالح سيدي بلقاسم "والد سيدي امحمد الشرقي مؤسس الزاوية الشرقاوية، ووالته لالة رحمة". وتشارك في الموسم فرق من فن التبوريدة التقليدية، وتعد على هامشه ندوات حول تادلا، وتاريخها السياسي والديني... إضافة إلى إحياء فرق موسيقية وفولكلورية سهرات فنية من قبيل (عبيدات الرمي، أحيديوس، حمادشة...). إلى جانب ذلك تنظم مسابقات ثقافية في تجويد القرآن الكريم بمسجد القصبة الإسماعيلية العتيق. إنه موسم ديني، إحياء ذكرى المولد النبوي الشريف.	مدينة قصبة تادلة إقليم بني ملال	15 ربيع الأول موسم قصبة تادلة
من أبرز فقرات هذا الموسم، تنظيم عروض في فن التبوريدة التقليدية، وإحياء سهرات ليلية على نغمات (رقصات أحيديوس). ويعد الموسم مناسبة لإقامة معرض للتعريف بالمنتوج الفلاحي والحرفي المحلي. ويعتبر موسماً تاريخياً يخد ذكرى مرور مائة وخمسة أعوام على معركة "مرمان" الشهيرة لقبائل آيتويرة ضد القوات الفرنسية.	إقليم بني ملال	شهر أبريل ملتقى دير القصبة إغرم لعلام
يعتبر هذا الموسم موسماً تاريخياً، تحتفل به قبائل ايت أمالو، لإبراز الأدوار التاريخية التي لعبتها الأسرة الصوفية	مركز القصبة إقليم بني ملال	شهر شتنبر موسم الولي الصالح سيدي الطيبي

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

الدرقاوية "ال الطيبي". ويتضمن الموسم طقوس الزيارة الكبيرة للضريح، وطقوس استقبال الهدايا الكبيرة "كالذبيحة" والهدايا الصغيرة. ومن مميزات هذا الموسم مواظبة أتباع الطائفة الدرقاوية من داخل وخارج المنطقة على الإقامة الجماعية بضريح سيدي الطيبي لمدة تتراوح بين ثلاثة إلى سبعة أيام.

من أبرز فقرات هذا الموسم تنظيم عروض فن التبوريدة التقليدية، وطقوس زيارة ضريح سيدي أحمد بن ناصر، وممارسة طقوس الذبيحة، وإحياء ليالي موسيقية على نغمات الأطلسية، ورقصات أحيديوس.	اليوم السابع بعد يوم عيد المولد النبوي	جماعة ناوور إقليم بني ملال	موسم آيت أم البخت
هو مهرجان حديث النشأة، الهدف منه تحقيق الفرحة والتسلية، عن طريق عروض فن التبوريدة التقليدية. وليالي الفرجة "الشيخات"، ورقصات "أحيديوس".	شهر يوليو	الجماعة الترابية لآيت أم البخت إقليم بني ملال	مهرجان زاوية الشيخ
يعتبر هذا المهرجان معرضا سنويا، يهدف إلى التعريف بجودة منتج الزيتون لزاوية الشيخ والمناطق المجاورة. منتوجات الصناعة التقليدية، وعلى هامشه يتم عرض المنتوجات والآلات الفلاحية وتقام بالمناسبة كل أشكال الفرجة والتسلية خصوصاً عروض فن التبوريدة التقليدية.	شهر نونبر	زاوية الشيخ إقليم بني ملال	مهرجان الزيتون بزاوية الشيخ
الهدف من هذا الموسم الاحتفاء بالموروث التقليدي المحلي، ويتضمن عروضاً في فن التبوريدة التقليدية، ولوحات موسيقية أطلسية خاصة الشيخات، و(فرق أحيديوس).	شهر أبريل	جماعة تاكزيرت إقليم بني ملال	موسم آيت إحد
كان الموسم قديماً يسمى "موسم آيت عدي" وكانت القبائل تقوم بطقس الزواج الجماعي الذي تم الاستغناء عنه. حالياً يقتصر هذا الموسم على فن التبوريدة التقليدية ومختلف رقصات (أحيديوس). هو موسم يعود تاريخه إلى فترات ما قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة، وأصبح يسمى اليوم موسم التفاح.	أواخر شهر نونبر	تيزي - ن - إيسلي إقليم بني ملال	موسم آيت عدي
من المواسم الحديثة النشأة، ويتضمن عروضاً في فن التبوريدة التقليدية، إلى جانب سهرات موسيقية شعبية أطلسية "الشيخات" و(مختلف أنواع رقصات	شهر أبريل	جماعة فم العنصر " أدوز" إقليم بني ملال	مهرجان أدوز للتبوريدة

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

أحيدوس). وعلى هامش الموسم يسهر المنظمون على إقامة معرض للمنتوجات الحرفية والفلاحية والصناعية

من أبرز فقرات تنظيم عروض في فن التبوريدة التقليدية، وفنون العرض التراثية المحلية من (مختلف أنواع أحيدوس). وتنظيم معارض للتعريف بالمنتوج المحلي.

جماعة فم العنصر " شهر شتنبر

موسم لمودج

من مميزات هذا الموسم السنوي أنه موسم للخطوبة والزواج، وملتقى الشعراء "إمديازن"، وسوق سنوي تقصده قبائل الرحل من ايت سخمان وايت عطا نمالو وايت مرغاض وايت ياف لمان، ومن أهم فقراته رقصات أحيدوس الأصيل، ونغمات الأطلس "الشيخات".

جماعة بوزمو

أواخر شتنبر

موسم إملشيل إقليم ميدلت

المواسم التي تنظم بسهولة تادلا السفلى

من أبرز فقرات هذا الموسم تنظيم طقوس "الفريضة"، وهي شكل من أشكال المساهمة المادية من أجل اقتناء الذبيحة التي ستذبح في الموسم. ويتم الانطلاق بالذبيحة من المصلى الكائن بدوار أولاد يعلى في طقس خاص مصحوبا بالجدبة والخيول حتى مكان "العهد"، وذلك مشيا على الأقدام. إضافة إلى عروض في فنّ التبوريدة المحلية تنشطها فرق عبيدات الرمي .

جماعة أهل المربع إقليم الفقيه بن صالح أواسط شهر مارس

موسم العهد

وتتوج هذه العادات الاحتفالية بإلقاء خطبة من طرف الشيوخ العميريين. ويرمز "موسم العهد" إلى الموثق والالتقاء والأخوة والسلم بين القبائل العميرية الشكدالية التي اتفقت قديما فيما بينها على مكان يجددون العهد فيه سنويا ، والمكان عبارة وهو عبارة عن ركام من الأحجار "كركور" يتوسط دواوير بني شكدا.

يقام هذا الموسم قرب ضريح سيّ ميمون. فهو موسم فلاحية يعرض فيه الفلاحين إنتاج الزيتون ، والمنتوجات المرتبطة به، والحرف التقليدية، كالأواني الفخارية والزرابي المحلية... ويعرف الموسم أنشطة متنوعة منها: عرض فن التبوريدة التقليدية، وفنون

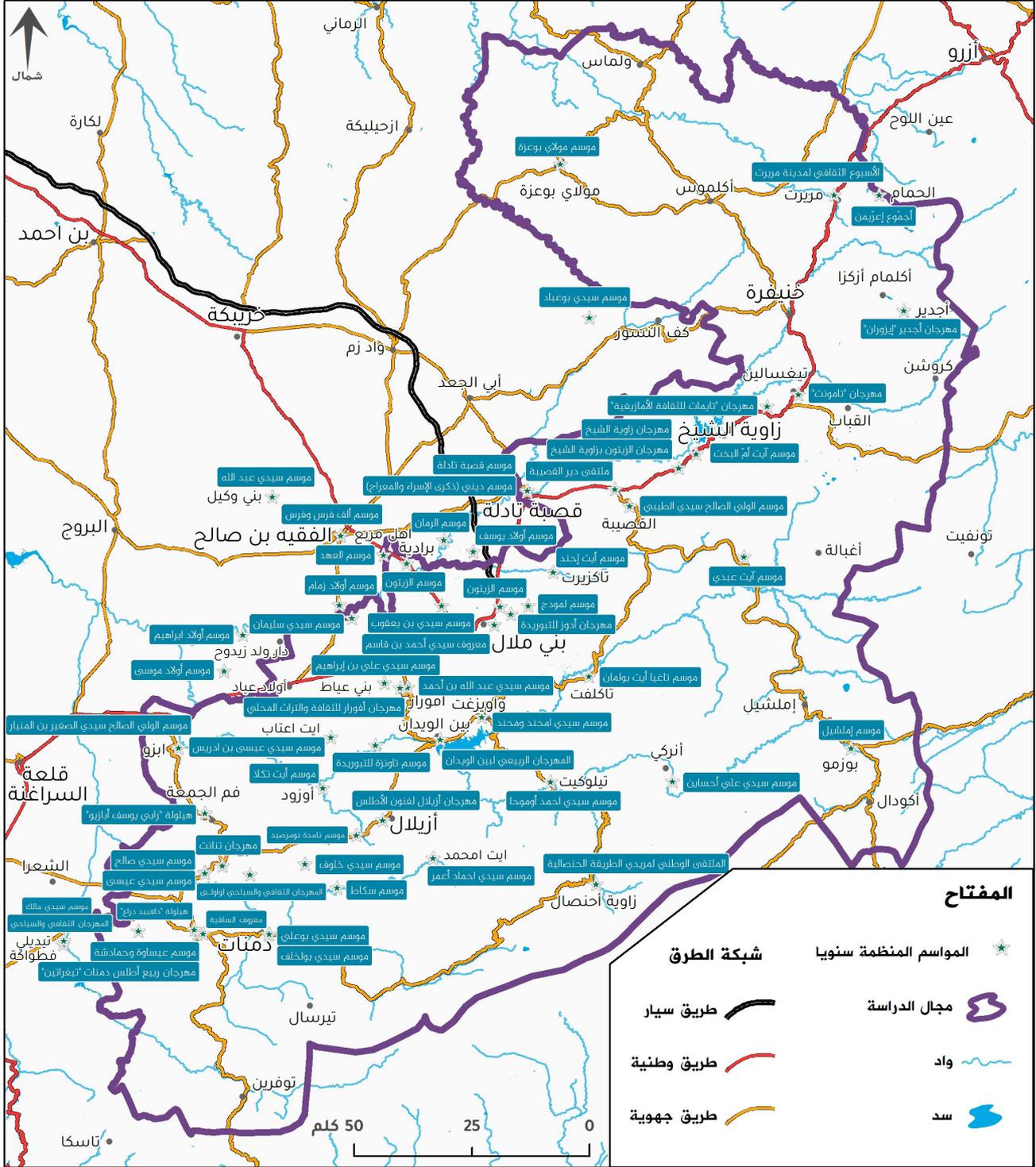
جماعة حد لبرادية إقليم الفقيه بن صالح 20 نونبر

موسم الزيتون

الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي

الحلقة، ولوحات موسيقية محلية		
هو موسم فلاحى حديث النشأة، ذو بعد اقتصادي تضامني، يهدف "تشجيع وتسويق المنتجات الفلاحية". من أهم فقرات هذا الموسم، تنظيم عروض فن التبوريدة التقليدية وخاصة فاكهة الرمان.	مركز أولاد عبد الله جماعة الخلفية إقليم الفقيه بن صالح	شهر نونبر
هو موسم ديني يتم فيه عرض فن التبوريدة التقليدية، وتنظيم حفلات الرقص والغناء وفنون الحلقة...	جماعة بني وكيل إقليم الفقيه بن صالح	نونبر
هو موسم ديني تصاحبه طقوس زيارة الضريح والذبيحة، وعلى هامشه عروض فن التبوريدة التقليدية، وتنظيم معارض لعرض المنتجات المحلية.	عوينات - جماعة سيدي جابر- إقليم الفقيه بن صالح	15 غشت
هو موسم يرجع تاريخ بداية انعقاده إلى الستينات من القرن الماضي، وهو موسم ديني تاريخي، يتضمن عروضاً في فن التبوريدة التقليدية، وحفلات غنائية ليلية.	جماعة سيدي عيسى بن علي إقليم الفقيه بن صالح	شهر نونبر
هو موسم ديني، يتضمن عروض فن التبوريدة التقليدي، ويحرص شرفاء أولاد إبراهيم خلال الموسم على إحياء ليالي صوفية، يمتزج فيه قراءة القرآن والذكر، وعلى هامش الموسم، يتم تنظيم معرض الآلات الفلاحية	جماعة دار ولد زيدوح إقليم الفقيه بن صالح	24 شتنبر
من أهم فقرات هذا الموسم، تنظيم عروض فن التبوريدة التقليدية، وتنظيم معارض تهدف إلى الاحتفاء بالموروث التقليدي المحلي.	جماعة أولاد موسى إقليم الفقيه بن صالح	شهر أبريل
من أهم فقرات هذا الموسم، تنظيم عروض فن التبوريدة التقليدية، وتنظيم معارض تهدف إلى الاحتفاء بالموروث التقليدي المحلي.	جماعة أولاد زمام إقليم الفقيه بن صالح	شهر ماي
يتضمن هذا الموسم عروضاً في فن التبوريدة التقليدية، حفل ديني بضريح الولي الصالح الفقيه بن صالح، فنون العرض التراثية المحلية والجهوية وفنون أخرى، معرض للمنتجات المحلية. يعتبر الموسم تظاهرة حديثة النشأة، انعقد هذا الموسم على أنقاض الموسم التاريخي الذي كان يقام تيمناً بالولي الصالح الفقيه بن صالح.	مدينة الفقيه بن صالح إقليم الفقيه بن صالح	شهر أبريل

الخريطة رقم 3: المواسم والمهرجانات الراهنة بالأطلس المركزي²⁰



من بين الخلاصات التي استخلصناها من هذا المبحث، أن هناك قلة المعطيات الإحصائية المتعلقة بعدد المواسم على المستوى الوطني وحتى على المستوى الجهوي. ورغم هذه الندرة،

20 - خريطة من إنجاز الباحث.

حاولنا أن نشكل صورة إحصائية تقريبية عن عدد المواسم المنظمة بالمغرب خاصة المناطق التي كانت خاضعة لسلطات الحماية الفرنسية ما بين 1912 - 1956م.

هكذا وجدنا أن عدد المواسم التي كانت تنظم في المناطق الخاضعة لسلطات الحماية الفرنسية ما بين 1912 - 1956 تقدر بحوالي 120 موسما. أما في منطقة الأطلس المركزي والمناطق المجاورة لها أي "تادلا"، فقد أحصينا في الوثائق المكتوبة ستة مواسم كبرى فقط. بينما نتحدث الذاكرة الجماعية عن أكثر من 15 موسماً بمجال الأطلس المركزي.

أما بخصوص عدد المواسم المنظمة في المغرب خلال النصف الثاني من القرن 20م، وبالضبط بعد نيل المغرب استقلاله، فقد وصل العدد إلى أكثر من 600 موسم، بينما بلغ عدد المواسم المنظمة بالأقاليم التابعة للأطلس المركزي وتادلا ما بين 20 و70 موسم. غير أن عدد المواسم تضاعف بمجال الأطلس المركزي بداية القرن 21م، حيث بلغ عدد المواسم بالأطلس المركزي دون احتساب سهل تادلا أكثر من 50 موسماً ومهرجاناً، إضافة إلى أكثر من 15 موسم ومهرجان بتادلا السفلى " بني موسى وبني عمير".

المبحث الثاني: تصنيف مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي

بعد جرد أهم المواسم والمهرجانات الاحتفالية بالأطلس المركزي خلال القرن 20م وبداية القرن 21م. عملنا في هذا المبحث على تصنيف المواسم الاحتفالية بالأطلس المركزي، بناء على عدة معايير، وخاصة والتحقيب المتبع في تنظيمها، والهدف من ذلك، محاولة إبراز الخصائص التي تتميز بها مواسم الأطلس المركزي.

1 - المعايير المعتمدة في تصنيف المواسم والمهرجانات

يمكن تصنيف المواسم المنعقدة بمجال الأطلس المركزي بناء على عدة معايير، منها: أولاً، معيار المعتقد والدين، وثانياً، معيار مرتبط بالطابع الاحتفالي الفولكلوري. ففيما يتعلق بالمعيار الأول، يلاحظ أن المنطقة تتميز بتنظيم مجموعة من المواسم الدينية، سواء المرتبطة بالأولياء والزوايا والطرفقة الصوفية الإسلامية، أو مواسم تقام بجوار أضرحة أولياء يهود، أو مشتركة بين اليهود والمسلمين. إضافة إلى مواسم تعقد بجانب مزارات طبيعية كالينابيع والأشجار والكهوف... وللإشارة، فالعديد من المواسم بالأطلس المركزي، كانت لها أبعاد سياسية وعسكرية واحتفالية، قبل سيطرة سلطات الحماية على الأطلس المركزي، والتي تحولت إلى مواسم فلكلورية احتفالية.

وهناك من يصنف المواسم حسب الفصول والتقويم الزمني المتبع في إقامتها، وهناك من يصنفهم حسب الطقوس الدينية كما أشرنا إلى ذلك²¹. وعموماً، يمكن كذلك تصنيف المواسم اليوم التي تعقد بمنطقة الأطلس المركزي إلى صنفين: مواسم فولكلورية حديثة، ومواسم دينية تاريخية.

2- التحقيب الزمني المتبع في تنظيم المواسم والمهرجانات

يلاحظ أن تظاهرات المواسم بالأطلس المركزي تعقد وفق تقويمين أو أكثر، ولا يختلف وضع المنطقة مقارنة بباقي شعوب شمال إفريقيا والعالم المتوسطي في هذا المجال، حيث تتبع هذه الشعوب في الغالب تقويمين، الأول، شمسي مرتبط بنمط الإنتاج، والثاني، تقويم قمري له علاقة بالطقوس والمعتقدات. وتقام هذه المواسم في أوقات ثابتة من الفصول الطبيعية، سواء مواسم الحج والعبادة، والأسواق الكبرى والمواسم الاحتفالية²².

ويعتبر مقدم الربيع موعداً احتفالياً عند الشعوب المتوسطية، خلال شهر مارس وأبريل إلى شهر ماي²³، وفي هذا السياق كان يحتفل به المصريون واليونان وقبائل شمال إفريقيا، في أول يوم من السنة الزراعية الجديدة. لهذا التقليد القديم معان ودلالات وأبعاد فلاحية، ما تزال متواصلة إلى يومنا هذا، رغم الطابع الإسلامي الذي أصبح يظهر بها²⁴.

والمرجح أن التقويم المتبع لتنظيم المواسم بالأطلس المركزي على غرار باقي المناطق المتوسطية، هو تقويم شمسي في بداية الربيع والصيف²⁵، وهو تحقيب مرتبط بالأرض، وخصوبتها والأنشطة الفلاحية. ويصنف الباحثين هذا النوع من التحقيب، ضمن خانة التحقيب البربري المعمول به في إفريقيا الشمالية²⁶.

إن حساب الزمن عند سكان المنطقة، غالباً ما كان محددًا بالزمن الإنتاجي، وهذا ما جعل الاحتفالات تتم خلال فصول محددة، وفصول النشاط الفلاحي بالأساس، بل إن كثيرين يرون في الأمر دليلاً على

21 - Marie Pascal, op. Cit. P. 12.

22- عرفان محمد، م. س. ص. 2.

23- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، مطبعة دار دمشق سورية، 1979، ص. 158، 159.

24- صديقي محمد الناصر، م. س. ص. 44، 45.

25- سيد محمد عبد الفتاح، م. س. ص. 375.

26- محمد حقي، "المواسم بين الفلكلور والتاريخ في إقليم أزيلال"، في: مجلة المناهل، العدد 88، 2011، ص. 205.

تحقيب قديم مبني على الأنشطة الفلاحية. بيد أن التقويم القمري كان هو الآخر متبعا قبل وبعد دخول الإسلام إلى المنطقة، إلا إن المتبع يبقى تقويما شمسيا في الغالب، نظرا لارتباطه بمواقيت الإنتاج الفلاحي .

ولالإشارة، تتبع الطائفة اليهودية تقويما شمسيا وقمريا في آن واحد، ولضبط التقويم القمري يتم إضافة شهر "آذار" ما بين كل سنتين أو ثلاثة سنوات، وبهذا يمكن أن تتطابق الأعياد والمواسم اليهودية من حيث توقيتها مع المواسم الفلاحية، كعيد النواله (السوكوت) وعيد الحصاد (شافووت)²⁷، مواسم "أمكار"، "الهيلولة"²⁸، بينما تدور المناسبات الإسلامية على أساس التقويم القمري غير المضبوط. لذلك، كانت غالبية المواسم، تنظم وفق التقويم الشمسي المرتبط بدورة الإنتاج، مما يدل على ارتباط هذه المواسم بالزراعة والإنتاج الفلاحي قبل ظهور الإسلام.

وكان سكان الأطلس المركزي على علم بالقواعد الفلكية، والتي يستخدمونها في كراء أراضيهم وزرعها وحصدها ومعرفة مواقع النجوم ومنازل أفلاكها وحساب حركة الكواكب، ويعلمون أولادهم أشياء مما يتعلق بهذه المسائل. وقد ألف أحد المؤلفين في شمال إفريقيا كتابا سماه بكنز الفلاحة يتعرض فيه إلى كل ما يتعلق بالفلاحة²⁹. ومن ذلك أن سكان الأطلس المركزي يسمون أربعين يوما شديدة الحرارة المعروفة "بالسمائم"، وأربعين يوما شديدة البرودة تعرف "بالليالي" ويعرفون كذلك الاعتدال الربيعي والخريفي الأول 16 مارس والثاني 16 شتنبر، وتعتبر هذه الانقلابات، الوقت المناسب لانعقاد المواسم.

وعليه، فالخلاصة التي يمكن أن نخرج بها من خلال ما تم التطرق إليه، هو أن إشكالية التقويم الزمني المتعلق بتحديد مواعيد المواسم بالأطلس المركزي كان في الغالب تحقيبا شمسيا فلاحيا غريغوريا ، ثم تحول قسم منه إلى تحقيب قمري بعد دخول الإسلام إلى المنطقة. وتبين الأمثلة التالية، التباين الواضح في التقويم المتبع في تنظيم المواسم بالأطلس المركزي، ففي موسم مولاي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، وموسم مولاي بوعزة بخنيفرة وموسم سيدي الصغير بالمنيار بأبزو،

27 -دانييل شروتز، تجار الصورة، ترجمة خالد ابن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح البيضاء، ط. 1، 1997، ص. 18.

28 - نفسه، ص. 185.

29 - الحسن الوزان، م. س، ص. 80.

وموسم سيدي أحمد أموحا بتكلفت، يعتمدون التحقيب اليولياني الغريغوري، في حين أن موسم سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي ببني عياط، وسيدي أحمد بن ناصر بزواوية الشيخ يتبعون فيه التقويم القمري .

ومن تم، فإن المواسم المنظمة وفق التقويم القمري الإسلامي، تعقد بمناسبة عيد المولد النبوي. حين أن المواسم الاحتفالية المنعقدة وفق التقويم الشمسي اليولياني والكريكوري، مرتبطة بدورة الإنتاج الفلاحي. لذلك لا يتردد جل الباحثين في تصنيفهم للمواسم الاحتفالية باعتماد على معيارين، يتعلق الأول، بالمعتقد والدين، والثاني، بالتحقيب الزمني المتبع في تنظيم هذه المواسم. في اعتقادنا، كان انصار القبائل في الحركة الصوفية منذ القرن 12م، ترتب عنه تغيير تلقائي لهذا التحقيب، من تحقيب شمسي فلاحي، إلى تحقيب قمري ديني، ويعزى هذا التغيير، إلى رغبة الحركة الصوفية في أن تتوافق هذه المناسبات مع مناسبات إسلامية، وخاصة عيد المولد النبوي. عموما، يلاحظ تنوعا في طبيعة المواسم المنظمة بالأطلس المركزي، و أيضا في التحقيب المتبع في تنظيم هذه المواسم. ويمكن تصنيف هذه الأخيرة إلى عدة أصناف منها: مواسم الزوايا والأضرحة والمزارات الإسلامية واليهودية، ومواسم مرتبط بتدبير الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، كمواسم الأسواق السنوية، ومواسم فتح المراعي الجماعية، ومواسم تنظيف السواقي، وتنظيم حفلات الزفاف والختان الجماعي. إلى جانبها، نجد مواسم مرتبطة، بإعادة بناء العلاقات والنظم السياسية للقبائل كما هو الحال بالنسبة لمواسم تجديد العهود والتحالف المعروفة بالرضاعة أو "بتاضا"، أو المواسم التي تجدد فيها القبائل نظمها السياسية، من قبيل تعيين شيخ القبيلة "أمغارن تقبيلت" وأعضاء "الجماعة"، وأخيرا مواسم فلكلورية.

3- تصنيف مواسم الأطلس المركزي

إن المتأمل في طبيعة المواسم خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، يجد نفسه أمام غنى وتنوع بارز في المواسم التي تعقدها القبائل بالأطلس المركزي، والتي يمكن تصنيفها إلى مجموعة أصناف بناء على أهدافها وغاياتها واهتمامات زوارها ومنظميها:

أولا: مواسم الزوايا والأضرحة والمزارات، وانتشرت بشكل كبير في الأطلس المركزي بداية القرن 20م. غير أنه لا بد من الإشارة أن المواسم التي كانت تنظمها القبائل بجوار الضريح والزوايا بمثابة مواسم تزور فيها القبائل تلك الزوايا، محملة بالهدايا، وكان عددها كثير، وقد توقف البعض منها، واستحدثت

البعض الآخر في فترة الحماية.

ثانيا: المواسم اليهودية، وهي مواسم انتشرت بالأطلس المركزي، وتؤكد الذاكرة أن يهود المنطقة، كانوا ينظمون مواسم داخل ملاحظاتهم، وبجوار أضرحتهم، وكان المعمرون المسيحيون والمسلمون يشاركون اليهود احتفالاتهم خلال انعقاد مواسم الهيلولة³⁰.

ثالثا: مواسم فتح المراعي، وهي مواسم كانت منتشرة بالأطلس المركزي، خاصة في أعالي الجبال، لدى كطوة، وآيت بولي، وآيت بوكمار، وآيت مصاض، وآيت عطان امالو، وآيت سخمان، وآيت سري، وآيت ويرا، وإشقرن، وقبائل زيان، إلا أن أغلب هذه المواسم توقفت.

رابعا: مواسم "تاضا"، أو الرضاعة، أو التحالف بين القبائل لمواجهة تهديدات ما، وتنظم المواسم بعد جمع المحصول³¹. ولا زال البعض مستمرا إلى يومنا هذا، كما هو الحال بالنسبة لآيت شيكر - آيت عطا، وآيت ويزكان - آيت عتاب، وموسم العهد بين قبائل بني شكдал بالفيقيه بن صالح.

خامسا: مواسم تعيين شيخ القبيلة "أمغارن تقبيلت" وأعضاء "الجماعة"، حيث كانت القبائل غير الخاضعة للمخزن، تنظم المواسم لهذه الغاية، مثل قبائل آيت امالو "أهل الظل" التي تضم زيان - اشقرن، آيت ايحاند وآيت اسحاق وآيت ام البخت، وآيت ويرا وآيت سخمان³²، حيث خلال تنصيب "أمغارن تقبيلت"، تنظم القبيلة حفلا ضخما بعد جني المحصول، وتدوم الاحتفالات ثلاثة أيام³³، إلا أن سلطات الحماية منعت إقامة هذه المواسم.

سادسا: مواسم تنظيف السواقي وتدبير أمورها، وكانت هذه العادة منتشرة في العديد من مناطق الأطلس المركزي، وخاصة في المناطق التي تعرف شحا في مياه السقي، كما هو الحال بالنسبة لبلاد انتيفة وانولتان، ولا زال موسم الساقية ينظم بجوار ضريح سيدي بو البخت بدمنات إلى يومنا هذا.

سابعا: مواسم للتسوق والزواج، ويعتبر الموسم أو السوق السنوي لأكدود بأسيف ملول بإملشيل، معرضا حقيقيا لتسوق الساكنة، التي تعيش حصارا بسبب الثلوج من أكتوبر إلى غاية شهر أبريل، يغتنمها الشبان لاختيار زوجة من بين الفتيات اللاتي يأتين لأكدود في أبهى زينتهن أملا في إتارة

30 - رواية شفوية، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا بيزو، عمره 70 سنة، بتاريخ، 03 غشت 2019 م.

31 - سعيد كنون، م. س. ص. 85.

32 - نفسه، ص. 28.

33 - نفسه، ص. 96.

الانتباه والظفر بزوج³⁴، ويدوم انعقاد هذا الموسم مدة ثلاثة أيام حوالي 10 شتنبر من كل سنة. ثامنا: مواسم فولكلورية احتفالية مستحدثة، وتعتبر أغلب مواسم سهل تادلا وبعض مواسم دير الأطلس المركزي، مواسم فولكلورية غاياتها اقتصادية احتفالية، ويعد موسم تاونزة آيت عتاب نموذجا للمواسم الاحتفالية الفولكلورية، حيث بدأ تنظيم هذا الموسم سنة 2010م. والملاحظ، أن هناك تزايدا في المواسم والمهرجانات الفلكلورية في السنوات الأخيرة، والتي تهدف إلى تثمين التراث الطبيعي والثقافي والإنتاج الفلاحي، وتشجيع السياحة الثقافية، مقابل تراجع المواسم الدينية المهيمنة في الماضي، نظرا لتراجع المكانة الروحية والدينية و النفسية لمؤسستي الضريح والزاوية، وحاجة المجتمع للتنمية والاستثمار، وإشهار المنتج الفلاحي والحرفي. ومما يجب إثارته أيضا، أهمية الموروث اليهودي كأحد الروافد الدينية والتراثية للمنطقة، والتسامح الذي يبرزه هذا التراث في وجود أولياء مشتركين بين اليهود والمسلمين، خاصة في شمال وجنوب غرب الأطلس المركزي.

المبحث الثالث: التنظيم المورفولوجي للمواسم بالأطلس المركزي خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م.

بعدهما تطرقنا لجرد وتصنيف المواسم بالأطلس المركزي في المبحثين السابقين، تبين لنا أنه لابد من التطرق، لوصف وتحليل التنظيم المورفولوجي للمواسم بالأطلس المركزي، والتحويلات التي عرفها مورفولوجية هذه المواسم خلال القرن 20 وبداية القرن 21م، والخصائص التي تميز نهار وليالي الموسم، واتخذنا قبيلة آيت أم البخت في ضريح سيدي أحمد بن ناصر نموذجا لهذا الوصف. وأشارنا في نفس السياق، للتحويلات الرمزية التي تبين التراتبية الاجتماعية، التي يظهرها التنظيم المورفولوجي للمواسم بالأطلس المركزي.

1 - وصف التنظيم المورفولوجي للمواسم والمهرجانات

تعتبر المواسم معسكرات سريعة الزوال، تقام بجوار الضريح، أو بدونه. تتميز جميع بنياتها

34 - سعيد كنون، م. س. ص. 172.

بالتنقل، سواء الخيام، أو الحجاج، أو أكشاك السوق، أو معدات العرض، وتعرف ساحات مواسم الأطلس المركزي انتشار بحر من الخيام، نميز فيها بين الخيم الخاصة، أو الخيام كبيرة، التي يصطلح عليها الخيم القيادية، ونصادف كذلك خياما سوداء، مصنوعة من شعر الماعز تسمى، بجبال الأطلس، وسهول تادلا، حيث الترحال وانتشار رعي الماعز. كما يلاحظ انتشار خيم بيضاء صغيرة من القطن، يصطلح عليها "القيطون"، وخيم حديثة ذات أساسات معدنية.

عندما تقترب من مكان انعقاد الموسم، ترى ما يشبه بحرا أبيض من الخيام، وحشداً هائلاً من الزوار مندفعاً إلى قبة الضريح، تصل العربات والحافلات إلى الموسم دون انقطاع، في جو من الازدحام الكبير. على طول الطريق المؤدية للموسم تجد خيام القيادية مزينة بصور جلالة الملك والإعلام الوطنية، وعلى اليمين مستوصفاً متنقلاً. ولا يخضع التنظيم المجالي للمواسم لأي منطق اجتماعي، حيث يستقر الوافدون في الأماكن التي يرغبونها، وتكون غالباً متسعة.

يتميز تنظيم ساحات المواسم، بتموضع الضريح أحيانا وسط المخيم، وأحيانا أخرى على أطرافه. وغالبا ما تحيط بالضريح مقبرة يحرص الزوار على زيارتها، وتتكئ الخيام مباشرة على الضريح أو المقبرة. وللإشارة، فإن الزحف العمراني ضيق المجالات الحيوية التي تقام بها المواسم. ففي مركز آيت عتاب تم تشييد بالفضاء الذي كان مخصصاً لإقامة الموسم المعروف بأبدو، العديد من المرافق العمومية، "دار الشباب، قيادة الدرك الملكي، المستوصف القروي، الوقاية المدنية"، وهذا ما أثر سلباً على شكل ومساحات العرض. أمام ضيق ساحات وفضاءات المواسم بدير وسهول الأطلس المركزي، اضطر العديد من مسؤولي الجماعات المحلية مثل: جماعة الفقيه بن صالح إلى تغيير ساحات انعقاد المواسم، وتحويلها إلى أطراف المدينة بسبب التمدن والزحف العمراني.

عادة ما تبدأ الاستعدادات للموسم أياما قبل انطلاقته، إذ يعمل حفدة الولي "أولاد السيد" بتبليط الضريح بالجير، وتهيب المسالخ، ووضع أعلام وتزيين الأرضية. يأتي التجار والعارضون لتثبيت أكشاكهم وحرفهم، وتنصب السلطات المحلية الخيام القيادية قبل وصول حشود الزوار. كما يصل إلى عين المكان، فرسان الفنتازيا والقوات العمومية لحفظ الأمن، وتنصب غالبية الخيام القايديّة على أطراف الساحة المخصصة للفنتازيا، لتوفير منصة للوفود الرسمية للتمتع بمشاهدة الفنتازيا في مشهد جميل.

في بعض الأحيان تخصص مساحات لعرض الآلات الزراعية ومواد البناء، ويخصص فضاء مهم بالموسم لممارسة الفنتازيا، ويفضل أن تكون الأرضية منبسطة، إلى جانب فضاء خاص بتجار

"السوق" والمعارض، ومجال عمومي آخر مخصص للترفيه والتسلية مثل: "فن الحلقة"³⁵.

يحقق الزوار حاجياتهم من المياه خلال إقامة المواسم غالباً من الآبار، وفي بعض الأحيان، عن طريق الشاحنات المحملة بخزانات الماء، في المناطق التي تكون فيها المياه الجوفية صعبة المنال، إذ توضع تلك الخزانات رهن إشارة الجميع في مكان معين داخل المواسم، ويمكن أن يستفيد الناس في من مجرى مائي أو عين طبيعية، غير أنه في العشر السنوات الأخيرة، استطاعت الدولة ربط أغلب دواوير الأطلس المركزي بالماء الصالح للشرب، مما مكن السلطات المحلية من بناء "الساقيات" المؤقتة لتوفير المياه لحشود الزوار.

تحضر عادة الأسر معها فرنناً نقالاً، بهدف إحضار خبز خاص بهم. لكن هذا الواقع تغير في السنوات الأخيرة، حيث غالباً ما يقتني الزوار الخبز من الأفران والمخبرات العمومية. وللإشارة، فإن زوار المواسم ينامون أحياناً في غرف مستأجرة من قبل السكان المحليين، وعادة ما يتركون النفايات في موضعها بين الخيام، حيث يتخلون عنها، وتعمل الجماعات المحلية جاهدة على تنظيف وجمع تلك النفايات.

أ- ليالي المواسم والمهرجانات

تختلف ليالي الموسم عن نهارها، وتمتاز ليالي الموسم بجو معتدل الحرارة، مما يجعل الزوار رجالاً ونساءً وأطفالاً ومراهقين من الجنسين، يفضلون التجول مساءً بساحات التسلية. لذلك، تكون ساحات العرض مملوءة بالزوار، وتشهد ازدحاماً قل نظيره خلال فترات المساء، ويحيط بالفنانين عدد كبير من المولوعين بعروض التسلية، وتقدم تحت بعض الخيام عروض لفرق الموسيقيين (تتكون غالباً من الرجال)، يعزفون ويجذبون حشود كبيرة من الزوار، ومن حين لآخر، يجمعون بعض الدراهم، ويتلون بعدها آيات قرآنية، ويشكرون المتبرعين.

بعد حلول الظلام، يبدأ الهيجان، وتبدأ حرارة الطقس في الاعتدال، وتنطلق العروض (الشيخات، الهياتة، الحضرة)، يكون الجميع متعطشين لمشاهدة العروض أو المشاركة فيها. ومن جهة أخرى تتمتع النساء ليلاً بحرية التجول، إذ بإمكانهن التحرك في مجموعات صغيرة لمشاهدة العروض. تكمن الأهمية الرمزية ليالي الموسم ليلاً الموسم من خلال أجوبة زوار مواسم الأطلس المركزي، حول

35- يقصد بفن الحلقة: الدائرة يشكها الجمهور حول منشط الحكاية، أو الفكاهة، أو ترويض الحيوانات...

سؤال مدة الاحتفال، أجابوا بالإجماع على أن الموسم يقام لمدة ثلاثة أيام وثلاثة ليالي. تمتاز ليالي الموسم بحركة دائمة وبجوها الصاخب الذي يعوض خمول النهار، بحيث لا يشعر الزوّار بالملل والتعب، ويحسون بالابتهاج خلال الليالي التي يقضونها في الموسم. لكن في المقابل، تسمع بين الفينة والأخرى، اندلاع أعمال عنف بسبب تناول المخدرات أو السرقة.

ب - استعدادات قبائل الأطلس المركزي للمشاركة وتنظيم مواسمها

يحظى تنظيم المواسم باهتمام كبير من قبل ساكنة الأطلس المركزي، ويمر تنظيمها عبر مراحل تتوج في الأخير بتنظيم هذه المواسم، ويلاحظ تشابه كبير في استعداد هذه القبائل لتنظيم مواسمها. لذلك، اكتفينا بوصف كيفية استعداد قبيلة آيت أم البخت بزواية الشيخ لتنظيم مواسمها كنموذج في هذا الإطار.

يتردد سكان قبيلة آيت أم البخت سنويا على موسمين³⁶، الأول، موسم سيدي أحمد بن ناصر، الذي يعقد بمناسبة عيد المولد النبوي، والثاني، ومهرجان زاوية الشيخ المنظم منتصف شهر مارس. وللإشارة، فإن موسم الولي سيدي أحمد بن ناصر يمتد ثلاثة أيام، ويحظى باهتمام قوي من قبل ساكنة قبيلة آيت أم البخت، وقبائل آيت ويرا المجاورة.

يتابع سكان قبيلة آيت أم البخت، إشاعات أخبار تنظيم الموسم باهتمام كبير، حيث يهيمن موضوع المواسم على الحوار والنقاش الذي يدور بين مختلف أفراد القبيلة، خصوصا عند اقتراب انعقادها، وغالبا ما يتردد يردد السكان عبارات "إد- إسلو؟- واش باق؟" أي هل لازال بعيدا؟، وعبارات "إد علاين؟- هل قرب؟".

يوجد في كل دوار شخص أو أشخاص ينقلون مختلف الأخبار، وخاصة أخبار الموسم التي يتلقونها من أعوان السلطة "المقدم أو الشيخ". يعتبر الموسم الموضوع الرئيسي في كل الحوارات الدائرة خصوصا مع اقتراب موعد انعقاده، وتلعب مجموعة من الأطراف دورا كبيرا في إشاعة أخبار انعقاد الموسم، ومنهم على سبيل المثال: سائقي سيارات الأجرة، والشاحنات الصغيرة وحافلات النقل العمومي، حيث ينقل هؤلاء آخر الأخبار المتداولة بالمركز الحضري زاوية الشيخ إلى ضواحيها والمناطق النائية المجاورة.

مع اقتراب موعد انعقاد الموسم، تنطلق الأشغال في القرى المجاورة للموسم، لا يتعلق الأمر فقط بضمان تنقل جميع أفراد العائلة، وإنما أيضا بتنظيم عمليات نقل الخيمة، بما في ذلك كل الأثاث (الزرابي، والوسائد، وأدوات المطبخ، وحقائب الملابس)، والحيوانات التي ستذبح أثناء الاحتفال. يغمر الجميع حالة من الإثارة المنقطعة النظير، وينخرط كل واحد بطريقة أو بأخرى في هذه الاستعدادات.

لا يستثنى أحد من المشاركة في الإعداد للموسم، حيث يتوافد جميع القرويين عليه: سواء كانت امرأة حامل في شهرها التاسع أو شخص مريض، وقد عبرت إحدى المسنات من قبيلة آيت أم البخت عن ذلك بالطريقة التالية: "الجميع يذهب إلى الموسم، ما عدا الدجاج". لذلك، يقوم كل رب أسرة ببناء خيمته البيضاء، المصنوعة من القطن المعروفة "بالقيطون"، حيث تمتلك أغلب أسر القبيلة خيمة خاصة بها. بمجرد نصب الخيمة، ووضع الأثاث المنقول، يبتعد الرجال على محيط خيمتهم، نظرا لوجود العديد من الأماكن في الموسم تجذب انتباههم، وفي مقدمتها الفنتازيا أو التبوريدة.

يشكل هؤلاء الرجال مع رجال دواوير أخرى مجموعات، يناقشون فيها براعة الفرسان، والمشاكل المختلفة المرتبطة بالمحاصيل الزراعية وأسعارها ومواضيع سياسة. ويجد الرجال أيضا متعة في التنقل بين خيام فرسان الدواوير المجاورة، حيث تلعب وظيفته الالتقاء ومكانا للتبادل. في المساء ينظمون من مختلف الدواوير سهرات موسيقية، يستمتعون فيها بالرقص مع بعضهم البعض. أثناء احتفالات الموسم، يصطحب الرجال زوجاتهم، ويسمح لهن بالتجول مع بعض صديقاتهن في مجموعات صغيرة.

يتسوق سكان قبيلة آيت أم البخت يوميا على امتداد إقامتهم في الموسم، بينما يقصدون السوق مرة واحدة في الأسبوع في الأيام العادية سوق الأربعاء الأسبوعي لمدينة زاوية الشيخ، لشراء مؤونتهم، وبيع منتوجاتهم. إلى جانب التسوق، تعد الذبيحة حدثا أساسيا تستعد لها قبائل آيت أم البخت، خاصة أرباب الأسر، حيث تعتبر الذبيحة بالأضحية نقطة أساسية في الاحتفال، ويفضل أن يكون يوم التضحية يوم السابع من ميلاد النبي محمد "ص"، وقد يتغير هذا الموعد أحيانا لأسباب مناخية أو سياسية...

2- التطور المورفولوجي للمواسم والمهرجانات خلال القرن 20 ومطلع

القرن 21م.

شهد التنظيم المورفولوجي للمواسم نهاية القرن العشرين ومطلع القرن 21م تحولات مهمة، ناتجة

بالدرجة الأولى عن التطورات التي عرفتها الهياكل الإدارية المغربية، فقد كان يوكل تنظيم المواسم إلى غاية بداية القرن 20م إلى حفدة وخدام الأولياء، وأعضاء الزوايا والطوائف الدينية³⁷، الذين يحددون تاريخ انعقاد الموسم، بتشاور مع مجلس القبيلة "الجماعة"، الذي يحرص أن ينعقد الموسم بعد جمع المحصول، ليتمكن كل أفراد القبيلة والمناطق المجاورة من المشاركة في الموسم.

كانت تحتفل ساكنة الأطلس المركزي بالمواسم، إما لتنصيب شيخ و"الجماعة" القبيلة، أو بتجديد الولاء لجد القبيلة، أو أحد مؤسسي الطوائف الدينية، أو الولي الأكبر للمدينة. ويكون لحفدة الولي مصالح اقتصادية أكيدة من انعقاد الموسم، إذ توكل لهم عملية تدبير مجرياته، خاصة فيما يتعلق بالاحتفالات المتعلقة بالضريح والمقدس.

بيد أنه، بعد سيطرة الاحتلال الفرنسي على كل مناطق الأطلس المركزي إلى غاية يومنا هذا، عملت السلطات سواء في فترة الحماية أو بعد الاستقلال، على إقامة أجهزة ومؤسسات محلية ومركزية، وبدأ معها مستوى اتخاذ القرار، بشأن تنظيم المواسم، يبتعد أكثر فأكثر عن حفدة الولي والساكنة المحلية، وبدأت هذه السلطات تتدخل في تحديد تاريخ انعقاد الموسم، وفي مراقبة النظام والأمن.

ففي فترة الحماية، كان يحدد أعوان المخزن تاريخ انعقاد المواسم، ويستعدون لتنظيمه ماديا ومعنويا. وعلى سبيل المثال: كان قائد قبيلة ايت يوسي، هو المشرف على تنظيم الموسم، وكان يكلف المقدم بهذه المهمة، حيث كان يتجول في الحقول عندما يقترب وقت الحصاد، للتأكد من حالة الحبوب. وعندما يتبين له أن الحصاد لم يتبقى له إلا أسبوعين، يُبلغ قائد منطقة صفرو بذلك، الذي يطلب بدوره إدنا رسميا من الحكومة المركزية، للإعلان عن تاريخ إقامة الموسم في الأسواق المحلية³⁸.

غير أن الأمر يختلف عندما يكون انعقاد الموسم غير مرتهن بأرض فلاحية، ولم تنته فيه الدورة الزراعية بعد كما هو الحال بالنسبة لموسم الكبير لمولاي عبد الله أمغار، الذي ينعقد في فصل الصيف بمدينة الجديدة على الساحل الأطلسي، في وقت تكون فيه ساكنة منطقة دكالة الداخلية

37 - Fenneke REYSOO, Des moussems..., op, cit. p p. 165, 166.

38 - Fenneke REYSOO, Des Moussems..., op, cit. p p. 165, 166.

منشغلة كليا بالأشغال الفلاحية.

إذا كان تنظيم المواسم قبل 1912م، من شأن القبيلة والزاوية وحفدة الأولياء، فإن مسار تنظيم الموسم بعد 1912م، اتخذ طابعا بيروقراطيا، وأصبح انعقاد المواسم المعاصرة الراهنة، يخضع لمراقبة وزارة الداخلية. لذلك، تبدو الساكنة المحلية في نظرنا، غير معنية بتنظيم المواسم المعاصرة والراهنة، ويقتصر دورها فقط على المشاركة في الاحتفالات. في هذا السياق، استفسرنا بعض الأفراد من مدينة دمنات، حول من يحدد تاريخ انعقاد المواسم؟ لم يكن أحد متأكدا من جوابه، إذ يعتقد البعض أنه القائد، والبعض الآخر، أشار إلى العامل، والقليل منهم من يعرف أن انعقاد الموسم، لا يمكن أن يتم إلا بموافقة الجماعات المحلية، ووزارة الداخلية.

لذلك، توكل حاليا التحضيرات العملية لتنظيم المواسم لموظفي الدولة والجماعات المحلية، إذ يقوم فريق بإعادة صباغة الضريح، وتثبيت مطارح الذبح، وربط ساحة الموسم بالماء والكهرباء³⁹، بينما يقوم فريق آخر، بتزيين وتسوية أرضية الموسم، وبناء الخيام القايدية، وتعليق اللافتات والإعلام وصور الملك⁴⁰. يسهر على السير الجيد لهذه الأنشطة كل من الدرك الملكي، والأمن الوطني، والقوات المساعدة، والوقاية المدنية.

تشكل المواسم جزءا من التجمعات الجماهيرية، التي لا يمكن أن تلتئم إلا بترخيص من وزارة الداخلية، والذي كان قبل الاحتلال الفرنسي، من عمل حفدة الولي وأفراد الطرق الدينية والساكنة المحلية "القبيلة". أصبحت المواسم اليوم ضمن اهتمام الحكومة المركزية، ومع ذلك، يلاحظ أن تدخل الدولة في تنظيم هذه المواسم يتميز بالمزاجية وعدم الاستقرار، والذي ينبغي فهمه من هذه المزاجية والتقلبات هو سياق المصلحة الضمنية في العلاقات المتغيرة للسلطة⁴¹.

39 - كانت كل التحضيرات المتعلقة بمواسم الزوايا والأضرحة يقوم بها حفدة الولي بمساعدة من أفراد القبيلة. لكن في الوقت الراهن فالمهمة موكلة للجماعات المحلية والسلطات المحلية.

40 - يقوم بهذه المهمة القيادات والبشويات بموافقة من عمال الأقاليم، وتنسيق مع الهيئات المنتخبة الممثلة بالجماعات القروية والحضرية.

41- أنظر المبحث الخاص بسياسات السلطات تجاه المواسم.

3 - الدلالات الرمزية والاجتماعية في مورفولوجيا المواسم والمهرجانات

أ-الدلالات الرمزية في مورفولوجيا المواسم والمهرجانات

يعد الموسم قطيعة مع الروتين اليومي، وتتم هذه القطيعة في عدة مستويات مختلفة، منها: التنقل وتغيير الفضاء، إذ يغادر الجميع منازلهم مع كل أفراد الأسرة، ويحملون أغراضهم المنقولة، وفي لحظات يتأقلم الجميع مع نمط عيش حياة الترحال، بمجرد وصول الجموع إلى فضاء التجمع، ومن ثم يتجمع الزوار حول ولي القبيلة، مشكلين تجمعا سكانيا حقيقيا مؤقتا، تخترقه شوارع التجار. وبهذه المناسبة يغير الناس أكوأخهم الخشبية أو منازلهم الصلبة بخيم من القماش، إنها قطيعة مع حياة الدوار الرتيبة، يخلق هذا الوضع حالة من التناقض والازدواجية، بين حياة الترحال وحياة الاستقرار.

وبالرغم من أن وتيرة الحياة والأنشطة التي تقوم بها النساء، لا تختلف كثيرا والروتين المعتاد، فإنهن مع ذلك، يبتعدن عن الحياة اليومية المعتادة من خلال الظهور في الأماكن العامة، والإطلاقة من أسفل الخيمة، والذهاب إلى السوق للتسوق. وعادة ما تفقد الفضاءات المنزلية خصوصيتها وعزلتها لتصبح مكانا عاما.

والسائد داخل الدوار، هو نظام للتبادل غير- التجاري، والتعاون البيئي، وبشكل عام، يكون أداء الخدمات المقدمة بالمجان أو عينيا. أما في الموسم فالأمر مختلف تماما، حيث تكون الأموال الرائجة هي المستثمرة في الاستهلاك والتباهي. هذه الجوانب الاقتصادية سنوضحه بشكل موسع⁴². أما بخصوص التحول الذي يتميز به النظام الغذائي، فإنه على العموم يطبعه التباين، وتعتبر اللحوم مادة نادرة في التغذية اليومية العادية، على عكس الموسم الذي يشكل تناول اللحوم جزء من الاحتفال، بل أكثر من ذلك، تقوم عائلات أخرى بتجفيف اللحم لتكوين احتياطات منه، ويحتسي الناس فيه الشاي المنعنع المحلى طيلة اليوم... وإذا مر الاحتفال بهذا الشكل، يوصف من طرف العائلة والأصدقاء بالناجح.

42- أنظر الفصل الثامن الخاص بالأدوار الاقتصادية والتنموية للموسم.

في مستوى آخر من هذه التحولات الرمزية، يلاحظ تداخل بين النهار والليل، إذ يتميز نهار الموسم بغزارة العروض والأنشطة، حيث الفنتازيا، وزيارة ضريح الولي على قدم وساق. وفي الوقت نفسه، يسود جو من الخمول، بسبب ارتفاع درجة حرارة النهار، وتصبح الخيمة تبعا لذلك، مقرا للحوار والنقاش واحتساء الشاي.

ولالإشارة، تعيش وتنام وتأكل جميع العائلة، (بما في ذلك الضيوف)، في نفس الفضاء خلال تواجدهم في المواسم. وتطهو النساء في أحد أركان الخيمة، ويرفعن أطراف الخيمة لرؤية المارة ورؤيتهن في نفس الوقت، وبالتالي إزالة الحدود بين المجالات الخاصة والعامية. رغم هذا التجانس بين المجالات، يحرص كل من الرجال والنساء برقة على عدم الاختلاط، ولكل جنس أنشطة مفضلة، وحتى الأنشطة المحورية في الاحتفال لا تتصادف، ويمكن لأي شخص أن يتسلى كيف ما يحلو له، بيد أن القواعد الضمنية هي التي تهيك وتتحكم في الأنشطة.

وهكذا، تشكل المواسم طبيعة مع الحياة اليومية، حيث تصبح بعض الرموز التقليدية متجاوزة، بالرغم من أن الفصل بين الجنسين في الفضاءات ليس بالصارمة الكبيرة، في الأطلس المركزي، إلا أن بعض الزوار يحرصون على إظهار بعض الصور النمطية السائدة في العالم العربي، ويلاحظ تمييز بين الفضاء المنزلي الخاص والفضاء العام.

نظريا، يمكن أن نتساءل عن وظائف هذه التحولات، هل هي صمامات آمان للطبقات الاجتماعية التي تحتل أسفل البنية الاجتماعية، وهل يمكن اعتبار هذه التحولات طقوس التمرد الهادفة إلى التماسك الاجتماعي؟ وفي رأيي، يمكن أن يكون لهذه التحولات وظيفة "صمام الأمان" إذا لم تتعارض مع الطقوس المرتبطة ببعض القيم الثقافية. إن الغالبية العظمى من هذه التحولات تقوم على مفارقات: البداوة والتحضر والاستقرار، وفتح الفضاء الخاص على العموم، وهيمنة تكاملية في العلاقة بين المدينة والبادية، ووفرة المواد الغذائية.

فالمشاركة في الموسم هو عمل جماعي لا أحد يحاول التملص منه، ويسعى الجميع لتحقيق مبتغى مشترك، وتحقيق اتصال مع الله من خلال وساطة الولي، عن طريق ممارساتهم لمختلف الطقوس، خاصة الذبيحة، التي يتناول الجميع، إنها وجبة احتفالية تؤسس لارتباط بين الله والعالم الدنيوي، كما تعزز التماسك الأسري، حينما يكون الموسم احتفاء بأحد الأولياء.

يعتبر زمن انعقاد المواسم، زمنا فصلا بين الموسم الزراعي المنصرم، والموسم الزراعي المقبل إنه إذن انتقال زمني، وهو أيضا زمن تنتقل فيه جميع العائلات بكل منقولاتها نحو ضريح الولي، وداخل

الفضاء المقدس، ويعيشون لحظات حميمية مشتركة. إن رموز التحول حسب Turner⁴³، تتمثل في طقوس التقوي، خاصة على تحولات الوضع العام الذي يشكل فرصة للضعفاء لفرض أنفسهم على الأقوياء، وينبغي لهؤلاء الأقوياء الخضوع الرمزي للتراتبية المفروضة⁴⁴.

وبالنسبة للحالة التي تهمننا، فهي لا تتعلق بتحويلات الوضع العام، فالموسم هو من جهة، نموذج لنمط العيش مختلف، يتشابه مع الحضور المادي لنمط عيش المدينة، حيث الفضاء مفتوح، وحيث تتمتع النساء فيه بقدر أكبر من حرية التجول، من ناحية أخرى فإن التحويلات المسموح بها، تعكس أيضا بوضوح بنية مجتمع أبيسي.

تشكل المواسم في الأطلس المركزي، حدثا لضبط إيقاع الزمن، ويسمح بالعيش وفق التحويلات الرمزية لتجاوز القيود الاجتماعية، وتعزز تلك المواسم التماسك بين مجموعات معينة خاصة بين أفراد الأسرة المشتتة. فالموسم هو إعادة التجديد، لأنه مجال للانفراج والتخفيف من التوترات الاجتماعية، ويعطي القوة والحماية الإلهية للمجتمع بأسره لمواجهة الصعوبات المتجذرة في حياة مجتمع ووضعها في دورة جديدة. وتعتبر الزيارة الرسمية لعامل الإقليم، والصلاة الرسمية في ضريح الولي، وتناول وجبة الغداء في الخيام القايدية، ومشاركة الأهالي في احتفالاتهم، خاتمة لاحتفالات المواسم.

ب- الأبعاد السوسيواقتصادية في مورفولوجيا المواسم والمهرجانات

يشكل الموسم فرصة لأفراد العائلات المتفرقة لإعادة الالتقاء سنويا، إذ تفيد الأعراف في بلاد آيت حديدو، أن الأسر القاطنة بالمدن، تقوم بزيارة الموسم في المنطقة التي تنحدر منها، وتستفيد جميعها من التغذية والإيواء تحت نفس الخيمة العائلة الممتدة .

صرح لنا "الحاج" المقيم في مدينة الرباط، والمتزوج من قبيلة آيت حديدو خلال زيارته لموسم إملشيل، أنه يزور هذا الموسم دائما، لأن ذلك يسعد كثيرا عائلة زوجته، دفعنا هذا القول إلى الأخذ بعين الاعتبار عمق العلاقات الأسرية. ففي تصور الحاج، تعد زيارته للموسم إسعاد لأسرة زوجته،

43- TURNER Victor , The Ritual Process, Structure and Anti-Structure, Routledge and Kegan Paul, London, 1969. p p. 131, 138.

44 - Ibid.

ومع ذلك، فهذه الالتفاتة لإرادية، تندرج في نظام معقد للالتزامات العائلية.

وفعلا هذه العادات تساهم في تمتين الروابط العائلية بين الأسر في المدن والبوادي، فالحاج يتردد مرات عديدة في السنة على منطقة إملشيل لجلب، اللوز التفاح واللبن أو الزبدة. وفي المقابل، يعرض الحاج خدماته على أسرة زوجته، لحل بعض المشاكل في العاصمة الرباط إذا لزم الأمر ذلك. بالإضافة إلى أنه يمثل دعامة أساسية من أجل حصول بعض أفراد أسرة زوجته على فرصة عمل في المدينة.

تعتبر الأسرة عن شرفها بزيارة الحاج لها خلال الموسم. ووفقا لقواعد الضيافة، وتعبيرا عن كرمها في إعداد وجبات لائقة بالضيف الكبير، والتي ترمز للرفاهية والسعادة بتواجد الضيوف. من ناحية أخرى يشتري الحاج قنينات زجاجية من المشروبات الغازية، ولحم الماعز، وهو عمل يقدره أولئك الذين يعانون من ضعف الإمكانيات.

تغمر الحاج سعادة عند إظهار ممتلكاته المالية، باعتبارها دليلا على كرمه، ووضعها الاجتماعي المتميز. يلتقي الحاج كل مرة بأحد معارفه في الموسم، وغالبا ما كانوا ينحدرون من أحد دواوير جماعة بوزمو، يبادر الحاج في مناسبات كثيرة فيفتح كيساً من النقود ليقدم لهم مشروبا، أو يقدم بعض الدراهم لأطفال معارفه في الموسم، وفي نهاية كل لقاء يوصف الحاج هؤلاء بالمساكين، أي الفقير.

هذا النظام المعقد للتبادل المادي والرمزي بين العائلتين، ذات دلالات لعلاقات الهيمنة بين المدينة والبادية، وتبرز أيضا علاقات التداخل بين المدينة والبادية. وتعد الأسرة الحضرية أكثر اندماجا في نظام اقتصاد السوق، وعارفة بسبل ولوج سوق الشغل في المدينة. إن الخدمات التي يمكن أن يقدمها الحاج، يتقاضى عليها مقابلا عينيا من قبيلة زوجته بآيت حديدو، الذين لا يزالون نسبيا خارج هذا النظام الاقتصادي الحديث.

يبين الحاج نوعا من التباهي المادي خلال المواسم، وذلك بشراء مشروبات الغازية، وركوب سيارته، وإظهار مجوهرات زوجته، وبارتداء الحاج لجلباب أبيض أثناء الذبيحة المقدسة، يكرس وضعه الروحي الرسمي، كل هذه الرموز تساهم في زيادة نفوذه الاجتماعي والروحي والاقتصادي. لذلك، يحظى الحاج باحترام وتقدير الجميع، وفي المقابل، لا يتردد الحاج في إظهار مشاعر الاحترام تجاه الساكنة المحلية. تكمن أهمية الموسم بالنسبة لزوجته الحاج في نيل بركة الولي، وهي غير مبالية بإرضاء عائلتها، وتشعر بسعادة لكونها ضيفة شرف، يتم التعامل معها بكل احترام في كل شيء، حيث تمكث داخل

الخيمة، وترتدي أجمل ملابسها المصنوعة في المدينة، والحلي الذهبية، وتزين يديها بأرقى زخارف الحناء، يظهر أنها تعكس بذلك الرقي الاجتماعي.

ومجمل القول، يلاحظ تشابه كبير في التنظيم المورفولوجي للمواسم الحالية بالأطلس المركزي. إذ غالباً ما تتضمن هذه المواسم نفس عروض الفرجة والترفيه. غير أن التنظيم المورفولوجي للمواسم شهد تحولات وتطورات خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، كان لها أثر على بنياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.

وتتمثل أبرز التحولات التي عرفها التنظيم المورفولوجي للمواسم بالأطلس المركزي خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، في كون احتفالات المواسم كان إلى غاية مطلع القرن 20م، يوكل تنظيمها إلى حفدة وخدام الأولياء، وأعضاء الزوايا والطوائف الدينية. بيد أنه منذ فرض الحماية على المنطقة إلى يومنا هذا، بدأ مستوى اتخاذ القرار بشأن تنظيم المواسم يبتعد أكثر فأكثر عن حفدة الولي والساكنة المحلية، وأصبحت السلطات المحلية ووزارة الداخلية تتدخل في تنظيم الموسم، وتتكلف بمراقبة النظام والأمن.

كما أن التنظيم المورفولوجي للمواسم تتخلله تحولات رمزية، تظهر في كل الممارسات وتحركات الزوار داخل فضاءات المواسم، وتظهر جلياً الرغبة في تجاوز غالبية الرموز التقليدية المحافظة والقيود الاجتماعية. الشيء الذي يساهم في تعزيز التماسك بين الأفراد، ويسمح بإعادة التجديد، والانفراج، والتخفيف من التوترات الاجتماعية. وتعطي هذه الرموز قوة وحماية للمجتمع بأسره، لمواجهة صعوبات الحياة العميقة والمتجذرة. وتشكل هذه المواسم إلى جانب ذلك، مناسبة تظهر فيها التراتبية الاجتماعية والسوسيواقتصادية بين الأفراد، وتبرز من جهة أخرى، التباين الحاصل بين المجال الحضري والمجال الريفي.

المبحث الرابع: اهتمامات الزوار في مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي

بعدما تناولنا في المباحث السابقة من هذا الفصل، جرداً وتصنيفاً ووصفاً لمورفولوجية المواسم والتحولات المرتبطة بها بالأطلس المركزي، تبين لنا أنه لا بد من مبحث آخر يتناول بالوصف والتحليل اهتمامات مختلف فئات المجتمع لتظاهرات المواسم بالأطلس المركزي. لذلك، قاربنا هذا المبحث في ثلاثة محاور كبرى، يتعلق الأول باهتمامات النساء، والمحور الثاني اهتمامات الشباب المراهق، ثم المحور الثالث الذي تناول اهتمامات الأطفال بالمواسم.

1 - اهتمامات النساء في المواسم المهرجانات

يظهر من خلال الملاحظات الأولية، أن أنشطة النساء في الموسم، لا تختلف عن أنشطتهن في حياتهن اليومية العادية، فالأعمال المنزلية ليست بأي حال من الأحوال أقل من تلك الممارسة في الموسم، حيث يسهرن على إعداد وجبات الطعام، وتنظيف الأواني والغسيل... وفي خضم ممارستهن للأشغال المنزلية في الموسم، يقمن بطي أطراف الخيمة، الذي يمكنهن من رؤية ما يحدث حولهن، والنظر إلى تصرفات النساء الأخريات ونوعية ملابسهن وسلوكيات المارة منهن، ويشاهدن بدورهن من طرف المارة، ويحرصن على الظهور بمظهر أنيق داخل المطبخ الذي أصبح عموميا.

لقد أصبح فضاء النساء في الموسم فضاء عموميا، وأصبح معه غنى وجودة البيت الأسري معروضين لتقييم الآخرين، خاصة الأثاث (كالصناديق، والزرابي، والوسائد، والملابس). يعكس هذا الواقع، جزءا هاما من ممتلكات الأسرة ووضعها الاجتماعي والاقتصادي، ومؤهلات المرأة في الأطلس المركزي، ومدى قدرتها على تنظيم أشغال البيت.

وكلما امتازت المرأة بهذه المواصفات، توصف من قبل الآخرين بالشاطرة "الحادكة"، أي الأكثر دينامية وتنظيما، والتي تعرف كيف تطبخ، وتتقن تربية أطفال الصغار. هكذا، تصبح حميمية البيت أمام تقييم المجتمع، ويتحول البيت الأسري من الحياة الخاصة إلى الحياة العامة.

لا تقضي النساء اليوم كله أمام نار المطبخ، على عكس الحياة المعتادة للمرأة في الدوار، يترددن على السوق كل يوم، مصحوبات بأحد أفراد الأسرة من الذكور، أو يذهبن في مجموعات نسائية صغيرة، يتجولن بين الخيام الأخرى، وتشكل جولتهن هذه، مناسبة وفرصة، تتيح لهن المشاهدة والتعليق على الأشغال المنزلية ونظافة خيام النساء الأخريات.

هذه الحركة في ساحات المواسم، وبين الخيام والممرات الخاصة بالتجارة، يجعل ساحات الموسم تعج بالماردة، إلى درجة يحس فيه الإنسان القروي بحياة تشبه الحياة المزدهمة في المدينة. وحتى المفردات المتداولة بينهم تواكب هذا التغيير في نمط العيش، إذ يعتبرون أنفسهم كما لو كانوا يعيشون في المدينة.

- الأضرحة بالنسبة للنساء خلال انعقاد الموسم

غالبا ما تقوم النساء بزيارة الضريح لنيل البركة، مرة واحدة على الأقل خلال مدة الإقامة في

الموسم. وتتم زيارة الضريح خلال الموسم، وفق مسلسل من عدة طقوس، تبدأ من مدخل الفضاء، إلى وسط الضريح، وحتى بئر الضريح، الذي يكتسي أهمية بالغة بالنسبة للنساء، حيث تحاول كل واحدة جلب القليل من الماء لمنزلها، نظرا لبركته.

تحاول عشرات النساء الدخول دفعة واحدة من باب الضريح، إذ أحصينا حوالي خمسين من هن دخلن في دقيقة واحدة، وفي نفس الوقت، تتدافع نساء أخريات للخروج من نفس الباب، وتجلس حارسة الضريح في المدخل، حيث تتلقى الهدايا المالية من الزائرات، اللواتي يقمن بلمس قبر الولي، وتقبيل أيدهن ثم مسح وجوههن.

بالرغم من أن زيارة الضريح تعتبر أساسية في جميع الزيارات، إلا أنها لا تشكل الحدث الأهم، لأن أكثر ما يهم النساء هو الاستحمام بالماء المقدس⁴⁵، بحيث تشكل زيارة الضريح والاستحمام تحت شجرة التين المقدسة نقطة أساسية في هذا الاحتفال بالنسبة للنساء.

تشكل زيارة الضريح بالنسبة للنساء فرصة للتزين وإظهار الجمال، حيث يلبسن أجمل ما لديهن من الثياب، وهي عبارة عن "قفطان-دفيانا"، وأحزمة مذهبة وحلي. وفي الوقت نفسه، تزينن أجسادهن، بمواد التجميل التي تكتسي مكانة مهمة لديهن، حيث يضعن الكحل على عيونهن، والمسحوق الأحمر على الخدود والشفاه، ويستخدمن "السواك" لتزوين اللثة والأسنان، والحناء لتزوين أيديهن وأقدامهن.

تساهم مواد التجميل في إبراز النساء لأنوثتهن، لذلك يقمن بالتجميل خلال الموسم، على أنظار أزواجهن، وأفراد آخرين ذكور من العائلة. فعادة التزوين لدى النساء أمر شائع ومطلوب خلال الموسم، وخاصة أثناء زيارتهن للضريح، على عكس الحياة اليومية العادية⁴⁶. ففي تعاريفهن لمعنى الاحتفال والموسم وزيارة الضريح، لا يغفلن اهتمامهن بالملابس ومساحيق التجميل، تقول "يامنة" على سبيل المثال: نجد في الموسم، مواد التجميل، وعروض الفرجة، والخيام وزيارة الضريح. تعتبر

45 - تعتبر طقوس الاستحمام بالماء المقدس الذي يجلب من جب قرب الضريح، ظاهرة منتشرة بالأطلس المركزي، ومن بين الأضرحة المعروفة بهذا الطقس سيدي امحمد أمحمد بواويزغت. حيث تقوم النساء بخلع ملابسهن العليا وتبقين على سراويلهن الفضفاضة أو ملابسهن الداخلية، وترشن أجسادهن بهذا الماء، والهدف من ممارسة هذه الطقوس نيل البركة وضمان حماية الولي من الأمراض والعقم، ونادرا ما تقضي النساء وقتا طويلا أثناء الاستحمام القدس.

46 - MERNISSI Fatima, Sexe, Idéologie, islam, Les Éditions maghrébines Casablanca, volumes 2, 1985. P. 02, 100, 205/ pdf.

"فاطمة" الموسم، زيارة الضريح، وارتداء ملابس أنيقة، والحصول على وجبة جيدة، والاستمتاع بعروض الفرجة.

- أهمية الباروك بالنسبة للنساء خلال انعقاد الموسم

يعتبر اقتناء " الباروك " نشاطا أساسيا يدخل الكثير من الفرحة والسرور على النساء. يمكن تعريف "الباروك" بأنه كل شيء تنهل منه البركة. لذلك، يحرص الزوار خلال أيام الموسم، على اقتناء كل ما يفرح القلب من حلي "كالذبالج"، والخواتم، وسلاسل، وتمائم يد فاطمة "خميسة"، وأنواع أخرى من الحلي. غالبا ما تشتري النساء "الباروك" في اليوم الأخير من الموسم، الذي يتشكل من مواد غذائية أو حلي أو ملابس، يرجع الجميع إلى ديارهن محملين بباروك الموسم، كقطع الحلوى، والتمر، والفواكه... فالبحث عن الباروك، هو في حد ذاته بحث عن الحماية الإلهي حسب Brunel⁴⁷.

يريد جميع زوار الموسم الحصول على تلك التمور أو تلك الشموع بنوايا مختلفة، ويحتفظون بها بحرص، حيث يعتقد الرجل الفقير أنه سيصبح غنياً، ويعتقد المريض أنه سيتماثل للشفاء. يحتفظ الناس بباروك الموسم، باعتباره رمزا من رموز تبجيل وليهم أو شيخهم، ويمكن تفسير تهافت الزوار على اقتناء الباروك، كونه يعمل على نشر البركة الإلهية في منازلهم، وبالتالي يجدد الناس مشترياتهم من الشموع والباروك كل عام، لتجنب وقوع المعاناة والمآسي.

تتلخص أهمية الموسم بالنسبة لنساء الأطلس المركزي في زيارة الضريح، وشراء "الباروك"، وتزيين أجسادهن للظهور بمظهر لائق وجميل، غير أنهن، لا يغفلن دائما عروض الفرجة، التي تشكل جانبا مهماً من المواسم، وخاصة التي تُجرى خلال الليل، وكذا الاستمتاع بعروض التبوريدة.

2- اهتمامات الشباب المراهق في المواسم والمهرجانات

يتجول الشباب المراهق خلال احتفالية مواسم الأطلس المركزي، كما يحلو لهم في جميع ساحات الموسم⁴⁸، يتوقف البعض في ساحة الفنتازيا، لكن الأغلبية يفضلون الاستمتاع بألعاب التحدي، أو

47 - Brunel Paul, op. cit. p. 122.

48 - المقصود بالمراهقين، جميع الشباب غير المتزوجين، الذين تتراوح أعمارهم بين 7 سنوات و20 سنة تقريبا.

التي تتطلب المهارة، أو ومشاهدة الكرنفال والعروض البهلوانية، وألعاب السحر المتنوعة، إنها "الفرجة" بالمعنى الواسع للكلمة.

بمجرد إحساس الشباب بالتعب، جراء تجولهم في فضاءات الموسم، وإحساسهم بارتفاع في درجة الحرارة، (خاصة إذا كان زمن انعقاد الموسم خلال فصل الصيف)، يعودون إلى خيمة العائلة، ويسترخون أو يستمعون إلى الموسيقى على الراديو أو مسجلة الموسيقى، أو الهواتف الذكية، وبالتالي سيادة جو من الخمول لدى هؤلاء الشباب.

تختلف الأهمية التي يمنحها الشباب لاحتفالية الموسم، حسب مكان إقامة الشخص، ومستواه الدراسي. وعلى سبيل المثال، الشاب محمد (17 سنة، غير متمدرس) من زاوية الشيخ يقول، ما يعجبني في الموسم هو الفنتازيا، والعروض المتنوعة، وخاصة سهرات "الشيخات" الليلية، إن ما يحبه الذكور الراشدون في الاحتفال في البادية، لا يختلف عن رغبة استمتاع المراهقين.

أما الشاب مراد، (21 عاماً متمدرس من مدينة بني ملال)، اعتبر الموسم مناسبة للاستمتاع بأجواء الفرجة، والالتقاء بعائلته، والتعرف على أناس آخرين، وإحياء صلة الرحم مع أفراد عائلة أمه. كما عبر سعيد (20 عاماً متمدرس من المركز الحضري القصيبة)، أن المواسم تساعد على الحفاظ على بعض التقاليد والعادات.

الجميل في قول الشابين الحضريين هو إبدأؤهما تقديراً لبعض القيم التقليدية، فالأول، يقدر الاتصال مع أفراد أسرة والدته القروية، بينما الآخر، أظهر ارتباطه بالتقاليد والعادات والتراث. أما الشاب علي (23 عاماً شقيق محمد)، قال: لا أومن بهذه الأشياء التقليدية، جئت لإرضاء عائلتي. وأنبذ بعض المعتقدات والطقوس المنتشرة بالمواسم، لكنه يمثل لقيود المشاركة في هذا الاحتفال. من جهة أخرى، يقول رشيد (12 سنة متمدرس، من مدينة خنيفرة⁴⁹): أن أهم ما في المواسم، هو بناء خيمتنا، والاستمتاع بعروض الفنتازيا والفرجة المقدمة للجمهور.

يلاحظ بشكل عام، عدم اهتمام المراهقين بالولي الصالح، وبركته، ولا تشكل زيارة الضريح بالنسبة لهم مظهراً من المظاهر الأساسية في احتفالات المواسم. لكن في المقابل، يعتبر بعض

49 - رشيد ينحدر من أسرة أصولها من قرية مولاي بوعزة. لكنها استقرت مؤخراً بمدينة خنيفرة.

المراهقين المنتهجين لطريق الحداثة، أن المواسم جزءاً لا يتجزأ من التقاليد، لكن رغم ذلك لا يعترضون عليها. بينما يستنكر والبعض منهم، سواء الحداثيين أو المحافظين، بعض الممارسات والطقوس المرتبطة بزيارة الضريح والذبيحة، وفي المقابل يعشق هؤلاء المراهقون التسلية والفرجة في المواسم.

وللإشارة، لا تتعاطى الفتيات الصغيرات ممارسة الألعاب والتسلية فقط، وإنما يتحركن وفق وضعهن الأسري، حيث تستغل الفتيات أوقات الفراغ للتجول في محيط خيمتهن، وفي بعض الأحيان، يتبعن بعض المجموعات الموسيقية الصغيرة، ويشاهدن النساء اللواتي يرقصن على إيقاع الدفوف. وعادة ما تصاحب الفتيات المراهقات نساء من أسرهن إلى الضريح، حيث يعرفن تماماً كل الممارسات والطقوس المطلوبة.

تجلس الفتاتان داخل الخيمة، وتتسليان بتزيين أيديهن وأقدامهن بالحناء، ووضع مواد التجميل المحلية. لقد كان وضعاً متميزاً بالنسبة لهن، بحيث يكون ممنوعاً على النساء غير المتزوجات في الحياة اليومية العادية وضع مواد التجميل. يتم التمييز بين الفتيات المراهقات حسب وضعيتهن كضيفات أو مستضيفات، حيث تستفيد بنات العمومة القادمات من المدينة للموسم، من وضعهن كضيفات، وحسب قواعد الضيافة في المنطقة، يعفى الضيوف من جميع الأشغال المنزلية، وتوفر نساء العائلة المستقبلية بمساعدة بناتهن، الطعام للضيوف بكل حماسة.

غالباً ما تعرف مواسم المنطقة حضور شباب من مدن مجاورة، أو بعيدة لم يسبق لهم زيارة موسم من المواسم. وقد صادفنا بعض الفتيات في مواسم المنطقة من مدن مختلفة، عبرن عن شعورهن براحة كبيرة في الجو الاحتفالي، وتأقلمن بسهولة كبيرة مع هذا المناخ الجديد، ولم ينزعجن أبداً وسط الآخرين، حيث يرقصن حول الموسيقيين المتنقلين، على مرأى خليط من الجمهور ذكورا وإناثاً، وهذا أمر غير مألوف بالنسبة لفتيات مراهقات من المناطق القروية، فالفتيات المراهقات اللواتي هاجر أبائهن حديثاً إلى المدينة، تعتبر أيام الموسم بالنسبة إليهن فترة عطلة، خصوصاً عندما تتزامن أيام الموسم مع أيام العطل المدرسية.

بيد أنه لا بد أن نشير إلى التباينات الجنسية للأنشطة عند الشباب تبدأ في التبلور منذ سن المراهقة، وتتغير واهتماماتهم وتصوراتهم للمواسم، بحيث يتجول المراهقون الذكور في جميع أنحاء فضاءات الموسم، ولا يأتون إلى الخيمة، إلا عندما يرغبون في تناول الطعام أو الراحة، بينما تجد المراهقات أنفسهن أمام فضاء تحركاتهن داخل الموسم أكثر تقييداً من الذكور، حيث يجب عليهن

قضاء بعض الوقت في الأشغال المنزلية.

والملاحظ، أنه ليس هناك اختلاف واضح بين المراهقين الذكور القادمين من المدينة، ونظرائهم المستقرين بالبادية (من حيث الأنشطة المزاولة والسلوك والملابس)، على عكس المراهقات القادمات من المدينة ونظيرتهن من فتيات البادية، حيث تقدم هذه الأخيرة خدماتهن للحضرية، ويتحركن بخجل في الفضاء ويرتدين ملابس تقليدية، بينما ترتدي بنات العمومة القادمات من المدينة اللباس الغربي العصري، ويضعن بفرح مساحيق التجميل، ويرقصن دون خجل، عندما تتاح لهن الفرصة⁵⁰.

يرفض غالبية المراهقين الحضريين المتعلمين طقوس تقديس الأولياء، في حين أن الشابات المراهقات، لا يرفضن علانية الاعتقاد في الولي الصالح، وهن أكثر اندماجاً في عالم النساء، وإيماناً بكرمات الأولياء، وقدرتهن على الشفاء، ولا يجدن سبباً للتساؤل حول هذه المعتقدات التقليدية. لكن يظهر أن بعض المتعلمات منهن، لهن موقفاً متحفظاً ضمناً تجاه الطقوس الاحتفالية، ولكن ليس موقفاً يحمل انتقاداً صريحاً.

3 - اهتمامات الأطفال في الموسم والمهرجانات

تعمل العائلات على مصاحبة الأطفال منذ نعومة أظافرهم إلى الموسم، الذي يشكل بالنسبة للأطفال حدثاً سعيداً. لذلك، يمارس الآباء بعضاً من سلطتهم على أطفالهم في الشهر الذي يسبق الاحتفال، بحيث يتعرض الأطفال أكثر من مرة للتهديد بعدم حضور احتفالات الموسم، ويعد حرمان الطفل من المشاركة في الموسم، بمثابة عقوبة زجرية ناتجة عن سلوكيات لا تربوية.

إن الجانب الذي يخلق السعادة لدى الأطفال، هو كثافة الأنشطة الترفيهية المعروضة خلال الموسم. إذ تتجاوز كثافة الأنشطة والسلع وعروض الفرجة في الموسم، تلك التي تكون عادة في الدوار. لذلك، لابد من تخصيص مبلغ مالي خاص باحتفالية الموسم لتدبير حاجياتهم المادية كما يشاؤون، حيث ينفق الأطفال هذا المبلغ البسيط في اقتناء الحلويات والمثلجات، والألعاب،

50 - يظهر بوضوح التباين بين الفتيات القادمات من المدن وتلك المستقرات في القرية خلال انعقاد المواسم، خاصة التي تقام في أعالي جبال الأطلس، حيث يحس الزائر بفرق بين النساء المحليات والقادمات من المراكز الحضرية من حيث اللباس والسلوك، "تحريات ميدانية موسم املشيل بتاريخ 23 شتنبر 2014م"

والاستمتاع بأجواء الاحتفال.

هذا الشكل من الاستهلاك لا وجود له في القرية، ففي الدوار، يخترعون ألعابا بوسائل تثير أذواقهم، يجلبونها من الطبيعة ومحيطهم. ولا يعير الصغار اهتماما لبركة الولي، ومع ذلك، يحمل الأطفال الرضع (الفتيات والفتيان)، على ظهور أمهاتهم إلى ضريح الولي الصالح، وبهذه الطريقة، يكون الشباب، قد تعود على إيماءات وطقوس لمس ومعانقة قبر الولي.

إلى جانب ذلك، يتعود الشباب على طقوس الذبيحة منذ سن مبكرة، حيث يسمعون مأمأة الكباش، ويعرفون مسبقا أنها الذبيحة، وتجد الأطفال خلال عملية الذبح في الصفوف الأولى لمشاهدة الحيوان المحتضر. وتدخل هذه العادات شعور بالبهجة والسرور في نفوس الأطفال. ينتقل هذا الشعور من جيل إلى آخر.

مجمل القول، يظهر أن هناك تباين واضح في اهتمامات مختلف فئات المجتمع لمختلف الطقوس والعروض التي تتضمنها ساحات المواسم، وأن النساء بما فيهن الشابات المراهقات يفضلن بالدرجة الأولى الطقوس الاحتفالية المتعلقة بالضريح، خاصة طقوس الزيارة والذبيحة، واقتناء الباروك من مأكولات وحلي.... دون إغفالهن باقي عروض الفرجة.

أما فيما يخص اهتمامات الشباب المراهق من الذكور، يفضل الأغلبية منهم، التجول والاستمتاع بألعاب التحدي، ومشاهدة الكرنفال والعروض البهلوانية، وألعاب السحر المتنوعة، والاستمتاع بعروض الموسيقى. والملاحظ أن هذه الفئة، لا تولي اهتماما كبيرا لجل الطقوس المرتبطة بالضريح. و من جهة أخرى تعتبر المواسم الاحتفالية حدثا سعيدا بالنسبة للأطفال، بفعل كثافة الأنشطة الترفيهية، والسلع والألعاب المعروضة بساحات المواسم، التي تعوض الألعاب البدائية التي عادة ما يستمتع بها الأطفال في الدوار.

خاتمة الفصل الثالث

بعد مقارنة هذا الفصل الذي تناولنا فيه، جرد وتصنيف المواسم الاحتفالية بالأطلس المركزي خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، ومختلف التحولات واهتمامات الزوار المرتبطة بالتنظيم المورفولوجي لهذه المواسم الاحتفالية توصلنا إلى مجموعة من الخلاصات أبرزها:

أولا: تزايد عدد المواسم المنعقدة بالمغرب عموما، ومجال الأطلس المركزي على وجه الخصوص، منذ حصول المغرب على استقلاله سنة 1956م، مقارنة بفترة الحماية 1912م - 1956م بل وتضاعف

عدد المواسم بمجال الأطلس المركزي بداية القرن 21م.

ثانيا: صنف الباحثون عادة المواسم الاحتفالية باعتماد معيارين، الأول متعلق بالمعتقد والدين، والثاني مرتبط بالتحقيب الزمني المتبع في تنظيم هذه المواسم. غير أن هذه المعايير، لا تكفي لتصنيف المواسم بالأطلس المركزي، لكون الساكنة بهذه المناطق، تنظم مواسم احتفالية أخرى خارجة عن هذا التصنيف.

رابعا: يمكن تصنيف مواسم الأطلس المركزي خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م، إلى عدة أصناف أبرزها: مواسم الزوايا والأضرحة والمزارات الإسلامية واليهودية. والمواسم المرتبط بتدبير الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، كمواسم الأسواق السنوية، ومواسم فتح المراعي الجماعية، وتنظيم حفلات الزفاف، والختان الجماعين، ومواسم مرتبط بإعادة بناء العلاقات وتنظيم القبائل، من قبيل: تعيين شيخ القبيلة "أمغارن تقبيلت"، وأعضاء "الجماعة"، ومواسم ومهرجانات مستحدثة وفلكلورية.

خامسا: يلاحظ تشابه كبير في التنظيم المورفولوجي للمواسم بالأطلس المركزي، غير أن هذا التنظيم عرف تحولات وتطورات خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م، بسبب تحول البنيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للأطلس المركزي، حيث كانت احتفالات المواسم إلى غاية مطلع القرن 20م، يوكل تنظيمها في المقام الأول إلى حفدة وخدام الأولياء، وأعضاء الزوايا والطوائف الدينية. بيد أنه منذ فرض الحماية على المنطقة إلى يومنا هذا، أصبحت السلطات المحلية ووزارة الداخلية تتدخل في تنظيم الموسم، وتتكلف بمراقبة النظام والأمن.

سادسا: تشكل المواسم حدثا لضبط إيقاع الزمن، وقطيعة مع الروتين اليومي، تتميز أيام المواسم بالمزاوجة بين نمط حياة الترحال، وحياة الاستقرار، وتداخل النهار والليل، وغزارة عروض الفرجة، وتجاوز غالبية الرموز التقليدية المحافظة، والقيود الاجتماعية، مما يسمح بإعادة التجديد، والانفراج والتخفيف من التوترات الاجتماعية المتجدرة ووضعها في دورة جديدة.

سابعا: سجلنا تباينا واضحا في اهتمامات مختلف فئات المجتمع بالطقوس والعروض الاحتفالية التي تتضمنها ساحات المواسم. حيث تفضل النساء بما فيه الشابات الطقوس الاحتفالية المتعلقة بالضريح، في حين، ينحصر اهتمام الشباب المراهق في التجول في الموسم، والاستمتاع بعروض الفرجة والتسلية، ولا تولي هذه الفئة الأخيرة، أي اهتمام لجل الطقوس المرتبطة بالضريح والذبيحة. وتعتبر المواسم بالنسبة للأطفال الأطفال حدثا سعيدا، بفعل كثافة الأنشطة الترفيهية والألعاب، والمأكولات التي تحقق لهم السعادة.

الفصل الرابع

التطورات التي عرفتھا مواسم ومهرجانات
الأطلس المركزي خلال القرن 20م ومطلع
القرن 21م

أهمية مؤسسة الولي ودورها في الاشراف على تنظيم المواسم
بالأطلس المركزي إلى غاية النصف الأول من القرن 20م

البحث
الأول

تطورات المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي خلال
النصف الثاني من القرن 20م ومطلع القرن 21م

البحث
الثاني

مقدمة الفصل الرابع

إن فهم الأسباب المفسرة للهالة والتبجيل الذي يحظى به الأولياء بالأطلس المركزي على غرار باقي مناطق المغرب أمر ضروري، كما أن فهم حيثيات هذه الظاهرة، من شأنه تفسير استمرارية تبجيل الأولياء والاحتفاء بهم، وتنظيم مواسم ومهرجانات سنوية على شرفهم. وقد تساءل العديد من الباحثين، ومنهم¹ (Gellner) عن أسباب تبجيل وتقديس الأولياء بالمغرب، ويؤكدون أن تفسير وفهم هذه احتفال تقتضي الإلمام بالعمق التاريخي للاحتفال، ومعرفة حيثيات مؤسسة الولي، وما الذي كان يقوم به هؤلاء الأولياء قيد حياتهم، حتى تمتعوا بهذا النفوذ الواسع.

هكذا ركزنا في هذا الفصل الثالث، على أدوار الصلحاء شيوخ الزوايا والأضرحة، سواء الإسلامية أو اليهودية بالأطلس المركزي خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، وعلاقة ذلك بتنظيم المواسم والمهرجانات الاحتفالية بجوار هذه الزوايا والأضرحة تيمنا بهذه الشخصيات. ولتحليل وفهم هذه العلاقة، تناولنا بالتفصيل دلالات وأهمية مؤسسة الولي في ذهنية وثقافة سكان الأطلس المركزي، والمبادئ الضرورية لتحقيق الولاية والصلاح.

إلى جانب ذلك، تطرقنا أيضا لمختلف الوظائف والأدوار التي لعبتها المراكز الدينية الصوفية من زوايا وأضرحة إسلامية ويهودية، بداية القرن 20م بالأطلس المركزي، خاصة الأدوار الروحية، والثقافية، والاجتماعية، والسيكولوجية، والسياسية، والعسكرية والاقتصادية. هدفنا من التطرق لهذا الإشكال، هو محاولة فهم أسباب ارتباط تنظيم احتفالات المواسم بالأضرحة والزوايا الطرقية. وفي المبحث الأخير، وضحنا وضعية الزوايا والأضرحة التي لازالت تعقد بها المواسم والمهرجانات الاحتفالية بالأطلس المركزي خلال النصف الثاني من القرن 20م وبداية القرن 21م. وركزنا فيه على التحولات التي شهدتها احتفال زيارة الأضرحة، سواء خلال انعقاد المواسم أو في الزيارات المناسباتية. وعملنا من جهة أخرى على توضيح بعض أسباب هذه التحولات.

كما تطرقنا في نهاية هذا الفصل، لوصف عمليات وطرق طقوس وعادات زيارة الأضرحة زمن انعقاد المواسم والمهرجانات الراهنة بالأطلس المركزي. وأشارنا في نفس السياق إلى مختلف الآليات

1- GELLNER Ernest, op. Cit. p. 129.

المعتمدة في تدبير أمور الأضرحة خلال انعقاد المواسم، بما فيها تدبير أمور أضرحة وزوايا الطائفة اليهودية. وركزنا على أهمية هذه الآليات كتراث ثقافي أبانت فعاليتها في التدبير الاقتصادي والاجتماعي المحلي. كما اشرنا إلى بعض الإكراهات التي تعاني منها هذه الفضاءات المقدسة.

البحث الأول: أهمية مؤسسة الولي ودورها في تنظيم المواسم بالأطلس المركزي إلى غاية النصف الأول من القرن 20م

لعبت مؤسسة الولي بالأطلس المركزي، دورا كبيرا في تنظيم مجال القبائل ترابيا ووظيفيا، بفعل التأثير الروحي القوي لهذه المؤسسة، المتمثلة في الأدوار الروحية والثقافية والاجتماعية السيكولوجية، والسياسية والعسكرية والاقتصادية، التي كان يتمتع بها الأولياء وشيوخ الزوايا. وقد ترتب عن ذلك ارتباط المواسم بهذه المؤسسة الروحية، وهو ما يفسر أسباب الهالة والتقديس الذي كان يتمتع بها هؤلاء الأولياء، ودور ذلك في تنظيم القبائل احتفالات مواسمها قرب الأضرحة والزوايا الطرقية.

1- المبادئ الأساسية لتحقيق الولاية والصالح

قبل أن نتطرق لموضوع الولاية والصالح بالأطلس المركزي، لا بد أن نشير إلى أن ظاهرة تقديس الأولياء والصالحاء كانت معروفة بالمنطقة قبل ارتباطها بالحركة الصوفية. إن العديد من القرائن التاريخية تؤكد أن زيارة الأضرحة، كانت معروفة بالمنطقة قبل الفترة الإسلامية، ومن المرجح جدا، أنها نابعة من معتقدات قديمة وثنية، وتعرضت للأسلمة في الفترات الإسلامية .

تشير الكتابات التاريخية التي ترجع للقرن 12م، إلى أن الأطلس المركزي شهد زيارة الأضرحة بالمنطقة وإقامة المواسم². وعلى سبيل المثال، كان ضريح الولي مولاي بوعزة محط تقديس العامة، حيث يشد الناس إليه الرحال بكثرة، فيخرج أهل فاس لزيارة هذا الضريح بعد عيد الفطر من كل سنة، في جموع كثيرة رجالا ونساء وأطفالا، وكأنهم جيش زاحف، يحمل كل واحد خيمته على ظهر دابته، بحيث تكون جميع البهائم محملة بالخيام والأشياء الأخرى، وتتألف كل مجموعة من مائة

2 - أحمد بن القاسم الصومعي التادلي، م. س. ص. 217.

وخمسين خيمة، وتستغرق الرحلة خمسة عشر يوما ذهابا وإيابا³. وأشار الحسن الوزان خلال القرن 16م، إلى انتشار طقوس زيارة الأضرحة والمزارات بالأطلس المتوسط، وقد تحدث عن ذلك أثناء حديثه عن مدينة كانت تسمى "عيث الأصنام" بنواحي صفرو، حيث كان فيها معبد يجتمع فيه الرجال والنساء عند غروب الشمس في كل فصل معين من السنة... لكن المسلمين دمروا المدينة ولم يبق لها أثر⁴.

1 - 1 مفهوم الولي وتمثلات الساكنة للولاية والصلاح

يستخدم عادة أغلب سكان الأطلس المركزي، الأمازيغ منهم، وسكان البوادي العرب⁵، أسماء سيدي ومولاي والفقير للأولياء الذكور، ولالة والسيدة والفقيرة، للوليات الصالحات الإناث. يختلف مصطلح مولاي، عن سيدي، لكون الأول(مثاليا)، له دلالة شريف عظيم، ونادرا ما يستعملون مصطلح "مرابط⁶". ورغم ما يلاحظ من تنوع في المصطلحات المستعملة للدلالة على الأولياء، فإن المصطلحات العامية الشعبية متجانسة، رغم الواقع الاجتماعي المعقد، فالمصطلح سيدي يشير إلى مجموعة من الشخصيات وهي المتدينة، والورعة، والعلماء مؤسسي الطرق الصوفية، والشرفاء، والشيوخ وزعماء القبائل، وأصحاب الكرامات، والجن.

ليس من السهل دائما التمييز بين فئات الأولياء المختلفة، حيث إن جميعهم تقريبا يحملون نفس الدلالة، حيث أن الشرفاء يدعون بمولاي، غير أن هذا اللقب ليس حكرا عليهم، فالوالي الصالح المشرقي مولاي عبد القادر الجيلاني، مؤسس الطريقة القادرية، يحمل نفس اللقب، كما هو الحال

3 - الحسن الوزان ، م.س. ص. 117، 270.

4 - نفسه.

5 - اتخذ المرابطون طيلة التاريخ الإسلامي، معاني وقيم مختلفة، حيث أن مصطلح "المرابط" يعبر عن الواقع غير المتجانس، فالمرابطية هي من ناحية، مجموعة من الأفكار الروحية التي ولدت مع الصوفية، والحركات الدينية السياسية في المغرب مثل ظاهرة الشرف وأفكار المهدي المنتظر المنبثقة عن الإسلام الشيعي. ومن ناحية أخرى، تعبر المرابطية عن الممارسات الخرافية الشعبية أو حتى السحرية المتأثرة بالمعتقدات القديمة الوثنية أنظر: إدمون دوتي، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي خلال القرن 19م، ترجمة محمد ناجي بن عمر، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2014، ص. 10-140.

6 - يرجع مصطلح مرابط، إلى الأصل العربي المشتق من كلمة ربط، ومنه الارتباط بالله، والمرابط هو الشخص المرابط في الرباط، ويقصد به الحصن الدفاعي. هذا المفهوم ارتبط ارتباطا وثيقا بالحرب التي قادها المرابطون باسم (الجهاد). فالحصن أو الرباط هو نقطة انطلاق الهجمات ضد الكفار، أو نقطة الإمداد والدعم الدفاعي على الحدود. أنظر

- BRIGNON Jean, op. cit. p. 87.

بالنسبة للولي المغربي الكبير مولاي عبد السلام بن مشيش، أو مولاي عبد الله أمغار، شيخ زاوية تيط.

يتيح هذا اللقب لبعض الأولياء، الذين لم توثق لهم شجرة النسب الشريف، ومنهم الأولياء المشهورين جهويا مثل مولاي بوعزة بزيان. و يخصص لقب سيدي للصلحاء والأولياء، ذوي الشهرة المحدودة، والذين لا يعرف أصلهم الشريف، وأن بعض الأولياء تدعى بأسمائها الأصلية. غير أن أغلبهم يحمل ألقاب أعلام، تحمل في ثناياها كرامات وخورق أسطورية، وعلى سبيل المثال، تشير أسماء: سيدي بوشتا، ولي المطر، سيدي بولعجول، ولي العجول، وسيدي الطيار، الولي الطائر، وسيدي بولخلف ولي والخصوبة وإعادة الحياة... إن هذه الألقاب، تجد تفسيرها في الكرامات والأساطير المروية حول هؤلاء الأولياء.

1 - 2 المبادئ الأساسية لتحقيق الولاية والصلاح

وهناك ثلاثة مبادئ أساسية في اعتقادنا، ضرورية لتحقيق الولاية والصلاح، المبدأ الأول، هو النسب الشريف، والثاني، الرغبة والإرادة، والثالث تحقيق الإجماع والتوافق الاجتماعي.

المبدأ الأول: النسب الشريف: يشكل المبدأ الرئيس، الذي تتطلبه الولاية، أي أن يكون الولي الصالح من أحفاد النبي، وأن يتمتع بنوع من القداسة والبركة الإلهية، سواء أكان من الأغنياء أو الفقراء. يربط جل الأولياء في الأطلس المركزي، نسبهم إما للشرفاء الأدارسة، كما هو الحال بالنسبة لمولاي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، وسيدي علي بن إبراهيم البوزيدي ببني عياط، وإما يرجعون نسبهم إلى عمر بن الخطاب، كما هو الحال بالنسبة لشرفاء الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد. وللإشارة، أنه على مر القرون، دون المؤلفون وعلماء الأنساب شجرة أنسابهم وسيرهم، لكن المنتبج يفهم بسهولة أن هذا المبدأ حاضر بشكل متكرر، وتشوبه عمليات التزوير والاحتيال.

المبدأ الثاني: الرغبة والإرادة: إن الوصول إلى مستوى الولاية والصلاح، يتم بطريقة تدريجية ومتفاوتة بين الطرق الصوفية، يبدأ بسلسلة من الطقوس والأوراد الروحية، ثم بعد ذلك يتعلم المرید الأذكار والأوراد التي يتواصل بها مع الله، ثم يمر بعدها إلى حالات روحية عاطفية تغمرها النشوة، وتستمر هذه المرحلة عدة سنوات. عندما يصل المرء إلى مرحلة الولاية، تصبح الأنا محدودة، وتترك جميع القيم المادية، ويصبح بذلك المرید صوفيا عظيما، ويحصل على مرتبة الولي الصالح.

المبدأ الثالث: تكريس الإجماع المجتمعي: وله طابع الإقرار الضمني، ينطبق هذا المبدأ بصفة

خاصة على الأولياء الذين تبنتهم الجماهير الشعبية، مع العلم أنه ليس لهؤلاء الأولياء نسب شريف، وينتسبون فقط إلى شيخ صوفي. وفي محاولة لتحقيق هذا المبدأ، يعاقب الأولياء الصالحون أنفسهم، باعتبار ذلك مظهرا من مظاهر التقوى، والتدين، والسلام، والكرم، والضيافة، والإزدهار، وفي كثير من الأحيان، يعرضون انفسهم للخطر .

وحسب Gellner، تظهر الولاية عندما يظهر غالبية سكان الجماعة نوعا من التبجيل والاحترام والسلام للولي الصالح، ويتحلى بسمات الكرم، وحسن الضيافة، مادام وضعه الاجتماعي يتيح له الاستفادة من ذبائح وهبات أتباعه⁷. ومع ذلك، فإن تعريف Gellner هذا، ينطبق جزئيا فقط على واقع الأطلس المركزي الحالي، في إشارة للسياق القبلي، أو الدور التحكيمي، وتثمين الروابط الاجتماعية بين القبائل، طالما أن هذه الأخيرة، لم تكن كلها خاضعة لسلطة مركزية، ولم يكن العنف فيها محتكرا من طرف الدولة.

ومن خصوصيات قبائل المنطقة، أنها تقدر شخص الولي قيد حياته أو بعد وفاته ذكورا وإناثا. والملاحظ أن عدد الأولياء الذكور أكثر من الإناث، وغالبيتهم متوفون، وأن النساء الصالحات الوليات، كلهن متوفيات، وهن غالبا ما يرتبطن بولي صالح ذكر سواء أمه، أو أخته، أو ابنته أو زوجته. ولإشارة، فإن غالبية التعاريف المرتبطة بتقديس الأولياء في المغرب، تتضمن فرضيات غير صحيحة، حيث يربطون التبجيل بموت الولي فقط⁸.

باستثناء أولياء الجن، الذين لهم وضع خاص، لا نصادف اليوم أولياء صلحاء أحياء، فمعظمهم متوفون، ودفنوا في أضرحة وقبور تزار، باستثناء حفدة الأولياء، الذين يدعون أنهم أولياء ورثوا بركة أجدادهم، ومستقرين قرب أضرحة أجدادهم التي تحظى بعمليات التقديس بعد وفاة الشخص المعني، وتستمر الإشادة بصفاتهم وأفعالهم في كتب المناقب، ومؤلفات المتصوفة، وفي الكرامات والأساطير المنسوجة المروية حول هؤلاء الأولياء.

7 - Gellner Ernest, op. cit. p. 122.

8 -AKHMISSE Mustapha , Médecine, magie et sorcellerie au Maroc, ed. Edimed, Casablanca, 1985, p. 70- 167.

1 - 3 أسباب تباين شهرة الأولياء والمواسم بالأطلس المركزي

إن البحث في تاريخ الأولياء والصلحاء، يبين تعقيدا وتركيبا في أدوارهم ووظائفهم الاجتماعية، حيث أن شهرة وسمعة الأولياء، تختلف من ولي لآخر، وفقا لتسلسل هرمي تراتبي معين، وعلى سبيل المثال للتسلسل الهرمي للأولياء بالمنطقة، نجد في قمة الهرم من حيث السمعة والشهرة الوطنية (أو الدولية)، الأولياء الذين يرجع نسبهم مباشرة للنبي صلى الله عليه وسلم، والذين ينحدر بعضهم أيضا من السلالات التي حكمت المغرب سابقا أو حاليا، مثل مولاي إدريس الأول (788-791م) ومولاي إدريس الثاني (803-829م).

ويحتل مؤسسو الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا المرتبة الثانية في التسلسل الهرمي، وقليل منهم كانوا شرفاء، ويتمتع البعض الآخر بالاحترام والتبجيل، نظرا لمكانتهم الروحية والدينية. وغالبا ما يخصص مريدو هؤلاء المؤسسين أضرحة بعد وفاتهم. ولم يقتصر الأمر على بناء أضرحة لهم، بل أصبحت مزاراتهم مقدسة، وبجوارها شيدت بنايات أخرى، يدرس فيها الشيوخ الصوفية، وتقام فيها الصلوات الخمس والأذكار، ومن أشهر هؤلاء الأولياء مولاي عبد القادر الجلاني، الذي انتشرت فروع زواياه في جميع أنحاء شمال إفريقيا، ومولاي عبد السلام بن مشيش، الذي دفن بجبل لعلام في الريف الغربي.

يأتي في المرتبة الثالثة المريدون وأتباع الطرق الصوفية، التابعين لبعض كبار شيوخ التصوف القروي، الذين عرفوا بالورع الديني، والزهد في الحياة، ونذكر من بينهم، مولاي بوعزة بخنيفرة، وسيدي علي بن إبراهيم ببني عياط، ومولاي بوسلهام بمنطقة الغرب⁹. وتتضمن كرامات الأولياء، وقائع وحقائق غامضة وخارقة للعادة، فالبعض مثلا، يتحرك لمسافات طويلة في رمشة عين، والبعض الآخر يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، وشكل ذلك نقطة مقدمة لنسب شريف وقدسية هؤلاء الأولياء.

وللإشارة، أن نسب القرابة مؤكدة بين حفدة الولي أولاد السيد، (فالعزوبة هنا غير موجودة)،

9 - Michaux Bellaire, et G. Salmon, « Les tribus arabes de la vallée du Lekkoùs », in *Archives Marocaines*, Vol. IV, op, cit, p p. 412-21.

يسمى الشرفاء أولاد سيدي فلان، باعتبارها تقاليد موروثية، ويتيح لهم ذلك رواية نسبهم حتى الوصول به للنبي "ص" أو عمر بن الخطاب رضي الله عنه. لا تهم الادعاءات حول النسب الشريف لكل هذه الشخصيات الدينية المؤسسة، يكفي أن أتباعهم يعتبرونهم أحفاداً أصلية للنبي، ويكرمونهم ويقدمونهم نتيجة ذلك¹⁰.

وفي المراتب المتدنية في تراتبية الأولياء، نجد من الأولياء الذين يتلقون هدايا من الساكنة المحلية مقابل علاجهم، أو بسبب قدراتهم وكراماتهم الخارقة، حيث يقدمون ويبجلون في منطقة تواجدهم، وليست لهم شجرة نسب شريف، فالعديد منهم ذو أصول مجهولة، ويعقد على شرف العديد منهم مواسم احتفالية، وتمارس فيها كل أشكال الطقوس، كموسم سيدي لحسن أو حساين بآيت عتاب قرب شلالة أوزود.

يتضمن الأطلس المركزي إلى جانب ذلك، فئة من الأولياء تسمى بنفس الأسماء، (مولاي، وسيدي، ولالة) إلا أنهم يمثلون الجن¹¹. ويقال إن هذا الجن، يلازم أماكن الأولياء، ومرتببط بطريقة أو بأخرى مع جل الأولياء – الإنس. كما أن هذا الجن موضوع عبادة وتقديس محددتين من قبل بعض الأشخاص خاصة، عيساوة، وحمادشة، وجباللة، وكناوة. ونظرا لمكانة هؤلاء الأولياء الجن ارتبطت مجموعة من المواسم السنوية بأضرحتهم¹².

2- الأدوار الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية والعسكرية

للأولياء

2-1 الأدوار الروحية والدينية والاجتماعية للأولياء

كان للأولياء وشيوخ الزوايا أدوار اجتماعية وروحية طلائعية، تتمثل في تدخلهم لإطلاق سراح السجناء، وإنصاف بعض من لحقهم ظلم، وإعفاء البعض من الكلف، ويباركون المجال الزراعي،

10 - Drague Georges, op. Cit. p p. 3- 52 .

11 - الجن أو "الجنون"، هي من الكلمات التي نادراً ما يتم النطق بها أو ذكرها بصوت مرتفع بالأطلس المركزي، وتسمى أيضاً: "الملوك"، أي

الملائكة، وتعتبر طائفة كناوة من الطوائف المعروفة عنها تواصلها المباشر مع الجن. أنظر:

- Westermarck Edward, op, cit, p. 262.

12 - Ibid. p. 262.

ويتلقون جزءاً معلوماً من المحصول، وكانوا يجزون شعر الأطفال، ويحددون لهم أعرافاً ووظائف¹³. إلى جانب ذلك، كان الضريح محل استشفاء، ومحل مبيت للسابلة، ومحل أداء اليمين تنتهي بها التسوية القانونية، كما تشهد بذلك رسوم التقاضي، وكان الضريح محل حرم، كان يلجأ إليه المتظلم المطارد أو المجرم الذي أدركه التحري أو الهارب بنفسه من الفتنة أو الانتقام، وكان الضريح يقصد لفك عقدة العاقر التي تبيت له لترى الرؤيا المبشرة بغلام¹⁴.

وفي المقابل يقدر السكان هؤلاء الأولياء، ويحتلون مكانة في حياتهم اليومية، ويظهر ذلك في الحضور الرمزي للأولياء في أسماء السكان العديدة، التي تشير إلى أسماء الأولياء المحليين منها: حموا، لداوي " حفيد امحمد الشرفاوي"، الشرفاوي، القاسمي، عيسى، رحمة. ولا يختلف الأمر في باقي مناطق المغرب، ففي دكالة نجد أسماء من قبيل، بوشعيب نسبة إلى أبو شعيب الدكالي، وفي الغرب نجد بوسلهام نسبة للولي مولاي بوسلهام. إن تردد هذه الأسماء مثير للانتباه، فالبعد الرمزي للأولياء حاضر ولو جزئياً في نظام التسمية.

- الأدوار الروحية والدينية والثقافية

لعب الأولياء وشيوخ الزوايا دوراً كبيراً في تبسيط المبادئ الإسلامية لسكان المنطقة، مما سمح باستمرار المعتقدات الوثنية القديمة، وطبعها بطابع إسلامي، ولم تنشأ الحركة الصوفية حرباً على المعتقدات والطقوس المحلية القديمة، المتمثلة في الاعتقاد في الجن والقوى الخفية، وتقديس الجبال والصخور والينابيع والأنهار والأشجار والحيوانات، بل حاول المتصوفة تكيف هذه الطقوس المحلية مع الطقوس الصوفية¹⁵.

وكان المتصوفة وشيوخ الزوايا على علم ببعض الطقوس الوثنية التي يمارسها اتباع الزوايا، ويسمحون بممارستها في مؤسساتهم، وقد أورد صاحب الدرّة الجليّة في ترجمته لسيدي صالح بالمعطي الشرفاوي بأبي الجعد، أن والده تحدث للخليفتي أنه رأى من إخوانه المرابطين أفعالا

13 - أحمد التوفيق، م. س، ص. 441.

14 - أحمد التوفيق، م. س، ص. 440.

15 - ألفريد بل، م. س، ص. 60.

يشتغلون بها، وعوائدهم ترد في الشريعة¹⁶.

- الأدوار الاستشفائية

لا يزال الناس حتى يومنا هذا، عندما يداهم المرض، يقصدون الأضرحة والأشجار ومنابع المياه متضرعين ومتوسلين الشفاء من أمراض عضوية ونفسية. ويجد الزوار الفرصة مواتية أثناء انعقاد الموسم، بل ويمارسون طقوس للغاية ذاتها، ومثال على ذلك، موسم سيدي امحمد أمحمد بواويزغت، الذي تستحم النساء في المنبع القريب من الضريح والموسم فرادى أو جماعات قصد الشفاء من أمراض العقم بالدرجة الأولى.

وتتعدد الدوافع التي تدفع الناس إلى التضرع للقدر الإلهية عبر وساطة الأولياء. ومن أهمها، رغبة المرضى في الشفاء من بعض الأمراض، التي لا تكون دائما أمراضا جسدية بحتة، بل نفسية أو اجتماعية في بعض الأحيان. قد يكون أيضا سبب التضرع لهذه للقوة الإلهية، طلب الحصول على الزوج (إيجاد زوج جيد للبنات)، من سماته النجاح في حياته المهنية أو الدراسية.

إن عددا كبيرا من الصحاء يستطيع فك عقم النساء¹⁷، ويستمد هذا أهميته من السياق الاجتماعي الثقافي المغربي عموما، حيث أن العقم لدى الذكور غير معترف به اجتماعيا، وأن غياب النسل لا يمكن أن يكون إلا بسبب خلل في الجهاز التناسلي الأنثوي. ولمعالجة ذلك تم اللجوء إلى المؤسسة المقدسة، ولا يخفى على أحد من أقرباء والعارفين بالولي، أنه يضمن إنجاب النساء "العقيمت"، حيث أنه إذا تمت العملية بنجاح، فإن الولي الصالح قد قام بدوره كوسيط، وسوف يتم ضمان دخل أولاد السيد والهيمنة الذكورية.

- أدوار الأولياء زمن المجاعات والجوائح

تظهر هذه الأدوار الاجتماعية للأولياء وشيوخ الزوايا خصوصا في فترات الأزمات، التي لا زالت محفوظة في الذاكرة الجماعية، وتحدث عنه الباحثون بشكل مستفيض، خلال القرنين 19 و20م،

16 - محمد بن عبد الله الخليفتي، الدرّة الجلييلة في مناقب الخليفة، دراسة وتحقيق أحمد عمالك، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2014، ج. 2، الترجمة رقم 248، ص. 521.

17 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p.103.

وعلى سبيل المثال: فقد لعبت زوايا المنطقة، كزواوية آيت كروول وآيت ماجضن بإينولتان، وزاوية تناغملت بانتيفة وزاوية آيت خليفيت بآيت أنفركال أزيلال، والزاوية الشرفاوية بأبي الجعد، دورا كبيرا من الحد من الخسائر البشرية الكبيرة الناتجة عن الأوبئة والمجاعات والجفاف الذي عم المغرب خلال القرن 19م.

ففي سنة 1818م، انتشر الوباء في تادلا واينولتان وكل قبائل الأطلس المركزي، ومات جرائه عدد من السكان، وفي سنة 1850، ووقعت مجاعة فأهلك الجوع فارتحل الناس إلى الزوايا، وهاجروا نحو زوايا درعة¹⁸. كما عم وباء 1879 دمنا وأهلك فيه خلق كبير، وعانت المنطقة من مجاعتين قاسيتين 1898 الناجمة عن الجراد وباع فيه بعض اينولتان أطفالهم مقابل صاع من الشعير¹⁹. وكانت تلك الزوايا تقدم الطعام والمبيت للنازحين، وقد تكرر مثل هذا خلال مجاعة 1945م.

وفي مقابل هذه الأدوار، كانت الزوايا قبل الحماية تتلقى الزيارات والهدايا من لدن اتباعها ومريدها منذ بدء أمرها، وكانت تلك الموارد متنوعة مثل: الزروع والمواشي الشيء الذي ساعد شيوخها على تحصيل الأملاك وتكديس الثروات، وأصبحت تملك العبيد، ولعل ذلك ما مكن شيوخها من تقديم المساعدات للناس أثناء الأزمات الدورية.²⁰

- أهمية أضرحة الأولياء في تشجيع الزواج الجماعي

كانت الزوايا والأضرحة، مكانا تنظم فيها القبائل المغربية مناسبات الزواج الجماعي لشباب القبيلة، باعتباره فضاء مقدسا، وغالبا ما تصادف تلك الاحتفالات مواسمها السنوية بعد جني المحصول، وحظي هذا الموضوع باهتمام كبير من قبيل العديد من الباحثين²¹.

ركز جل هؤلاء الباحثين المعاصرين على قبائل الأطلس المركزي، لكونها لا تزال مرتبطة ومحافضة

18 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 192.

19 - نفسه، ص. 193.

20 - نفيسة الذهبي، م. س. ص. 196.

21 - أنظر:

- ABES Mohamed, « Les Ait Ndhir (Beni Mtir) », in *Archives Berbères*, vol. 2, Leroux, Paris, 1917, pp. 412-414.

- AHERDAN Mahjoubi, « Sur les traces de notre culture », in *Amazigh*, no 3-4, Rabat, 1980, p p. 59- 72.

- Michael Peyron, « Le mariage en milieu Ait Yafelmane », in *Etudes et Documents Berbères*, n. 17, Rabat, 1999, p p. 165-173.

- LAOUST Emile, « Le mariage chez les Berbères du Maroc », in *Archives Marocaines*, Rabat, 1915 - 1916, p p. 44-80.

بشدة على تقاليدھا وعاداتھا. ومن أهم هذه الدراسات تلك التي خصھا Michael Peyron لاتحادية قبائل آيت يافيلمان، وهي اتحادية دفاعية تشكلت حوالي عام 1650 لاحتواء النزعة التوسعية المستمرة لاتحادية آيت عطا الصحراء²².

وركزت هذه الدراسة حول مراسم الزفاف، وتستند في مراجعھا إلى العمل الميداني المنجز في أربع مناطق مختلفة من مجال آيت يافيلمان، آيت إبراهيم من آيت حديدو بأسيف ملول أكتوبر 1981، وأغاني الزفاف مسموعة في آيت يحيى في تونفيت (نونبر 1981م، وعرس بآيت يحيى من تونفيت، قصر آيت عدي شتنبر 1985م، ووثيقة صوتية تتناول الزواج التقليدي في قبيلة آيت مرغاد، شتاء 1988-1987²³، إضافة إلى الملاحظات التي تم جمعھا Peyron خلال زيارته لموسم (اكودود) ايملشيل في سنة 1967م و1980م، والتي أكد فيها أنه في السنوات المطيرة عندما يكون المحصول مرضيا، يتم تنظيم "تيمغروين" الأعراس الجماعية التي كانت شائعة جداً في بلاد الأمازيغ، لدى آيت يفلمان وجيرانهم آيت سخمان²⁴.

غير أن ظاهرة تنظيم الزفاف الجماعي بجوار ضريح سيدي أحمد ألمغني، قد يتوقف بسبب الجفاف أو إحدى الكوارث الطبيعية، كما حدث خلال خريف 1981م في بلاد آيت حديدو أسيف ملول في مرتفع ايملشيل. وشكل الجفاف سببا لمنع الزواج الجماعي 1981م، بيد أن ذلك لم يمنع الناس من تنظيم حفلات الزواج الخاصة في بوزمو ايت واغريف²⁵.

وعموما، كان موسم سيدي أحمد ألمغني مناسبة سنوية لتنظيم الزفاف الجماعي لشباب القبيلة، حيث كانت الساكنة تنظم موكبا، يتقدمه موسيقيون من المنطقة ويزورون الضريح، ويمارسون طقوس الحناء، ومن وراءهما موكب من بضعة فنانات (لا يتعلق الأمر هنا بشيخات وإنما أرامل ومطلقات) شبه محترفات ترتدين أفضل ملابسهن²⁶.

وللمناسبة اغاني خاصة بالمناسبة تدعى "الفال Ifal" تتكون من عبارات تتضمن تمنيات

22- Michael Peyrone, Le mariage chez les Ayt Yafelman de l'Atlas marocain, in *études et Documents Berbères*, n.17, Rabat, 1999, pp. 165-173.

23-Ibid.

24- Ibid, p p. 165.

25- Ibid, p p. 165-173.

26- Ibid.

للعريسين بالسعادة وحمائتهم برحمة الله، يتحرك معظم المشاركين للاستمتاع برقصة "أحيدوس". ومن اللافت للنظر مشاركة رجال كهول في رقصة أحيدوس، وتقام الحفلات طيلة الليل، وتتضمن حفل الحناء، لتغادر بعد ذلك العروس "تيسليت" ساحة الموسم في اتجاه منزل زوجها، وتسهر القبيلة على إيواء الضيوف غير العاديين²⁷.

ولم تقتصر هذه العادة على قبائل اتحادية آيت يفلمان، فقد تحدث لنا مجموعة من الشيوخ عن هذه العادة في قبيلتي آيت عتاب وأبزو، حيث أن القبائل كانت تنظم زفافا جماعيا خلال انعقاد مواسم الأضرحة في القبيلتين، وقد أكدت الذاكرة الجماعية وجود هذه الظاهرة بقبيلة آيت عتاب²⁸.

- أدوار الأولياء في تنظيم حفلات الختان

لعبت الزوايا والأضرحة دورا مهما من تخفيف تكاليف تنظيم حفلات الختان لأطفالها، وكانت تستغل مناسبة تنظيم مواسم الأضرحة للاستفادة من ختان أطفالها. لم تكن هذه الظاهرة حديثة العهد، بل كانت شائعة بمختلف مناطق المغرب. ترجع أقدم إشارة، حسب علمنا، لتنظيم عمليات الختان الجماعي خلال انعقاد المواسم إلى عهد الدولة السعيدية، حينما أمر السلطان أحمد المنصور، أن يجمع الأطفال الأيتام وأن يختنوا، وأمر لكل منهم ثوب ودينار ودرهم من الفضة، وحبّة من الفاكهة يوضع في يده تخفيفا لألمه، ويقول المراكشي أن هذا الموسم لتختين اليتامى كان يقام كل عام²⁹. تعتبر المواسم بالأطلس المركزي مناسبة لختان الأطفال لأسباب اقتصادية اجتماعية وثقافية، حيث لا تضطر العائلات إلى دفع أعباء الختان، إذ يتم اقتناء الذبيحة الجماعية "الثور" بالأموال التي يتم جمعها مسبقا في الدوار، والتي تعفيهم من الكبش، الذي كان ينبغي على كل الأسرة أن تقدمه بهذه المناسبة. مع العلم أن الساكنة الريفية لا تملك الكثير من الأموال، نظراً للكلفة المرتفعة لعملية الختان عندهم. لذلك، يشكل الموسم مناسبة لممارسة طقس المرور الذي لا مفر منه.

أشارت العديد من الكتابات التي تعود إلى بداية القرن 20م، إلى انتشار عادات الختان المنظم بمناسبة انعقاد المواسم بمناطق مختلفة بالأطلس المركزي. تحدثت الكتابات الكولونيالية في

27- Idid, p p. 165-173.

28 - تحريات ميدانية

29 - محمود عبد الله عبان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج 2، ط. 1964 ص. 334.

الأرشيف البربري إلى طقوس الختان لدى قبائل انتيفة ودمنات والقبائل المجاورة³⁰، والمثير في هذه الكتابات، إشارتها إلى تنظيم عمليات الختان الجماعي للأطفال، ومختلف الطقوس المرافقة لعادات وتقاليد هذه القبائل بخصوص الختان. ومن بين أهم المواسم التي كانت مناسبة لتنظيم الختان الجماعي للأطفال: "موسم مولاي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، موسم سيدي علي بن إبراهيم ببني عياض، وموسم سيدي الصغير بلمنيار ببزو، وموسم سيدي أحمد بناصر بزواوية الشيخ، وموسم أبي عبيد الله الشرقي بأبي الجعد...

وللإشارة أن المواسم والأضرحة اليهودية بالمنطقة، كانت فرصة بالنسبة للطائفتين الإسلامية واليهودية لزيارة أضرحة مشتركة بين الديانتين، كما أشار إلى ذلك لويس فواينو³¹، وتنظيم عمليات الختان الجماعي للأطفال. وقد أبرز لنا مقدم الضريح اليهودي ببلدة بزو السيد "مخلوف"³² أن ضريح سدي مول البرج، المتواجد بنفس البلدة، كان قبل الهجرة اليهودية لإسرائيل، فرصة لختان الأطفال سواء المسلمين أو اليهود، وأبرز السيد "مخلوف" أن مسلمي أبزو والقبائل المجاورة يفضلون الختان على الطريقة اليهودية، لما يتمتع به ممتهنو هذه المهنة "أحدجام" من احترافية ودراية مقارنة بالمسلمين.

أ- التمثلات الاجتماعية لطقوس الختان الجماعي في المواسم

تشير الذاكرة الجماعية بالأطلس المركزي، أن الدافع وراء ختان الأطفال يتم لأسباب دينية، باعتباره جزء من العقيدة الإسلامية، حيث يشكل الختان ضرورة في تحقيق الاندماج في الحياة الجماعية الدينية. يرمز الجنس المختون إلى الانتماء للجماعة الإسلامية. وينعكس الطابع الديني لهذا الطقس أيضا على ارتداء الأطفال المعنيين لملابس جديدة، إذ يرمز اللون الأبيض للإسلام والطهارة، القبعة الخضراء إلى الدوحة النبوية، والنجمة الخماسية إلى أركان الإسلام الخمس.

لا يدل الختان في الإسلام على مفهوم الطهارة فقط، ولكن يرمز إلى مفهوم البركة، حيث أن الأشخاص المختونين هم أنفسهم بركة، شبيهين بعروسين شابين، لما يرمزون له من قوة خارقة

30 - Westermarck Edward, op. cit. pp. 44- 240.

31 - VOINOT Louis, Pèlerinages judéo-musulmans du Maroc, Larose, Paris, 1940, p p. 50-150.

32 - رواية شفوية مشار إليها، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا ببزو. بتاريخ 03 غشت 2019.

أثناء مرحلة التحول نحو وضع اجتماعي جديد. وتتحول ممارسة الجنس إلى البركة، لأن هذه الممارسة مطهرة وتعطي القوة الحيوية. وقد أيد³³ Westermarck هذه الفكرة، عندما كتب أنه من ازداد دون "قلقة"، يمتلك الكثير من البركة، ويعتبر وليا صالحا.

يعتبر المختونون أنفسهم بركة، بفعل وضعهم التمهيدي الانتقالي، ويصبحون بركة عن طريق عملية التطهير، وينالون البركة خلال تنظيم المواسم، وتجري الطقوس تحت حماية ولي القبيلة، الذي ينقل بعضاً من بركته إلى المختونين، والتي تساعد على ضمان الشفاء السريع للجرح، وأكثر من ذلك تسهل الخصوبة، وتقوي العضو الجنسي المختون.

ولالإشارة، فإن المواسم هي تظاهرات بامتياز لنيل البركة، ليس فقط عن طريق زيارة ضريح الولي أو تقديم الشموع أو بعض القطع النقدية، ولكن أيضا شراء السلع المقدسة، مثل السكر والفواكه والحلي والتمائم. ينال الأشخاص البركة بتواجدهم فقط في المكان المقدس بالموسم، ويفسر ذلك عدم خلع الزوار ملابسهم، وعدم استحمامهم حتى اليوم الثالث بعد الموسم، لأن البركة في ملابسهم والغبار المتراكم عليها.

لهذا الانتقال إلى فئة البالغين المشار إليه، والتأهيل للزواج والنزوع نحو الممارسة الجنسية، لا يشير إليها السكان بكل وضوح. وفعلا لا أحد يتحدث عن التأهل للزواج، والنضوج الجنسي أو اكتساب هوية اجتماعية. لذلك، ليس بالغريب أن يتراوح سن ختان الأطفال في الأطلس المركزي بين سنتين أو سبع سنوات، فهم لم يصلوا بعد إلى سن البلوغ.

تشير الطقوس المرتبطة بالختان، والحضور الغني لرموز الخصوبة، إلى بداية الانتقال إلى وضع اجتماعي جديد، وإمكانية إعادة إنجاب الأطفال. ترمز خصلة النعناع الطازج، وقطعة القماش الأبيض عند انطلاق الموكب إلى حرمة الضريح، إلى الخصوبة والعذرية كما هو الحال أثناء مواكب الزفاف. وترمز الفتيات الصغيرات اللواتي ترقصن ويتميلن أردافهن، إلى العذرية والرغبة في الزواج والجنس³⁴.

إن ما تحدث عنه وسترمارك في موضوع الختان، أكدته لنا فعلا الرواية الشفوية بمختلف مناطق

33- Westermarck Edward, op. Cit. p. 47.

34 - Ibid. p. 240.

الأطلس المركزي، ويمكن أن يكون هذا الطقس متشابها ومنتشرا بين كل قبائل المغرب، نظرا للعلاقات القبلية والدينية والثقافية المتفاعلة والمشاركة.

يوضح هذا المثال الذي سنعرضه بخصوص طرق وعادات ممارسة الختان بالأطلس المركزي خلال انعقاد تظاهرات المواسم، ويشتمل على تقاليد مشتركة بين العديد من قبائل الأطلس المركزي، هذا المثال من موسم مولاي عيسى بن إدريس بايت عتاب³⁵.

تحدثت لنا العديد من الأمهات اللواتي حضرن لعمليات الختان الجماعي بموسم سيدي عيسى بن إدريس بقبيلة آيت عتاب خلال الستينيات من القرن الماضي، وأكدن لنا أن هذا الختان الجماعي استمر إلى غاية بداية التسعينيات من القرن الماضي. تحكي واحدة من هن، عن أمها التي ذهبت بابنها عاشور للموسم السالف الذكر قصد ختانه، تقول في هذا الصدد: كانت أمي تولي اهتماما بأخي عاشور قبل عملية ختانه، الذي كان يظل طول الوقت ملتصقا على ظهرها، وهذه علامة أخرى على بركته. تقول الراوية، تطلب الوصول إلى الموسم حوالي 20 كيلومترا، حيث حملنا أخي عاشور إلى الموسم، وعند وصولنا وجدنا حشدا كبيرا أمام الخيام الخاصة بختان الأطفال، بمجرد ختانه تحت حماية الولي سيدي عيسى بن إدريس، حملته جدته من جهة الأب، ووالدتي تبكي، ولا تريد أن تكون شاهدة على ألم ابنها؟ ترمز الجدة من جهة الأب إلى الارتباط بالأسرة الأبوية.

هذه الرمزية تظهر في كلام الراوية، إذ أشارت إلى أنه في طريق عودتنا، حمل الأب ابنه عاشور، وعادة لا يحمل الرجل طفلاً لمسافة طويلة على الرغم من وجود النساء اللواتي يقمن بهذه العملية، فإن والد عاشور تولى مهمة طقوس الأم. وهي من السمات الأخرى لهذه المرحلة الانتقالية أن العارفين بأمور الختان، يكونون مرة أقوياء ومهددين بالخطر في نفس الوقت، إذ يمكن أن يكونوا هدفا لهجوم من قبل الأرواح الشريرة³⁶، خصوصا ونحن نعلم مسبقا أن لديهم بعض القوة، بفضل ما لهم من بركة، لهذا يكونون مهددين بالخطر إلى أقصى حد.

ففي ليلة الختان، وضعت جدة الحناء على راحتي يدي عاشور، بينما المعتاد و المألوف أن الفتيات هن من يحتفظن بزخرفة الحناء. يبين هذا الانتقال عدم التمايز بين الجنسين، ويحمل دلالة أن الطفل لم ينضج جنسياً بعد، ولا يزال بإمكانه التمتع بسمة الأنثى. إن جدة الصبي عاشور، سيدة عجوز محترمة، تتمتع بحكم وضعها، بالكثير من البركة، وهي الشخص المناسب الذي يعطي الحناء لحمايته ضد هجمات الأرواح الشريرة. كما أن مسحوق الحناء الذي يرش به العضو الذكري حديث الختان، له أيضاً وظيفة إبعاد التأثيرات الشريرة، خاصة عند إطلاق الموسيقى خلال موكب الختان. بيد أن الموسيقى تعمل أيضاً على جذب انتباه الزائرين الآخرين وإضفاء الطابع الجماهيري للختان، ويعد الموسم والضريح المكان المميز للاحتفال بالختان. هذا الإعلان العام للوضع الجديد للمختونين، يسمح لآباء الفتيات برؤية أزواج بناتهم المحتملين. من خلال هذه العملية، تضمن المجموعة إعادة إنتاج نفس نظامهم الاجتماعي، وتقوية التضامن بين أفراد القبيلة. لقد انتقلت عائلة الطفل عاشور بشكل خاص إلى الموسم، على الرغم من ارتفاع تكاليف الإقامة والنقل. فالعودة إلى الموسم، يساعدها على تقوية روابطها مع الولي سيدي عيسى بن إدريس وضمان بركته، ويعزز تضامنها مع سكان قبائل آيت عتاب والقبائل المجاورة، من خلال مشاركتها في الطقوس الجماعية.

يعتبر الختان طقساً لا يمكن إنكار خصائصه، ويساهم هذا الطقس في تكوين وضع اجتماعي جديد. من جهة، يصبح البالغون أعضاءً جدداً في الجماعة الدينية، وينتمون من جهة أخرى الفئة المجتمعية للبالغين. ففي العديد من المجتمعات يتم الختان في سن البلوغ، وينتقلون بذلك إلى مرحلة البلوغ، وصولاً إلى الزواج حيث الممارسة الجنسية واضحة. أما في العالم الإسلامي، غالباً ما يكون الأطفال المختونون صغيري السن. نتساءل إذن، عما إذا كان يرمز ذلك دائماً إلى الانتقال إلى مرحلة البلوغ و الرشد، حيث تشير الكلمة العربية ختان إلى تحول إيجابي.

تجدد الإشارة، إلى أن بروز الشعور بالرجولة يشكل جانباً من جوانب هذا الانتقال. يعتبر بعض المؤلفين أمثال: Eylman et Ploss³⁷ أن تحمل الأم دليل على الرجولة، بينما يرى آخرون بأن

37 - Michael Peyron, Le mariage chez les Ayt Yafelman ..., op, cit, p. 165-173.

التحكم في الرغبة الجنسية لدى الرجال الذين يكونون الأكثر شهوانية جنسية هي علامة الرجولية³⁸. ومع ذلك، لم يثبت علمياً أن العضو الجنسي الذي تعرض للختان هو أكثر حساسية للشهوة الجنسية. في هذا السياق قام عالم النفس الجزائري Toualbi، بإجراء بحث حول فهم عملية الختان على عينة من الأطفال المختونين، واعتمد في ذلك على منهجية إسقاطية. وكان على الأطفال رسم زملائهم، والتعليق على سلسلة من الصور قبل وبعد أيام من عملية الختان. وكشف هذا البحث أن هؤلاء الأطفال يعدون النظر في قيمة أجسادهم، ووضعيتهم الاجتماعية، وينمو عضوهم الجنسي، ويرسمون جسدا عملاقا وقويا، وغالباً ما تنتهي التعليقات المصاحبة للصور بفرح (المختون) لكونه أصبح رجلاً³⁹.

وفي هذا الشأن، تشير الباحثة الهولندية فانك ريسو إلى أنه إلى يومنا هذا، في منطقة الغرب وفي جميع الحالات، نجد مزاعم حول دور الختان في النظام الوقائي، حيث لا يمكن إنكار أن إزالة القلفة من الناحية الصحية، عملية وقائية وعلاجية. على عكس ذلك، هناك شك حول هذا المحفز، سواء كان على أساس طقوس الختان المتبعة على نطاق واسع في المناطق، حيث الطب الحديث والوعي الصحي ضعيف الحضور.

من وجهة نظر الباحثة فإنه يتعلق الأمر بخلط مفاهيمي (لشعوري)، بين المبادئ الحديثة للصحة وبين المبدأ الإسلامي للطهارة. وفعلاً، فإن المبدأين متقاربين، ولكنهما لا يتطابقان، حيث أن الطهارة الإسلامية في جوهرها تحمل معاني سحرية ودينية. إن الختان إذن هو جزء من طقوس الطهارة، كما يوحي تعبير الطهارة في اللغة العربية المشتقة من كلمة طهر الذي يعني التطهير⁴⁰.

ويعتبر Westermarck أنها شرط لا غنى عنه في أي ممارسة دينية، ويقول في الوقت نفسه، يعتبر الختان أيضاً "تطهيراً"، الذي يشير إليه المصطلح العربي طهر وما شابه ذلك، بواسطته يصبح الصبي نظيفاً، وقادراً على ممارسة الطقوس الدينية، وأداء الصلاة، ودخول المسجد⁴¹.

على الرغم من أن الختان في البداية لم تكن له علاقة بفضلات الجسم، كما هو الحال بالنسبة

38- Ibid.

39- TUALBI Nouredine, « La circoncision: blessure narcissique ou promotion sociale », in: *Bulletin de Psychologie*, Vol. XXV, 1974, pp. 345-49.

40 - Fenneke REYSOO, Des mousseemes..., op. cit. p p. 94, 95, 96.

41 -Westermarck Edward , op. cit. p. 433.

لأشكال الطهارة التي تشير إليها التعاليم الإسلامية، ويتعلق الأمر بمناطق تنتهك حدود الجسم. فالمختونون هم مطهرون على غرار الوضوء قبل الصلاة، ويعتبر الختان تطهيراً قبل دخول المجتمع الديني. وفي هذا السياق، يجب أن نفهم تحريم الزواج بين مسلم وغير مسلم، ويمكن لمثل هذا الزواج أن يكون مشروعاً فقط إذا اعتنق الرجل الإسلام وطهر نفسه وفقاً للتقاليد الإسلامية. وقد نتفق مع التحليل الأنثروبولوجي والسوسولوجي الذي تحدث عنه وسترمارك والباحثة الهولندية فانك ريسو، خصوصاً أن العديد من الرواة الذين قابلتهم يربطون بين الإسلام والختان، ومن ذلك أن مرادف الختان الذي يستعملها بلاد انتيفة وآيت عتاب ودمنات وآيت مصاض هي "اسلم" أي دخل الإسلام. ومن تم فإن الشخص غير المختون، يعد من خارج ديانة الإسلام. تتعلق الملاحظة الأخيرة حول موضوع الختان بتكريس العارفين للعملية باسم الإله أو الأجداد في مكان مقدس، سواء المسجد أو الضريح، حيث لا ترمز هذه الأماكن إلى الطابع الديني للطقوس فحسب، بل ترمز أيضاً إلى إيديولوجية العقيدة الأبوية. ويعد عيد المولد النبوي الشهر المبارك... والوقت المفضل لختان الأولاد في بعض أجزاء البلاد، وإقامة المواسم السنوية للعديد من الصحاء⁴². ورغم تأكيد العديد من الدراسات، التي تمت الإشارة إليها، والذاكرة الجماعية، أن الختان، كان من أهم المظاهر الاحتفالية ذات الأبعاد التضامنية والاجتماعية، خلال انعقاد المواسم، إلا أن ما يلاحظ اليوم، هو اختفاء هذه الظاهرة تماماً من تظاهرات المواسم، بالرغم من وجود بعض الجمعيات التي تستغل حشود الزوار لممارسة أعمالها الخيرية، في المجال الطبي، وخاصة طب العيون والكشف عن أمراض السكري... إلا أنني لم أعاين ممارسة الختان خلال انعقاد المواسم التي زرتها.

ب- طقوس الختان الجماعي بمواسم الأطلس المركزي

يحتفل سكان الأطلس المركزي سنوياً بمواسمهم التي تعتبر مناسبة لتنظيم عمليات الختان الجماعي لأطفالهم، وتشير الذاكرة الجماعية أنه في ليلة الموسم، ينتقل أفراد العائلات التي ترغب في ختان أطفالها بواسطة الدواب أو وسائل المواصلات العمومية. قبل الانطلاق للموسم يرتدي الأطفال في منزلهم ملابس جديدة خاصة بطقس الختان، وتتألف من سروال أبيض فضفاض،

42 - Westemarck Edward, op. cit. p. 68.

وقميص أبيض طويل، وقبعة فاسية خضراء بها نجمة خماسية مذهبية، ونعلا أبيضاً من البلاستيك. يكون الأطفال خلال الرحلة محمولين على ظهر أمهاتهم، وغالباً ما تزين الأم والجدة أيديهما وأرجلهما بالحناء.

في الليل يحتفلون بليلة الحناء الخاصة بالأطفال المراد ختانهم خلال هذا الاحتفال، تقوم الجدة بوضع الحناء على راحة يد الطفل، وفي الوقت نفسه يمنح الضيوف بعض المال لأمه، تنهي النساء الحفلة بتقديم طبق من الكسكس. عند وصول العائلات للموسم، يستعدون ليوم الختان الجماعي، ويوزرون ضريح الولي على أرض الموسم، ويتجول الجميع، ويستمتعون بألعاب الفنتازيا وأشكال الترفيه الأخرى. وعادة ما ينقسم الزوار إلى مجموعات، يجذب المراهقون نحو بعض الفنانين "الحلايقية" أو ألعاب الحظ والمهارات، ويهرع النساء والأطفال بسرعة نحو المتاجر المتنقلة، حيث يشترون التمر والحلويات بكميات كبيرة، ويحصلن على بعض القطع من اللحوم المقدسة من الثور المضى به في الولي.

تزور النساء ضريح الولي، ويضعن وعلى قبره، تضع الشموع وبعض القطع النقدية، ثم يجلسن أرضاً، على جانب من القبر للتزين، حيث يضعن الكحل حول عيونهن، ويفركن أسنانهن ولثتهن بقشرة من خشب الجوز "السواك"، كما يضعن لوناً أحمر على خدودهن، ويزين أيديهن بالحناء، ما دمن يفعلن ذلك في المنزل، معظمهن يحضر هذه المنتجات من منازلهن. تباع هذه المواد من قبل نساء على جنبات الفضاء المقدس (الحرمة).

على الجانب الآخر من قبر "الحرمة"، يتم ختان الأطفال، على إيقاعات الضرب على الطبول والعزف على المزمار من أداء الموسيقيين المحترفين، ورقص الفتيات الصغيرات وتصفيق النساء، ومن وقت لآخر يصدرن زغاريد قوية، وبعد ذلك يحمل الطفل المراد ختانه على ظهر أمه.

يحمل فرد آخر من أفراد الأسرة عصا طويلة على رأسها خصلة من النعناع الطازج، وقطعة من القماش الأبيض، وعند وصول الموكب إلى الحرمة، تتسلل فقط النساء والفتيات والأطفال بين أعمدة خيمة الحرمة، فيخلعون أحذيتهم، ويقصدون مكان الختان. يتكلف بالصبي ثلاثة من خدام الولي، الأول منهم يعري الجزء السفلي للطفل، والثاني يشد رأس جهازه التناسلي، ويفتح الثالث ساقيه،

ويسحب القلفة بيده اليسرى، ويعمل بدفع الحشفة مرة أخرى، وبواسطة مقص حاد يزيل الحجام القلفة التي يرميها فوراً إلى الأرض دون أن يعيرها أي اهتمام آخر⁴³، ويعود الجلد السفلي من العضو الذكري إلى مكانه، ويرش الجرح بمسحوق الحناء.

وفي تلك الأثناء، تجرد جدة الصبي من الأب ظهرها من الملابس وتحمل الصبي على ظهرها باكيا. إن اتصال ظهر جدته العاري الدافئ يخفف من شدة الألم. وبينما الأمهات تذرفن الدموع تنصرف النساء بسرعة، بسب تدافع وصراخ الأمهات القلقات من بكاء الأولاد، وبهذه الطريقة تمر عمليات ختان مئات الصغار.

لا يأخذ أب الطفل المختون أي هدايا، بل بالعكس هو الذي يحضر الوليمة، وغالبا ما يحدث أن تقيم عائلة الطفل يوم العقيقة حفل الختان في نفس المناسبة، ويتكفل بعملية الختان "الحجام" وغالبا ما يكون حلاق القرية. في بلاد آيت عياش، بمجرد تختين الصبي الصغير، تأخذه أمه أو امرأة والديه على ظهرها، وتحمل بيدها قصبا يثبت فيها مغزلا، وتوضع القلفة عند نهايته، وهي ترقص لجعل الدم يتدفق من الجرح⁴⁴، وجرت العادة أن يتناول الطفل المختون مرق الدجاج لمدة يومين أو ثلاثة أيام فقط.

و بمجرد الخروج من الحرم، يجتمع أفراد الأسرة مرة أخرى، بعد الكثير من الحيرة والذهاب والإياب، تنتظم العائلات في مجموعات جديد للعودة لمنازلها، إنها رحلة شاقة. عندما يصل الجميع لمنازلهم يكونون منهكين ومتعبين، مشبعين بالبركة، محملين بالحلويات المقدسة، ومفعمين بذكريات لحظات الاحتفال.

2-2 الأدوار العسكرية والسياسية للأولياء

كان أغلب الأولياء وشيوخ الزوايا منذ القرن 16م إلى غاية مطلع القرن 20م، زعماء لسلطتين الأولى روحية دينية صوفية، والثانية سياسية عسكرية، ولم يخفي بعضهم طموحاتهم السياسية⁴⁵. ووعيا

43 - تحظى قلفة الذكر المختون بنوع من التقديس في مختلف مناطق الأطلس المركزي. بل سمعت أنه يتم تجفيفها وحملها

كحسن الطالع.

44- Fenneke REYSOO, Des mousses..., op. cit. p p. 94, 95, 96.

45 - محمد حجي، م. س، ص ص. 50، 62.

من الأولياء وشيوخ الزوايا بأن تأثيرهم الديني الممارس غير كاف، فقد أرادوا أيضا أن يكونوا زعماء حرب. شكل النفوذ السياسي والعسكري والديني عاملا من بين العوامل التي زادت من سلطة أولياء الأطلس المركزي، وجعلت القبائل تنظم إليها زيارات منتظمة، وتتعقد احتفالاتها ولقاءاتها بجوار أضرحة وزوايا هذه الشخصيات الدينية.

و نظرا لحالة الصراعات الدائمة التي كانت تعيشها قبائل الأطلس المركزي، قادت الحاجة إلى إيجاد زعماء الحرب لتعويض سلطة الجماعة التقليدية المكونة من جموع المواطنين بسلطة لجنة صغيرة مختزلة في بعض أعيان، ومفوضة بصلاحيات الجماعة التقليدية، وأصبح أعضاء "جماعات" غير منتخبين من قبل الجمهور، مما جعل بعض الأعيان يتحكمون في مصير الجماعة ومعها القبيلة وصار بعضهم مستبدين.

ونذكر كنموذج لهذا الاغتصاب للسلطة موحى أحموا لزياني، وأبناءه وأحفاده، وموحى أسعيد الوراوي، الذين نجحوا في تأسيس نظام إقطاعي ظل قائما إلى غاية 1920م بعدما كانوا أعضاء بسطاء في الجماعة.⁴⁶ لذلك، حرص الأولياء وشيوخ الزوايا في الأطلس المركزي على الحضور أو ترأس انتخاب أعضاء الجماعة، مخافة وقوع استبداد واحتكار للسلطة، ومن هنا نفهم ترأس سيدي حسين الحنصالي، انتخاب شيخ الفوقاني لتحالف "Ief" آيت عطا نومالو، آيت شخمان، آيت إيصا⁴⁷.

والملاحظ أن "سيدي علي أوحساين أحنصال وسيدي علي امهاوش" يمثلان مركزين سياسيين دينيين، يبدو أنهما يتقاسمان بشكل خاص السلطة في هذه المنطقة منذ تدمير مولاي رشيد زاوية الدلاء الشهيرة⁴⁸. بل دخلوا في صراع مع كل الزعامات السياسية التي تهدد مصالحهم الروحية والمادية، من هذه الزاوية نفهم دوافع الصراع بين "آل أمهاوش" وأبناء سيدي الطيبي من جهة، والقائد موحى أحمو الزياني، وقائد آيت ويرا موحى أسعيد الوراوي من جهة ثانية.

لم يكن التدخل القوي لشيوخ الزوايا والأولياء في الصراعات الداخلية بين القبائل، فقط لتحقيق الصلح، وإنهاء الصراعات بين القبائل، بل استطاع العديد من المرابطين قيادة حروب ضد قبائل

46 - سعيد كنون، م. س، ص. 46.

47 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p.111.

48 - Ibid. p.92.

أخرى وزعماء سياسيون أقوياء يسعون إلى احتكار تام للسلطة. وعلى سبيل المثال فقد دخل سيدي علي ولد سيدي المكي أمهاوش في صراعه مع موحى أوحمو لزياني على استقطاب إيشقرن.

ولعل أشهر فصول هذا الصرع، المعركة التي دارت بين الفريقين سنة 1909م، قرب أزرو نایت لحسن، أدت إلى تسوية مؤقتة بين الطرفين، بقي بمقتضاها آيت يعقوب أو عيسى وآيت حماد أو عيسى وآيت لحسن أو زورو من اشيقرن، وآيت سعيد من آيت ايحاند تحت سلطة سيدي علي أمهاوش، في حين انتقل ايمزينانن ايشقيرن وآيت الربيع آيت ايحاند إلى سلطة القائد موحى أوحمو⁴⁹. وفي نفس السياق جمع مرابط تناغمت أحمد العباس عددا من القبائل لتتبارك مع أتباعه انتيفة حتى يستردوا مزارع تنانت التي اقتطعها مولاي الحسن الأول لاينولتان نهاية القرن 19م⁵⁰.

هذا الوضع غير المستقر بالأطلس المركزي زاد من النفوذ العسكري والسياسي للأولياء، ومن أشهر المستغلين لهذا الوضع، المرابطون أبناء سيدي الطيبي الدرقاوي، الذين حاولوا إخضاع الزعامات السياسية والقبيلية وجعلها تحت سلطتهم، وقيادة قبائل آيت أمالو ضد الاحتلال الفرنسي، بعدما أخضع هذا الأخير ايمحزان وقتل موحى أحموا لزياني، وموحى أو سعيد الوراوي، ووفاة سيدي علي أمهاوش، بل ودخلت في صراع مع زعيم إمهاوش سيدي المكي الأقل نفوذا، بعد وفاة سيدي علي سنة 1918م المشهور بحنكته ونفوذه السياسي⁵¹.

وللإشارة، فقد جاء بأسرة سيدي الطيبي المتصوف الدرقاوي المدفون في سكور، على بعد 6 كلم غرب المركز الحالي لآيت اسحاق، من قبل إمهاوش ككتاب لهم، لكنهم دخلوا في صراع معهم بعد وفاة سيدي علي أمهاوش القوي، وأصبحت لهم طموحات في قيادة آيت أمالو بدل إمهاوش والقيادات التقليدية في زيان وايت ويرا. وكانت الأسرة تضم ثلاث شخصيات وهي سيدي عبد الملك بن الطيبي وسيدي محمد بن الطيبي وسيدي المكي⁵².

وكان أبناء سيدي الطيبي عازمين على الخروج من دورهم الديني الصرف لتولي القيادة الفعلية

49 - سعيد كنون، م. س. ص. 101.

50 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 442، 443.

51 - سعيد كنون، م. س. ص. 112.

52 - نفسه، ص. 112.

للعمليات الحربية، حيث كان أبناء سيدي الطيبي يخاطبون الناس في كل الخيام وفي كل الأسواق، ويدعون إلى مقاومة المحتل الفرنسي الذي تجرأ على مهاجمة جبل إيمازيغن، وكان سيدي محمد بن الطيبي يوزع بركته في موضع تيحونا، ويضع العديد من خطط الدفاع⁵³.

هذا النفوذ السياسي والعسكري والديني كان له دور كبير في تبجيل أسرة سيدي الطيبي الدرقاوية، واستطاعت أن تشكل تكتل قبلي ضد الفرنسيين في جبال آيت ويرا. وذكر القبطان سعيد كنون أن أبناء سيدي الطيبي يستخدمون طقوسا دينية مدهشة كالجدبة والحضرة، موجهة لأتارة حماس المحاربين⁵⁴. وللإشارة، أن قبائل آيت أمالو لازالت تواظب على زيارة أضرحة أبناء سيدي الطيبي في ناوور وسيدي سعيد بآيت سحاق إلى يومنا هذا⁵⁵، ويعقد عليه موسم سنوي تكريما لهذا الأسرة التي لعبت أدورا كبيرة نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م.

وبالرغم من التحفظ الذي أبداه بعض الباحثين المغاربة حول بعض الأحداث والحقائق التاريخية، خاصة فيما يتعلق بمسألة "السيبة"، فإن العديد من المصادر تؤكد خروج العديد من القبائل عن طاعة المخزن بسبب الظروف الداخلية المتأزمة والضغط الخارجية الاستعمارية. لذا عاش بعض المرابطين في جبال الأطلس المركزي كزعماء للسلطة الروحية والسياسية، و لا يتردد الباحثون الأجانب في وصف سيدي سعيد أو يوسف، مؤسس زاوية ايت مظريف ناحية واويزغت بملك "Aguellid"، حاكم كل الجبل⁵⁶.

2-3 الأدوار الجهادية والمقاومة للأولياء

إذا كان التصوف المغربي في بدايته عبارة عن تجارب فردية اقتصر دورها على الزهد والعبادة، فإن المتصوفة منذ القرن 16 اشتهروا أكثر بجهادهم⁵⁷، عندما استباح الإبريون سواحل المغرب

53 - سعيد كنون، م. س. ص. 138.

54 - نفسه، ص. 141.

55 - تشير العديد من الوثائق المحلية المحتفظ بها عند حفدة سيدي الطيبي في ناوور إلى استعانة إمهواش بهذه الأسرة ككتاب لهم بآيت سخمان. وعمل إمهواش على توطينهم في آيت اسحاق، إلا أن الأسرتين عرفتا قطيعة بداية القرن 20م، وأكد كنون عن سبب القطيعة بين امهواش وسيدي الطيبي سنة 1917. كان بسبب امرأة. أعقبها مقتل أحد أبناء عم سيدي علي، على يد سيدي با ولد سيدي الطيبي، والتي تسببت في رحيل أولاد سيدي الطيبي إلى ناوور بآيت ويرا. أنظر: سعيد كنون، م. س. ص. 102.

56 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p. 111.

57- Levi Provencal, " Le Maroc en face de l'étranger à l'époque modern", in: *Bulletin Enseignement public au Maroc*, 1925, pp. 95-112.

وسيطرتهم على المدن والثغور الساحلية، وقد تزعم الأشراف السعديون الجهاد، وتمكنوا من دحر البرتغال في معركة الملوك الثلاث، التي لعب فيها الدلائيون بالأطلس المركزي دورا في انتصار المغاربة، مما أضفى على سلوك الأولياء طابع الجهاد⁵⁸.

لقد ساهم هذا الدور الجهادي والمقاومة الذي تبناه المتصوفة وشيوخ الزوايا في تزايد شعبيتهم، وترسيخ مكانتهم بين العامة والخاصة، واستمروا في الدفاع عن الحدود المغربية إلى غاية مطلع القرن العشرين، بعدما تمكن الاحتلال الفرنسي من القضاء على آخر معاقل المقاومة في الأطلس سنة 1934م.

إذا تأملنا هذا الدور العسكري الذي لعبه المتصوفة منذ القرن 16م، إلى غاية النصف الأول من القرن 20م، يجعلنا ندرك أن هذه المقاومة، تعد إلى جانب أدوار أخرى من الدوافع الأساسية التي جعلت القبائل تحج لزيارة الزوايا والأضرحة، وتبجل الأولياء الأحياء منهم والأموات، باعتبارها مؤسسات أساسية في تنظيم المجال المغربي في تلك الفترة. وكان الأطلس المركزي مركزا لأولياء الذين اشتهروا بمقاومة الاحتلال الفرنسي نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م.

وقد اشتهر أولياء الزاوية الحنصالية في مقاومة الاحتلال الفرنسي، الذي كان له وقع على القبائل التي استنجدت بشيوخها أوقات الأزمات والحروب، وفي المقابل تواظب العديد من قبائل المنطقة لزيارة زاوية أحنصال في المنطقة وأضرحة أوليائها، ولإزال العديد من المواسم تقام كذكرى لأولياء أحنصال، خصوصا وأن هذه الزاوية كان لها فروع في مختلف مناطق الأطلس المركزي، وفي أغلب جهات المغرب وحتى بلاد الجزائر.

وتلخص النماذج التي سنتطرق إليها الأدوار الجهادية التي قام بها شيوخ الزاوية الحنصالية ضد الاحتلال الفرنسي نهاية القرن 19 وبداية القرن 20م، على سبيل المثال: فقد ساند شيخ زاوية أحنصال سيدي محم، القائد ألعيد الحسين، وقبيلة آيت بولي ضد عبد الملك الكلاوي، الذي دخل دمنات مع فرقة من الجيش الفرنسي، بعد تعيينه قائدا على دمنات محل القائد ألعيد الحسين، وشكل الحنصالي المذكور تحالفا للسيطرة على دمنات، وضم كل من آيت سخمان وآيت مصاض وآيت بوزيد

58 - عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية. دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، ط. 3، الرباط، 2006، ص. 97-123.

وآيت عتاب وانتيفة، غير أن الكلاوي والفرنسيين تمكنوا من صد الزحف نحو دمنات، وتحدث سبلمان مطلع القرن 20م، عن النفوذ الذي كان يتمتع به سيدي محم، شيخ زاوية أحنصال آنذاك، والذي وصفه بشخصية سياسية موهوبة، ولا جدال في بركته، عمره آنذاك حوالي ثلاثين سنة، واستطاع تشكيل جيش من قبائل آيت سخمان وآيت عطان أمالو وآيت بوزيد آيت مازيغ آيت محمد آيت بوكنيفين، تالمست ، آيت حكيم (آيت بو كمارز).... ودعاهم إلى مسيرة ضد الفرنسيين عام 1916 ببلاد آيت أوتفيركال في أزيلال.

وقد رفض الحنصاليون الاستسلام للاستعمار حتى سنة 1923م، وكان لهم عدد كبير من الاتباع في مختلف مناطق المغرب⁵⁹. وللإشارة، فإن سبلمان ذكر أن سيدي محم وقبائل آيت سخمان وآيت عطان أمالو وآيت بوزيد وآيت مصاض وآيت عتاب كانت خارج سلطة المخزن⁶⁰ وهذا ما أكده الغجدامي⁶¹، الذي اعتبر هذه القبائل كانت تحت نفوذ سيدي محم وزاوية تانغلمت⁶².

وكان يتمتع شيوخ زاوية أحنصال بنفوذ كبير على قبائل آيت ايصحا، وآيت عبدي، وآيت أوسيكيسي وإيمكون، وآيت اينكر (آيت بوزيد) ، وآيت أونيدر من برنات وايت عباس وجزء من آيت عطا القبلة. وكانت كل هذه القبائل تبجل أولياء زاوية أحنصال الأحياء منهم والأموات، وتنظم زيارات جماعية لأضرحتهم وزواياهم في المنطقة⁶³.

لا زال العديد من الزوار بالأطلس المركزي يزرون أضرحة الأولياء الحنصاليين وتعقد مواسم بجوار أضرحتهم، منها مثلا فرع زاوية أحنصال بآيت كرول بدمنات، وضريح سيدي يوسف أحنصال بآيت تكلال⁶⁴ المستقرين حاليا ببلاد انتيفة على بعد 15 كلم من شلالات أزود، الذين نزحوا من بلادهم

59 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. Cit. p. 28.

60 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p.112.

61 - الغجدامي محمد، م، س ص. 51.

62 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p.112.

63 - Ibid.

64 - استقبلت قبيلة آيت تاكلال سيدي سعيد أحنصال ورحبت به. وعندما هاجمت اتحادية آيت عطا تخوم الأطلس، للسيطرة على المعابر نحو السهول للحصول على موطئ قدم فيه. تحالف دادا سعيد الحنصالي مع آيت عطا. وبعد معارك عديدة ، طردت آيت عطا قبيلة آيت تاكلال من بلادهم خلال القرن 16م، واستقرت في بلادهم عائلات من آيت بوكنيفين التي تشكل إحدى القبائل الصغرى من اتحادية آيت عطا نأومالو. أنظر:

- Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p. 99.

بتاغية نايت تاكلا على ضفاف نهر "اسيف نأحنصال" خلال القرن 16م، التي يسكنها حالياً آيت بو إيكنيفين⁶⁵.

إلى جانب المقاومة الحنصالية في الأطلس المركزي، تزعم أبناء سيدي الطيبي الدرقاوين، وإمهاوش، التابعين للزاوية الدرقاوية أيضاً، المقاومة المسلحة ببلاد آيت أمالو ضد الاحتلال الفرنسي، وكان لهم دور كبير في انتصار المقاومة الزيانية بقيادة موحى أحموا لزياني خاصة في معركة لهري الخالدة عام 1914م، وانتصار المقاومة الوراوية بزعامة موحى أوسعيد الوراوي في معركة القصيبة سنة 1913م.

هذا الدور الجهادي الذي تبناه مرابطو أبناء سيدي الطيبي وإمهاوش، كان من بين الأسباب التي جعلت سكان آيت أمالو يبجلون هؤلاء المرابطين، الأحياء منهم والأموات وينظمون إليهم زيارات موسمية. وبفعل دورهم في تنظيم المجال ونفوذهم الواسع بقبائل آيت أمالو، وجهت سلطات الحماية بحوثاً علمية حول مرابطي سيدي الطيبي وإمهاوش.

في هذا الصدد، أورد القبطان الفرنسي ذو الأصول الجزائرية سعيد كنون، مجموعة من الأخبار المهمة حول مرابطي سيدي الطيبي، وإمهاوش. وتحدث عن سيدي محمد بن الطيبي، ووصفه بأنه كان نشيطاً ومقاوماً في منطقة الأطلس المركزي وفي أعالي زير⁶⁶، كان يسكن في تيحونا نايت ويدير، على بعد 6 كلم من المسيد، واضطر إلى الانتقال سنة 1922م إلى الجنوب في البداية، ثم والى ناوور حيث ولازال يواصل مقاومته⁶⁷. كما تزعم أخوه سيدي عبد المالك بن الطيبي المقاومة في ناوور ببلاد آيت وير، وكان نفوذه يشمل أيضاً قبيلة آيت أم البخث، واستمر إلى أن توفي بمرض التيفوس⁶⁸. ولا زال ضريح أبناء سيدي الطيبي بناور محط زيارة وتبجيل من قبل آيت أمالو، ويقام عليه موسم سنوي تكريماً لهذه الأسرة الصوفية.

إن تبجيل الأولياء الأحياء وتنظيم الزيارة إلى مقر إقامتهم كانت منتشرة بالأطلس المركزي نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م، خصوصاً عندما حققت قوات الاحتلال الفرنسي تقدماً في السيطرة

65 -Ibid, p.99.

66 - سعيد كنون، م. س، ص. 113.

67 - سعيد كنون، م. س، ص. 113.

68 - سعيد كنون، م. س، ص. 112، 113.

على المنطقة. وأشار سعيد كنون، إلى التعبئة التي كان يقوم بها الأولياء في الأسواق الأسبوعية ودعوة الناس للجهاد والمقاومة، وقال في هذا السياق "... وصل الولي إلى سوق آيت امالو وخاطب الناس في السوق بقوله: إخواني المسلمين السلام عليكم، لقد جئت أحمل إليكم كلام الله الذي يأمركم بأن تقاتلوا في سبيل دينكم وبلادكم. لقد وصل النصارى بالقرب من دواويركم وازداد التضيق على قطاعاتكم، بينما يشيع بعض أعدائكم أن منكم من يتردد على الرومي اللعين ويمده بمعلومات عن السبل المؤدية إلى داخل البلاد. أنني أرفض تصديق هذا العار لأنني أعرف أنه لا يوجد أكثر شجاعة ووفاء منكم في جبالنا، فثابروا إذن وأصدوا أمام الأغواء، ومن الأفضل الموت فقيرا في الاسلام على العيش في عار الاتصال بالكلاب، بارك الله فيكم إخواني⁶⁹.

أمام حيرة سكان القبائل وامتعاضهم من زحف الاحتلال نحو مجلاتهم الحيوية، وأمام التعظيم والتبجيل الذي يعبرون عنه لأولياتهم، كان للسكان استعداد قوي لتصديق كل خطاب يستمد مرجعيته من مؤسسة الولي والضريح. لذلك، لا نستبعد أن يكون هذا الواقع هو من ساهم في ظهور انتشار الأولياء في المنطقة، رغم عدم توفر الشروط الضرورية لتحقيق الولاية الصوفية، وعلى سبيل المثال، ظهر شخص بأيت امالو زعم أنه شريف، واسمه مولاي مصطفى، ادعى أنه قادر على تحقيق النصر على الفرنسيين بعد فشل المخزن. والحقيقة أن الشخص كان مجهولا لدى آيت امالو، وكان متسحا ومقmlا وقذرا، ووعد أنصاره بأنه سيهزم الفرنسيين في جبال زيان بفضل كرامات، إلا أن قوات الاحتلال تمكنت من تدمير مخيم الشريف المزعوم وأنصاره. وتعرض هذا الشريف لمعاملة قاسية من قبل أتباعه بعدما تبين لهم كذبه⁷⁰.

أما بخصوص الأسرة الصوفية الثانية "إمهاوش"، التي كان لها الفضل في الحد من توغل قوات الاحتلال الفرنسي داخل الأطلس المركزي إلى غاية 1933، إذ كان تأثيرهم قويا على ايشقيرن وآيت سخمان وآيت ويرا وآيت ايحاند وآيت مكيلد بملولية.

ومن أبرز شيوخ ال أمهاوش مطلع القرن 20م، سيدي علي أمهاوش المشهور بورعه واستقامته ومقاومته للاحتلال ليس في المنطقة فحسب، وإنما بجهات أخرى من المغرب مثل مشاركته في

69 - سعيد كنون، م. س، ص. 51.

70 - سعيد كنون، م. س، ص. 126، 127.

مقامة أهل بودنيب، ضد الاحتلال الفرنسي. وبعد وفاة سيدي علي أمهاوش 1918م، تزعم سيدي المكي أمهاوش المقاومة، وقاد معركة "تزيوات" التاريخية سنة 1933م ضد القوات الفرنسية. وعموما كانت هذه الأسرة الصوفية تابعة للطريقة الدرقاوية كما أشرت إلى ذلك من قبل⁷¹. وقاد شيوخها سلطتين: السلطة الروحية الصوفية، والسلطة السياسية القبلية، وحظيت هذه الأسرة بالتبجيل والتقدير، بسبب أدوارها المتعددة، إلى جانب مقاومتها للاحتلال الفرنسي. لذلك لاحظت القوات الفرنسية، كيف كان يحتفظ المقاومون بأقساط من الغنائم لـ "إيكرا من" من الأولياء ذوي النفوذ على قبيلتها أو عشيرتها، ولا يغفل أفراد المقاومة القيام بزيارة قبور "إيكرا من" من المدفونين في البلاد التي تجتازها خلال عملياتها⁷².

لعبت زاوية تانغمت ببلاد انتيفة دورا مهما في مقاومتها الاحتلال الأجنبي جهويا ووطنيا، ففي عام 1923م، كان الشيخ سيدي أحمد أو لعباس ذا سمعة كبيرة، مساندا لمقاومة ماء العينين بالجنوب عام 1910م، وكان محرصا للعديد من الحركات ضد القوات الفرنسية في عام 1915⁷³. ولم يكن دور أضرحة الأولياء الأموات استثناء في المساهمة في عمليات المقاومة والجهاد ضد الاحتلال، إذ تعتبر أضرحة الأولياء أفضل مكانا لتنسيق عمليات استهداف القوات الفرنسية، ففي بداية القرن 20م، اجتمع ممثلي قبائل دير تادلا بمناسبة انعقاد موسم مولاي عيسى بن إدريس سنة 1915م لاتخاذ قرار موحد لمواجهة الفرنسيين⁷⁴.

وأكد تقرير استخباراتي فرنسي بتشكيل تجمعات أمازيغية ضخمة بمناسبة انعقاد موسم مولاي عيسى بن إدريس سنة 1915م استعدادا للهجوم على القوات الفرنسية⁷⁵، ولا زالت الذاكرة الجماعية تؤكد أن التنسيق بين المقاومين استعدادا لخوض معركة سيدي علي بن إبراهيم بضريح هذا الأخير.

ولابد من الإشارة، إلى أن الاحتلال الفرنسي لما احتلت المنطقة، حافظ على طقوس زيارة الأضرحة،

71 - سعيد كنون، م. س، ص. 101.

72 - سعيد كنون، م. س، ص. 64.

73 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. Cit. p. 16.

74 - الجريدة الرسمية، تقرير عن الوضعية السياسية والعسكرية في منطقة الحماية الفرنسية، رقم 128 بتاريخ، 03 أبريل 1915.

75 - الجريدة الرسمية، تقرير رقم 135، بتاريخ 24 ماي 1915.

وشجع على زيارتها، إلا أنه حاول إفراغها من أدوارها العسكرية والسياسية الحقيقية، وحاول جاهدا أن تصبح هذه المؤسسات عادات وطقوساً فلكلورية، تستخدمها فرنسا لتحقيق التوازنات داخل المجتمع المغربي، وخلق تفرقة بين الحركة الوطنية المتأثرة بالتيار السلفي بالمشرق العربي والحركة الصوفية "أنظر المبحث سياسة سلطات الحماية تجاه المواسم خلال فترة الحماية 1912م-1956م".

2- 4 أدوار الأولياء في حل النزاعات وتأمين التجارة

إن انتشار الأولياء المحنفي بهم بالمواسم بالدير الأطلس المركزي، يجد تفسيره في كون الزوايا والأولياء، مؤسسات موروثية تمثل السلطة الروحية الرمزية، وتساهم في تنظيم المجال المغربي الموروث. لذلك، كان الأولياء يؤسسون مقر إقامتهم على نقط حدودية، لها أهميتها في إرساء الأمن بين القبائل، وضمان استقرارها. إن سلطتهم المعنوية تساعد على إرساء المعاهدات الفصلية المعقدة التي تحدد قواعد الانتجاع بين المراعي الجبلية.

وفي مقابل ذلك، لم تكن تردد القبائل في تبجيل واحترام أوليائها، وتنظم إليها زيارات وتعقد مواسم بجوار مقراتها تكريما وعرافنا بأدوارها التاريخية، إذ كان المرابط شخصا ورعا ومهابا ينتدب للتحكيم في النزاعات معوضا في الغالب المخزن. ففي عام 1850م، تدخل زعيم زاوية أحنصال في مناسبتين لإعادة توطين آيت اوكديد المطرودين من أرضهم من طرف آيت عتاب أثناء غارة مولاي الحسن على واويزغت، ويبدو أنه قد أوصى القبائل بطاعة السلطان⁷⁶.

أشاد السلطان عبد العزيز سنة 1895م بشيخ زاوية تناغملت أحمد بن العباس، لما كان يقوم به من صلح بين القائد الجليلي الدمناتي، وبين القبائل التي كان قائدا عليها⁷⁷. وقد اشتهر شيخ زاوية تناغملت أحمد بن العباس بدوره التحكيمي، وتدخله المتكرر للصلح بين القبائل. ولا زالت الذاكرة الجماعية تذكر بعض من أدواره في هذا المجال، ومما قام به تحذيره لقبيلة آيت ت كلا جيران الزاوية الذين كانوا يقومون أحيانا بنهب المسافرين وقطع الطرق في تلك الجهة.

76 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p.110.

77 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 441.

ولا يقتصر دور الأولياء وشيوخ الزوايا بالأطلس المركزي على التدخل لوقف النزاعات بين القبائل والأفراد، وإنما تعداه حيث كان المرابط يشكل ضامنا للمواثيق والعهود، ومن ثم نفهم السبب الذي جعل عامل اينولتان الجلاي الدماتي يبعث برسالة إلى التناغملي المشار إليه، يخبره بأن القائد عبد الله أشطو قائد قبيلة انتيفة الجبل وفرقة آيت إبراهيم من قبيلة آيت بوولي، يضمن لهم العامل المذكور الأمان على يد مرابط تانغملي⁷⁸.

أمام هذا الدور التحكيمي والأمني الذي لعبه الأولياء وشيوخ الزوايا، والذي أشار إليه الباحثون المهتمون بهذا الشأن بإسهاب، يمكننا القول باطمئنان، أن ما تقوم به القبائل تجاه الزوايا والأضرحة بما في ذلك المواسم وزيارة مقاماتهم، يجد تفسيره في أدوارها المتعددة ومنها الدور التحكيمي والأمني.

وتؤكد الواقعة التي أوردها أحمد التوفيق هذه الفرضية، حيث أشار إلى أنه عندما غزت بعض جماعات من آيت عطا جبال اينولتان، انطلقا من مستقرهم ببلاد تادلا، وقد تمكن المرابط سيدي إدريس دفين ضفة الواد الأخضر عند السراغنة، إصلاح بين آيت عطا وبين آيت شتاشن. وتفسر تلك الواقعة زيارات آيت عطا وآيت شتاشن لضريح المرابط المذكور⁷⁹.

لقد استطاع الأولياء وشيوخ الزوايا بالمنطقة الحد من بعض الخلافات والصراعات القبلية التي فشل المخزن في تدبيرها. وعلى سبيل المثال، تدخل خليفة السلطان في مراكش لتحقيق اتفاق حول تقسيم ماء الساقية بدمنات، بين فخذتي آيت يحيى من جهة، وآيت واودانوست من جهة ثانية، إلا أن الخلاف سرعان ما برز من جديد، حتى تدخل مرابطو سيدي بويعقوب، واتفق الطرفين أن تكون العين الفوقانية لآيت يحيى، وعين سيدي ناصر أو مهاصر لآيت واودانوست⁸⁰.

إلى جانب ذلك، تعد تدخلات إيكرا من لوقف الصراعات بالأطلس المركزي أمرا مألوفًا، فهذه الشخصيات تؤثر في "الجماعة"، وينجحون في وقف إطلاق النار⁸¹. وكثيرا ما يحدث أن تؤدي حوادث

78 - نفيسة الذهبي، م. س. ص. 195.

79 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 88.

80 - نفسه، ص. 209، 210.

81 - سعيد كنون، م. س. ص. 46.

بسيطة إلى تطورات خطيرة بين الأفراد في البداية ثم بين الفخذات، آنذاك تتدخل لجماعت لصالح أبناء قبائلها، وبعدها يتدخل "إكرامن" الأولياء، الذين يلعبون دور الحكم. تتمثل تلك الحوادث في المشاجرات والاضطرابات المصحوبة بإطلاق النار، لدى تربط لجماعت الاتصال فيما بينها وتستندج "بإكرامن" الأولياء⁸².

بيد أنه، لابد أن نشير إلى أن تدخلات الأولياء لا تكفل دائما بالنجاح، لعدة اعتبارات وسياقات سياسية واجتماعية، وتروي الذاكرة الجماعية قصصا تحمل بين ثناياها فشل بعض الأولياء في الوساطة، وقد أورد صاحب كتاب التسلي نموذجا لحدث لم ينتج فيه وساطة المرابط، إذ ذكر أن أحد الأولياء دمنات، وهو سيدي عبد المومن تشفع لدى الجلاي في الطالب ناصر نايت الفقيه الذي عذبه العامل وسجنه، ولم يقبل شفاعته حيث أبقاه في السجن، فصرح هذا الولي أمام الناس بأن المسجون سيمرح بدون رضی العامل⁸³، مما أثار غضب العامل الجلاي الدمناتي لينتقم منه، وقد شهر به وسجنه دون أن يقيم لحرمة ذلك المرابط وزنا. فقال المرابط قولة مشهورة "ثلاثة ليس لها أمان الواد والسلطان والزمان"⁸⁴.

إلى جانب ذلك، كان للأولياء دور كبير في ضمان السلم والمعاهدات المتعلقة باستغلال المراعي وتحقيق الصلح بين القبائل المتحاربة، وكانوا يضمنون استمرار التجارة. ولنا في المنطقة أمثلة كثيرة في دور المتصوفة في تحقيق السلم والأمن وضمن استمرار المعاهدات بين القبائل. ومن ذلك أن سيدي محمد بن داود الشاوي بزواوية أزراك بإغرم لعلام كان دوره في استقرار منطقة دير القصيبة التي كانت منطقة صراع بين القبائل الأمازيغية آيت سري والقبائل العربية آيت الربع⁸⁵.

لا يقتصر تدخل الأولياء في تحقيق الأمن بين القبائل، وإنما يتدخلون لضمان الأمن بين المخزن والقبائل، حيث كان الأولياء يلعبون دور الوساطة التي كانت عاملا أساسيا في تزايد إشعاعهم ونفوذهم، وعلى سبيل المثال: تدخل شيوخ الزاوية الشرقاوية في تهدئة صراعات قبلية في تادلا

82 - نفسه، ص. 48.

83 - أحمد التوفيق، م. س، ص. 589.

84 - محمد العجدامي، م. س، ص. 77.

85 - وثيقة عائلية خاصة، مدنا بها أحد حفدة سيدي بن داود، المهدي الداودي، مقدم ضريح الولي سيدي بن داود بإغرم لعلام.

وأحوازها إبان فترة حكم عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، مما دعم نفوذها في بلاد الشاوية وتامسنا حتى أسفي⁸⁶.

ولعب للأولياء وشيوخ الزوايا أدوارا مهمة في تأمين التنقل بين القبائل بجهات وأقاليم المغرب، خصوصا في فترات عدم الاستقرار السياسي. وذكر العديد من الرحالة هذا الدور الحيوي الذي كانت تقوم بها مؤسسة الولي والزاوية خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، ومن ذلك ما ذكره شارل دو فوكو عند مروره بالمنطقة سنة 1884م، حيث أشار إلى أن الزاوية الشرقاوية كانت تضمن تأمين تنقل الأفراد بين مختلف مناطق تادلا⁸⁷.

والملاحظ أن إقامة المواسم بجوار الأضرحة والزوايا مرتبط بشكل كبير بالحماية الرمزية والسياسية لهذه المؤسسات، التي تضمن إقامة والمبادلات، خاصة في المواسم التي كانت غاياتها الكبرى التجارة، إذ كانت قبائل أعالي الجبال، تنظم مواسم تجارية سنوية للتزود بحاجياتها الضرورية التي تكفيها لفصل شتاء طويل بارد متميز بتساقطات ثلجية مهمة. ويعتبر موسم "سوق عام" أو "أكدود" بايت حديدو نموذجا لمثل هذه الأسواق السنوية، والذي يعقد بجوار وتحت حماية ضريح سيدي أحمد المغمي.

وللإشارة، كان يضمن الأولياء الأحياء، خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، تنقل الأفراد في القبائل الخاضعة لنفوذهم، يظهر جليا في ما أشار إليه شارل دو فوكو بخصوص زاوية أحنصال، حيث ذكر أن قبيلة آيت مصاد كانت تحت نفوذ الزاوية الحنصالية، وبها زعيم قوي، له نفوذ مطلق على القبيلة المذكورة، ويمتد تأثير هذا النفوذ إلى مراكش وأبعد من ذلك إلى دادس وتودغا، وكان مشهورا ومقدسا⁸⁸. يستطيع عبد واحد لزعيم الزاوية سيدي أحمد أوحمد أحنصال، تأمين تنقل القافلة بأمان من تودغا إلى مراكش، ويعتبر الوحيد الذي يلجأ إليه كل من يرغب في السفر إلى هذه المناطق⁸⁹.

86 - عبد الكريم الجويطي، تاريخ بلاد تادلا تحيين وتركيب، الجزء الثاني، مطبعة البيضاوي، 2017، ص. 152.

87 - شارل دو فوكو، م. س، 40 - 90.

88 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ..., op. cit. p. 90.

89 - Ibid.

3- الأدوار المتعددة للأولياء اليهود بالأطلس المركزي

تتواجد بالأطلس المركزي العديد من الزوايا والأضرحة اليهودية، التي لعبت أدورا تاريخية، استمرت حيويتها إلى غاية الهجرة الجماعية اليهودية إلى إسرائيل ودول الغرب بعد الحرب العالمية الثانية⁹⁰. ولا يستبعد حاييم الزعفراني⁹¹ أن يكون تقديس أولياء اليهود بالمغرب طقساً قديماً قبل مجيء الإسلام. تؤكد الأبحاث التي اهتمت باليهود المغاربة، أن جل الأولياء المحتفى بهم في المنطقة على غرار باقي مناطق المغرب عاشوا خلال القرن 15م⁹²، وهاجروا ربما من مواطنهم الأصلية إلى المغرب قصد القيام بالأعمال الخيرية، وترسيخ الثقافة العبرية بين يهود ملاحات المنطقة⁹³.

وللإشارة، فالعديد من الأولياء تبجلها وتزورها الطائفة اليهودية إلى جانب المسلمين، وتؤكد العديد من الوثائق التي أطلعنا عليها مقدم الضريح الولي مول البرج مخلوف أبي تبول⁹⁴، أن هؤلاء الأولياء كانت لهم أدوار طلائعية في نشر التعليم، ومحاربة الأمية، والتدخل للحد من الصراعات بين اليهود، والدفاع عن مصالح الطائفة اليهودية⁹⁵.

وقد قدم الباحث Voinot ، جردا لهذه الأضرحة المشتركة التقديس بين اليهود والمسلمين في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير المركزي⁹⁶. وتحدث عن بعض المواسم التي تحييها الطائفة اليهودية بملاحاتها وأضرحتها، كما تطرق إلى بعض الأدوار التي كان يقوم بها الأولياء اليهود والمسلمون معاً، منها الدعوة لصلاة الاستسقاء، وإطعام الطعام، ونصرة المظلوم، ومقاومة استبداد بعض عمال وقواد المخزن.

ورغم ندرة المادة المصدرية، حول موضوع المواسم اليهودية وزيارة أضرحة أوليائها بالمنطقة، إلا

90 - رواية شفوية، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا بيزو، بتاريخ 03 غشت 2019.

91 - حاييم الزعفراني، الف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ، ثقافة، دين، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، ط. 1، الدار البيضاء 1987، ص. 245.

92 - قناة الأولى المغربية، "نشرة الأخبار"، تصريح عينة من اليهود المغاربة سنة 2019، بمناسبة هيلولة دا ويد دراع.

93 - رواية شفوية، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا بيزو، بتاريخ 03 غشت 2019.

94 - وثائق عائلية خاصة، أطلعنا عليها الحزان أبي تبول، مقدم ضريح مول البرج، ببلدة ايزو، وهي عبارة عن صور ووظائف التوقيف.

95 - قناة الأولى المغربية، "نشرة الأخبار"، تصريح عينة من اليهود المغاربة سنة 2019، بمناسبة هيلولة دا ويد دراع.
96 - Voinot Louis, Pèlerinages judéo-musulmans du Maroc, op. cit.

أن كتب الرحلات⁹⁷ والمصادر المحلية⁹⁸، والدراسات الأجنبية⁹⁹ احتفظت بمعلومات قيمة حول الأوضاع العامة للطائفة اليهودية بالمنطقة خلال القرن 16م، والقرن 19م والنصف الأول من القرن 20م. وفي هذا السياق وذكر أحمد نجيب الدمناتي، أن بعض الاحتفالات والمواسم والأعياد التي كان يحتفل بها اليهود بالأطلس المركزي نهاية القرن 19م والنصف الأول من القرن 20م، هي الهيلولة¹⁰⁰، وعيد أسباح، وعيد الفصح، وعيد الرقاق، حيث كانوا يهدون الطعام من أطباق اللحم والدجاج والحلويات... أيام العيد، فيخرجون من ملاحاتهم بطبولهم وطرائرهم، ومعهم الشموع الموقدة، وإذا دخلوا دار مسلم فرح بهم¹⁰¹.

بفضل المكانة الروحية للأولياء اليهود بالمنطقة وأدوارهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كانوا محط تجميل من قبل الطائفتين اليهودية والإسلامية، وتحدث لنا العديد من القيميين على أضرحة اليهود بالمنطقة أن هذه الأضرحة تنظم إليها زيارات من المعمرين المسيحيين في فترة الحماية، الذين يزورونه باستمرار إلى الجانب اليهود والمسلمين. وروى لنا مقدم ضريح سيدي مول البرج بأبزو، أنه كان شاهدا على زيارة احد المعمرين يدعى " بيانو " لقبر الولي وهو في حالة إعاقة تمنعه من الوقوف، و بفضل بركة الولي تشافى من إعاقته¹⁰².

ورغم الهجرة اليهودية من ملاحاتهم¹⁰³ في منطقة الأطلس المركزي، إلا أن اليهود المغاربة لا زالوا يواظبون على إحياء مواسمهم وزيارة أضرحة أوليائهم تكريما لهم، واعترافا بأدوارهم التاريخية في المنطقة، ومن بين المواسم اليهودية المستمرة إلى اليوم "هيلولة ربي يوسف أبا زاو" في فم الجمعة، "هيلولة سيدي مول تمحضر" بتابيا، وهيلولة سيدي حاييم قرب أشطو بانتيفة، وهيلولة "دافيد درعة الحمادنة"، و"هيلولة ربي اتسحاق اسرائيل هليفي، المعروف بسيدي مول البرج....

97 - أنظر: الحسن الوزان، م.س: وشارل دو فوكو، م.س.

98 - أنظر : أحمد نجيب الدمناتي، م.س: ومحمد الغجدامي، م.س.

99 - Drague Georges, Op. cit. - Michaux belaire, op. cit. - voinot Louis, op. cit.

100 - تشير كلمة "هيلولة"، في اللسان العبري إلى "سبحوا لله".

101 - أحمد نجيب الدمناتي، م.س. ص. 102-103.

102 - رواية شفوية، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا ببزو، بتاريخ 03 غشت 2019.

103 - من أهم ملاحات الأطلس المركزي: ملاح تيسنت بآيت بولوي بمنطقة أباشكو: ملاح تارباط بالقرب من دوار اسكاض: ملاح آيت بلال بنواحي دمنات: ملاح مدينة دمنات: ملاح تنانت بانتيفة: ملاح بانتيفة: ملاح تابيا بانتيفة: ملاح آيت تكلا بانتيفة: ملاح تاونزة بآيت عتاب: ملاح لبرادية بآيت عتاب: ملاح فم الجمعة بانتيفة: ملاح مدينة بني ملال: ملاح مدينة أبي الجعد.

نستنتج من خلال هذا المبحث، أن هناك تنوع في المصطلحات الدالة على الأولياء والصلحاء بالأطلس المركزي، سواء لدى اليهود أو المسلمين، وغالبا ما يطلقون عليهم أسماء من قبيل: "مولاي" أو "سيدي" أو "لالة"، إلا أن جميعهم تقريبا يحملون نفس الدلالة والمعاني. بيد أنه لا بد من توفر شروط أساسية لتحقيق الولاية والصلاح، ويمكن تلخيصها في ثلاثة شروط مركزية وهي: النسب الشريف أولا، والرغبة والإرادة في تحقيق الولاية والصلاح ثانيا، إضافة إلى حصول الولي على الإجماع والتوافق الاجتماعي ثالثا.

واتضح كذلك، أن مسألة الولاية والصلاح، لا تخلو من تراتبية طبقية، بناء على المبادئ المشار إليها، وهو ما أفرز في اعتقادنا التباين الواضح في شهرة الأولياء، بين من فاقت شهرته الجهة والبلاد، وبين من اقتصرت شهرته على مجاله المحلي فقط، وأن الإناث الوليات قليلات مقارنة بالأولياء الذكور، بفعل سيادة المجتمع الذكوري.

كانت الأدوار التاريخية التي لعبها الأولياء قيد حياتهم أو بعد مماتهم، سواء الأولياء اليهود أو المسلمين، طلائعية ومتعددة الغايات، والمتمثلة أساسا في تبسيط المبادئ الإسلامية لسكان البوادي، والتوفيق بين الطقوس والعادات المحلية مع مبادئ الحركة الصوفية الإسلامية. إلى جانب ذلك، شكل الصلحاء وفضائهم مراكز صحية بالنسبة للسكان المحلية، إذ يقصد الزوار الأضرحة والأشجار ومنابع المياه عندما تدهمهم الأمراض سواء العضوية أو النفسية. وكان للأولياء اليهود بالمنطقة فضل في نشر التعليم، ومحاربة الأمية، والدفاع عن مصالح الطائفة اليهودية، والتدخل للحد من الصراعات بين اليهود فيما بينهم، وبين اليهود والمسلمين.

كما أن الأولياء كان لهم دور كبير في التخفيف من معاناة السكان زمن المجاعات والجوائح، التي واجهتها مناطق عدة بالأطلس المركزي، بل ولهؤلاء الأولياء صيت في قضايا التحكيم في النزاعات بين القبائل والأفراد، وتأمين التجارة و التنقل. إضافة إلى تدخلهم لدى المخزن المحلي والمركزي في إعفاء الناس من التكلف، والتخفيف من الأعباء المادية التي تتطلبها مناسبات الزواج والختان، لذلك كانوا دائمى السهر على تنظيم حفلات الزفاف الجماعي للشباب والختان للأطفال .

علاوة على ذلك، كان الأولياء بالأطلس المركزي زعماء لسلطتين الأولى روحية دينية صوفية، والثانية سياسية عسكرية، لذلك تزعموا حركات الجهاد والمقاومة، وتمكنوا من دحر القوات الأجنبية المتربصة بالمغرب منذ معركة الملوك الثلاث بزعمامة السعديين والدلائيين، إلى غاية المعارك الباسلة التي تزعمها الأولياء بالأطلس المركزي بداية القرن 20م ضد الاحتلال الفرنسي، وخاصة

مقاومة الحنصاليين وإمهواش وأبناء سيدي الطيبي الدرقاويين ببلاد آيت أمالو.

المبحث الثاني: التطورات التي عرفتها المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي خلال النصف الثاني من القرن 20م ومطلع القرن 21م

يتناول هذا المبحث، وضعية الزوايا والأضرحة بالأطلس المركزي خلال انعقاد المواسم بعد استقلال المغرب سنة 1956م. وقد ركزنا فيه على مظاهر وأسباب التراجع الواضح لظاهرة زيارة الأضرحة، سواء خلال انعقاد المواسم أو في الزيارات المناسباتية. ومن جهة أخرى تطرقنا لمختلف الآليات المعتمدة في تدبير أمور الأضرحة خلال انعقاد المواسم بما فيها من تدبير أمور الأضرحة والزوايا الطائفة اليهودية. وأشرنا إلى بعض الإكراهات التي تعاني منها هذه الفضاءات المقدسة. وفي النهاية حاولنا وصف عمليات وطرق طقوس زيارة الأضرحة زمن انعقاد المواسم بالأطلس المركزي.

1 - تطورات زيارة أضرحة المواسم خلال النصف الثاني من القرن 20م وبداية القرن 21م.

شهدت ظاهرة زيارة الأضرحة خلال النصف الثاني من القرن 20م ومطلع القرن 21م تحولات مهمة، خاصة بعد حصول المغرب على استقلاله سنة 1956م، ومن مظاهر هذه التحولات التراجع التدريجي سواء للزيارات الموسمية التي كانت تنظمها القبائل باستمرار لزيارة الأضرحة والزوايا والمزارات الطبيعية، أو الزيارات المناسباتية الفردية والجماعية.

هذا التراجع الذي عرفته زيارة الأضرحة والزوايا، تبرزه العديد من الإشارات في كتابات تعود إلى نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م¹⁰⁴ من جهة، والكتابات التي ترجع إلى النصف الثاني من القرن 20م¹⁰⁵ من جهة ثانية، حيث اتضح أهمية الأضرحة والزوايا والأولياء في الحياة اليومية في المرحلة الأولى بالنسبة للقبائل في الأطلس المركزي، بفعل أدوارها في تنظيم المجال دينيا وسياسيا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا. وفي المقابل، لوحظ تراجع دور هذه المؤسسات في المجتمع في المرحلة الثانية، حيث أصبحت العديد من الأضرحة والزوايا مهجورة، وانقطع الناس عن زيارتها، إلا أن الأولياء

104 - محمد نجيب الدمناتي، م. س: ومحمد الفجدامي، م. س: وسعيد كنون م. س.
105 - Fenneke REYSOO, Des moussemes..., op, cit. p. 27.

المشهورين في المنطقة ما زالوا يحظون ببعض الزيارات المناسبة، وخلال المواسم السنوية. وبالرغم من هذا الواقع المتدهور لهذه المؤسسات الدينية الموروثة، تواظب البعثة المخزنية التي تحمل كل سنة الهدية السلطانية إلى العديد من الزوايا بالمنطقة¹⁰⁶، خاصة الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد، وزاوية تانغمت بانتيفة، وزاوية "آل بصير" ببني عياط... إلى جانب مواظبة الموكب الرسمي لعمال وولاية أقاليم المغرب لزيارة الأولياء خلال انعقاد كل المواسم، الذي يوضح استمرار هذه العناية. وتشكل هذه الالتفاتة السلطانية اعترافاً رمزياً بهذه المراكز الدينية الروحية، رغم دورها الباهت في أيامنا هذه.

ولإشارة، تقدم الدولة المغربية أيضاً دعماً رمزياً لكل الاحتفالات الدينية اليهودية بالمنطقة على غرار باقي مناطق المغرب، وتشجع الدولة أضرحة الأولياء اليهود والمسلمين والذين تنظم إليهم الزيارات تكريماً لهؤلاء الأولياء. ورغم كل الجهود المبذولة من طرف الإقامة العامة بالمغرب للحفاظ على هذه المؤسسات التي لا تهدد مصالحها، ورغم الدعم المادي والرمزي للدولة الوطنية للزوايا والأضرحة بعد الاستقلال، لاعتبارات رمزية وتاريخية، إلا أن ذلك لم يمنع من تزايد النفور المجتمعي من هذه المؤسسات الدينية.

1 - 1 أسباب تراجع الاهتمام بزيارة أضرحة وزوايا المواسم

يعزى تراجع اهتمام زوار المواسم بزيارة الأضرحة والزوايا، لعدة عوامل داخلية وخارجية، منها المد الإسلامي السلفي المشرقي، إضافة إلى إفراغ هذه المؤسسات من أدوارها التاريخية السياسية والعسكرية والروحية منذ سيطرت قوات الاحتلال على المنطقة مطلع القرن 20م، حيث خلقت هذه الأخيرة مؤسسات وأجهزة جديدة حديثة لتنظم المجال المركزي والجهوي وظيفياً وترابياً، تعوض المؤسسات والأجهزة التقليدية المتمثلة في الزوايا والقبيلة. وقد استمرت الدولة الوطنية بعد استقلال المغرب سنة 1956م على هذا النهج.

إلى جانب ذلك، يبدو أن انفتاح المغرب على اقتصاد السوق، كان له دور في خلق حاجيات

106 - لا زالت العديد من الزوايا تستفيد من الهبة السلطانية منها: الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد؛ زاوية تانغمت بانتيفة؛ زاوية "آل البصير" ببني عياط؛ زاوية سيدي أحمد بلقاسم الصومعي ببني ملال... وغالباً ما تقدم هذه الهدايا أثناء انعقاد مواسمها.

اقتصادية وثقافية واجتماعية جديدة. لذلك، لم يعد لدى سكان المنطقة أي محفز لزيارة الضريح، وتنظيم الزيارات لهذه المؤسسات، واقتصرت القبائل على زيارة المواسم التي تستمر في الغالب ثلاثة أيام فقط. يمكن تفسير تراجع أدوار الزوايا والأولياء، إلى توقف هذه المؤسسات في تأطير المجتمع روحيا ودينيا، حيث أصبحت مؤسسات أخرى هي التي تتحكم في نشر المعرفة الدينية، وأصبح مصدرها الأول وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي والمدرسة، وتعد التلفزة المصدر الأول بالنسبة للمعلومات الدينية بنسبة 40% من المستجوبين. و20% بالنسبة لأئمة المساجد ممن شملهم البحث، في المقابل، فإن وزن الزوايا وحفدة الأولياء شبه منعدم، وقد ذكر أغلبهم القنوات العربية المشرقية وأفرت مجموعة من هذه العينات المستجوبة وأغلبهم من الشباب بوسائل التواصل الاجتماعي.

يؤكد لنا العديد من المستجوبين أن زيارة الأضرحة حرام، وهذا ما يجعلنا نعتقد بتأثير قوي للخطاب السلفي الذي يندد بزيارة الأضرحة، وتمثل هذه السنة أكثر من 60% ممن شملهم البحث من مختلف الأعمار. فسر أغلب المستجوبين المتمدرسين بنسبة 80%، زيارة الضريح لاعتبارات بعيدة عن الدين، ويستعمل أغلب أفراد مجتمع البحث، الشعوذة والسحر والتخلف لإقصاء الأضرحة¹⁰⁷. لقد خلصنا أن معارضة زيارة الأضرحة في الأطلس المركزي عبر عنها الأشخاص المتمدرسون مقارنة بالأشخاص غير المتمدرسين.

ولابد من الإشارة، إلى أن هناك تراجع زيارة أضرحة الطائفة اليهودية بالأطلس المركزي، وخاصة تلك التي تقام على ذكراهم "الهيلولة" خلال النصف الثاني من القرن 20م مقارنة بالنصف الأول من نفس القرن، حسب تصريحات بعض أفراد الطائفة اليهودية الذين زاروا هيلولة "ربي اتسحاق هليلفي" ببلدة بزوسنة 2018م.

وقد تباينت الآراء حول الحضور الرسمي للمشاركة في الاحتفالات إلى جانب اليهود المغاربة في مواسمهم، بين رافض بنسبة 40%، وبين مرحب بنسبة 45%. في حين عبر 5% عن عدم اهتمامهم. أما منع اليهود من ممارسة طقوسهم خلال المواسم، فإن الأغلبية الساحقة عبرت بحريتهم في الاحتفال بالهيلولة باستثناء 02%، الذين عبروا عن رفضهم للسماح باليهود بممارسة طقوسهم

107 - تحريات ميدانية، شملت عدة مواسم منها: موسم مولاي عيسى بن إدريس بآيت عتاب: موسم امحمد الشرقي بأبي الجعد: موسم سيدي الصيبي نادور بآيت ويرا.

السنية في الأضرحة، وكان السبب في رفضهم مرتبطاً بالاختلاف الديني والقضية الفلسطينية. وفي الأخير، نشير إلى أن الدولة شجعت المواسم والمهرجانات في السنوات القليلة الماضية، لكن ما يميز هذه المرحلة أن المواسم والمهرجانات المستحدثة غالباً ما ترتبط بتثمين المنتوجات الفلاحية والحرفية والصناعية، ولا تقام بالضرورة بجوار الأضرحة. وهكذا أصبحنا نسمع اليوم مهرجان التفاح بناوور عوض موسم الولي الصالح سيدي الطيبي، مما يزيد من تراجع مكانة وأهمية هذه المؤسسات الدينية الصوفية.

2 - آليات وأعراف تدبير مواسم الأضرحة والزوايا

بفعل الأدوار التاريخية المتعددة التي لعبتها الأضرحة والزوايا وأهميتها في المجتمع، كان لابد من إيجاد أعراف وآليات لتدبير هذه المؤسسات، ويعتبر مقدم الضريح الشخص الذي يتولى مهمة تدبير الضريح أو الزاوية، ويتولى دور الذابح وصيانة الفضاء، ويجمع المال والهبات التي تصله. وتختلف الأسماء التي تطلق على مقدم الضريح بالأطلس المركزي، منها المزوار¹⁰⁸، والبواب وصاحب المفتاح "بوتساروت" والشيخ "أمغار".

تتعدد طرق اختيار مقدم الضريح من منطقة إلى أخرى بالأطلس المركزي، وعلى سبيل المثال، في ضريح سيدي بن داود بأزرناك بإغرم لعلم، يتم اختيار مقدم الضريح، عن طريق انتخابه من قبل فخذات حفدة سيدي بن داود، وتقسم حراسة الضريح إلى ست حراسات في السنة، ثلاث حراسات للفخدة الكبيرة آيت ويزا، وثلاث حراسات للفخذات الثلاث الأخرى آيت بن قدور - آيت لمعطي - وآيت سي احمد¹⁰⁹.

أما بالنسبة لضريح سيدي بو البخت بفخدة آيت أمغار بدمنات، يتم تعيين مقدم الضريح باقتراح من حفدة الولي، شريطة أن يكون ذكراً أصلياً من حفدة الولي، ومن قبيلة آيت أمغار. أما بخصوص حراسة الضريح، فقد كانت مقسمة بين أفراد القبيلة بالتناوب، وحسب المدة المتفق عليها. وغالباً ما تكون شهراً كاملاً، لكنه ضريح سيدي بو البخت اليوم مهجور، باستثناء أيام الموسم. وقد صادف

108 - يقصد بالمزوار، الشخص الذي يقوم بدور الوسيط بين الزاوية أو الضريح والسلطة المحلية أو المركزية. وقد يمارس مهمة مقدم الضريح، وغالباً ما يتم اختياره من بين نخبة الحفدة، ومن سماته القدرة على الحوار والدفاع عن مصالح الضريح والزاوية.

109 - رواية شفوية، المهدي الدواوي المزداد سنة 1954م بواب الضريح أو المقدم حالياً، من شرفاء سيدي بن داود من فخدة آيت ويزا

حضورنا سنة 2018 سيده فرنسية من أصل مغربي "نادية ميلي"، تهتم بالضريح، وتساهم ماديا لاستمرار هذا الموروث.

أما تدبير ضريح سيدي احمد أولمغني المعروف ب"أكدود" بقبيلة آيت حديدو، فإنه يتم وفق أعراف دقيقة، حيث أن اختيار المزوار، يكون عن طريق القرعة، شريطة أن يكون ذكرا من قبيلة آيت عمر "الشرفاء" الذين ينقسمون إلى آيت أمليل، وآيت عمر أويكو وآيت وابوض، و إوناش. ويشترط فيه أن يكون بالغاً، ويسمى المقدم "بوتساروت" أي صاحب المفتاح.

أما بخصوص أجرة الحارس، فهي من الصدقات الخارجة عن الصندوق، في حين أن الهدايا التي تدخل الصندوق تعود لملكية القبيلة. وتمتد مدة الحراسة عاماً واحداً، من أكتوبر إلى غاية الموسم شهر شتنبر، ويفتح الصندوق مرة واحدة في السنة. وتحرص القبيلة أن تشمل هدايا الصندوق على جميع أفراد الفخذات الأربع ذكورا وإناثا شبابا وشيوخا. لكن هذا الوضع تغير في السنوات القليلة الماضية، وأصبحت العائدات تستخدم في إصلاح السواقي، ومواجهة الكوارث الطبيعية، ومساعدة بعض الأسر خلال الوفاة أو الزواج¹¹⁰.

ومن خصوصيات تدبير الأضرحة والزوايا بالأطلس المركزي، أن مقدم زاوية سيدي أحمد بن ناصر بآيت أم البخت، يتولى المهمة باقتراح من حفدة الولي لمدة سنتين أو ثلاثة بدون أجر، ولا يستفيد من عائدات الضريح طيلة السنة، حيث تقسم تلك العائدات على الأسر من حفدة الولي¹¹¹.

بينما تعتبر مهمة المزار متوارثة أبا عن جد بالنسبة لزاوية سيدي الصغير بالمنيار بابزو، وفق نظام عرفي، يشمل أربع فخذات من حفدة الولي، وهي آيت لخدِيم، وآيت لمنيار، وآيت عبد الرفيع، وآيت إبراهيم. أما فيما يتعلق بتقسيم عائدات الضريح فإنه يتم بالتساوي بين الفخذات الأربع المشار إليها. وكل فخذة من هذه الفخذات تقوم هي الأخرى، بتقسيم عائدات الضريح على الأسر التي تتشكل منها الفخذة، ويفتح الصندوق مرة واحدة في السنة قبل الموسم السنوي¹¹².

110 - رواية شفوية، أطيب موحى ، بواب ضريح سيدي احمد أولمغني بإملشيل .

111 - رواية شفوية، سيدي محمد بن إبراهيم، بواب ضريح سيدي أحمد بن ناصر بآيت أم البخت.

112 - رواية شفوية، عبد الغاني آيت لخدِيم، بواب ضريح سيدي الصغير بالمنيار بابزو. من حفدة الولي . ينحدر من فخذة آيت لخدِيم

الشرفاء.

بيد أن الوضع تغير اليوم، حيث تتولى جمعية شرفاء سيدي الصغير بالمنيار تدبير عائدات الضريح. تستغل هذه العائدات في تنظيم أنشطة دينية بمناسبة عيد المولد النبوي، والمساهمة في تنظيم الموسم، إضافة إلى تنظيم عمليات الختان، ومنح الأدوات المدرسية، ومحاربة الأمية، وعقد ندوات علمية دينية، بشراكة مع المجلس العلمي لإقليم أزيلال.

وتجدر الإشارة، إلى أن العديد من الأضرحة تتوفر على أملاك، ومنهم الولي الصالح سيدي الصغير بالمنيار بابزو، ومن أملاكه أراض فلاحية غير مغروسة في إمداحن بالقرب من وادي العبيد، إضافة إلى أشجار الزيتون في بلاد دمنات بتدلي نفطوكة. وكان يستفيد من الهبة الملكية إلى أن توقفت سنة 1978م.

وفي المقابل هناك العديد من الأضرحة لا أملاك لهم، ولم يستفيدوا من الهبة الملكية كزاوية سيدي أحمد بن ناصر بآيت أم البخت، حيث تتصرف وزارة الأوقاف في أملاك الأضرحة، وتخصص جزءا من مداخل هذه الأملاك في تسديد أغلب فواتير الماء والكهرباء للأضرحة، وتدفع أجور الفقهاء أئمة مساجدها.

3 - آليات وأعراف تدبير مواسم وأضرحة وزوايا الطائفة اليهودية

لا يختلف تدبير أضرحة وزوايا الطائفة اليهودية بالأطلس المركزي، عن الأضرحة والزوايا الإسلامية، وعلى سبيل المثال، يتولى البواب أو الحزان الذي يصطحب عليه عند اليهود ب "باكيد" في ضريح "ريبي اتسحاق اسرائيل هليلفي" مول البرج، مهمته باقتراح من أعيان ملاح أبزو، وتكون مهمته صيانة الضريح، وذبح الذبائح، وجمع الهدايا. ولا يستفيد من الصندوق المخصص لعائدات الضريح الذي يسمى "قوبة".

هذا في الفترات التي سبقت الهجرة الجماعية لليهود المغاربة لإسرائيل ودول الغرب بعد الحرب العالمية الثانية. أما اليوم، باستثناء حزان يهودي واحد، الذي لازال يمارس مهمته في ضريح مول البرج بأبزو، السيد مخلوف أبي تبول، تتميز باقي الأضرحة اليهودية، بعد هجرتهم المنطقة، بتعيينهم حراسا على أضرحتهم، وخصصوا لهم أجورا شهرية، يتوافدون على المنطقة ويمارسون طقوسهم، وتستغل العائدات في الترميم، واستخلاص فاتورة الماء والكهرباء، ودفن أجور الحراس.

4 - الصراع بين حفدة الولي حول عائدات الموسم والأضرحة

يتخلل تدبير عائدات ضريح الموسم وحراسته، بعض الصراعات بين الحفدة، وقد أشار العديد من

الباحثين إلى مثل هذه الصراعات، ومن ذلك ما ذكره إكلمان¹¹³، حول صراع حفدة سيدي امحمد الشرقي بأبي الجعد حول زعامة الضريح، وتقسيم عائداته. نفس الملاحظة أشارت إليها الباحثة Fank resso في دراستها لأضرحة ومواسم منطقة الغرب¹¹⁴.

ووصلت أصداء هذا الصراع في بعض الزوايا والأضرحة إلى علم السلطات المركزية، وقد حدث هذا في زاوية سيدي علي بن إبراهيم، حيث نتج عن الصراع توقف مهام مزوار الضريح، لذلك كلف السلطان محمد الخامس، صاحب كتاب المعسول العلامة المختار السوسي، بالتوجه شخصيا إلى زاوية سيدي علي بن إبراهيم، ليقتراح على حفدته اختيار أحدهم للاضطلاع بمهمة "المزوار" يمثلهم لدى السلطة، ويدافع عن مصالح الزاوية، إلا أن احتدام الصراع حول الشخص الذي توكل له هذه المهمة، حال دون نجاح المختار السوسي في مهمته. والغريب أن هذا المنصب رغم أهميته، ظل شاغرا منذ ذلك الحين إلى اليوم، وقد عبر لنا المستجوبون عن أسفهم العميق لهذا التعثر في تنظيم الزاوية والنهوض بها¹¹⁵.

ولالإشارة، فإن هذه الخلافات وصلت في بعض الأحيان إلى أعمال عنف، ففي السبعينيات اندلعت أعمال عنف حول عائدات الضريح، وقتل على إثرها الشريف بالعربي أحد حفدة الولي سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي. ولا زال الحفدة يشكون من الاختلاسات التي تعرفها عائدات الضريح، وتحدث لنا بعض حفدة الولي اختلاس نال جزءا من الهبة الملكية التي منحت للضريح مؤخرا، وهذا نموذج يبرز لنا غياب الشفافية في تدبير عائدات الأضرحة والزوايا والمواسم ليس فقط في أكرض، ولكن في الجهة ككل.

5 - طقوس زيارة الأضرحة خلال انعقاد المواسم الراهنة بالأطلس المركزي

يزور الزوار ضريح الولي الصالح زمن الموسم للتذرع للولي الوسيط بينهم وبين الله، ويتوسلون إليه لتحقيق رغبات معينة. ويجتهد الزوار خلال انعقاد المواسم للحصول على "البركة". وذلك بالقيام

113- EICKELMAN Dale, op, cit, p. 43 , 100 .

114- Fenneke REYSOO, Des moussemes..., op, cit. p p. 115, 116.

115 - رواية شفوية، المهدي شوقي، وعمره 48 سنة، حاصل البكالوريا عاطل عن العمل؛ الدحمان صالح من مواليد سنة 1947م؛ وجعفر أحمد، من مواليد سنة 1939 م، كلهم من حفدة سيدي علي بن إبراهيم تم إجراء المقابلة يوم 01 ماي 2019.

بطقوس الزيارة. وغالبا ما يعلقون نياتهم وأمانيتهم في شجرة قرب الضريح، تسمى في الثقافة الشعبية بالشر "التابعة"¹¹⁶ المتضمن لقوة قهرية.

ولضمان استمرار البركة، يجد الزوار أنفسهم مجبرين على تجديد التبرعات سنويا، وهي بمثابة جزية تضرعية لخدمة الولي الصالح، تطبع عدة خاصيات العلاقات القائمة بين الولي الصالح ونسله من الأحياء، أولاد السيد، عدة مميزات منها الرعاية والاهتمام.

أثار هذا الموضوع نقاشا بين الباحثين، وتعددت آراءهم حول الظاهرة، فهناك من يرى زيارة الأضرحة، حاجة السكان للوساطة بينهم وبين الخالق، مما مهد لظهور وسطاء ذوي كرامات، يتمتعون بقدرات سماوية في مجتمع المؤمنين¹¹⁷. في حين هناك من ربط بين ظاهرة زيارة الأولياء، وقصور في تطبيق الشريعة الإسلامية في المناطق النائية. وهذا ما جعل القبائل كلها ترتبط ارتباطا روحيا وماديا بأحد الأولياء¹¹⁸.

حسب بول باسكون، فإن زيارة الأولياء في زمن المواسم وغيره، ناتج عن تراكمات لسنوات بل ولقرون مضت، التي كان فيه الشرفاء والأولياء يمتلكون هالة من القداسة التي ورثوها عن أسلافهم. وهذا ناتج عن عمق التاريخ لعلاقات جدلية بين المريدين الذين يطلبون، وبين الأولياء الذين يمنحون نعمهم في شروط معينة لاختبارات يرونها مواتية للقضاء على القلق والبلبل¹¹⁹.

ولتقريب القارئ من عادات وطقوس زيارة الأضرحة خلال انعقاد المواسم بالأطلس المركزي، وقفنا

116- بغض النظر أن فكرة احتواء الشر على قوة قهرية، فإن الجوارب، وخرق النسيج أو الأحزمة التي يعلقها الزوار، تحمل بين ثناياها الشر والبأس. وتسمى "التابعة"، ويستطيع الولي الصالح بقوته ومقوماته التخلص من هذا الشر. وحسب Dermenghem. جميع خرق القماش المعلق، تنم عن مجموعة من الأفكار الهادفة لتحقيق الاتصال. والتخلص من هذا القماش الحامل للشر، هي واحدة من الوظائف الأساسية المرتبطة بالكيان المقدس، الذي يخلص الإنسان من الشر الذي ليس باستطاعته تحمله. ولا يملك القوة للتخلص منه بنفسه. وهناك توافق بين فعل نزع الملابس، وبين فكرة التخلص من الشر "التابعة"، حيث يحمل اللباس الشر والبأس، وهذا ما يفسر ترك هذا اللباس في الضريح. وقد يكون وراء ذلك الفعل عقم بعض النساء والحرمان من البنين. لذلك يقمن بفتح الحزام ونزع اللباس في الضريح، وهي صورة تعني فك عقدة العقم وفتح آمال الحصول على الأطفال. انطلاقا من هذا الاعتقاد، جمع الأشياء المحيطة بالضريح تكون حاملة للشر، بيتعد عنها الجميع، أنظر: Dermenghem Emile, le culte des saints dans l'Islam maghrébin, Gallimard, Paris, 1954, p. 12.

117- خوان غويتيسولو، "أضرحة وزوايا وطوائف، طقوس زيارة الأولياء في الإسلام المغربي"، ترجمة إبراهيم الخطيب، في: مجلة المناهل، العدد 81، 80، فبراير 2007، ص. 425.

118- إدمون دوتي، م، س، ص. 15، 16.

119- بول باسكون، "في علم الاجتماع القروي"، ترجمة محمد بولعيش، في: مجلة بيت الحكمة، العدد 3، أكتوبر 1986، ص. 46.

على بعض المواسم التي لازالت فيها الأضرحة محط اهتمام الزوار، حاولنا من خلالها الوقوف على مراحل أداء زيارة الضريح من قبل الزوار.

- موسم سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي ببني عياط

يعرف الطريق المؤدي لضريح سيدي علي بن إبراهيم ازدحاما كبيرا بالمارة، وتتواجد بجنبات طريق الضريح، فرقا موسيقية تحمل آلتها التقليدية، أغلب أعضاء هذه الفرق مسنون. يتعرج الطريق، ويلتقي صف الصاعدين بصف العائدين من زيارة الولي. ويتلمس بعض المتسولين الصدقة في مواقع استراتيجية بالطريق.

عندما تبلغ ضريح الولي، في منطقة مرتفعة، تمكّنك من إلقاء نظرة على الموسم وعلى سهل تادلا الشاسع، وتتعرف على المشهد العام للضريح المزين بالإعلام . يتكون الضريح من عدة أركان ويعتبر قبر الولي أهمها. يبني فوق القبر كوخ من خشب المعروف "الدربوز"، مغطى بقطع من الأثواب معظمها ذات اللون الأخضر، وكتبت على الجدران الداخلية للضريح آيات قرآنية وزخارف بسيطة، وأرضيته مغطاة بزرابي وحصائر.

يحظى المكان باحترام الزوار، فهو فضاء مقدس، يدفع الزائر إلى سحب نعاله عندما يهيم بالدخول، ويفتقر الضريح إلى تهوية كافية ككل أضرحة الجهة، بفعل نوافذه الضيقة، وهي عبارة عن ثقب في الجدران. والملاحظ أن بناية الضريح معزولة إلا أن بجوارها بناية أخرى، خاصة أضرحة حفدته المشهورين. ويتكون الضريح إلى جانب ذلك، من "السطوان" وهو سقيفة بالضريح، تخصص لأغراض مختلفة منها: إيواء الزوار خلال أيام الموسم.

يخترق الزوار أفواج الفقراء المتسولين، ويصطفون عند باب الضريح حيث جثمانه، تتراكم عطايا المريدين، في فناء صغير، وهي عبارة عن قراطيس الشموع مختلفة الأشكال والأحجام، ثم بعض القطع النقدية. يهيم الزوار نساء ورجال وأطفال بتقبيل كسوة منصة القبر، ويهمسون بأدعية، وفي نفس الوقت، يمنحون صدقات على "المقدم الضريح"¹²⁰، يهز العاملون بالزاوية مباخر، فيبدو وكأن

120- المقصود بمقدم الضريح، هو ذلك الشخص الذي يسبق أو يتقدم، أو ذلك الذي يقترح ليكون في المقدمة. ويرتبط هذا اللفظ بعدة وظائف طقسية أو بوظائف غير دينية، ويقوم مقدم الولي بدور الذابح، ويتكلف بتدبير الضريح، ويكلف المقدم بصيانة مكان الطقس، ويجمع المال والهدايا التي تصله وله مهام إدارية، بحيث يمثل الضريح لدى السلطات المحلية. ولا تكون هذه الوظيفة

أسداد الجاوي طيبة الرائحة تهدئ على نحو غامض تشنجات بدوية حلت بها بركة الولي. داخل الضريح هناك من يقرأ أدعية بعينها، ومنهم من يشكل حلقة للدكر، وبين هؤلاء "الأتباع" يسير الزوار، أو يجلسون على الحصير، وقد جاؤوا إلى ذلك المكان الطاهر يدفعهم تدينهم وتقواهم، أو يدفعهم حب الاستطلاع، أو الرغبة في التسلية والترفيه عن أنفسهم. يتجمع "ال دراويش" وغيرهم في القبة يتلون الأدعية والابتهالات. ويدخل الزوار إلى الضريح فيقرأون الفاتحة، رغم أن الناس يتجمعون أكثر في الضريح مقارنة بالرواق الكبير، حيث تقام الأذكار وغيرها من مظاهر الاحتفالات.

الصورة رقم 1: حفدة سيدي علي بن إبراهيم بالضريح خلال انعقاد الموسم¹²¹



يدخل الناس ضريح سيدي علي بن إبراهيم تباعا، ويطوفون مهلا ثم يلمسون الشاهد، ويمسحون حيناً خدودهم التماسا للبركة و بخشوع، بعض النسوة، يمكنن قرب أو بجانب قبر الولي. وتجد المكان أشد ازدحاما وقت زيارة عامل الإقليم، حيث يتم حبس وتوقيف الزيارة إلى أن يغادر المكان الطاهر،

(تامقدميت) وراثية، أنظر: حسن رشيق، سيدي شمهروش: الطقوسي والسياسي في الأطلس الكبير، ترجمة عبد المجيد جحفة

مصطفى النحال، إفريقيا الشرق، 2010، هامش، ص. 49.

121- تصوير شخصي.

فتستأنف الزيارة من جديد، ويعود الزوار لممارسة أذكابهم وحضرتهم المتعددة. تمتد أيام الزيارة من ثلاثة أيام ، ويشكل اليوم الثالث يوم الذبيحة والاستعداد لمغادرة الضريح.

- موسم مولاي بوعزة بخنيفرة

يعتبر موسم مولاي بوعزة، من المواسم الكبرى المعروفة بالأطلس المركزي، والمشهور جهويا ووطنيا، يقصده الزوار من مناطق، وينعقد كل أربعاء منتصف شهر مارس، وهو من المواسم المعروفة بإقامة الحضرة، وتقديم الهدية، وتنظيم مواكب "العادة" طيلة أيام الموسم¹²². يقام هذا الموسم بزواوية مولاي بوعزة¹²³، وتزوره القبائل من سهول الشاوية تادلة والأطلس المتوسط .

لا زال ضريح مولاي بوعزة في الوقت الراهن، يلعب دورا هاما لدى قبائل زيان والقبائل المجاورة، إذ يأتي كل عام حشد كبير، يقدر بحوالي 5000 شخص على الأقل للاحتفال بالموسم¹²⁴ خلال فترة العطلة البيئية، التي أصبحت تتزامن مع انعقاد موسم مولاي بوعزة. يستحضر السكان اسم الولي مولاي بوعزة كل يوم، ولمرات عديدة في حياتهم اليومية، لما يشكله هذا الولي من رمزية في ذهنية الساكنة، إذ يرددون باستمرار شفويا "أمولاي بوعزة"، وذلك لاستجماع القوة أثناء الجلوس على الأرض أحيانا، وأحيانا أخرى من أجل نيل بركة وحماية الولي الصالح.

يتميز هذا الموسم بغنى الطقوس الممارسة فيه منها: عادة شرب الدم، وأكل اللحوم النيئة، وتقطيع الجديان "القرابين" بالأيدي وأكلها نيئة. إلى جانب طقس حجرة مولاي بوعزة، التي لا تفصلها عن الضريح سوى 20 مترا، وتعرف أيضا بحجرة الوالدين، وهي صخرة تحتها نفق محذب يمر من تحتها الزوار بمقابل مادي، يدعي المنظمون أنها مباركة. هذا ما جعل المغاربة يضربون بها مثلا بقولهم "واللَّه حتى ندورك من حجرة مولاي بوعزة".

تحاصر تلك الحجرة ذوي النيات أو الأعمال السيئة، وتسمح بمرور أهل الأعمال الحسنة. والمتأمل لها يجدها صخرة عادية تحاصر فقط البدينون، لأن النفق ضيق نسبيا، أو المضطرب نفسيا لأنه يتوهم محاصرتها له فيبقى عالقا. وتشرف على طقوس حجرة مولاي بوعزة، امرأة تدعى "بالمقدمة"

122- جريدة المساء، العدد 795، 11-12 أبريل 2009، ص. 17 و 18.

123- أحمد التادلي الصومعي، م. س. ص. 95.

124- رواية شفوية، تصريح السيد عمر ، عضو جماعة مولاي بوعزة، بمناسبة انعقاد الموسم بتاريخ 15 أبريل 2018.

تعمل مقابل نصف الأرباح، تحاول بفراسة عالية حض الجميع على المرور من تحت الصخرة بأقوال من قبيل: " أجي دوز امرضي الوالدين ... باينة فيك مرضي ولد الحلال أجي تأكد ..."

الصورة رقم 2: زوار موسم و ضريح مولاي مولاي بوعزة بزيان¹²⁵



يأخذ الزوار قسطا من الراحة بوادي "تاغيا" بعد ممارسة طقوس "الحجرة"، قبل مواصلة مسيرة أزيد من كيلو متر ونصف أخرى في اتجاه لالة "كركابة"، وتعرف عند العامة بالحصيرة، أو مجمع الصالحين، ويروج أنها وسيلة لكشف المستقبل، حيث يتمدد الزائرون في أعلى الصخرة، ويدفعون بأنفسهم في اتجاه المنحدر، إلا أن اتجاهاتهم تختلف حسب التشوهات التي تعتري (الحصير)، والبنية الجسمية لكل واحد منهم. وحيثما توقفوا يحدد المقدم، أو المقدمة مستقبلهم (الصلاة، العمل، الحج، الشقاء...).

- الزيارات الكبرى "موسم" زاوية الصومعة ببني ملال
تعد زاوية الصومعة ببني ملال¹²⁶، من الزوايا الكبرى التي لعبت أدوارا مهمة في تاريخ المنطقة،

وكان لها تأثير كبير في الأطلس المركزي، خاصة لدى قبائل آيت الربيع بني ملال، وبني معدان، وسمكت وكطاية، وبني موسى وبني عمير وبني زمرور بسهل تادلا. وبفضل شهرتها ومكانتها بين الزوايا، كان يقام فيها موسم يمتد طيلة فصل الصيف والمعروف بالزيارات، التي تشكل في حد ذاتها موسما متكاملًا¹²⁷.

من أهم هذه القبائل المواظبة على زيارة سيدي أحمد بالقاسم، قبيلة آيت سموزي من ضواحي مدينة تادلة، التي تقصد الضريح في موكب مهيب، يتكون من الفرسان على صهوات خيولهم ومن مئات الرجالين، يهمل ويكبر الجميع وسط متابعة حشود من ساكنة زاوية الصومعة ومدينة بني ملال. عند اقتراب موكب الزوار يغلق باب الضريح، ويتقدم شيخ القبيلة ويقف أمامه يهمل هو الآخر، ويستحضر نوايا الزوار الصافية وبركات الولي، إلى أن يفتح الباب بمفرده، كدليل على كرامة الولي، والنية الصادقة للزوار في وجه شيخ القبيلة والزوار.

يقتحم الجميع الضريح، يجدون جدرانهم مبللة بالحليب والماء، الذي يدل على استجابة الولي وقبوله لزيارتهم ولدعواتهم. يغمر الجميع فرحة عارمة، وتصبح الزيارة موضوع حديث الناس، يستمر موسم الزيارة ثلاثة أيام أو أكثر، تتخللها أذكار، وحفلات وألعاب، ويتكفل أهل الصومعة بتحضير الوجبات من لحم الذبائح التي استقدمها الزوار.

من بين القبائل الأخرى التي تواظب بانتظام على زيارة ضريح الولي سيدي أحمد بالقاسم، قبائل أمازيغية أهمها: آيت تودرت من نواحي بني ملال، وقبائل الشاوية، وبني شك달 المعروفين بتلاوة القرآن في الضريح طيلة مقامهم لمدة ثلاثة أيام. لعل من العوامل الأساسية لزيارة القبائل لهذا الضريح، رغبة الزوار في نيل البركة، والتشاور في قضايا قبلية، أو لعقد الصلح بين الأفراد والقبائل المتنازعة¹²⁸.

126 - تأسست زاوية الصومعة خلال القرن 16م، من قبل الشيخ سعيد أمساو . وخلفه على رأس الزاوية تلميذه أحمد بن أبي القاسم الصومعي. أنظر : مصطفى عربوش، أحمد بن أبي القاسم، شيخ زاوية الصومعة ومعه زوايا المنطقة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.

127 - رغم أن الرواية الشفوية لا تقدم معطيات واضحة حول موسم الصومعة، إلا أن محمد بن البشير بوسلام، أشار إلى أن موسم زاوية الصومعة كان إلى غاية مطلع القرن 20م ينعقد خلال فصل الصيف، وكان موسم الزاوية ملتقى قبائل تادلا والمناطق المجاورة للتبادل والتشاور والتضامن، أنظر: محمد بن البشير بوسلام، م. س، ص. 148.

128 - رواية شفوية، محمد القادري أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي متقاعد، أحد حفدة الولي، بتاريخ 12 مارس 2019.

وجمل القول، يلاحظ تراجع تدريجي لزيارة الأضرحة خلال انعقاد المواسم أو دون انعقادها. هذا التراجع سجلناه منذ فرض الحماية على المغرب عموماً، واتضح بشكل واضح منذ النصف الثاني من القرن 20م. ولعل السبب الوجيه لهذا التراجع يكمن في ظهور مؤسسات وأجهزة جديدة وحديثة لتنظم المجال المغربي ترابياً ووظيفياً مركزياً وجهوياً ومحلياً منذ 1912م، والتي قامت مقام المؤسسات والأجهزة التقليدية المتمثلة في الزوايا والقبيلة.

ومن العوامل الأخرى التي يبدو أنها ساهمت في هذا التراجع، انفتاح المغرب على اقتصاد السوق، الذي ترتب عنه خلق حاجيات اقتصادية وثقافية واجتماعية جديدة عوضت الحاجيات التقليدية المرتبطة بمؤسسات الولي. كما أن توقف هذه المؤسسات عن تأطير المجتمع روحياً ودينياً، عوضتها وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي والمدرسة الذي زاد من حدة هذا التراجع. نتيجة ذلك، نعتقد أن ذلك، تسبب في انتشار المواسم والمهرجانات المستحدثة، التي غالباً ما ترتبط بتثمين المنتوجات الفلاحية والحرفية والصناعية، وبالتمنية المحلية، ولا تقام بالضرورة بجوار الأضرحة والزوايا.

ورغم ذلك فإن هذه المؤسسات تحتفظ لنا بتراث تاريخي مهم للغاية من خلال تراث طقوس الزيارة الغني، أو طرق تدبير هذه الفضاءات السوسيو اقتصادية. وقد لاحظنا تبايناً في طقوس وعودات زيارة الأضرحة خلال تنظيم احتفالات المواسم بالمنطقة، وكذا في أساليب وآليات تدبير الجوانب والاقتصادية والاجتماعية للأضرحة والزوايا، سواء اليهودية أو الإسلامية أو المشتركة بينهما. وفي المقابل، وأمام تراجع هذه المؤسسات، سجلنا بعض الصراعات الدامية، بسبب التنافس بين حفدة الأولياء والإكراهات التي تواجهها هذه المؤسسات.

خاتمة الفصل الرابع

من أبرز الخلاصات والاستنتاجات التي توصلنا إليها في هذا الفصل، هو أن ظاهرة زيارة الأضرحة والمزارات والاحتفالات والطقوس المرتبطة بها، كانت معروفة بالأطلس المركزي قبل الفتح الإسلامي. وشهدت تحولات وتطورات في الفترة الإسلامية. وخلصنا كذلك إلى أن تنوع المصطلحات الدالة على الأولياء والصلحاء بالأطلس المركزي، سواء لدى اليهود أو المسلمين، تحمل في مضامينها تقريبا نفس الدلالة والمعاني.

واستنتجنا أيضاً، أن تحقيق الولاية والصلاح لا بد من توفر شروط أساسية، أبرزها: النسب الشريف، والرغبة والإرادة في الولاية والصلاح، وحصول الولي على الإجماع والتوافق الاجتماعي. ورغم أن مسألة

الولاية والصالح ثابتة عند الأولياء، إلا أن الظاهرة تحمل تراتبية طبقية وجنسية، بناء على المبادئ المشار إليها. والذي يوضحه تباين شهرة الأولياء، بين من فاقت شهرته البلاد، وبين من اقتصرت شهرته على مجاله المحلي، وكون الولايات الإناث قليلا مقارنة بالأولياء الذكور.

كما أن الأدوار التاريخية التي لعبها الأولياء، قيد حياتهم أو بعد مماتهم، سواء الأولياء اليهود أو المسلمين، كانت متعددة الغايات والأهداف، سواء منها الروحية النفسية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية، إذ كان لهم دور في تبسيط المبادئ الإسلامية، وتكيف الطقوس والعادات المحلية مع مبادئ الحركة الصوفية الإسلامية، ونشر التعليم، ومحاربة الأمية، والتخفيف من معاناة السكان زمن المجاعات والجوائح.

إضافة إلى ذلك، لعب الأولياء أدوارا كبرى في محاربة التدخل الأجنبي، وإعلان الجهاد والمقاومة ضد الاستعمار الأجنبي منذ القرن 15م، وكان لهم دور بارز في التحكيم في النزاعات بين القبائل والأفراد، وتأمين التجارة التنقل، وتدخلكم لدى المخزن المحلي والمركزي في إعفاء الناس من الكلف، والسهرة على تنظيم حفلات الزفاف الجماعي للشباب والختان للأطفال. يبدو لنا أن الأدوار التاريخية المهمة التي لعبها الأولياء وشيوخ الزوايا، تفسر في جزئيات أسباب انعقاد المواسم الاحتفالية بجوار الأضرحة وتبني الطرق الصوفية لهذه الظاهرة الاحتفالية ومحاولتها إعطائها صبغة صوفية إسلامية أو يهودية. بيد أن ترسخ مؤسسة الولي والصالح في ثقافة ساكنة الأطلس المركزي، لم يمنع غالبية هذه الساكنة نهاية القرن 20م وبداية القرن 21م من تخليها على عادات وطقوس عديدة مرتبطة بالزاوية والضريح.

هذا النفور والتراجع التدريجي والتباعد الواضح لأهمية زيارة الأضرحة في ذهنية السكان، خلال انعقاد المواسم أو دون انعقادها، لمسناه في المصادر منذ فرض الحماية على المغرب 1912م، وأصبح واضحا منذ النصف الثاني من القرن 20م. وتتمثل العوامل المفسرة في اعتقادنا لهذا التراجع في ظهور مؤسسات وأجهزة جديدة وحديثة تنظم المجال المغربي، التي قامت مقام المؤسسات والأجهزة التقليدية، إضافة إلى انفتاح المغرب على اقتصاد السوق، الذي نتج عنه بروز حاجيات اقتصادية وثقافية واجتماعية جديدة عوضت الحاجيات التقليدية المرتبطة بمؤسسات الولي.

وشكل توقف هذه الزاوية والضريح عن تأطير المجتمع روحيا ودينيا، وتعوضه بوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي والمدرسة، ضربة كبرى ساهمت في تراجع اهتمام المجتمع بهذه المؤسسات، مما يفسر اليوم انتشار المواسم والمهرجانات المستحدثة، التي غالبا ما ترتبط بتثمين المنتوجات

الفلاحية والحرفية والصناعية، وبالتنمية المحلية، ولا تقام بالضرورة بجوار الأضرحة والزوايا.

سياسات السلطات تجاه المواسم
والمهرجانات

الفصل
الخامس

سياسات الفهرن تجاه المواسم قبل فترة الحماية

البحث
الأول

سياسة سلطات الحماية تجاه المواسم والمهرجانات 1912-1956

البحث
الثاني

الدولة والمواسم من سنة 1956 الى مطلع القرن 21م.

البحث
الثالث

مقدمة الفصل الخامس

تميزت سياسات السلطات المغربية تجاه المواسم تارة بالتشجيع والدعم، وتارة أخرى بالحظر والمنع، ورغم غموض سياسات المخزن تجاه المواسم في بعض الفترات التاريخية، خاصة في عهد الأدارسة والمرابطين والموحدين، إلا أن اهتمام السلطات بالمواسم الاحتفالية برز مع دولتي بني مرين والسعديين، بفعل تزايد نفوذ الحركة الصوفية وأنشطتها، بما في ذلك احتفالات المواسم.

أما في فترة حكم العلويين، فقد شهدت سياسات المخزن تجاه المواسم والزوايا والأضرحة، تحولات كبرى بسبب علاقات المد والجزر الذي طبع علاقات المخزن مع الزوايا منذ القرن 17م حسب الظرفية السياسية والدينية لكل فترة. لذلك، تعاملت السلطات باحتضان مواسم الزوايا الحليفة، ومنع مواسم وأنشطة الزوايا التي ترى فيها تهديدا لمصالحها السياسية، كما حدث في عهد السلطان مولاي سليمان، الذي منع إقامة المواسم، وشن حربا على الزوايا وأنشطتها.

وعرفت سياسة الدولة تجاه المواسم والمهرجانات خلال فترة الحماية منعطفا مهما، تمثل في دعم وتشجيع سلطات الحماية للمواسم والمهرجانات ماديا ومعنويا في مختلف المناطق التابعة لها، باعتبار هذه التظاهرات، مناسبة للترويج لمشارعها الاستعمارية، وإظهار دورها في استقرار وازدهار البلاد. إلا أن ذلك لا يعني أن السلطات الاستعمارية، لم تكن تمنع تنظيم بعض المواسم الاحتفالية التي ترى فيها خطرا على سياساتها، ومشاريعها الاستعمارية في المغرب.

وفي نفس السياق، رفض العديد من رواد الحركة الوطنية والتيار السلفي المغربي تنظيم المواسم خلال فترة الحماية، باعتبارها بدعة تتنافى مع الدين الإسلامي السني، وتخدم أجندة الاستعمار، مما خلق ردود فعل عنيفة وقوية من قبل سلطات الحماية تجاه الوطنيين.

أما بخصوص سياسات الدولة المغربية تجاه المواسم الاحتفالية، منذ حصول البلاد على استقلالها سنة 1956م، فقد تميزت بتشجيعها للمواسم والمهرجانات، باعتبارها جزءا من الهوية الوطنية، وتخدم استقرار البلاد روحيا وسياسيا، وهو ما جعل الدولة تحتفل بعيد العرش، كأنه موسما سنويا على غرار الموسم الاحتفالية. كما عرفت سياسة الدولة تجاه المواسم والمهرجانات مع مطلع القرن 21م تطورات مهمة بفعل التوجهات الجديدة للدولة، والأدوار المختلفة الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية، التي يراد أن تلعبها تلك المواسم والمهرجانات، بما في ذلك احتفالات

الهيلولة، أو مواسم الطائفة اليهودية.

البحث الأول: سياسات الفخرن تجاه المواسم قبل فترة الحماية

اتسمت سياسة السلطة الحاكمة المركزية والمحلية، تجاه المواسم الاحتفالية، بالتشجيع تارة، والحظر تارة أخرى، منذ تأسيس دولة الأدارسة إلى غاية فرض الحماية على المغرب 1912م، ورغم ندرة المادة المصدرية الموضحة لسياسات الدول المتعاقبة على المغرب تجاه المواسم، خاصة في عهد حكم الأدارسة والمرابطين والموحدين، فإن اهتمام السلطات بالمواسم بدأ في عهد الدولة المرينية والدولة السعدية التي دعمت أحيانا الحركة الصوفية وشجعت أنشطتها، ودخلت في صراع معها أحيانا أخرى، بل ومنعت إقامة مواسمها.

1- سياسات الأدارسة والمرابطون والموحدون تجاه المواسم

لم يكن موضوع المواسم والطقوس المرتبطة بها يثير اهتمام مؤرخي العصور الوسطى، باستثناء بعض الإشارات حول الحياة الدينية والثقافية للسكان المحلية. ولا يستبعد أن السلطات في هذه الفترة لم تولي اهتماما للطقوس والعادات الاحتفالية بما في ذلك "المواسم" القديمة، رغم أنها كانت تتناقض مع مبادئ الدين الإسلامي الرسمي، حيث تعتبر تلك الطقوس إما وثنية، أو مرتبطة بالمسيحية واليهودية¹.

وعرف عن الأسر الحاكمة الأولى الأدارسة (686-917 م)، والمرابطين (1056-1147م) والموحدين (1130-1269م) بمجهوداتها في أسلمة البلد وتوحيده سياسيا، ومحاربة العادات والمعتقدات غير الإسلامية². إضافة إلى اتباعها الإسلام والمذاهب السنية المنفتحة والمعتدلية، الشيء الذي سهل بروز الحركة الصوفية السنية المغربية التي رسخت الإسلام في البوادي والجبال، والتي لعبت دورا كبيرا في أسلمة الطقوس القديمة، إذ حاول المتصوفة تكيف الدين الجديد مع معتقدات وطقوس الساكنة المحلية³. إلا أن اهتمام المتصوفة بالسياسة أثار حفيظة السلطتين المرابطية والموحدية الذين

1 - علي ابن أبي زرع الفاسي، م. س. ص. 24.

2 - Fenneke REYSOO, Des mousseemes...op, cit, p p. 159, 160, 161.

3 - BRIGNON Jean, op. cit. P.157.

دخلوا في صراع مع المتصوفة في بعض الفترات⁴.

ورغم التوتر الذي طبع علاقات المتصوفة بدولتي المرابطين والموحدين، إلا أن المتصوفة كانوا يحتفلون بمواسمهم منذ القرن 12م من جهة⁵، وكانوا يتفادون الاصطدام مع رجال السلطة من جهة ثانية، وهو ما فسر استقرار الأولياء في الجبال، كاستقرار أبي يعزى بجبال زيان، واستقرار عبد السلام بن مشيش في قمة جبل لعلام، خاصة وأن الشيخين تزامنا مع عصر الموحدين، الذين كانوا يراقبون باستمرار تحركات المتصوفة⁶.

2 - سياسات السلطات المرينية تجاه المواسم

كانت سياسة المرنيين تجاه المواسم والأضرحة والطقوس المتعددة، مخالفة للسياسة المتبعة في عهد كل من الأدارسة والمرابطين والموحدين، حيث تسامح المرنيين (1195-1470م) مع المعتقدات والطقوس المحلية التي تبناها المتصوفة آنذاك، ويفسر ذلك في بحث السلطة المرينية عن الشرعية الدينية من جهة، وتفادي الدخول في صراع مع المتصوفة الذين كانوا يتمتعون بنفوذ واسع في المغرب.

ومن مظاهر الدعم والاعتراف المريني بالمتصوفة وبالأضرحة والمواسم، الاحتفال بعيد المولد النبوي⁷، وجعله عيدا رسميا⁸ على غرار عيد الفطر وعيد الأضحى. لذلك، حولت العديد من الزوايا في الأطلس المركزي مناسبة عيد المولد النبوي، إلى مناسبة لتنظيم موسمها السنوي، كموسم سيدي علي

4 - أحمد الصومعي التادلي، م. س.

5 - أحمد بن القاسم الصومعي، م. س، ص. 217.

6 - زكية زوانات، ابن مشيش شيخ الشاذلي، ترجمة أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، ط. 2006، ص. 144.

7 - عيد المولد، هو احتفال بذكرى مولد النبي محمد صلى عليه وسلم. ويتعلق الأمر أيضا بذكرى وفاته. لأن ولادته غير معروفة. والاحتفال بعيد المولد النبوي، لم يحدث خلال القرون الثلاثة للإسلام وإنما حدث بعدها، خاصة خلال حقبة حكم الفاطميين، حيث كان الخلفاء الفاطميون يتخذون عيد المولد النبوي، أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم ... وكانت للخلفاء الفاطميين طول السنة أعياد ومواسم، وهي: مواسم رأس السنة. ومواسم أول العام، ومواسم عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد الحسن والحسين، ومولد فاطمة الزهراء، وكسوة الشتاء وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج ويوم النوروز وخميس العدس... وقال الحافظ السيوطي وأول من أحدث الاحتفال صاحب أربيل الملك المظفر أبو سعيد بن زين الدين علي بن يكتكين زمن الفاطميين، ومنهم انتشر في العالم الإسلامي. أنظر: تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق، محمد زينهم؛ مديحة الشرقاوي، منشورات مكتبة مديول، القاهرة، ط. 1، 1997، ص. 490. Pdf.

8 - الحسن الوزان، م. س، ص. 260-261.

بن إبراهيم البوزيدي ببني عياض، وموسم سيدي الصغير بالمنيار بابزو. هذا الاهتمام الميريني ساهم في انتشار ما يسمى بحركة "المرابطة والزوايا" أو حركة البركة⁹.

وشكل إبراز أهمية ضريح مولاي إدريس الثاني بفاس 1437م، دورا أساسيا في بروز وانتشار واسع لتبجيل الأولياء والأضرحة¹⁰. وفي نفس الوقت، أصبحت المجالات القروية تتعرض لتأثيرات شيوخ التصوف والزوايا المنتشرة في جميع أنحاء المناطق، مما ترتب عنه تزايد رغبة الساكنة في الانتساب إلى الأولياء وشيوخ الزاوية، والسعي إلى ربط نسبها بولي القبيلة ومنه إلى نسب "البيت".

وقد لعب الدعم الميريني دورا في انتشار الزوايا والأضرحة، وتهافت الأسر للبحث عن شجرة نسب شريف للاستفادة من الامتيازات الميرينية السخية. هذا الوضع جعل العديد من الأسر بالأطلس المركزي يحظون بظواهر التوقير والاحترام من قبل سلاطين بني مرين، وتشبيد العديد من الأضرحة وترميم البعض الآخر، وعلى سبيل المثال: يحتفظ الشرفاء الأدارسة بقبيلة آيت عتاب، وذريتهم المنتشرون في مختلف مناطق الأطلس وتادلا بظواهر التوقير والاحترام التي تعود للفترة الميرينية¹¹. كما شيد أبي الحسن الميريني قبة ضريح مولاي عيسى بن إدريس بأيت عتاب¹².

3 - سياسات الوطاسين والسعدين تجاه المواسم

نهج سلاطين بني الوطاس سياسة التهميش والإقصاء، تجاه المواسم والزوايا والأضرحة، هذا التوجه الوطاسي كان مخالفا للسياسة الميرينية المتسمة بالدعم السخي للزوايا والأضرحة والمتصوفة والمواسم، مما تسبب في تزايد المعارضة ضد حكام بني الوطاس. رغم أن بعض الروايات أكدت أن الطائفة "القادرية" كانت مساندة لدولة بني الوطاس 1472-1554م¹³.

ومن مظاهر سياسة الإقصاء التي نهجها الوطاسيون تجاه التصوف والمواسم والأضرحة والزوايا،

9 - BRIGNON Jean, op. cit. p. Drague Georges, op. cit. p. 216.

10 - Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 159, 160, 161.

11 - محمد القبلي، م. س. ص. 79، 126.

12 - عيسى العربي، م. س. ص. 144.

13 - خلال تدهور الدولة الميرينية، عرفت الحركة الصوفية تطورا مهما خارج نفوذ السلطة، غير أن تقديس أضرحة الأولياء شهد انتشارا كبيرا منذ القرنين 14 و15م، خاصة بعد اكتشاف قبر إدريس الثاني بفاس، أنظر:

- Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 159, 160, 161.

إلغاء السلطان الواسطي أبو سعيد عبد الحق 830-869هـ / 1428-1465م، المنافع التي كان يتمتع بها الشرفاء الأدارسة بفاس، حينما أبدى المرينيون تبجيلا لضريح المولى إدريس الثاني. واستنكر الشرفاء الأدارسة سياسة السلطان، وندد الشيخ زروق بسياسة السلطان علانية، كما أقدم نقيب الشرفاء الأدارسة محمد بن علي الجوطي على اتخاذ لقب الإمام، وقام بثورة ضد السلطان الواسطي المشار إليه¹⁴.

هذه السياسة الواسطية المتسمة بالتهميش تجاه الزوايا والأضرحة، ترتب عنها انتشار الفوضى وعدم الاستقرار، مما أتاح الفرصة للأشراف السعديين (1554-1626م)، لتزعم الزاوية الجازولية، في درعة وسوس والدعوة للجهاد ضد الإبريين، وفرضوا أنفسهم كأسرة حاكمة، وعززوا سلطتهم بالتصدي للتوسع البرتغالي، والدفاع عن البلاد ضد العثمانيين، وفرض أحمد المنصور (1578-1603م) نفسه كسلطة سياسية كبيرة¹⁵.

اتسمت سياسة السلطة السعدية بالدعم المادي والمعنوي تجاه الزوايا والأولياء، وكانت تبارك المواسم وزيارة الأضرحة، باعتبارها من أنشطة الزوايا والطرق الصوفية. وقد استغلت العديد من الزوايا هذه السياسة السعدية الداعمة للحركة الصوفية، في إبدائها طموحا للسيطرة على حكم البلاد خلال القرن 16م، كما هو وقع مع الزاوية الدلائية في الأطلس المتوسط، والزاوية السملالية في سوس. في المقابل، لم تبدي مجموعة من الزوايا رغبة سياسية وطموحا للسيطرة على الحكم، واستمرت في جني امتيازات غير محدودة وإنعامات الدولة السعدية عليهم.

ومن بين هذه الزوايا التي حاولت الاستفادة من السياسة السعدية، زاوية امحمد الشرقي بأبي الجعد في فترة حكم عبد الله الغالب 1557-1574م، التي رسخت نفوذها في المجال التادلي وخارجه. وبلغ عدد الزوايا التابعة للزاوية الشرقاوية 400 زاوية بتادلا وخارجها¹⁶، وكانت كلها تنظم فيها المواسم والزيارات، بل زاد دعم السعديون لهذه الزاوية، بعد تخليهم لها عن جزء من الضرائب، ومنحها ظهائر التوقير والاحترام.

14 - زكية زوانات، م. س. ص. 136.

15 - Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 159, 160, 161.

16 - أنظر: عبد العزيز بنعبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، التصوف المغربي من خلال رجالته، ج. 2، ص. 110.

إلى جانب الاعتراف السعدي بنفوذ الزوايا ودعمها للزيارات ومواسمها، عمل سلاطين الدولة السعدية على دعم الشرفاء وحفدة الأولياء ماديا ومعنويا، ومن ذلك، تملك السلطان السعدي أحمد المنصور الأراضي التي دارت فيها المعركة (وادي المخازن 1578م) لأسرة بني ريسون، وإضفاء صفة الحرم على أراضي واسعة تحيط بضريحي مولاي عبد السلام بن مشيش. وشجع السلطان زيارة موسم مولاي عبد السلام بن امشيش، وأذن لشرفاء جبل لعلام بتلقي ما يودع من الصدقات في ربيعة مولاي إدريس بفاس، لمدة شهر في العام¹⁷.

يفسر هذا الدعم السعدي للمواسم والزوايا، بوعيهم بالنفوذ والشعبية التي كانت تتمتع بها الزوايا والحركة الصوفية خلال القرن 16م وبداية القرن 17م، والتي يمكن استغلال هذا النفوذ في إضعاف الدولة، في حالة نهج سياسة عدوانية تجاه مؤسستي الزاوية والولي، أو استغلال فترات ضعف الدولة واندلاع الصراع بين أمراء الدولة السعدية حول الحكم¹⁸.

4 - سياسات المخزن العلوي تجاه المواسم والمهرجانات إلى غاية 1912م

4-1 سياسات الدولة العلوية تجاه المواسم خلال القرن 17م

استغل الأشراف العلويون مجموعة من الظروف لتأسيس دولتهم في المغرب الأقصى خلال القرن 17م، ومن بين هذه الظروف: انقسام البلاد إلى عدة إمارات بقيادة شيوخ الزوايا، كالإمارة الدلائية في الوسط، والإمارة السملالية في سوس...، إضافة إلى تزايد التدخل الإبري في السواحل المغربية. لذلك تزعم العلويين حركة الجهاد انطلاقا من تافيلالت (1631-1635)، ودخلوا في صراع مع الزوايا التي كانت تتقاسم المجال المغربي. وتمكن كل من السلطان المولى الرشيد 1664-1666م، والسلطان المولى إسماعيل (1672-1727م)، من توطيد أركان الدولة العلوية، وتوحيد البلاد واسترجاع أغلب الثغور المحتلة.

لقد نهج سلاطين المخزن العلوي سياسة تطويق حركة الزوايا والقبائل المعارضة لحكمهم، وكانوا

17- DRAGUE Georges, op. cit. P. 66.

18 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ...,op. cit. p.93.

لا يترددون في دعم ومساندة الزوايا والقبائل المساندة لسلطتهم، حيث كانوا يقومون بزيارة مقامات الأولياء، وفي هذا الإطار قام السلطان المولى رشيد بزيارة ضريح أبي يعزى بموضع إروجان بقبيلة زيان، وحملت هذه الزيارة رسالة واضحة لقبائل المنطقة، مفادها أن ما حل بالزاوية الدلائية من دمار كان بسبب اشتغالها بالسياسة وتطلعهم للحكم¹⁹.

لقد كانت السلطة العلوية خلال القرن 17م في بحث مستمر لإضعاف الزوايا المنافسة لها، ولم تكن تتردد في محاربة نفوذها وأنشطتها، خاصة الزيارات والمواسم. لهذا نفهم سبب إضعاف السلطان العلوي مولاي إسماعيل لبعض الزوايا، كالذي حدث مع الزاوية الناصرية في تمكروت، حينما تعهد علي بن ناصر للسلطان بعدم تجاوز صلاحياتهم الدينية²⁰.

وفي المقابل، كان المخزن يقدم كل أشكال الدعم والمساندة للزوايا المتحالفة. وكانت السلطة حريصة على تقليص مطالب العائلات الشريفة من جهة²¹، وخلق توازن بين شيوخ الزوايا الشرفاء، والأولياء غير المرتبطين بالنسب الشريف من جهة ثانية. كما سمح المخزن بتأسيس مجموعة من الزوايا الجديدة المتحالفة معه، من قبيل الزاوية الوزانية²² التي ربطت نسبها بالأدارة وبمولاي عبد السلام بن مشيش²³.

وعرفت البلاد استقرارا في عهد السلطان مولاي إسماعيل (1672-1727م)، بفضل السياسة العلوية الإسماعيلية المعتمدة على العنف ضد كل القوى المعارضة كالزوايا والأولياء والتحالفات القبلية، وتأسيسه جيشا نظاميا قويا، يتشكل إلى جانب نظام قبائل الكيش، من نظام العبيد²⁴.

19 - أبو القاسم بن أحمد بن علي بن إبراهيم الزياتي، م. س، ص. 25.

²⁰- Eickelmen Dale, op. cit, p. 46- 149.
21 - Ibid.

22 - تأسست الزاوية الوزانية، من قبل مولاي عبد الله بن إبراهيم الشريف الإدريسي، ادعى انتسابه لشرفاء مدينة فاس. لعبت الزاوية الوزانية دورا في التأطير والتربية وترسيخ التطلعات السياسية الدينية لقبائل الريف. وأصبحت الزاوية ذات أهمية جعلت منها حليفاً ومسانداً أساسيا للسلطة العلوية. أنظر:

- RIGNON Jean, op. cit. p. 244.

23 - -Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 159, 160, 161.

24 - عبيد البخاري هم العسكر الذي أتى بهم السلطان مولاي إسماعيل من إفريقيا جنوب السودان وأدمجهم في جيشه. انخرط معظمهم في النظام الديني للطائفة العيساوية، غير أنهم حرفوا تعاليم الشيخ المؤسس، وأدخلوا طقوسا ثقافية إحيائية إفريقية. أنظر:

-Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 159, 160, 161.

غير أن هذا الاستقرار الذي شهده المغرب في عهد المولى إسماعيل، سينهار من جديد بفعل محاولة المؤسسات التقليدية ممارسة أدوارها، التي كانت تمارسها قبل السلطانين مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل، وكانت المناسبة للعودة القوية لمؤسسة القبيلة والزوايا، اندلاع أزمة الثلاثين بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل سنة 1727م، وتلاشى الحزام الدفاعي (القصبات التي شيدها في الدير)، مما ساهم في ظهور حركة هجرة قبلية واسعة كما هو الحال بالنسبة لقبائل كروان، وآيت سخمان، وآيت عطا، التي استقرت في واد العبيد، والقادمة من أسيف ملول، ومن المنحدرات الجنوبية للأطلس المتوسط والكبير²⁵.

أمام عدم الاستقرار الذي شهده الأطلس المركزي، بدأت بعض الزوايا تبدي طموحات سياسية من جديد، كالذي حدث مع شيخ الزاوية الحنصالية يوسف أحنصال، حينما تزعم حملة عسكرية للسيطرة على قسبة تادلا، بعدما سيطر على قسبة بلكوش "بني ملال"، غير أن جيش السلطان مولاي أحمد نجل مولاي إسماعيل، تمكن من هزم يوسف أحنصال سنة 1732م - 1733م، وقطع رجليه ويديه، وألقى بجثته للكلاب لتنهشها²⁶.

خلفت هذه السياسة العلوية خلال القرن 17م عدة نتائج أثرت على أنشطة الأولياء الزوايا والقبائل، وخاصة المواسم، حيث عرفت الزيارات والمواسم انتعاشا في القبائل والزوايا والأضرحة التي كانت مساندة للسلطان، في المقابل، تعرضت مواسم وزوايا وأضرحة منافسة للسلطة العلوية لحصار وتهميش ومنع. لذلك، نفهم مساهمة المخزن في تشكيل اتحادية آيت يفلمان لإيقاف زحف آيت عطا حلفاء الحنصاليين، وتوطين فرق من آيت إدراسن وزمور وبني حكيم وآيت إيمور في دير الأطلس، وجعل زعمائهم رجالا كبارا في الدولة، مثل: علي بن يشي، وعلي أوبركة، بهدف الحد من خطورة القبائل والزوايا المتحالفة معها، وحماية الممرات الجبلية، والتضييق على القبائل السائبة²⁷.

4 - 2 السلطة العلوية والمواسم الاحتفالية خلال القرنين 18 و19م

شهد المغرب بعد وفاة مولاي إسماعيل أزمة سياسية دامت ثلاثين سنة، انتهت باعتلاء سيدي

25 - قاسم الحادك، م. س. ص. 234.

26 - أحمد بوكاري م. س. ج. 2. ص. 130.

27 - أبو القاسم الزباني، م. س. ص. 25.

محمد بن عبد الله العرش (1757-1790م)، الذي تميز عهده في الغالب بمحاصرة الزوايا المعارضة، والتحالف مع الزوايا المساندة لنظامه. وقد استفادت العديد من الزوايا من دعم السلطان وتزايدت أنشطتها ومواسمها، كما هو الحال بالنسبة للزاوية الشرقاوية، التي وصل نفوذها بلاد الشاوية وتامسنا وآسفي، ووصل الأمر بشيوخها للتدخل في تهدئة صراعات قبلية محليا وجهويا ووطنيا²⁸.

إن ما ميز القرنين 18م، 19م الصراعات والتحالفات والتنافس الحاد بين السلاطين والطرق الصوفية، تبعا للمصالح السياسية والاقتصادية لكل طرف آنذاك²⁹. في خضم هذا الوضع، ظهرت أربعة طرق صوفية جديدة، وهي الدرقاوية، والتيجانية، والكتانية، والبوعزاوية³⁰. وأصبح أغلب السكان القرويين والحضرين والريفيون أتباع الطرق الصوفية الجديدة، بينما تراجع تأثير الناصرية والحنصالية لصالح الدرقاوية في العديد من المناطق، الشيء الذي حول الزاوية الدرقاوية منذ بداية القرن 18م إلى قوة سياسية ودينية لا يستهان بها.

ورغم ما يلاحظ من حذر في سياسات السلطان سيدي محمد بن عبد الله مع الزوايا، فإن مواقفهم على العموم لم تكن معادية للزوايا والأضرحة والمواسم مقارنة بالسلطان مولاي سليمان، وهو ما ظهر لنا في إشارة الضعيف الرباطي، حينما تحدث عن زيارة السلطان وأسرته للأضرحة والمواسم، وتقديم الهدايا في مقامات الأولياء، فالأميرة لالة فاطمة إبنة عم السلطان وزوجته، قامت بزيارة المقام المشيشي بجبل لعلام بمعوية أبيها سليمان ابن إسماعيل، وكانت مصحوبة أيضا بولدها مولاي علي يوم 29 ذي الحجة 1779م³¹.

وفي هذا السياق أبدى مولاي اليزيد ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، تعاطفا كبيرا تجاه الأولياء وشيوخ الزوايا، وظهر ذلك حينما لجأ إلى ضريح مولاي عبد السلام بن امشيش في نهاية 1203هـ، بسبب خلاف مع والده السلطان محمد بن عبد الله حول سياسته المتحفظة حيال الزوايا

28 - عبد الكريم الجويطي، م. س. ص. 152.

29 - BRIGNON Jean, op. cit. p p. 260- 270.

30 - أسس الشريف الإدريسي سيدي محمد الكتاني زاويته بغاس سنة 1850م، كما وضع حفيده الطائفة الكتانية على منوال الطريقة الدرقاوية منذ عام 1890م. أما الطائفة البوعزاوية فإنها لم تتأسس إلا في نهاية القرن 19م، من قبل المقدم الدرقاوي محمد البوعزاوي الذي ادعى أنه ينحدر من سلالة من مولاي بوعزة المتوفي في القرن 12م. أنظر:

- Fenneke REYSOO, Des mousses...op, cit, p p. 37 - 52.

31 - زكية زوانات، م. س. ص. 209.

والأضرحة والمواسم.³²

هذا الموقف الإيجابي الذي أظهره الأمير مولاي اليزيد تجاه الزوايا، جعل الزاوية الدرقاوية وحلفائها في الأطلس المركزي، يقودون حملة في قبائل اشقرن وكروان لدعم المولى يزيد ضد أبيه³³، وقد تزعم محمد أوناصر هذه الحملة، وهو زعيم امهاوش بايت سخمان، الذي اشتهر أمره أيام سيدي محمد بن عبد الله³⁴.

عجل الموقف الذي تبنته آيت أمالو، وأمهاوش في دعم مولاي اليزيد في تباعد العلاقات بين قبائل الأطلس المتوسط والزاوية الناصرية التي كانت ترفض الخوض في الأمور السياسية³⁵. ومع بداية القرن 19م، بدأ شيوخ زاوية أمهاوش تتخلى عن انتمائها للزاوية الناصرية، وأظهرت تعاطفا مع الزاوية الدرقاوية، وأصبحت قبائل الأطلس المتوسط تسمع كلمتهم وتطيعهم كشيوخ للطريقة الدرقاوية³⁶، ورغم أن بو بكر أمهاوش الابن الأكبر لمحمد أوناصر، الذي ورث سر والده قد أخذ هو الآخر الورد الناصري، وميوله الصوفي نحو الدرقاوية³⁷.

- سياسة السلطان مولاي سليمان تجاه المواسم

إذا كانت سياسة سيدي محمد بن عبد الله، اتسمت في الغالب بنوع من بالمرونة مع الزوايا والقبائل وعدم التضيق على أنشطتها ومواسمها، فإن خلفه السلطان مولاي سليمان (1792-1822م)، نهج سياسة من خصوصيتها ومحاربة الزوايا وزيارة الأضرحة والمواسم، باعتبارها من البدع³⁸. وقد نتج عن هذه السياسة، ردود فعل مقاومة من مختلف القوى السياسية والدينية (القبائل الأطلسية، والزوايا، الأسر الحاكمة سابقا).

32 - زكية زوانات، م. س. ص. 193.

33 - أحمد بن خالد الناصري، م. س. ج. 8. ص. 139.

34 - نفسه، ص. 139.

35 - محمد بن أحمد أكنسوس، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تحقيق وتقديم أحمد بن يوسف الكنسوسي، مراكش، ط. 1994، ج. 1، ص. 286.

36 - محمد بن لحسن، نظرية المقاومة من خلال مخطوط كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، دراسة تنظيرية مع توثيق النص، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال جامعة القاضي عياض، ج. 3، 1997، ص. 568.

37 - محمد المنصور، م. س. ص. 178، 190.

38 - أنظر: خطبة المولى سليمان، -Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 75- 81.

وكانت هذه المقاومة التي تعرضت لها السلطة المركزية في عهد مولاي سليمان متباينة من حيث درجة القوة، ففي سنة 1810م ازداد عنف كل من الثورات القبلية، والزوايا خاصة الزوانية والدرقاوية في الأطلس المتوسط والأطلس الكبير والريف. هذه الثورات كانت كرد فعل على التيار الإصلاحى المتصاعد والمندد بسياسة السلطان مولاي سليمان³⁹.

ولم يكن موقف السلطان مولاي سليمان إيجابيا تجاه هذه المقاومة، بل عمد إلى تبني سنة 1811م الأفكار الوهابية⁴⁰، التي تنص على الرجوع إلى إسلام السلف الصالح، ومحاربة تقديس الأولياء، وزيارة قبورهم والمواسم⁴¹. ورغم أن السلطان كانت له ميولات وهابية سلفية، غير أن موقفه لا يخلو من اعتبارات سياسية، لأن الزوايا الكبرى قوى منيعة تنافس المخزن في بعض الجهات، كمعارضة مولاي العربي الدرقاوي إجراءات السلطان الرامية للحد من نفوذ الزوايا، التي جعلت أنصار الزاوية يثورون في مختلف مناطق الأطلس وألحقوا هزائم بالمخزن⁴².

ولالإشارة، فقد كان السلطان مولاي سليمان في بداية عهده (1792-1822م)، متحالفا مع الطائفة الدرقاوية لتوسيع سلطته بالمغرب، بيد أنه سرعان ما تأثر بالأفكار الإصلاحية الوهابية بالمشرق، وأظهر العداء للزوايا المغربية، ودعا لحضر أنشطتها⁴³. وكان هدف السلطان تقييد وتقليص التأثير السياسي للزوايا الصوفية، بذريعة أن إقامة المواسم، تتخللها وأغاني ورقصات والتصفيق بالأيدي وتجمهر ليلى، وهو ما يتنافى مع الدين الإسلامي⁴⁴.

يعتبر حظر انعقاد موسم الزاوية الزوانية عام 1815م، خير مثال في تعامل السلطان مع المواسم. ويهدف السلطان من وراء هذا الإجراء، منع الأعطيات التي يقدمها الزوار خلال انعقاد الموسم، والتي تمثل جزءا هاما من المداخل المادية للشيخ الإدريسي. يأمل السلطان مولاي سليمان من قطع

39 - نفسه.

40 - يقصد بالحركة الوهابية، الحركة الإصلاحية العربية المشرقية، أسسها محمد بن عبد الوهاب (1791-1803) زعيم منطقة نجد بالجزيرة العربية. وتقوم الوهابية على قاعدة صارمة ومعادية لكل أشكال البدع التدين الشعبي والصوفية والطقوس التعبدية البعيدة عن الإسلام الأصل النابع من القرآن والسنة. ومن جملة رفض الوهابية، تقديس قبور الأولياء وتبجيل النبي محمد والاحتفاء به. أنظر: أحمد بن خالد الناصري، م، س، ج، 8، ص. 120، 139.

41 - انظر: خطبة السلطان مولاي سليمان، -Fenneke REYSOO, Des mousses...op, cit, p p. 75- 81.

42 - قاسم الحادك، م، س، ص. 242.

43 - أنظر: خطبة مولاي سليمان، -Fenneke REYSOO, Des mousses...op, cit, p p. 75- 81.

44 - BRIGNON Jean, op. Cit. p. 267.

المؤونة على الزاوية، القضاء على منافس سياسي قوي، ويوضح هذا الترابط القائم بين السلطة الزمنية، والقوى الدينية الرسمية أو غير الرسمية⁴⁵.

وترتب عن السياسة العنيفة للسلطان مولاي سليمان تجاه الزوايا والأضرحة والمواسم، اندلاع ثورات قبلية، بقيادة الزاوية الدرقاوية وقبائل آيت أمالو، التي حققت شعبية كبيرة في الأطلس المركزي، التي عوضت تراجع الزوايا التقليدية الناصرية والحنصالية ذات النفوذ الكبير في الأطلس المركزي. ويرجع سبب تزايد نفوذ الزاوية الدرقاوية في الأطلس المركزي، في دفاعها عن الحركة الصوفية، ومعارضتها لمحاربة السلطان مولاي سليمان لزيارة الأضرحة والزوايا والمواسم الطرقية من جهة، وتحالفها مع الزعامات الصوفية القبلية التي تبنت أفكار الزاوية الدرقاوية كما هو الحال بالنسبة للأسرة الحنصالية، والأسرة المرابطية آل أمهاوش، وأسرة سيدي الطيبي.

ورغم محاولات الصلح التي أعرب عنها آيت أمالو، وأتباع الزاوية الدرقاوية في المنطقة، إلا أن مولاي سليمان رفض الصلح مما فتح المواجهة بين الطرفين، والتي انتهت بهزم الجيوش السلطانية وأسر السلطان نفسه في منطقة ملوية⁴⁶. وشدد السلطان مولاي سليمان من جهة أخرى حصاره الاقتصادي على الأطلس المركزي لإرغام أبي بكر أمهاوش وقبائل آيت أمالو على الاستسلام، حيث وفرض على قبائل زعير وزمور وورديغة غرامات ثقيلة عقابا لهم على بيعهم الحبوب لآيت أمالو سنة 1813م⁴⁷.

هذا الواقع أدخل السلطان مولاي سليمان في مواجهات عسكرية مباشرة مع الزاوية الدرقاوية والوزانية وحلفائها في الأطلس المركزي، حيث تزعم مولاي العربي الدرقاوي سنة 1820م حركة انقلابية بمشاركة الحاج العربي الوزاني شيخ الزاوية الوزانية، وعدد من أعيان مدينة فاس بهدف خلع السلطان المولى سليمان وتنصيب مولاي إبراهيم ابن مولاي البيزيد⁴⁸، غير أن هذه المحاولة كان مصيرها الفشل، فتم القبض على مولاي العربي الدرقاوي، مما دفع القبائل الأمازيغية وقف الهجوم لإنقاذ حياة الشيخ، وقد وقع الطرفين هدنة احتفظ بموجبها بمولاي العربي الدرقاوي رهينة عند

45 - BRIGNON Jean, op. Cit. p. 267.

46 - محمد المنصور، م. س. ص. 303.

47 - نفسه، ص. 303.

48 - قاسم الحادك، م. س. ص. 243.

السلطان⁴⁹.

وفي هذا الإطار، قاد أبو بكر أمهاوش حركة ضد المولى سليمان بتحريض من مولاي العربي الدرقاوي، واستولى على مكناس والمناطق المجاورة، إلا أن المولى سليمان شن هجوما قويا على حركة أمهاوش، وتمكن من القبض عليه بمعية جيشه، وجردهم من الخيل والسلاح وأودعهم السجن، ونتج عن ذلك اندلاع ثورة البربر التي زحفت في اتجاه مكناس حتى حرروا أبي بكر أمهاوش⁵⁰. وهكذا، زادت تمردات وثورات حلفاء الزاوية الدرقاوية في الأطلس المركزي ضد السلطان مولاي سليمان التي استمرت إلى غاية سنة 1822م تاريخ تولي السلطان عبد الرحمان بن هشام حكم المغرب. وقد قاد أبوبكر أمهاوش ثورة ضد السلطان مولاي عبد الرحمن في السنة التي تولى فيها الحكم 1822م، لكن أبو بكر أمهاوش أوقف تمرده، نظرا لإطلاق السلطان مولاي عبد الرحمان، سراح الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الذي سجنه مولاي سليمان.

- سياسة السلطان مولاي عبد الرحمان تجاه المواسم

تخلى السلطان المولى سليمان عن الحكم لصالح ابن أخيه عبد الرحمان بن هشام سنة 1822م، وبالموازاة مع ذلك استمر التحالف بين آيت أمالو والدرقاويين، وقائد قبائل زمور محمد بن الغازي، إلا أن السلطان الجديد تحدوه رغبة في تحقيق التقارب بينه وبين الدرقاويين. لذلك، لم يتردد السلطان عبد الرحمان بن هشام في إطلاق سراح الشيخ مولاي العربي الدرقاوي⁵¹. والملاحظ أن السلطان سيدي عبد الرحمان بن هشام، لم تكن له رغبة في الدخول في صراع مع الزوايا، ومحاربة زيارة الأضرحة والمواسم مقارنة بسياسة السلطان المولى سليمان، ويمكن تفسير هذا الموقف في تدهور الأوضاع الداخلية المغربية جراء انهزام المغرب أمام فرنسا في معركة إسلي 1844م، وحرب تطوان 1859م، وتزايد الضغوط الاستعمارية الاقتصادية والدبلوماسية منذ احتلال الجزائر 1830م⁵².

49 - قاسم الحادك، م. س، ص. 243.

50 - أحمد بن خالد الناصري، م. س، ج. 8، ص. 138.

51 - Drague Georges, op. Cit. P. 157.

52 - زكية زوانات، م. س، ص. 208.

لذلك نهج سياسة المهادنة مع الزوايا، وترك حرية ممارسة الزيارات وإقامة المواسم، وهذا ما يمكن فهمه من أمر السلطان عبد الرحمان بن هشام قائد تطوان محمد اشعاش بالعناية بشيخ الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد سيدي داود خلال زيارته لمقام عبد السلام ابن مشيش، وكانت الرحلة في 19 ربيع الأول 1247هـ⁵³.

- سياسة السلطان مولاي الحسن الأول بخصوص المواسم

نهج السلطان محمد بن عبد الرحمان نفس سياسة والده، تجاه الزوايا والأضرحة والمواسم، غير أن الحسن الأول حاول أن يتحكم في المجال ويخضعه لسلطته المطلقة، ونهج سياسة التحالفات التي تبناها السلطان مولاي إسماعيل لتحقيق طموحاته، إذ كان الحسن الأول، يدرك أهمية القضاء على التحالف بين امهاوش ودرقاوة وقبائل آيت أمالو وزمور. لذلك، تحالف مع زعيم زيان موحى أوحمو الذي كان في صراع مع زعيم امهاوش⁵⁴، ونفذ عدة هجومات على آيت سخمان معقل آل أمهاوش⁵⁵. وكان الحسن الأول يأخذ بعين الاعتبار، صعود قوى جديدة، تتمثل في تصاعد نفوذ البرجوازية في المدن الكبرى، ونفوذ القواد الكبار في الجنوب (متوكة، كندافة، كلاوة)، والغزاة الاستعماريون. لذلك، بادر كل من السلطانين سيدي محمد الرابع (1859-1873م) ومولاي الحسن الأول (1873-1894م) إلى تطبيق إصلاحات إدارية (إعادة هيكلة نظام المداخل الجمركية، مؤسسة مراقبة تدبير الموارد المالية للقواد والعمال، زيادة عدد القواد الصغار) وإصلاحات عسكرية، (خلق جيش للمدفعية، وحل نظام قبائل الكيش والقطع مع امتيازاتها، وجلب مؤطرين عسكريين أوروبيين، وخلق أسطول حربي⁵⁶). وهكذا، حافظ السلطان على سلطة مطلقة إداريا، واحتكر جميع السلط.

ومن مميزات وخصوصيات فترة حكم السلطان الحسن الأول، أنه كان يتعامل بازدواجية مع القبائل والزوايا، حيث كان يبارك ويثمن تزايد نفوذ بعض الزوايا ويزور مقامات الأولياء، ولا يعارض زيارة الأضرحة وإقامة المواسم التي انتشرت فيها الطقوس العيساوية والحمدوشية. وعلى سبيل

53 - زكية زوانات، م. س، ص. 208.

54 - Druge Georges, op. Cit. P. 155.

55 - محمد بلحسن، م. س، ص. 481.

56 - David HART, Islam in Tribal Societies, from the Atlas to the Indus, Routledge and Kegan Paul, London, 1984, pp. 66, 87, 88, 105.

المثال، عمل الحسن الأول بزيارة لأضرحة الأولياء بدمنات وانتيفة وآيت مصاض وبني ملال وآيت ويرا وخنيفرة محرم 1304هـ، 1886م⁵⁷. ورمم السلطان العديد من الأضرحة في المنطقة، حيث بنى قبلة سيدي بو محمد صلاح في قرية افرمود بالقرب من بلدة بزو⁵⁸.

ومن الزوايا التي تحالف معها الحسن الأول الزاوية الشرقاوية، التي كانت تتحكم في المجال التادلي، وقد حقق موسمها السنوي إشعاعا جهويا في تلك الفترة، حيث كان يتقاطر الزوار على مدينة أبي الجعد من كل الجهات لتقديم الهدايا، وكانت المدينة دائما مليئة بالزوار، يأتون بحثا عن تبريكات السيد. حسب شارل دوفوكو، فقد بلغت الهدايا في أسبوع واحد حمولة 200 بعير، وفي أسبوع آخر 400 حمولة بعير، إضافة إلى هدايا من المال والأنعام والخيول، وتأتي القبائل كل سنة لتحصيل البركة وتقديم إتاواتها، وتقدم هذه الهدايا كل قبائل تادلا وتقريبا، وقبائل الشاوية، وبعض قبائل آيت سري و اشقرن⁵⁹.

وفي المقابل فقد شن الحسن الأول حربا على القبائل والزوايا غير الخاضعة لسلطته، ومنها الطائفة الدرقاوية في آيت ويرا وآيت اسحاق الممثلة في أسرة سيدي الطيبي التي تعرضت لمضايقات من قبل القائد موحى أوسعيد، وأسرة المرابط "آل أمهاوش" التي دخلت في صراع مع موحى أوحمو الزياني.

ولم يتوقف السلطان عند الحد، بل قام بإلغاء بعض المواسم كموسم زاوية آيت إيشوان باكمورول بالنتيفة، بسبب نفوذها من جهة، واستقطاب زوار من القبائل السائبة وغير الخاضعة للمخزن، خصوصا من قبائل إنتيفة، وآيت عتاب، وآيت بوزيد، وفطاوكة، وآيت شيتاشن، وآيت محمد⁶⁰.

4 - 3 المخزن والمواسم بداية القرن 20.

تميز المغرب نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م، بتحولات وأزمات كبرى بعد وفاة كل من الحسن

57 - لما وصل الحسن الأول لمنطقة إمليل ناحية دمنات زار ضريح الولي ناصر أعلي بالقصبة، وضريح سيدي سعيد بأرحبي. وعندما زار مولاي الحسن دمنات زار أولياءها: ومنهم الولي سيدي أبو موسى بمدشر بوغرارت، والولي سيدي أبو البخت بمدشر آيت أمغار. أنظر: محمد نجيب الدمناتي، م. س، ص. 92، 93، 94، 95.

58 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech, op. cit. p. 49, 50.

59 - شارل دوفوكو، م. س، ص. 20-200.

60 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 48.

الأول 1894م، والصدر الأعظم أحمد بن موسى 1900م، المشهور بـ"باحماد". ومن مظاهر هذه التحولات، فراغ خزينة الدولة، واندلاع تمردات قبلية، وانتشار الفوضى في جميع أنحاء المغرب، وتزايد الضغوط الاستعمارية، مما مهد لفقدان المغرب لاستقلاله وسيادته، وفرض الحماية عليه سنة 1912م.

ومن خصوصيات هذه الفترة التي تولى فيها كل من السلطان عبد العزيز 1894م-1908م، والسلطان عبد الحفيظ 1908م-1912م حكم المغرب، انتشار الاحتفالات والمواسم التي كانت تقيمها الزوايا والقبائل بمناسبة من المناسبات رغم الأوضاع غير المستقرة⁶¹. كما تزايد نفوذ العديد من الزوايا في هذه الفترة، خاصة تلك المرتبطة بالطرق الصوفية الشعبية، كعيساوة وحمادشة وجيلالة وكناوة. ورغم أن هذه الطوائف مرتبطة تاريخيا بالطوائف الصوفية، باستثناء كناوة⁶²، إلا أنها معروفة بطقوسها الغريبة المنتشرة في المواسم، خاصة الرقصات الهائجة المصحوبة بالجذبة والتشويهاات الجسدية⁶³.

ورغم الانتقادات الحادة التي تعرضت لها هذه الطوائف الصوفية الشعبية من قبل الفقهاء وفئات واسعة من المجتمع المغربي، وخاصة المثقفة منها، إلا أن بعض السلاطين أظهروا نوعا من التساهل والتسامح مع هذه الطوائف الشاذة، ومنهم مولاي عبد العزيز (1894م-1906م)، الذي كان مولعا جدا في استقبال، عيساوة وكناوة، حيث كان يحضرهم ولساعات طويلة، لطرده الشياطين⁶⁴.

وعموما، فإن علاقة المخزن بالمواسم والزوايا والأضرحة بداية القرن 20م، لم يطبعها التوتر، كما حدث مع المولى الرشيد، والمولى إسماعيل، والمولى سليمان، بل كان كل من السلطان عبد العزيز والسلطان عبد الحفيظ، يباركون القبائل والزوايا احتفالاتهم ومواسمهم، ويوزرون مقامات الأولياء. ومن ذلك ما أشار إليه صاحب كتاب القول الجامع، حيث ذكر أنه لما استقر ركاب السلطان عبد العزيز بمراكش ذهب ليزور أضرحة الأولياء كعادة أسلافه⁶⁵.

نستخلص أن السلطات الحاكمة بالمغرب منذ فترة حكم الأدارسة (686هـ-917م) إلى غاية سقوط

61 - Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 165, 171.

62 - Ibid.

63 - Brunel Paul, op. Cit. p.168 .

64 - Ibid. p.155.

65 - محمد نجيب الدمناتي، م. س، ص. 129.

دولة الموحدين (1130-1269م)، كانت ربما ضد كل الطقوس والعادات المحلية التي تعتبرها وثنية منافية للدين الإسلامي. ورغم أن المصادر التاريخية، لم تتحدث بشكل صريح عن كيفية تعامل هذه الدول مع المواسم الاحتفالية القديمة، لكن يبدو أن هذه الأسر الحاكمة، لم تكن تولي اهتماما للمواسم الزراعية القديمة، ولم تكن تنظر إليها بعين الرضى.

إلا أن ظهور وتطور الحركة الصوفية خلال حكم كل من دولتي المرابطين والموحدين، ساهم في ترسيخ الإسلام في البوادي والجبال المغربية، ولعبت دورا كبيرا في تكييف الدين الإسلامي مع معتقدات وطقوس الساكنة المحلية. وشكلت فترة حكم المرينيين والسعديين، مرحلة حاسمة في تبني السلطة لظاهرة تبجيل الأولياء والأضرحة والاحتفاء بمواسمها وطبعها بطابع إسلامي.

وتميز العهد العلوي بارتباط التاريخ السياسي بالديني بشكل كبير، حيث أصبح السلطان يستمد سلطته وشرعيته من القبائل، والشرفاء، والصلحاء، والعلماء، والأعيان. ولا تفوض تلك السلطة لأهداف محددة أو على مواثيق واضحة، وتبقى قوة السلطان رهينة بقوة حلفائه. وتتغير تحالفات المخزن أكثر من مرة خلال حياة سلطان واحد، حيث يصبح الأعداء حلفاء، ويصبح الأعداء مرة أخرى حلفاء وهكذا⁶⁶.

أفرز هذا الوضع تباينا في سياسات المخزن تجاه الزوايا والمواسم الاحتفالية، حيث نهج سلاطين الدولة العلوية في مراحلها الأولى، سياسة تطويق حركة الزوايا المتطلعة للحكم ومنع أنشطتها خاصة المواسم الاحتفالية. وفي المقابل، شجع المخزن أنشطة الزوايا التي كانت تناصر نظام الحكم العلوي، بل وأيدوا تأسيس طرق صوفية جديدة مساندة له.

ولالإشارة، شهدت الحركة الصوفية خلال القرنين 18م و19م، تحولات وتطورات كبرى، تمثلت في بسط هيمنتها على مختلف المجالات والثقافية الدينية والاجتماعية الاقتصادية والسياسة للقبائل. ومن تم انتقل تنظيم جل المواسم الاحتفالية القديمة من القبيلة إلى الأولياء وشيوخ الزوايا، وأصبحت مرتبطة مباشرة بالأضرحة والزوايا. أمام هذه التحولات المتسارعة، وتزايد تأثير الحركة الصوفية في المجتمع، دفع المخزن، وخاصة في عهد السلطان مولاي سليمان للتصدي لمختلف

66 - WATERBURY John, Le commandeur des croyants: la monarchie marocaine et son élite, Traduit de l'anglais par : Aubin, PUF, collection Pays d'Outre-Mer, Paris 1975, p. 48.

أنشطة الزوايا والطرق الصوفية والمواسم، بفعل تبني السلطان الفكر الوهابي المتشدد تجاه طقوس الزوايا والمواسم من جهة، وتنامي النفوذ السياسي لمؤسسات الزوايا من جهة أخرى. بيد أن هذه السياسة التي نهجها المخزن في عهد السلطان مولاي سليمان، اصطدمت بمعارضة وثورات قادتها الزوايا التي كانت تتمتع بشعبية كبيرة، كادت في بعض الأحيان أن تهدد استقرار البلاد والنظام. هذا الواقع دفع بالمخزن العلوي بعد وفاة السلطان مولاي سليمان إلى تغيير هذه السياسة، ونهج أخرى أكثر مرونة وتسامحا مع الزوايا والطرقية ومواسمها.

البحث الثاني: سياسات سلطات الاحتفال تجاه المراسم خلال فترة الحماية

تميزت سياسة سلطات الحماية تجاه المواسم والمهرجانات الاحتفالية 1912-1956م، وخاصة مواسم الزوايا والأضرحة بالازدواجية في المواقف، حيث كانت تتعامل معها تارة بالدعم والتشجيع، وأحيانا بالمنع والتضييق، ويمكن تفسير هذه الازدواجية المواقف، في طبيعة المصالح السياسية والاقتصادية الاستعمارية لهذه المواسم الاحتفالية. لقد كانت سلطات الحماية تشجع المواسم والمهرجانات التي ترى فيها مصلحة تخدم أجندتها السياسية والاقتصادية الاستعمارية، بينما كانت تمنع تنظيم مواسم ومهرجانات تعتبرها تهديدا لمصالحها الاستعمارية. لذلك، عملنا في هذا البحث إبراز مظاهر وتجليات ودوافع تشجيع ومنع بعض المواسم والمهرجانات خلال فترة الحماية، والأسباب الموضوعية والذاتية لهذا التشجيع والمنع في نفس الوقت. ووضحنا من جهة أخرى، موقف الحركة الوطنية والحركة السلفية من احتفالات المواسم خلال فترة الحماية، ومختلف ردود فعل سلطات الحماية تجاه الحركة الوطنية والحركة السلفية تجاه مواسم الزوايا والأضرحة.

1 - مظاهر دعم الإقامة العامة للمواسم والزوايا والطرق الصوفية

1-1 مواقف الإقامة العامة من المواسم

كان المقيم العام المارشال ليوطي دائم الحرص على تنظيم احتفاليات المواسم والمهرجانات منذ توقيع معاهدة الحماية 1912م. وكان حريص الحضور الشخصي لافتتاحها ومشاركة الأهالي في

احتفالاتها. ويمكن تفسير هذه السياسة في نظرنا، رغبة المقيم العام ليوطي ترسيخ السياسة الفرنسية الإسلامية، باعتبارها إحدى المداخل الأساس لعملية التهدئة⁶⁷.

استمر المرشال ليوطي في دعم المواسم والزوايا والأضرحة إلى غاية رحيله سنة 1925م، لكن خلفائه الذين تعاقبوا على الإقامة العامة بعد ليوطي، نهجوا سياسية غير السياسة الفرنسية الإسلامية التي دشنها المرشال ليوطي، بدءاً من المقيم العام "تيودور ستيك" مروراً بـ "لوسيان سان" وهنري بونصو" وانتهاءً بالمقيم العام "مارسيل بييروتون" حيث تراجع استعمال عبارات احترام الشعائر الدينية والتقاليد والعوائد المغربية والطرق الدينية.

ورغم استمرار تنظيم احتفالات المواسم، إلا أن الإقامة العامة الفرنسية لم تعد تولي أهمية كبيرة لتنظيم مواسم الزوايا والطرق الصوفية، لا من حيث الإشراف الرسمي على افتتاحها، ولا من حيث توفير كافة أشكال الدعم المادي لإنجائها. وعلى خلاف الجنرال ليوطي، لم يحضر المقيمون العامون الذين تعاقبوا على الإقامة العامة في الفترة ما بين 1925/ 1936م افتتاح المواسم، ولا شاركوا الأهالي في احتفالاتها⁶⁸.

استمر هذا الوضع إلى أن وصلت الجبهة الشعبية إلى سدة الحكم بفرنسا، التي كان لها وقع كبير على نظام الحماية خاصة بعد تعيين الجنرال "نوكيس" مقيماً عاماً على المغرب، والذي دشّن عهده بسياسة اتسمت بالاعتدال والانفتاح والانفراج السياسي. وقام بإحياء إرث "ليوطي" خاصة فيما يتعلق بالسياسة الإسلامية... وأكد المقيم العام "نوكيس" حرصه على تنظيم مواسم الزوايا والطرق الصوفية، ومشاركة الأهالي في احتفالاتها. وكان هذا المقيم العام "نوكيس"، يعتبر المواسم من الشواهد الناطقة على مدى اهتمام الحكومة الفرنسية باحترام للديانة الإسلامية والتقاليد المغربية⁶⁹.

وقد أوردت جريدة السعادة الجولات التي قام بها المقيم العام الجنرال "نوكيس" في الفترة الممتدة ما بين 1938-1944م في ربوع المغرب، وحضوره الشخصي لمراسيم أهم المواسم الصوفية

67 - جريدة السعادة، العدد 1054، 31 غشت 1915؛ العدد 1099، 13 نونبر 1915؛ العدد 1054، 31 غشت 1917؛ العدد 1566، 04 شتنبر 1917.

68 - المصطفى الريس، اضاءات حول الزوايا والطرقية زمن الحماية، في: سلسلة شرفات، العدد 74، شتنبر 2016م، ص. 78.

69 - جريدة السعادة، العدد 4615، 8 أكتوبر 1938؛ العدد 5630، 26 شتنبر 1942؛ العدد 6038، 01 فبراير 1944.

التي كانت تحشد لها آلاف أتباع الطرق الصوفية، كمشاركتها الفعلية في موسم سيدي محمد بلحسن أجانا، الذي حضره أكثر من عشرين ألف من قبائل الحياينة، وموسم سيدي موسى، الذي شارك في احتفالاته ما يقارب تسعة آلاف من قبائل بني احسن، والسهول، وزمور، وزعير، وموسم الزاوية الشرقاوية بأبي جعد، وموسم سيدي عبد المالك بتافيلالت، واستقباله لثلة من شيوخ الطرق الصوفية، أمثال عبد الحي الكتاني شيخ الطريقة الكتانية، والتهامي الوزاني شيخ الطريقة الوزانية، وشيخ الطريقة الدرقاوية بأبي جعد، وحفيد شيخ الطريقة الناصرية بتمكروت⁷⁰.

وواصل المقيمون العامون الذين تعاقبوا على الإقامة العامة بعد المقيم العام نوكيس تشبتهم بطابع استمرار تنظيم المواسم، حيث وفروا كافة أشكال الدعم المادي لإنجاحها، من تعبيد الطرق المؤدية لها، وتزويدها بالإنارة، وتوفير وسائل النقل لزوارها، إلى درجة أصبح معها إيمان الناس بالمواسم، وإكبارهم إياها حال بينهم وبين أن يفروا فيها حتى في فصل الشتاء⁷¹.

1 - 2 الحضور الرمزي لممثلي سلطات الحماية وأعوانها من المخزن مواسم

الأطلس المركزي

من أهم المواسم التي حظيت باهتمام كبير، من قبل الإقامة العامة والمخزن في الأطلس المركزي ومحيطه خلال فترة الحماية، موسم مولاي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، موسم سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي بآيت عياض، وموسم مولاي بوعزة بزيان، وموسم سيدي الصغير بالمنيار ببلدة ابزو، وموسم سيدي امحمد الشرقي بأبي الجعد، وموسم بني سمير بوادي زم⁷².

حسب جريدة السعادة، تقام بالأطلس المركزي مواسم كثيرة في بحر كل عام، احتفاء بالأولياء المدفونين بمختلف جهات الأطلس المركزي، وكان يحضر هذه المواسم غير ما مرة أعيان القبائل، وأعوان المخزن، وممثلي سلطات الحماية⁷³. وكانت المواسم تحظى بحضور وازن من قبل شخصيات

70 - جريدة السعادة. العدد 4609. 24 شتنبر 1938: العدد 4616. 11 أكتوبر 1938: العدد 4626. 05 نونبر 1938: العدد 4728. 31 غشت 1939:

العدد 5630. 29 أبريل 1941: العدد 5631. 08 شتنبر 1942: العدد 5236. 06 شتنبر 1942: العدد 5792. 30 مارس 1943.

71 - جريدة الرأي العام. العدد 71. 08 شتنبر 1948: العدد 103. 17 يونيو 1949: العدد 225. 11 يناير 1951

- جريدة العلم. العدد 926. 28 غشت 1949: العدد 1349. 04 يناير 1951: العدد 225. 12 يناير 1951.

72 - جريدة السعادة. العدد 3230. 17 أبريل. 1928. ص. 4.

73 - نفسه.

مدنية وعسكرية، تمثل سلطات الحماية والمخزن، وكانت هذه الشخصيات تسهر على حفظ الأمن وإنجاح المناسبة، التي تشكل فرضة لفرض السياسة الاستعمارية عن طريق مشاركة السكان احتفالاتهم.

ومن بين المواسم التي حظيت بحضور وازن من قبل ممثلي سلطات الاحتلال وأعوانه من المخزن في الأطلس المركزي، موسم سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط سنة 1926م، الذي حضره عدد عظيم من بعض النواحي خصوصا من بلاد الشاوية، وعامل المحل القائد البشير بن البهالي العياطي، وجميع أعيان هذه القبيلة وموظفيها من فرنساويين وأهليين، ومن بينهم: جناب فضيلة الباشا بوجمعة بن مبارك المسفيوي، باشا بني ملال وعامل تادلة، وفي مقدمة الفرنسيين، رئيس مكتب الشؤون الأهلية ببني ملال، وجناب القبطان رئيس مكتب دار ولد زيدوح⁷⁴.

إلى جانب موسم سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي، كان موسم مولاي عيسى بن إدريس بايت عتاب، مناسبة يحضرها ممثلين عن المخزن وسلطات الحماية، وأعيان القبيلة، فمن جملة الذين حضروا للمشاركة في هذا الموسم جناب عامل هنتيفة محمد بن عبد الله أشطوا، والقائد السيد البشير العياطي، والقائد السيد الميلودي بن كرمح من ناحية تادلة، وكل منهم مصحوبا بحاشيته وفرسان قبيلته⁷⁵.

وكان تنظيم المواسم في بلاد انتيفة وخاصة ابزو، يخضع لتدبير مباشر من قبل القائد صالح أوراغ قائد هنتيفة السهل، والقائد عبد الله أشطو قائد هنتيفة الجبل. وكان يحضرها رئيس مكتب الشؤون الأهلية "بتانت" Victor Desgranges⁷⁶.

يهدف حضور سلطات الاحتلال إلى جانب الأهالي للمشاركة في الموسم في بداية الاحتلال العسكري للمنطقة، إبراز القوة العسكرية الفرنسية، ودفع المقاومة للاستسلام. لهذا الغرض حضر الكولونيل حاكم ناحية تادلا موسم أبي الجعد سنة 1916م، وكان الموسم بالنسبة له فرصة لاستعراض أكثر من ألفي فارس من فرسان القبائل كاملة العدة، مزركشة السروج، واستعرض أيضا الطابور المغربي

74 - جريدة السعادة، العدد 3015، 14 أكتوبر، 1926.

75 - نفسه، العدد 3230، 17 أبريل، 1928.

76 - نفسه، العدد 1330، 30 شتنبر، 1916.

الراجع من مولاي بوعزة وبطارية من مدافع 25 والموسيقى العسكرية⁷⁷، وكلها رسائل سياسية وعسكرية للمقاومة. تحتفظ الذاكرة الجماعية بأحداث حضور ممثلي سلطات الحماية وقواد قبائل انتيفة وآيت عتاب وبني ملال وأبي الجعد في احتفالات الهيلولة اليهودية في القبائل المشار إليها⁷⁸.

1 - 3 تشجيع سلطات الحماية طقوس وعادات المواسم

شجعت سلطات الحماية الطقوس الاحتفالية والفلكلورية التي تؤثت فضاءات المواسم، خاصة التي لا تتضمن ما يعارض السياسة الفرنسية في المنطقة، لذلك، حرص ممثلي سلطات الاحتلال وأعوانه من المخزن، خاصة الشيوخ والقواد على تشجيع كل الطقوس ومظاهر الاحتفال، واستبعاد كل ما من شأنه أن يهدد مصالح وسياسة سلطات الحماية.

ومن المؤشرات الدالة على تشجيع الإقامة العامة والمخزن للطقوس الاحتفالية والفلكلورية بالمواسم، خلال فترة الحماية، ما أوردته جريدة السعادة بخصوص بعض مواسم الأطلس المركزي، وعلى سبيل المثال، فقد كان موسم مولاي عيسى بن إدريس بآيت عتاب سنة 1928م مناسبة لكل قبيلة من القبائل الواردة بألعابها الاعتيادية البربرية كأحواش، وألعاب الفروسية والرقص...⁷⁹.

إلى جانب ذلك، كان موسم سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط سنة 1926م، مناسبة للقائد البشير لاستقبال الزائرين، ودعوة الحضور للاحتفال الذي أقامه أحفاد سيدي علي بن إبراهيم، والمتضمن ألعاباً مختلفة مألوفة، وطقوس الذبيحة والفروسية وإطلاق البارود. وقد كان يحضرها الميلودي بن كرمح قائد قبيلة أولاد عريف، بمعية أعيان قبيلته، وخليفة القائد البشير وأعيان قبيلة بني عياط⁸⁰.

ولالإشارة، كانت سلطات الحماية تشجع سكان هذه النواحي لتقديم هدايا لضريح الولي سيدي علي بن إبراهيم المذكور والأضرحة الموجودة بالزاوية، وكانت الهدايا تتشكل من الشمع والذبيحة

77 - جريدة السعادة، العدد 1330، 30 شتنبر 1916، ص. 2.

78 - رواية شفوية مشار إليها، مخلوف أبي تبول مقدم ضريح مول البرج.

79 - جريدة السعادة، العدد 3230، 17 أبريل، 1928، ص. 4.

80 - نفسه، العدد 3015، 14 أكتوبر 1926، ص. 4.

المحمودة التي يقدمها أهل قبيلة بني عياط في كل سنة⁸¹. ونفس الشيء، كان مأوفا بالنسبة لموسم الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد، حيث حرصت السلطات أن يكون فضاء لألعاب الفروسية والغناء، ورقص الحكايات، وزيارة قبور الشرفاء، وإقامة أذكار والاستماع لنصائح الخطباء⁸². علاوة على ذلك، شجعت سلطات الحماية طقوس الطريقتين العيساوية والحمدوشية، وألزمت الطلبة، حفظة القرآن في الكتاتيب بالانتماء إلى إحدى الطرق الصوفية، ووقع تدشين عدة زوايا للطائفتين وأقيمت الاحتفالات حضرها عدد من الأوروبيين، وعادة ما كان يلقي حفدة الأولياء خطابا باللسان الدارج، يستهله بشكر الحكومة الفرنسية، لما تسديه من إعانات وتشجيعات هامة لطريقته⁸³.

2 - أهداف اهتمام الإقامة العامة بالمواسم والمهرجانات

2 - 1 الاهتمام العلمي الكولونيالي بموضوع المواسم والزوايا والأضرحة

أثارت ظاهرة المواسم والزوايا والطرق الصوفية فضول الباحثين من تخصصات مختلفة خلال فترة الحماية 1912-1956م، وأنجز هؤلاء الباحثين عدة أبحاث، يمكن تصنيفها إلى صنفين: أولها، الدراسات والأبحاث التي أشارت إلى أهمية المواسم داخل النسق السياسي العام، أي الكيفية التي توظف فيها طقوس المواسم وأنساقها الرمزية المقدسة إلى ممارسات تخدم أغراضا سياسية محضة. والصنف الثاني، الأبحاث التي تناولت المواسم في سياق فهم الهوية الدينية وأشكال التدين عند المغاربة وتمثلهم للأنساق الرمزية في حياتهم اليومية.

كانت تؤطر هذا الاهتمام العلمي بالمواسم أهدافا سياسية وعسكرية، حيث جعلت السلطة الاستعمارية من المعرفة أحد أركان سياستها للسيطرة على المغرب، وشكلت تعبئة المدنيين والعسكريين، بالإضافة إلى مساهمة الباحثين الأكاديميين، عنصرا رئيسيا في ذلك المشروع الرامي إلى السيطرة بواسطة المعرفة.

وقد أصبح العديد من أولئك الضباط والمراقبين المدنيين المستكشفين والباحثين، منتجين

81 - نفسه، العدد 2875، 29 أكتوبر 1925، ص. 4.

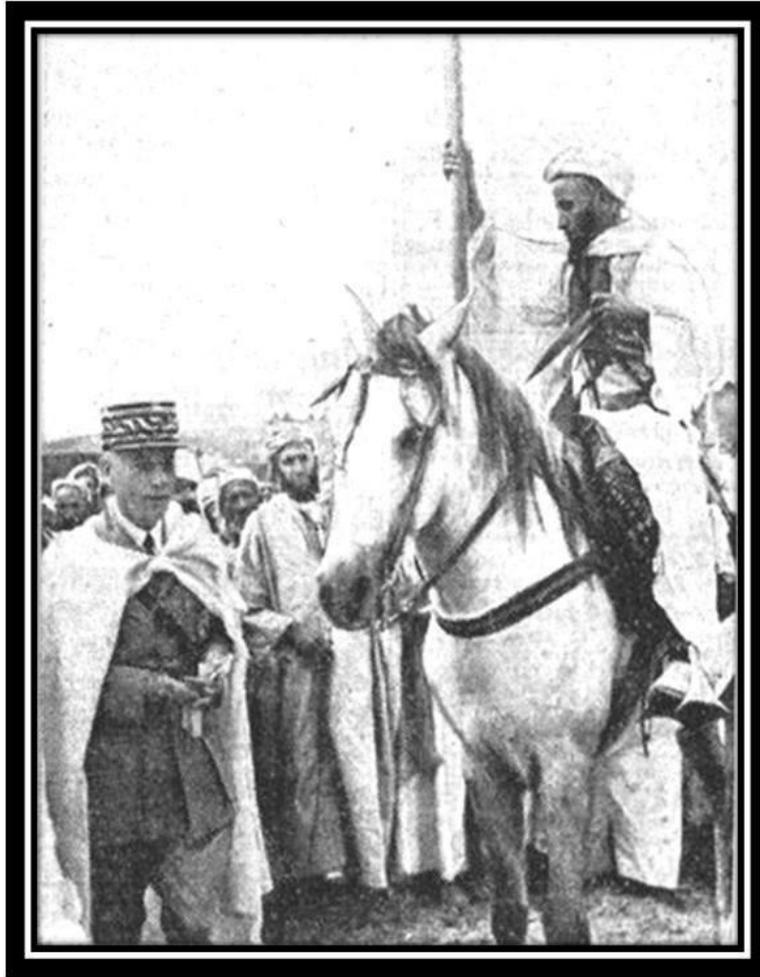
82 - نفسه، العدد 1330، 30 شتنبر 1916، ص. 2.

83 - جريدة العلم، العدد 176، 1 نونبر 1950.

للمعرفة حول عادات وطقوس وعوائد المجتمع المغربي ونذكر منهم على سبيل المثال: ميشو بيلير، وإدموند دوتي، وجورج دراك (سلمان)، وإيميل لاوست، ولويس ماسنيون، وليفي بروفنسال، وهنري دي كاستري، وادوارد مونطي، وجورج سلمون، وهنري باسي، وروبير مونطاني، وجاك بيرك. وتوصل هؤلاء الباحثون لمجموعة من الخلاصات، بمثابة خارطة طريق اتبعتها السلطات الفرنسية في تعاملها مع المواسم والزوايا والطرق الصوفية والقبائل، لذلك، نفهم سبب تعامل الإقامة العامة الفرنسية بنوع من الازدواجية مع أنشطة الزوايا والطرق الصوفية والمواسم، حيث تم حظر بعض المواسم، التي تعتبر في نظر سلطات الحماية بؤراً للتخريب السياسي، بينما تم تشجيع أخرى في المناطق الأكثر استقراراً من أجل ضمان وفائهم للإقامة العامة، والترويج للأطروحة الاستعمارية.

الصورة رقم3: فارس من زعير إلى جانب المقيم العام الفرنسي شارل نويس، بموسم شراكة

الرماني 1941⁸⁴.



2 - 2 أهمية المواسم في السياسة الدينية الاستعمارية الفرنسية

يرجع سبب تشجيع وإحياء الإقامة العامة المواسم، حرصها منذ 1912 على ترسيخ السياسة الإسلامية الفرنسية، كإحدى المداخل الأساسية لعمليات التهذيب، وإحكام السيطرة على البلاد بأقل التكاليف العسكرية والخسائر البشرية⁸⁵. وقد أدرك المقيم العام ليوطي أهمية المواسم كوسيلة من وسائل الاتصال المباشر بين الأهالي وأطر إدارة الاحتلال⁸⁶، وحرص ليوطي الربط بين تنظيم المواسم، وبين سيادة الاستقرار والأمن والفرح وسرور القبائل...⁸⁷.

ويعد إحياء وتشجيع المواسم جانبا من جوانب السياسة الفرنسية الإسلامية تجاه الأهالي، التي توضحها الخطب التي كانت الإقامة العامة مواظبة على إلقائها خلال تنظيم المواسم، كالخطاب الذي ألقاه حاكم ناحية تادلا بموسم بوجعد في 24 شتنبر 1916م، حيث أشار في هذه الخطبة، إلى دعوة المقيم العام الحكام العسكريين للإشتراك بالموسم المذكور، كونه تكريما لمدينة بوجعد، لأنها من المدن العزيزة الأثر بالمد والعلوم والكرامة ولشرفاءها ولاء خصوصي للدولة الفرنسية، وفرنسا تحب من أحبها ولا تنسى لأحد جميلا⁸⁸. كما نطلب من المولى سبحانه أن يديم جلالته أمير المؤمنين السلطان المعظم مولانا يوسف أيده الله ورجال الحكومة الحامية التي تحترم عوائد المسلمين⁸⁹.

ومن جهة أخرى، كانت سلطات الحماية تنظم المواسم لدليلا على استقرار الوضع، وانتشار الأمن ونهاية المقاومة. لذلك، كانت أطر الإقامة العامة تحرص على إظهار استقرار الأوضاع بدليل انعقاد المواسم وانتشار الاحتفالات. وكانت الصحف الناطقة باسم الإقامة العامة دائمة الإشارة إلى البعد الأمني⁹⁰. هذا البعد الأمني، نجده حاضرا بقوة في جميع المواسم التي ورد ذكرها في الصحف الناطقة باسم سلطات الحماية، وعلى سبيل المثال، أوردت جريدة السعادة مقالا حول موسمي سيدي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، وموسم سيدي علي بن إبراهيم بآيت عياض، ومن أهم ما جاء في نهاية

85 - جريدة السعادة، العدد 1099، 13 نونبر 1915.

86 - نفسه.

87 - نفسه.

88 - جريدة السعادة، العدد 1330، 30 شتنبر 1916، ص. 2.

89 - نفسه، العدد 3015، 14 أكتوبر 1926، ص. 4.

90 - نفسه، العدد 3230، 17 أبريل 1928، ص. 4.

المقال "... مر هذا الموسم "موسم مولاي عيسى بن إدريس" في غاية من الرونق والهدوء والسكينة ولم يظهر فيه ما يكدر الخواطر بفضل رجال المراقبة المحلية الذين قاموا احسن قيام بنشر الامن ومد رواق السكينة.⁹¹ ومن أهم ما جاء عن "موسم سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط، فقد مضت هذه الحفلة في غاية من السكينة والهدوء ولا ما يشوش البال والحمد لله، وذلك بفضل الولاة المحليين، لما قدموا به من حسن النظام لطلب الله أن يجعله موسما مباركا سعيدا⁹².

2 - 3 دور المواسم في الترويج للمشاريع الاستعمارية

من بين الأهداف المتوخاة من اهتمام الإقامة العامة من إحياء ظاهرة المواسم و الزوايا و الطرق الصوفية. رغبتها في إحداث تحولات اقتصادية كبيرة خاصة القطاع الفلاحي في الوسط القروي المغربي، ومساعدة المستوطنين الزراعيين بدعمهم تنمية الإنتاج الزراعي، وتسهيل تصريفه، وتسويق المنتجات الغذائية، والارتكاز على توسيع المساحات المزروعة ومضاعفة المواشي، وتحسين نوعية الإنتاج، وإدخال مزروعات جديدة، وإنشاء مؤسسات للقرض الزراعي⁹³.

وبما أن تنظيم إقامة أغلب المواسم يتزامن مع الانتهاء من جمع المحصول الفلاحي، فإن الإقامة كانت حريصة كل الحرص استغلال المواسم لحث الفلاحين على التأقلم مع الواقع الجديد، المتسم بتغلغل العلاقات الرأسمالية، والأنشطة الفلاحية العصرية، وبالتالي التخلي عن الفلاحة التقليدية المعاشية، التي لا تتماشى مع أهداف الاستغلال الاستعماري.

وركزت هذه الدعاية على المواسم التي تقام بأهم المناطق الفلاحية كموسم مولاي عبد الله أمغار بدكالة، وموسم سيدي الغلبي بالشاوية، وموسم سيدي سليمان بزغير وبني أحسن، وموسم سيدي محمد بن لحسن أجانا بتياسة... وكانت هذه المواسم مناسبة لإقامة مباراة لتربية الماشية، واستعراض مستجدات وأهمية الزراعة العصرية، إضافة إلى توزيع عدة جوائز تشجيعا على ممارسة الفلاحة الحديثة التسويقية، والاعتناء بتربية الماشية وتحسين حالتها، كما هو الحال بموسم بني

91 - نفسه.

92 - نفسه، العدد 3015، 14 أكتوبر 1926.

93 - نفسه، العدد 3147، 15 شتنبر 1927.

سمير في واد زم⁹⁴.

وكان يردد المقيمون العامون، خطبا في المواسم تصب في تشجيع النمط الرأسمالي الفلاحي، والاستيطان الزراعي خاصة في السهول الخصبة. وفي هذا الصدد، خاطب المقيم العام "اريك لابون" أهالي ناحية زعير، وبني أحسن في موسم سيدي صالح بن عمر، "...أنها ناحية مجتهدة في توفير الإنتاج، وهو يدرك أيضا أنها متوقفة على الآلات الميكانيكية الفلاحية..."⁹⁵.

وأشارت جريدة السعادة في هذا السياق، إلى أنه على هامش تنظيم موسم سيدي محمد الشرقي بأبي جعد، تقدم التلاميذ الناجحين في المدرسة الفلاحية لرئيس المراقبة الذي هنأهم بمناسبة نجاحهم⁹⁶. وخلال افتتاح موسم سيدي الغليمي، وجه المقيم العام "جوان" تنويها حارا إلى جميع فلاحي الشاوية الجنوبية، الدين أتت أعمالهم بنتائج طيبة⁹⁷.

الصورة رقم 4: استعراض الخيول بتادلا سنة 1942⁹⁸



وللإشارة، كانت سلطات الحماية تولي أهمية كبرى لتربية الماشية، وتنظم معارضا لهذه الغاية

94 - نفسه، العدد 3147، 15 شتنبر 1927.

95 - نفسه، العدد 6793، 7 أكتوبر 1946.

96 - نفسه، العدد 7590، 28 يونيو 1949.

97 - نفسه، العدد 7369، 27 شتنبر 1948.

بمناسبة انعقاد المواسم، وخاصة تربية الخيول التي شجعتها في سهل تادلا والغرب...، في المقابل همشت هذا النشاط في جبال الأطلس المركزي، وهو ما يفسر اليوم تضاعف عدد الخيول وانتشار الفروسية بسهل تادلا، مقابل تراجعها في جبال الأطلس المركزي⁹⁹.

وعموما، كانت الغاية المتوخاة من تنظيم المواسم القروية هي الدفع بالفلاحين المغاربة للتأقلم مع مستجدات الأوضاع بالبوادي التي تجسدت مظاهرها في تفلك البني القبلية وتجزؤ البنية العقارية وتعقيدها وتوجيه الإنتاج الفلاحي في اتجاه سد حاجيات المتروبول من المواد الغذائية والخام وتحصيل المزيد من الجبايات¹⁰⁰.

2 - 4 أهمية المواسم في خلق التوازنات بين الزوايا وسلطات الحماية والحركة الوطنية

كان مسعى الإقامة العامة من إحياء المواسم وطقوس الزوايا والطرق الصوفية، هو توظيف نفوذ هذه الزوايا في صراع سلطات الحماية ضد الحركة الوطنية والتيار السلفي، وتكوين جبهة مضادة تستهدف المشروع الوطني التواق إلى الاستقلال، حيث تشكلت نخبة حضرية ذات إيديولوجيات مختلفة، وربطت بين محاربة الاستعمار بمحاربة الطرقيين الداعمين للأطروحة الاستعمارية.

وكان التيار الإصلاحية الإسلامي، المسمى بالسلفية، يحث على العودة إلى تقاليد البداية الأولى للإسلام، وكان أول السلفيين المغاربة عبد الله بن إدريس السنوسي، وبوشعيب الدكالي وغيرهم، وكانت قضيتهم بعد الحرب العالمية الأولى، مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأهداف الوطنية المتمثلة في العودة إلى الإسلام الأصيل، وتطهير المغرب من تأثير العناصر الدخيلة عليه، وخاصة السلطة المسيحية الاستعمارية المتحكمة في ساكنة مسلمة. وقد أظهر هؤلاء عداء متزايدا تجاه المستعمر والممارسات المتعلقة بالطرق الدينية وتقديس الأولياء.

وكانت سلطات الاحتلال متوجسة منذ العشرينات من القرن 20م، من بروز نواة أولية للحركة الوطنية، ومن ثم عملت على تشجيع المواسم والطرق الصوفية والأولياء، بغية دفعهم إلى الانخراط

99 - Archives du Maroc, boîte, n° b 68, rapports politique mensuel, Avril 1926.

100 - جريدة الوداد، العدد 321، 07 شتنبر 1953.

- جريدة العلم، العدد 194، 26 أبريل 1947.

في المخطط السياسي، خصوصا عندما حدث تقارب بين الإصلاحيين والسلفيين والوطنيين، بسبب إدانتهم معا للزوايا وسلطات الحماية، مما ساهم في خلق علاقة ضمنية بين سلطات الحماية والطرق الدينية والزوايا.

هذا الإتفاق الضمني بين سلطات الحماية والزوايا، شبيه بالإتفاق الذي أبرمته السلطة الفرنسية مع كبار قواد الجنوب، ليحصلوا على هامش معين من الاستقلال في التسيير الذاتي، كمكافأة على إخلاصهم للإقامة العامة¹⁰¹. ولم تتشكل التحالفات بين هذه المجموعات الاجتماعية المختلفة بين عشية وضحاها، بل تطلب الأمر مسارا تداخلت فيه مصالح متبادلة.

هذا الواقع جعل ليوطي أثناء زيارته لبني زروال أواخر 1920م يوشح شيخ الدرقاوية محمد الدرقاوي بوسام جوقة الشرف كعربون على وفائه المثالي، وتتويجا لجهوده و تعاونه الممر مع قوات الاحتلال الفرنسي¹⁰². كما تم توشحه خلال سنتي 1925م و 1938م بوسام جوقة الشرف، لدفاعه عن السياسة الفرنسية¹⁰³. لقد اختار ليوطي الخطاب الديني كشكل تعبيري في مواجهة المتشبهين بخيار الجهاد والمقاومة، وسخر كافة الوسائل الناجعة لتجسيد ذلك الخطاب، والترويج له في أوساط النخبة والعامية ومنها الصحافة وجريدة السعادة على وجه الخصوص¹⁰⁴.

نتج عن تلك السياسة الأهلية الدينية الفرنسية، اصطفا ف بعض الزوايا إلى جانب الإقامة العامة في تطبيق مشاريعها وأهدافها، ودعت تلك مرديها إلى الانخراط في تطوير وإصلاح المجتمع إلى جانب فرنسا¹⁰⁵. وفي المقابل، عبرت العديد من الزوايا والطرق الصوفية في خطب علانية ملاقات خلال انعقاد المواسم عن التزام هذه المؤسسات الدينية في دعم مشاريع سلطات الحماية¹⁰⁶. وفي هذا السياق، استغل أبو بكر الدرقاوي مناسبة تنظيم الموسم الدرقاوي بزواوية أمجوط في أكتوبر 1938م، لإلقاء خطاب ورد فيه ما يلي: "أغتتم هذه الفرصة السانحة إلى اليوم لأؤكد من جديد عواطف

101 - Waterbury John, op. Cit. p. 48, 50.

102 - جريدة السعادة، العدد 2047، 26 فبراير 1920، ص. 24، 25.

103 - جريدة السعادة، العدد 2756، 10 يناير 1925؛ العدد 4598، 05 أبريل 1938؛ العدد 4598، 05 أبريل 1938.

104 - المصطفى الرئيس، اضاءات حول الزوايا والطرقية زمن الحماية، م. س، ص. 10، 11.

105 - جريدة السعادة، العدد 601، 30 أكتوبر 1912.

106 - نفسه.

ولأئنا الصادق لفرنسا ولجلالة السلطان العظيم".

وأردف قائلاً "... ففي هذه الأوقات العصيبة يمكن لفرنسا والمخزن السعيد الاعتماد على كافة فقراء طائفنا من أية ناحية أو جهة كانوا، وعلى مجهوداتي الشخصية في سبيل مساعدة حكومة الحماية بكل ما تطلبه مني¹⁰⁷، إني بالنيابة عن نفسي، وعن جميع الشرفاء وأخواني الحاضرين من كل ناحية، أقدم لسعادتكم تشكراتي على التفاتتكم نحو هذا الموسم السعيد، يمد يد المساعدة في جميع ما يحتاج إليه موسمنا من التموين وغيره، طالبين من الله أن يتم تحرير فرنسا في أقرب وقت، فلتكونوا سعادة الجنرال¹⁰⁸، وأتقين بإخلاصنا للمخزن السعيد في جميع الأحوال وليعتمد المخزن على هذه الطائفة"¹⁰⁹.

2 - 5 أهمية المواسم في مواجهة حركات التحرر والاستقلال خلال فترة الحماية

لعبت التحولات التي عرفها العالم خلال الأربعينيات من القرن 20م دورا في اهتمام الإقامة العامة بالطرقية والزوايا والمواسم، والتي طبعت الوضع الدولي والمحلي منها: هزيمة فرنسا أمام ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية، التي من شأنها تحرير مستعمراتها، حيث تصاعد مد الحركات التحررية على المستعمرات الفرنسية وتوظيف كافة أشكال النضال، وتبني السلطان محمد بن يوسف مطالب الحركة الوطنية. لذلك، شجعت الإقامة العامة وإحياء ظاهرة المواسم مواسم الأولياء والزوايا مظهر من مظاهر السياسة الإسلامية الفرنسية، لضمان ولاء شريحة مهمة من المجتمع.

هذا الوضع الدولي والمحلي الذي لم يكن يخدم مصالح فرنسا، دفع هذه الأخيرة إلى دعم بعض المتصوفة لتأسيس زوايا جديدة، كما هو الحال بالنسبة للشريف إدريس بن عبد العالي الإدريسي الودغيري، الذي لقي مساندة لتأسيس طريقة صوفية بقبيلة زعير، أطلق عليها اسم الطريقة

107 - جريدة السعادة. العدد 4760، شتنبر 1939، ص. 34.

108 - الجنرال سوفران، حاكم ناحية فاس.

109- خطاب ألقاه أمام أتباع طريقته، أثناء انعقاد الموسم الدرقاوي أكتوبر 1944 م بحضور الجنرال "سوفرات" حاكم ناحية فاس. أنظر:

جريدة السعادة. العدد 6235، 02 أكتوبر 1944.

العالية نسبة لأبيه عبد العالي¹¹⁰. كما أسس هذا الشريف حزب الأحرار الديمقراطي سنة 1952م، وضم في صفوفه أتباع الطريقة العالية، وثلة من اليهود والفرنسيين، وكان الهدف من تأسيس الطريقة والحزب، تكوين جبهة داخلية مضادة للسلطان وللمشروع الوطني الداعي للتحرر والاستقلال من جهة، وتأسيس أحزاب موالية لسلطات الحماية لتشكل بديلا عن الأحزاب الوطنية من جهة ثانية¹¹¹.

يهدف دعم الاحتلال للطريقة العالية الصوفية، رغبتها في التشويش على المشروع الوطني الداعي للاستقلال، إضافة إلى النيل من شخصية السلطان ورجالات الحركة الوطنية... لذلك، اقتنع الوطنيون والفدائيين أنه لا بد من وضع اسم الشريف الإدريسي ضمن لأئحة الشخصيات المستهدفة، حيث تعرض للاغتيال رميا بالرصاص بالقرب من منزله بتاريخ فاتح مارس 1955م... وهكذا، تفككت الطريقة العالية، وانحل الحزب الديمقراطي للرجال الأحرار¹¹².

وعموما، كان الفرنسيون يشجعون الطرق الصوفية في المغرب، ويعترفون بشيوخ الزوايا ويدعون إلى إحياء المواسم، محاولة منهم الحفاظ على التوازن بين القوى المختلفة في البلاد، خاصة بعد المعارضة التي أبان عليها الفقهاء السلفيين والحركة الوطنية، تجاه الطرق الصوفية والمواسم، وتجاه المشاريع التي تدعو إليها فرنسا¹¹³.

3 - مظاهر ودوافع منع بعض المواسم خلال فترة الحماية

ورغم التشجيع الذي كانت توليه سلطات الحماية والمخزن للمواسم والمهرجانات ما بين 1912-1956م، إلا أن هذا لم يمنع سلطات الحماية وأعاونها من المخزن، من منع إقامة العديد من المواسم، لأسباب غالبا ما تكون ذات طبيعة سياسية. وتشير الذاكرة الجماعية إلى إلغاء سلطات الاحتلال العديد من المواسم التي كانت تعتبر أنشطتها لا تتماشى مع سياسة الاحتلال، وخاصة مواسم "تاضا" أو العهد، التي كانت تحتفل فيها قبائل الأطلس المركزي، منها على سبيل المثال: موسم "تاضا" بين آيت شيكر آيت بوزيد، وآيت ويركان آيت عتاب¹¹⁴، وموسم العهد بين قبائل بني شكдал¹¹⁵.

110 - المصطفى الريس، إضاءات حول الزوايا والطريقة، م. س. ص. 84، 85.

111 - La liberté, N° 54, 20 December 1953.

112 - أحمد المكاوي، مادة "العالية"، معلمة المغرب، المجلد 25، ملحق ج. 2، ص. 187.

113 - Trimmingham John, op. Cit. P. 255.

114 - لا زال موسم "تاضا" أو الرضاعة، تنظمه قبيلة آيت ويركان التابعة لقبيلة آيت عتاب، وقبيلة آيت شكر التابعة لقبائل آيت بوزيد.

من بين المواسم التي منعتها سلطات الحماية أيضاً، تلك المواسم التي كانت تعقد لأغراض سياسية، وتنظيم شؤون القبائل وتنظيم مجالها، حيث كانت قبائل ايت أمالو تعقد موسماً بمناسبة تعيين "الجماعة" وشيخ القبيلة وتدبير أمورها. وقد أورد القبطان الفرنسي الجزائري سعيد كنون إشارات مهمة لمثل هذه المواسم في قبائل ايت أمالو قبيل الاحتلال الفرنسي للمنطقة مطلع القرن 20م¹¹⁶. ولم يقتصر هذا المنع وإلغاء تنظيم بعض المواسم على الأطلس المركزي، وإنما شمل العديد من جهات المغرب، وخاصة في بعض الفترات المتسمة بالحراك الشعبي والمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي وأعوانه من المخزن، ويعد حظر الفرنسيين لموسم مدينة صفرو عام 1931م، خير مثال على هذا الحظر¹¹⁷.

يبدو أن العوامل المفسرة لتدخل السلطات الفرنسية ومنعها إقامة موسم صفرو 1931م، في إعلان فرنسا الظهير البربر عام 1930م¹¹⁸، الذي كان يخدم السياسة الاستعمارية الفرنسية القائمة على مبدأ فرقة تسود. وكانت ردود الفعل إزاء هذا الإعلان، خروج احتجاجات عارمة في مختلف أنحاء المغرب، وبروز نواة أولية للحركة الوطنية المعروفة باسم حركة اللطيف¹¹⁹. ومخافة من فرنسا أن تستغل الحركة الوطنية الموسم المشار إليه، للترويج لأعمال المقاومة والتنديد بالسياسة الاستعمارية الفرنسية، عمدت إلى حظر إقامة موسم صفرو سنة 1931م¹²⁰.

أمام تزايد الاحتجاجات على الظهير البربري 1930م، تعالت صيحات ياللطيف، ياللطيف، في كل أنحاء المغرب، وجاء في تقرير (Geertz)¹²¹، أن سبب حظر الفرنسيين لموسم مدينة صفرو عام 1931م، هو

115 - لا زال موسم العهد تعقده قبائل بني شكдал بجماعة أهل المربع البرادية، إقليم الفقيه بن صالح.

116 - سعيد كنون، م. س. ص. 130.

117 - Geertz Clifford, Meaning and order in Moroccan Society, Cambridge, CUP, 1979, op. cit. p. 161.

118 - من أجل إخضاع القبائل الجبلية، وعد الفرنسيون القبائل المسماة بالبربرية، باحترام قوانينها العرفية، ولن يكونوا ملزمين بقوانين والقاضي والشريعة الإسلامية. أنظر: الظهير البربري، بتاريخ 16 ماي سنة 1930م.

119 - تسمى كذلك صلاة الاستسقاء باللطيف، وكانت تقام في فترات الجفاف أو المجاعة. وهي عبارة عن ابتهالات وأدعية تقرأ في المساجد والزوايا. وقد لجأ المغرب إلى هذه العادة عدة مرات في تاريخه، كرجاء لدرء الشر، أو طرد الغزاة، كما حدث عام 1911م. وأصبحت قراءة اللطيف ذات أبعاد رمزية سياسية. واتخذت سنة 1930م صبغة سياسية صريحة من خلال الكلمات المستعملة: "اللهم يا لطيف نسالك اللطف بما جرت به المقادير ولا تفرق بيننا وبين اخواننا البرابر". أنظر:

- Geertz Clifford, op. Cit. p. 161.

120 - Ibid.

121 - Ibid.

تخوفهم من الاستخدام السياسي لقراءة اللطيف من طرف الوطنيين، كما حاولوا فعل ذلك 1930م¹²². كان هذا الحظر بمثابة رد فعل سلطات الحماية، على اندلاع احتجاجات عارمة من طرف ساكنة الحواضر الكبرى. واللافت للانتباه في هذه الاحتجاجات، انخراط حشود أتباع الطرق الصوفية والأولياء وشيوخ الزوايا والفقهاء في المظاهرات جنباً إلى جنب مع قادة الحركة الوطنية¹²³.

ومن بينها أهم المواسم الأخرى التي منعت فرنسا تنظيمها، موسم سيدي لحسن بالأطلس المتوسط، وكان سبب منع تنظيمه شعور سلطات الاستعمار بتقارب بين قبائل آيت يوسي بالأطلس المتوسط وحفدة الولي المقربة من القايد العربي، ونتج عن هذا التقارب، نمو شعور مناهض لما هو فرنسي، وتزايد أعمال التخريب، فقررت فرنسا منع انعقاد موسم سيدي لحسن¹²⁴.

وللإشارة، فإن قائد قبائل آيت يوسي بالأطلس المتوسط "القائد العربي" المعروف بالصرامة، كان مقرباً من الفرنسيين، وكان يحسن لحفدة الولي سيدي لحسن، وعندما نفي السلطان محمد الخامس سنة 1953م، أمر القايد العربي، بإقامة صلاة الجمعة باسم السلطان الجديد محمد بن عرفة، لكن لم يستطع إظهار عدم وفائه للسلطان المغربي المنفي، الذي يعتبر في نفس الوقت أميراً للمؤمنين. وفي الوقت الذي كان على الإمام أداء الصلاة باسم السلطان الجديد، انتابه سعال منعه من أداء الصلاة، لكن القايد لم يسامحه، فطرده، وجاء بإمام جديد، الذي قاوم بدوره طلب القائد الصلاة باسم ابن عرفة. هذه المقاومة الرمزية للإمامين، لقيت تضامناً واسعاً من طرف حفدة الولي سيدي لحسن¹²⁵.

نتساءل كيف يمكن فهم موقف عدم إخلاص حفدة الولي سيدي لحسن تجاه القائد العربي المتعاطف معهم؟ يمكن تفسير هذا التساؤل، في كون حفدة الولي سيدي لحسن من الشرفاء، لذلك يدعون نفس شرعية السلطان الدينية والشريفية من جهة. ورفض قبائل آيت يوسي من جهتها

122 - Ibid.

123 - أعلن قادة الحركة الوطنية عن تأسيس حزب الاستقلال بتاريخ 11 يناير 1934، بعد ضمانهم دعم السلطان لهم... وكان الحزب يضم أعضاء من الحزب الوطني السابق، وشخصيات مستقلة، وكانت أهم أهداف قادة الحزب المطالبة باستقلال المغرب تحت رعاية جلالة الملك محمد بن يوسف أنظر:

- Waterbury John, op. cit. p.48, 60.

124 - Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 167, 171.

125 - Ibid.

المس بالسلطان رمز الوحدة الوطنية من جهة ثانية. لذلك، حدث تقارب بين قبيلة آيت يوسي وحفدة سيدي لحسن المقربة من القايد العربي، ونتج عن هذا كله، نمو شعور مناهض لكل ما هو فرنسي، وتزايدت أعمال المقاومة، فقررت فرنسا منع انعقاد موسم سيدي لحسن¹²⁶.

غير أن منع إقامة المواسم لم يكن دائماً لأسباب سياسية، وإنما قد يكون لأسباب اقتصادية واجتماعية، وعلى سبيل المثال: عندما كانت المحاصيل الزراعية ضعيفة للغاية سنة 1955م، تقدم كبار قبيلة آيت يوسي بطلب إلى القايد العربي لتنظيم الموسم، لكن القايد لم يوافق على الفور، وبعد تردد كبير، رخص في النهاية لإقامة الموسم، إلا انه في الليلة الثانية للموسم، تم إلقاء قنبلة في خيمة القايد العربي، ولحسن حظه لم تنفجر تلك القنبلة. لذلك، نفهم أن تلك الاحتياطات والتخوفات التي كانت تشعر بهما السلطات الفرنسية تجاه التجمعات الكبرى كانت واقعا حقيقيا¹²⁷. ونعتقد في هذا السياق، أن الأسباب التي كانت وراء منع انعقاد العديد من المواسم، خشية فرنسا من حدوث أعمال فدائية، ولهذا السبب يمنعون انعقاد بعض المواسم.

بيد أنه، عندما يحصل تقارب بين الوطنيين والإصلاحيين، كانت سلطات الحماية تتحالف مع الزوايا، وتضمن شيئاً من إخلاصها، مقابل تقديم ضمانات لاستقلالها. لقد استثمر الفرنسيون المواسم في المناطق الخاضعة للمخزن لفترة طويلة مادياً ورمزياً، فيمنحون للباس فرسان التبوريدة، ويوفرون مسحوق البارود لممارسة الفانتازيا، إضافة إلى تقديم المشورة للفلاحين والقرويين، وحثهم على تخصيص استقبال لأئق للمعمرين، كما حدث في موسم مولا قبتين بالغرب سنة 1946م¹²⁸.

4 - مواقف الحركة الوطنية من المواسم خلال فترة الحماية

كان أغلب أعضاء الحركة الوطنية ينظرون إلى وطقوس الحركات الصوفية والطرقية خلال المواسم، كممارسات تتنافى مع الدين الإسلامي، وخاصة طقوس الشطح والرقص والسماع والذبيحة في الأضرحة. لذلك توجهت بالنقد اللاذع لمواسم الزوايا والطرق الصوفية، باعتبارها أبرز تجليات

126 - Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 159, 160, 161.

127- Ibid.

128 - Ibid.

التخلف الديني¹²⁹.

لقد استنكر غالبية أعضاء الحركة الوطنية انعقاد المواسم، وخاصة مواسم الزوايا والأضرحة، حيث اعتبروها من اخترع أهل الشعوذة، سواء مواسم البوادي والحواضر، وقد ألزموها على أنفسهم حتى صارت عندهم كأنها معلومة من الدين بالضرورة، يندزون إليها النذور ويأتونها من كل فج عميق ليقضوا فيها مناسك الفجور¹³⁰. وحسب وصف أعضاء الحركة الوطنية، فإن هذه المواسم تتضمن "مناظر يشتمز منها الإنسان ويثور لها الضمير، وتتبرأ منها الإنسانية والدين والأخلاق مثل منظر النافقة التي تجول شوارع المدينة وعليها الحجب والتمايم والناس تتمسح بها... ومنظر اختلاط الرجال والنساء وارتكاب النواهي والمحرمات داخل ضريح الولي وخارجه بدعوى الزيارة والتبرك... ومنظر القرابين تقدم للأولياء والنبى عليه السلام يقول لعن الله الذبائح لغير الله، ودمه يضاربون عليه بالعصي ويتزاحمون بالمناكب اعتمادا منهم انه من فاز بشيء من اللحم والدم فاز بشيء عظيم¹³¹. إلى جانب ذلك، وظف الوطنيون الإرث المخزني لمواجهة الزوايا لذا عملوا على توظيف الإرث السلطاني من خلال إعادة نشر خطبة المولى سليمان القاضي بتحريم طقوس الزوايا ومواسمها، مما يعني إعادة استنساخ كل النسق السلفي الوهابي الذي يتعارض مع توجهات الطرقيين، وإعادة التذكير بالأمر السلطاني الذي صدر سنة 1933م القاضي بمنع مظاهرات بعض الطرقيين¹³². شكل الموقف الرافض الذي تبنته الحركة الوطنية تجاه أنشطة الزوايا والطرقيه خاصة المواسم، سببا مباشرا في تزايد الصراع الدائر بين الوطنيين والزوايا، وأفرز ردود فعل قوية وعنيفة وصلت إلى حد التصفية الجسدية كاغتيال شيخ الطريقة العالية الشريف الإدريسي بن عبد العالي¹³³، واغتيال مقدم الزاوية الكتانية بالبيضاء أحمد بن الحسن الكتاني العمراني رميا بالرصاص¹³⁴. لقد استغل حزب الاستقلال بدوره التيار الإصلاحى المتصاعد، لإدانة الزوايا وتقديس الأولياء كما

129 - جريدة الأطلس، العدد 34، 07 أكتوبر 1937.

130 - نفسه

131 - جريدة العلم، العدد 147، 01 مارس 1947؛ جريدة الرأي العام، العدد 42، 19 فبراير 1948.

132 - علل الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، منشورات عبد السلام جسوس، طنجة 1948، pdf، ص. 134.

133 - جريدة الوداد، العدد 469، 26 فبراير 1953؛ العدد 482، 13 مارس 1953.

134 - جريدة الوداد، العدد 469، 26 فبراير 1953؛ العدد 482، 13 مارس 1953.

فعل السلفيون. ومن المفارقات في عملية استقطاب الجماهير من طرف حزب الاستقلال، اعتماده على مصطلحات تعود إلى تقديس الأولياء، وفي نفس الوقت ندد بالزوايا من أجل إقصائها، بحجة أن حزب الاستقلال هو النسخة الأصيلة للمذهب الصوفي، كما أن تنظيمه يقوم على نموذج الطرق الدينية¹³⁵.

وهكذا لقت النواة الأولى لحزب الاستقلال بزعامة شيخها علال الفاسي بالزاوية، وكان يسمى أعضاء المجموعة بالعلالية أو العلاليين، بينما كانت تلقب فروع الحزب "بالطائفة"، وينادي الأعضاء بعضهم البعض بالأخ، ويحاولون بناء هياكلهم التنظيمية الحزبية باستغلال المنهج الصوفي، وفي نفس الوقت، يدينون الممارسات المبتدعة، والدعوة إلى التشبع بالتعاليم الدينية الصحيحة البعيدة عن البدع والشعوذة. وهكذا يحاول الوطنيون بهذا ملائمة مفرداتهم وهياكلهم التنظيمي مع التنظيمات الدينية الشعبية، ويقربهم في نفس الوقت من تيار الإصلاحيين السلفيين¹³⁶.

ومن المبررات التي ركزت عليها الحركة الوطنية للضرب في أنشطة الزوايا وخاصة المواسم، دور هذه المواسم في تفاقم معاناة المغاربة، بسبب تكاليف إقامة المواسم، حيث كانت سلطات الاحتلال تحشد الآلاف وتجبرهم على الحضور في احتفالات المواسم، فقد كان الفلاح مضطر لمغادرة خيمته وهو كثيرا ما يترك بهائمهم ومصالحه عرضة للضياع، ويلزم بالمجيء إلى الموسم ليصرف فيه ما تبقى لديه مما خلفته الضرائب والسلف والأتاوى¹³⁷. كما أرغمت سلطات الاحتلال الأهالي خاصة سكان البوادي على تمويل المواسم وتجهيزها¹³⁸.

يذكر أعضاء الحركة الوطنية بمعاناة المغاربة، بسبب المواسم التي زادت من تفكير سكان البوادي، وزاد الوضع الاجتماعي تدهورا نتيجة الاضطهاد والإرهاق من الخدمة الإلزامية عند المعمرين والعمل الإجباري لإصلاح الطرقات وضريبة الترتيب، ودفع القمح والزيت وجميع ما أنتجوه خلال السنة¹³⁹.

135- Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 167, 171.

136- Ibid.

137 - جريدة العلم، العدد 725، 06 يناير 1949.

138 - نفسه.

139 - جريدة الرأي العام، العدد 71، 08 شتنبر 1948.

حسب ما نشرته الجرائد الناطقة باسم الحركة الوطنية أن إقامة المواسم، فقد زاد من معاناة السكان وإلزامهم بالتكاليف الباهظة وشراء الخيول والسروج المذهبة والخيام الفخمة والثياب اللامعة ودفع المصاريف¹⁴⁰. بل إن الأكثرية الساحقة من القائمين بهذه المواسم مرغمون على ذلك إرغاما من لدن رجال الإدارة والسلطة المحلية، التي عملت على إحياء هذه السنن المنكرة¹⁴¹.

حسب الجرائد المشار إليها، لم تنج ناحية من نواحي المغرب من مصيبة المواسم التي ترهق رجال البادية بما يلزمون بأدائه بهذه المناسبات من بهائم وأموال، وما يضيعونه من أوقات ويتركون مصالحهم فيها عرضة للضياع¹⁴². بل فرضت سلطات الاحتلال "ألف فرنك، بدعوى أنها من بقية مصاريف الموسم الخاصة بشخصية الشيخ، يتحملها المساكين يوم الموسم مرغمين على ذلك¹⁴³.

وفي هذا الإطار، كان "يأخذ عن كل زوجة للفلاح المغربي مدا ونصف مد من الزرع باسم موسم مولاي إدريس، وكل من امتنع يكون جزاؤه العقاب¹⁴⁴. ولم يبق بيد أهل البادية ما يتعشون به يأتي دور المواسم الذي يلعب أكبر دور في ابتزاز الأموال من الفلاح، إذ يلزم المسكين بشراء الفرس إن لم يكن له فرس، كما يلزم بإسراجه بأثمان باهظة، زيادة على مؤونته اليومية¹⁴⁵.

واعتبرت جريدة العلم، أن تنظيم المواسم "أسلوبا من أساليب سياسة التفجير، وفرصة سانحة للإقطاعيين والانتفاعيين ومصيبة وبلاء على سكان البوادي، وانتقدت إحياء بدعة المواسم المندثرة التي عمت ونشطت في هذه الأيام، فكم من موسم تلاشى ذكره فصمم المسؤولون على إحيائه ولكن بصورة يغمرها النهب والاستغلال و الفساد¹⁴⁶.

5 - واقع المواسم بعد تحالف الحركة الوطنية مع السلطان

ترتب عن التطورات التي عرفها المغرب والعالم خلال الأربعينيات، ظهور بوادر تحالف السلطان

140 - جريدة العلم، العدد 929، 01 شتنبر 1949.
141 - جريدة الرأي العام، العدد 71، 08 شتنبر 1948.
142 - جريدة العلم، العدد 1924، 29 شتنبر 1952.
143 - جريدة العلم، العدد 1278، 13 أكتوبر 1950.
144 - جريدة الرأي العام، العدد 166، 01 شتنبر 1950.
145 - جريدة العلم، العدد 1274، 08 أكتوبر 1950.
146 - جريدة العلم، العدد 1919، 24 غشت 1952.

محمد بن يوسف والحركة الوطنية ضد الطرق الصوفية ومواسمهم، لهذا نشرت جريدة العلم الظهير السلطاني يونيو 1946م الذي جاء فيه: يعلم من ظهيرنا هذا الراجع لسماء السنة المطهرة عمدا الموضح في سبيل الرشاد والحق مقصدا أنه نضرا لقيام بعض المشعوذين بتأسيس الطرق دون كفاءة وأهلية وادعاء المشيخة...¹⁴⁷

لقد صرح السلطان محمد بن يوسف عن موقف معاد للطرقية والصوفية والزوايا ومواسمهم، وقد نعتهم بأقبح النعوت من قبيل المشعوذين، وأدعياء المشيخة كذبا وزورا دون كفاءة وأهلية... لذلك، ضيقت إجراءات الصدر الأعظم سنة 1946م الخناق على تنقلات ورحلات شيوخ الزوايا والطرق الصوفية والمواسم¹⁴⁸. وبشعور شيوخ الزوايا والأولياء بأنهم مستهدفين من السياسة الدينية الجديدة للسلطان، ونفس الإحساس تقاسمته معهم السلطات الاستعمارية على أساس أن المستهدف هو حليف استراتيجي لها، ظلت تراهن عليه في أحلك فترات الحماية...

وهكذا، عمدت الإقامة العامة إلى عدم نشر الظهير السلطاني بالجريدة الرسمية، وتجاهلت تفعيل بنوده، وذلك من خلال السماح لشيوخ الزوايا بالتنقل بحرية، والاتصال المباشر بالأتباع وجمع الزيارات، ودعم تأسيس الزوايا، وإقامة المواسم، وإحياء الطقوس الطرقية، بذريعة احترام أشكال التدين لدى المغاربة¹⁴⁹. وتجدر الإشارة، أن الزوايا والأضرحة والمواسم تواجه أحيانا تهميشا وعدم اهتمام من قبل سلطات الاحتلال في الفترات التي تعتقد فيها الإقامة العامة، أنها حققت أهدافها من استغلال الزوايا من السيطرة على المغرب. لذلك، تنكرت لأغلب شيوخها وأصبحت تراقب تحركاتهم، وتهميش الدور السياسي للزوايا استندوا في ذلك إلى بعض التقارير الاستخباراتية، التي حررها ضباط الشؤون الأهلية والمراقبون المدنيون...¹⁵⁰.

بيد أن سلطات الحماية عمدت إلى تشجيع الزوايا وزيارة الأضرحة وإقامة المواسم، حينما ترى

147 - جريدة العلم، العدد 21، 05 أكتوبر 1946.

148 - المصطفى الرئيس، إضاءات حول الزوايا والطرقية، م. س، ص. 70.

149 - نفسه.

150 - أنظر: - عكاشة برباب، "الزوايا والطرقية في مخطط الإقامة العامة"، في: مجلة أمل، عدد مزدوج 22، 23، 2001، ص ص. 90، 91.

92، 93.

- روني برونيل "الطرقية والزوايا بالدار البيضاء خلال فترة الحماية"، ترجمة صالح شكاك، في: مجلة المناهل، العدد 82، 83، 2007.

ص. 427.

ضرورة في ذلك، حينما تحس بتزايد قوة الحركة الوطنية، وخاصة عندما تمكنت الحركة الوطنية من إخراج السلطان من حياده إزاء الصراع الطرقيين والوطنيين، وحرصت على خلق نوع من التقارب معه في صراعها مع الطرقية، بتوظيف رأسماله الرمزي لتحويل معادلة الصراع لصالحها، فالسلطان أمير المؤمنين يجب طاعته باعتباره مرجعا دينيا وحيد الأمة.

6- مواقف التيار السلفي من المواسم والزوايا والطرقيه

تأثر المغرب عامة بأفكار التيار السلفي بالمشرق العربي منذ القرن 19م، لذلك اعتبر هذا التيار الفكري الطرق الصوفية والمواسم رمزا للتخلف والبدع التي تزيد من انحطاط الأمة¹⁵¹. ونشرت جريدة الأطلس مقالا لها في هذا الموضوع أشارت فيه إلى "ما وصل إليه المغرب في طور الحماية من الضعف والتأخر، وما صارت إليه العقول من الخرافات والجمود، بسبب الزوايا والطرقيه، التي أبعدت البلاد عن الإسلام الأصيل الذي نبذ سائر البدع، والذي ارتكزت تعاليمه على الحق الذي تنير العقول، ويحث على التطور بتطور الأزمان، فكان من نتائج ذلك نومة وسكون وداء عضال يحتاج إلى أطباء ماهرين ومجددين، قادرين ينقلونه من حالة الجمود إلى حالة التفكير والانتباه"¹⁵².

ولإشارة، فالحركة السلفية في المغرب تحولت من سلفية تقليدية وهابية الطابع، إلى سلفية وطنية مناضلة، كونت الجيل الأول من الحركة الوطنية، وقدمت لهم الأساس الفكري لتطلعاتهم النهضوية والتحديثية ومواقفهم السياسية. لقد شنت السلفية المغربية حربا مستمرا على الذين اتخذوا القبور حرما ومعابد، فبنوا عليها المساجد والمشاهد، وزخرفوها بما يجاوز حد السرف بمراتب، و إيقاد السرج في تلك القبور ككنائس النصارى، وسوق الذبائح إليها، وإراقة الدماء على

151- أحمد المكاوي، المغرب في تاريخه المنسي، جوانب من تاريخ المغرب الحديث، منشورات جذور النشر، الرباط، 2006، ص 21-41.

152 - جريدة الأطلس، العدد، 28، 26 غشت 1937.

152- عبد الجليل بادو، السلفية والإصلاح، منشورات سيليكسي إخوان، طنجة، ط. 2007، ص. 271.

152 - جاك بيرك، "الإصلاحية الإسلامية في المغرب العربي فضاءات وأزمة"، ترجمة العربي الوافي، في: مجلة المناهل، العدد، 61، 2000، ص. 57.

152 - عبد الجليل بادو، م. س، ص. 273.

152 - المكّي الناصري، إظهار الحقيقة وعلاج الخليفة، تحقيق، محمد برعيش الصفرى، منشورات السبيل تونس 1925، pdf ص .

175 ، 176 ، 179 ، 180 ، 181.

جدرانها والتمسح بها، وحمل ترابها تبركا والسجود لها وتقبيلا¹⁵³.

يعتبر المكي الناصري من بين رواد الحركة السلفية الذي كان لهم دور في محاربته المواسم وبدع الطرقيين المتنافية لما جاء في الشرع، وتنتهك عقيدة التوحيد حسب قوله¹⁵⁴. ومن المؤكد أن الطرقيين المعنيين من لدن الناصري هم أساسا العساويين والحمدوشيين والهداويين¹⁵⁵. تقدم الحركة السلفية مبررات عديدة شكلت أساس محاربتها للمواسم، منها: أن هذه التظاهرات يختلط فيها الحابل بالنابل، وصالح الأخلاق بفاسدها، و تنظر إليها باعتبارها تهتكا شنيعا وخلاعة فاضحة وإخلال بالآداب، واستهتارا بالأخلاق ومجونا فاحشا مما يآباه الدين، فتقصدها العانس لتتزوج والعافر لتلد والعزب ليتزوجوا ويلتقي كل صاحب حاجة، فإذا هو موسم الدعارة والمجون السافل، تروج فيه بضاعة الخمارين والمتسببين في الأعراض ويرتكب فيها مما يندى له الجبين فلا وقار ولا عرض ولا مروءة، بينما انقلبت كل خيمة تقريبا إلى حانة يشرب فيها الخمر جهارا ويرتكب فيه الوزر نهارا¹⁵⁶.

وعموما، رفضت الحركة السلفية كل ما لا أصل له في الكتاب والسنة، وما لا إجماع عليه في أقوال السلف من الممارسات البدعية للطرقيين، بحيث جعلوا أياما من السنة، يتناولون فيها اللحوم النيئة والطواف في الأسواق ودق الطبول والنفخ في الأبواق وتلطix الثياب بالدماء المسفوحة طول يومهم الذي يكونون فيه قرناء الشيطان، مع أكل الزجاج والشوك والحيات والعقارب وشرب القطران¹⁵⁷. يمثل المستوى المضر للتيار السلفي المغربي الرهانات الدينية والاجتماعية والسياسية للسلفية، إذ لا يخفى أثر الدعوة السلفية بالمشرق في نهوض الحركة السلفية المغربية، حيث تشكلت حركة الأفغاني وعبده، ورشيد رضا الفكرية والدعائية والعلمية، نقلة نوعية في مسار

153 - نفسه، ص. 175، 176، 179، 180، 181.

154 - نفسه، ص. 175-176-179-180-181.

155 - المكي الناصري، م. س، ص. 175-176-179-180-181.

156 - جريدة المغرب، العدد 78، 05 أكتوبر 1937.

- جريدة العلم، العدد 138، 19 فبراير 1947.

- جريدة العلم، العدد 1169، 8 يونيو 1950.

157 - المكي الناصري، م. س، ص. 181، 182.

الحركة السلفية ذات الامتداد الوهابي¹⁵⁸.

وما يعاب السلفيين ومنهم المكي الناصري التعميم المنطقي في الأحكام السلبيه على الطرقيين، رغم ما يتميز به بعضهم من الورع والزهد والعفاف والصدق، ومنهم: أحمد الهيبه الذي عاصر المكي الناصري، والشيخ عبد الرحمان الدرقاوي، الذي كان عالما صوفيا فقيها من أهل الفضل والمجد... وإخمد الفتن¹⁵⁹ والشيخ عبد الحي الكتاني، الذي تبحر تبحرا في علوم الحديث والتاريخ¹⁶⁰.

- ردود فعل الفرنسيين من خطاب الحركة السلفية المناهض للزوايا والمواسم

على الرغم من تصاعد الحركات السلفية في المغرب، باعتبارها حركات إصلاحية، تدعو إلى نبذ الحركات الصوفية وأنشطتها، لكونها تتخللها طقوس وعادات غير إسلامية. بيد أن سلطات الحماية حرصت على استمرارية للحركات الصوفية في المغرب، من أجل خلق نوع من التوازن بين مختلف القوى السياسية والدينية في البلاد، لذلك تسامح الفرنسيون، بل وشجعوا مختلف أشكال التعبير الديني الصوفي¹⁶¹.

كان الفرنسيون يشجعون الطرق الصوفية في المغرب، ويعترفون بشيوخ الزوايا ويدعون إلى إحياء المواسم، محاولة منهم الحفاظ على التوازن بين القوى المختلفة في البلاد، خاصة بعد المعارضة التي أبان عليها الفقهاء، تجاه الإصلاحات، والتحديث الذي تدعو إليه فرنسا¹⁶².

كانت الإقامة العامة تدرك كل الإدراك أن المعتقدات والتقاليد والطقوس المرتبطة بالطرق الصوفية، كانت تمارس تأثيرا قويا بين شرائح التركيبة الاجتماعية للمجتمع المغربي، مثلما أدرك أن الذين تزعموا حركة الجهاد والمقاومة ضد الغزو الفرنسي، كانوا يضعون البعد الديني على رأس الدوافع التي تؤكد شرعيتهم لتحقيق مطالب لا تحيد عن مقاصد الشريعة¹⁶³.

وعلى سبيل المثال، اختارت الإقامة العامة في عهدي المرشال ليوطي والجنرال نوكيس الخطاب

158 - أحمد المكاوي، م. س، ص. ص. 21-41.

159 - عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي، معجم الشيوخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص. 192.

160 - جريدة السعادة، العدد 4809، 23 نونبر 1930.

161 - Trimingham John, op. Cit. p. 255.

162 - Ibid.

163 - المصطفى الريس، إضاءات حول الزوايا و الطرقية زمن الحماية، م. س، ص. 10.

الديني كشكل تعبيرى في مواجهة المتشبهين بخيار الجهاد والمقاومة، وسخر كافة الوسائل الناجعة على تجسيد ذلك الخطاب والترويج له في أوساط النخبة والعامّة ومنها الصحافة وجريدة السعادة على وجه الخصوص¹⁶⁴.

وقد نتج عن تلك السياسة الأهلية الدينية، أن سارعت بعض الزوايا إلى الإصطفاف إلى جانب ليوطى في تطبيق مشاريعه وأهدافه، ودعوة مريديها إلى الانخراط في تطوير وإصلاح المجتمع إلى جانب فرنسا¹⁶⁵، طالما أن جمهورية فرنسا اتصفت بالحنان والشفقة والوقوف على الحدود وحفظ العهود وتأمينكم على أنفسكم وأموالكم وأعراضكم... واعتبروا الاحتلال قدرا لا مفر منه¹⁶⁶.

ومجمل القول، إن سياسة سلطات الحماية فيما يتعلق بالمواسم الاحتفالية ما بين 1912-1956، اتسمت في الغالب بالدعم والتشجيع، ومن مظاهر ذلك، الزيارات المتكررة للمقيمين العامين للمواسم الاحتفالية، والحضور الوازن، لممثلي سلطات الحماية وأعوانهم من المخزن، وإشرافهم على تنظيم المواسم الاحتفالية.

وقد تعددت العوامل المفسرة لاهتمام سلطات الحماية بالمواسم الاحتفالية وتشجيع تنظيمها، أبرزها دور مواسم الزوايا والأضرحة في ترسيخ السياسة الإسلامية والفرنسية، استجابة لخلاصات الأبحاث الأنثروبولوجية والسوسولوجية، التي أوصت بضرورة الاهتمام بالمواسم، لتسهيل السيطرة على المغرب، وتحقيق الاستقرار.

إلى جانب ذلك، شكلت تظاهرات المواسم بالنسبة للمستعمر مناسبة لإحداث تحولات اقتصادية كبيرة، خاصة في القطاع الفلاحي، في أفق تسهيل الاستيطان والاستغلال الاستعماري. ومن الأسباب الأخرى التي دفعت السلطات الفرنسية إلى الاهتمام بالمواسم، دورها في إضعاف مخططات الوطنيين والسلفيين المناهضة للاستعمار الفرنسي، ومواجهة انتشار كل حركات التحرر والاستقلال.

ومن بين الخلاصات الأخرى التي استخلصناها في هذا المبحث، أن السياسة الفرنسية تجاه المواسم الاحتفالية، لم تكن دائما تحظى بالتشجيع والدعم، وذلك من خلال تدخلات السلطات الفرنسية في

164 - نفسه، ص. 10، 11.

165 - جريدة السعادة، العدد 601، 30 أكتوبر 1912.

166 - نفسه، العدد 601، 30 أكتوبر 1912.

أكثر من مناسبة لمنع تنظيم بعض المواسم الاحتفالية بالأطلس المركزي على غرار باقي مناطق المغرب. ويمكن تفسير السياسة الراضة لإقامة المواسم، كون بعضها تهدد المصالح الفرنسية بالمغرب، بحيث كانت المواسم فرصة للوطنيين لإشاعة ونشر الأفكار المناهضة للاستعمار الفرنسي.

والملاحظ، أن هناك انقساماً في مواقف رواد الحركة الوطنية تجاه المواسم والزوايا والطرق الصوفية حسب المرجعية الفكرية لكل تيار. غير أن الموقف السائد آنذاك هو الراض لكل الطقوس وأنشطة الزوايا، بما فيها المواسم الاحتفالية، باعتباره من جهة، بدعة تتنافى مع تعاليم الدين الإسلامي، وتكرس التخلف، ومن جهة أخرى، آلية من الآليات المعتمدة من طرف سلطات الحماية لتنفيذ سياساتها الاستعمارية بالمغرب.

وأمام تسارع الأحداث بالمغرب خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، وتزايد نفوذ التيار السلفي داخل الأحزاب الوطنية، وتزايدت معه المعارضة القوية للمواسم والزوايا والأضرحة، خاصة بعد التنسيق بين السلطان والحركة الوطنية، ضد الطرق الصوفية والمواسم، ويمكن تفسير هذه التطورات في المواقف بتأثر المغرب بالفكر السلفي المتشدد. هذا الوضع، دفع سلطات الحماية إلى اتخاذ موقف صارم ومناهض للحركة الوطنية والتيار السلفي المناهضين للزوايا والمواسم والاستعمار معا.

البصمُ الثالثُ: الدولة والمواسم والمهرجانات خلال النصف الثاني من القرن

20م

اتسمت سياسات الدولة، تجاه المواسم في الغالب بالدعم والتشجيع بعد الاستقلال 1956م، ومرد هذا التشجيع في نظرنا، إلى تداخل وتفاعل وأهمية عوامل دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية، إلى درجة حاولت الدولة في عهد الملك الراحل الحسن الثاني جعل احتفالات عيد العرش موسما سنويا على غرار الموسم الاحتفالية.

إن الدعم المادي والمعنوي الذي تقدمه الدولة للمواسم والمهرجانات مع مطلع القرن 21م، يمكن فهمه في إطار التوجهات الجديدة التنموية للسلطات تجاه احتفالات المواسم، والأدوار السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية الجديدة، التي يراد للمواسم المعاشة أن تلعبها، بما فيها احتفالات الهيلولة أو مواسم الطائفة اليهودية.

1 - سياسة الدولة تجاه المواسم والمهرجانات من سنة 1956 إلى غاية سنة 2000م.

كانت الدولة بعد نيل المغرب استقلاله سنة 1956م حريصة على تشجيع وإحياء ظاهرة المواسم، وخاصة بعد تدهور العلاقة بين النظام الملكي، وبعض قادة الحركة الوطنية الداعين إلى محاربة المواسم والطرقية، والمطالبين بديمقراطية حقيقية، ومن تم لجأت السلطات إلى تشجيع وإحياء مواسم الأولياء والطرقية.

في هذا السياق، تمكن المغفور له الملك محمد الخامس، بإعادة ربط علاقات مع حلفائه وشركائه الدينيين منهم العلماء وشيوخ الزوايا والأسر الشريفة، بفضل تبنيه سياسة تشجيع المواسم والزوايا بعد حصول المغرب على الاستقلال سنة 1956م¹⁶⁷. لذلك، أعاد الاعتبار للزوايا والطرقية والأضرحة ولأنشطتهم وخاصة المواسم، واستغل صفاته الشريفة المقدسة (الإسلام، الشرف، البركة)، لمواجهة الحركات اليسارية التي تطالب بالديمقراطية والحداثة، والقطع مع السياسة التقليدية للسلطين، المبنية على الشرعية والمشروعية الدينية.

بعد وفاة الملك محمد الخامس، تابع المغفور له الملك الحسن الثاني نفس السياسة الدينية التي نهجها محمد الخامس ابتداء من عام 1961م، والمتمثلة في تشجيع ودعم المواسم¹⁶⁸. وكان الهدف من هذه السياسة، إعادة ربط علاقات الصداقة والتحالف بين الزوايا والقبائل من جهة، والمؤسسة الملكية من جهة ثانية، في أفق مواجهة الأحزاب اليسارية المتشعبة بالفكر الشيوعي الرفض للأنظمة الليبرالية، ومواجهة قادة الحركة الوطنية المطالبين بالديمقراطية الحقيقية.

وكانت المواسم مناسبة لتنفيذ هذه السياسة، لكونها تجمعات جماهيرية كبيرة تصلح للقيام بمثل هذه الدعاية. حيث كان الراحل الحسن الثاني لا يتردد في تشجيع كل ما يمكن أن يساهم في الوحدة الوطنية، ويحقق الإجماع حول رموز ومقدسات المملكة المغربية، وهي الدين والوحدة الترابية والملكية.

167 - انظر المبحث الخاص بسياسات السلطات تجاه المواسم ما بين 1912-1956.

168 - Le Petit Marocain, N° 27, 12 Decembre 1966, p. 3.

1-1 المواسم بين الاحتفال وتقوية الروح الوطنية

إن سياسة تشجيع المواسم التي تبناها النظام الملكي المغربي بعد الاستقلال، كان القصد منها استغلال تلك المواسم لتقوية الشعور القومي والامتنان للوطن ولشخص الملك، في أفق الالتفاف حول الملكية رمز السيادة والدولة المغربية الحديثة، باعتبار الملك المرجع الشرعي للسلطة في البلاد، والقادر على تقوية الروح الوطنية.

لفهم هذه السياسة القومية المراد استحضارها خلال تنظيم المواسم، لابد من استيعاب الرموز الوطنية التي تحرص الدولة على إبرازها خلال احتفالات المواسم والمهرجانات، ومن ذلك، تزيين أرض الموسم والضريح وكل زوايا ساحات الموسم بالعلم المغربي وصور الملك¹⁶⁹، فالعلم الوطني وصور الملك رموز الدولة والوطن ومقدساته التي يجب احترامها وتقديسها، ولا يحق لأحد تدنيسها.¹⁷⁰ إلى جانب الإعلام الوطنية، تواظب السلطات المحلية على تزيين فضاء الموسم، بلافتات تحمل شعارات وطنية من قبيل: "اللَّهُ، الوطن، الملك"¹⁷¹، "عاش الحسن الثاني محرر الصحراء"¹⁷² "عاشت الأسرة العلوية"¹⁷³. وكان الهدف من حرص الدولة على استحضار هذه الرموز خلال إقامة المواسم، تقوية الروح الوطنية، وجعل الجمهور مرتبطاً بالدولة والملك، إضافة إلى تنظيم الساكنة ترابياً ووظيفياً، وربطها بمؤسسات الدولة الحديثة والجماعات المحلية، عوض المؤسسات التقليدية "الزاوية والقبيلة".

1-2 - دور المواسم تقوية سلطات الدولة الحديثة

كانت المواسم فرصة للدولة لإظهار سلطتها وقوتها وهيبتها بعد نيل الاستقلال سنة 1956م. لذلك، تحرص السلطات المركزية والمحلية على حضور وازن لممثلي الدولة ورجال السلطة المحلية

169 – Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p. 186, 195.

170 – يعتبر اللون الأحمر من الألوان المحظورة خلال جلسات الجذبة بالنسبة طائفتي حمادشة وعيساوة. فهو مرتبط بدم الأضحية. غير أن اللون الأحمر لون العلم المغربي، يظل محترماً من قبل الجذابة، لذلك، لا يشكل تعليق الأعلام الوطنية في ساحات الموسم أي انزعاج لرجال السلطة والحضور الجماهيري.

171- الفصل الأول من دستور المملكة المغربية لسنة 1972، المادة 7.

172 – وثائق عائلية خاصة، صور أطلعنا عليها، "حفدة سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي"، تعود لموسم سنة 1980م.

173 – وثائق عائلية خاصة، صور أطلعنا عليها، "مهاجر من قبيلة آيت عتاب بالديار الفرنسية"، تعود لسنة 1989م.

والقوات العمومية، وممارستهم لطقوس روتينية متمثلة في زيارة الضريح، وأداء صلاة الجماعة باسم الملك، وممارسة العنف لحفظ الأمن¹⁷⁴. حيث أن أغلب المواسم المغربية، يحظرها عامل عمالة الإقليم الذي يت رأس حفلا دينيا، وزيارة الضريح، والترحم على روح الملك محمد الخامس، والدعاء بالنصر للمرحوم جلالة الحسن الثاني، وبالازدهار للشعب المغربي¹⁷⁵.

تهدف هذه الطقوس الرسمية، إلى إبراز شرعية سلطة الملك دينيا وسياسيا، وهو الذي كان الحال عليه قبل فرض الحماية على المغرب 1912م، حيث كانت الساكنة المحلية في القرن 19م، تعبر عن ولائها للسلطة المركزية، عن طريق القواد المحليين، الذين يبلغون بدورهم ولاءهم للسلطان¹⁷⁶. وأصبح المنتخبون المحليون بعد سنة 1956م، هم الناطقون الرسميون بالنسبة للساكنة القروية. إذ يتقدم المنتخبون المحليون لتحية العامل، باعتباره ممثل السلطان في الإقليم، وصلة وصل مع جلالة الملك، ويعبرون للملك عن طريق العامل عن تشبثهم الدائم بالعرش العلوي.

ولالإشارة، فإن مراسيم حضور ممثلي الدولة في المواسم، غالبا ما تتم بنفس الطريقة في جميع المواسم التي تنظمها الجماعات المحلية، حيث يشكل أعضاء مجالس الجماعات المحلية المنظمة للموسم، صفوفًا شرفية، بلباسهم الأبيض الشرفي، ينتظرون وصول الوفود الحكومية الرسمية، مصطفين على جانب الطريق.

لما تصل الوفود الرسمية للموسم، يخرجون من سياراتهم المحروسة من قبل القوات العمومية، ويخترقون صفوف فرسان الفانتازيا، وأعضاء المجالس المحلية والزوار، ويتوجهون نحو خيام القأدية، ليتناولوا فيها الوجبات المألوفة، ويعمل أفراد القوات المساعدة والمنتخبون وموظفي الجماعات المحلية وأعوان السلطة على توزيع الأطباق، بحيث تمثل الوجبة الغذائية الرسمية طقوسا سلطوية فاخرة حقيقية.

غالبا ما تقدم "الشيخات" عروضاً للرقص الشعبي لفائدة الوفود الحاضرة، ويكون لهذا العرض ميزة خاصة، تبرز أهمية الضيوف بالنسبة للجماعة المحلية التي نظمت الموسم. وتكون مهمة القوات

174- تخصص الجماعة المحلية جزءا من ميزانيتها الموسم حفل الاستقبال، ويحضره عامل الإقليم، ورجال السلطة والمنتخبين.
175 - Le Matin du Sahara, 12, 05, 1984.
176- Brignon Jean, op. cit. p p. 201, 216, 244, 267.

العمومية إبعاد العامة من المتفرجين، وخلق جو من الهدوء والنظام، وجعل العرض احتفالا جماعيا عموميا يستوع فيها المشاركون القيم والمشاعر التي تضمن بكل قوة استمرارية البنية الاجتماعية. يشغل جميع الأشخاص المدعوين لحضور احتفالات الموسم مناصب إدارية هامة، إذ غالبا ما يحضرها العامل وال كاتب العام للإقليم، ورئيس الشرطة الجهوية، وضباط قوات الدرك الملكي، والقوات المساعدة، ورئيس الدائرة، ورؤساء المصالح الإقليمية، والقائد، ومنتخبو الجماعات القروية. ومما يجب الإشارة إليه، أن الامتيازات التي تتمتع بها الوفود الحكومية، والتي يخولها لهم النظام تبقى شيئا مستفزا بالنسبة لباقي شرائح المجتمع، وتخلق فوارق نفسية شاسعة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا بين عامة الناس وهذه الشخصيات، ومع ذلك، لا ينتقد ولا يعبر أحد علانية عن ذلك.

لكن بعد وفاة الراحل الحسن الثاني سنة 1999م، وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي، عبر العديد عن استيائهم من بعض الطقوس والبذخ الممارسين في بعض المواسم، معتبرين ذلك هدرا وتبذيرا للمال العام، وفي المقابل، يدعون إلى منع مثل هذه الممارسات وترشيد الموارد المالية العمومية. ويرجع سبب تزايد الانتقادات الموجهة للمواسم المعاشة في نظرنا، مقارنة ببداية الاستقلال، إلى الثورة التكنولوجية التي أتاحت فرصة للتعبير في وسائل الإعلام الخاصة والبديلة.

وعموما فقد بذلت الدولة جهودا منذ فجر الاستقلال، لكي يتقاسم السكان نفس الثقافة المهيمنة، ويظهرون إجماعا حول الدولة والملك وإرادة عيش مشتركة، إلا أن ذلك لم يمنع من استمرار سيادة الثقافات المحلية في العديد من الأماكن التي يمكن أن نسميها وحدات ثقافية قبلية.

استغلت الدولة المواسم والمهرجانات لنشر الرموز الوطنية عن طريق دمجها في مختلف أشكال الثقافة المحلية. وحاولت دمج جميع السكان بطريقة أو بأخرى في شبكات وظيفية وتجارية جد معقدة. وأصبح المغرب مجتمعا يتقاسم نفس الثقافة (أسلوب التفكير، والرموز، السلوكيات، وطريقة التواصل)، حيث الأعضاء فيه يتعرفون على بعضهم البعض انطلاقا من الوحدة السكانية¹⁷⁷.

177 - Gellner Ernest, op.cit. P. 7.

1 - 3 عيد العرش موسم جديد بعد استقلال المغرب 1956م

بعد نيل المغرب استقلاله سنة 1956م، لوحظ مواظبة المغاربة على الاحتفال بعيد العرش، باعتباره موسما سنويا على غرار مواسم الزوايا والأضرحة والمهرجانات الفولكلورية. فقد عمل الراحل الملك الحسن الثاني جاهدا على جعل عيد العرش موسما سنويا يحتفل به جميع المغاربة كالمواسم الأخرى. وكان رغبة السلطان جعل تلك المواسم مناسبة للسكانة للإشادة بالعمل الجبار الذي كان يقوم به المغفور له الحسن الثاني¹⁷⁸، وليعبروا له في نفس الوقت عن تعلقهم الراسخ، وولائهم وإخلاصهم للدولة وللعرش العلوي المجيد¹⁷⁹.

ولالإشارة، يحتفل المغاربة بترجع الملك الحسن الثاني العرش العلوي في الثالث من شهر مارس من كل عام. ويتزامن هذا الاحتفال بعيد العرش مع انعقاد المواسم الربيعية التي تنظمها القبائل، وتحرص خلالها السلطات المحلية على تنظيم العديد من التظاهرات الثقافية والرياضية، التي يبرز التلاحم الاستثنائي الموجود بين العرش والشعب¹⁸⁰.

عند اقتراب يوم الثالث من شهر مارس من كل سنة، تبلغ الاستعدادات أوجها، إذ تنصب الخيام في المراكز الحضرية والقروية. وتزين الحدائق والشوارع وبنائيات المرافق العمومية بالإعلام الوطنية. ويتم بناء منصات لاستقبال الفرق الموسيقية، لإحياء سهرات عيد العرش. وهكذا يصبح الاحتفال موضوع حديث الناس قبل الثالث من مارس.

ينتقل كل من الفرسان المشاركين في الفانتازيا، والتجار وصناع الفرجة والتسليية من القرى المجاورة نحو المراكز الحضرية أيام معدودة قبل انطلاق احتفالات عيد العرش، حيث يضربون خيامهم استعدادا لاستقبال الجمهور واستعراض عروض الفروسية. وعادة ما كانت تقام هذه الاحتفالات بالمدن الكبرى والمراكز شبه الحضرية.

1- عيد العرش بالأطلس المركزي

كان عيد العرش بالأطلس المركزي في فترة حكم المغفور له الحسن الثاني، فرصة مناسبة

178 - Le Matin du Sahara, Le 3, 3, 1987.

179 - Ibid.

180 - Ibid.

تستغلها القبائل للسفر وصلة رحم العائلات. وعادة ما تقام هذه الاحتفالات وسط المراكز الحضرية وشبه الحضرية، التي تستقطب ساكنة الدواوير المجاورة.

كان المركز الحضري بأزيلال على سبيل المثال: يستقبل ساكنة الدواوير المجاورة، وفي الوقت نفسه، تحرص السلطات المحلية على نصب الخيام القايدية وسط المدينة قبل ثلاثة أيام من بداية انطلاق احتفالات عيد العرش يوم 03 مارس من كل سنة. وتواظب فرق فرسان التبوريدة على الحضور من القرى المجاورة، ويستعد التجار لعرض وبيع سلعهم على طول الطريق¹⁸¹. والملاحظ أن التنظيم المورفولوجي لهذا الاحتفال يشبه المواسم التي تنظم بجوار الأضرحة والزوايا.

ومن العادات التي دأب عليها عمال وقواد المراكز الحضرية بالأطلس المركزي، تلاوتهم لخطب بمناسبة عيد العرش، يشيدون فيها بإنجازات الملك الحسن الثاني، وبينوهون فيها بأسلافه المبجلين المدافعين عن الإسلام وحماة استمراريته، والضامين الوحدتين الوطنية والترايبية. وبالمناسبة، تجدد الساكنة والسلطات ولائها وبيععتها وتشبثها بالعرش العلوي المجيد عبر تلك الخطب الملقاة باسم سلطات وساكنة الإقليم¹⁸².

إن ما يميز ليالي عيد العرش في عهد الحسن الثاني ويثير اهتمام ساكنة الأطلس المركزي، هو مواظبة السلطات المحلية على تنظيم سهرات موسيقية ليلية، تحييها فرق موسيقية أطلسية "الشيخات" تحت الخيام القايدية، بأمر من وزارة الداخلية¹⁸³. أثناء إحياء هذا الحفل الموسيقي، تحرص عناصر القوات المساعدة، ورجال الدرك الملكي، والأمن الوطني، على ترك عامة الجمهور على مسافة بعيدة من الحفل. والواضح أن هذا العرض الموسيقي كان موجها لفائدة بعض المنتخبين وأعيان القبائل¹⁸⁴.

وتقوم الشيخات في فترات استراحات موسيقية، بتسلية بعض الرجال، بالجلوس على ركبهم، ويدخن السجائر ويشربن الخمر أيضا¹⁸⁵. وهكذا، تعم البهجة داخل الخيمة، ويتدافع الجمهور خارجها،

181- رواية شفوية، محمد أسدي، عون سلطة سابق بجماعة أزيلال.

182- نفسه.

183- نفسه.

184- نفسه.

185- نفسه.

وكلما اقترب الحشد أكثر من اللازم، لا تتردد عناصر القوات المساعدة والدرك في استخدام العنف، ويتحول المشهد من حين لآخر إلى صراع بين الجمهور فيما بينهم أو بين الجمهور وعناصر الأمن¹⁸⁶. لا يقتصر الحفل على هذه السهرات الليلية التي تنظمها السلطات المحلية داخل الخيام القايدية، وإنما ينظم بعض الأفراد أو الأسر سهرة فنية في خيامهم الخاصة، حيث يعمدون إلى استئجار راقصات "الشيخات" من المناطق المجاورة وخاصة الأطلس المتوسط. إلى جانب ذلك، يحيي بعض الأفراد ليالي موسيقية اعتمادا على فرق محلية من أبناء القبيلة، مثل: فرق أحيديوس، وأحواش، "وبوغانيم" في الجبل، وفرق عبيدات الرمي، والجدابة لدى القبائل السهلية¹⁸⁷. وكانت الخيام التي تثير انتباه الشباب ومعظم الحاضرين في حفل عيد العرش، هي التي تنشط فيها فرق موسيقية شعبية "الشيخات"، حيث تجتمع حولها حشود من الخارج كما الداخل. وتكون عادة الفرقة الموسيقية من أربعة موسيقيين، وثلاث أو أربع "شيخات". وجرت العادة تطوع أفراد من الجمهور الحاضر وتعليق بعض الأوراق النقدية على صدور وأعناق الراقصات والموسيقيين حينما يغنون ويرقصون.

يلاحظ تشابه واضح بين احتفالات عيد العرش، والمواسم والمهرجانات المعروفة، ورغم هذا التشابه المألوف، لا تفضل ساكنة الأطلس المركزي عيد العرش عن الموسم¹⁸⁸ نظرا للأهمية التاريخية والرمزية الروحية التي تشكلها المواسم في ذهنية القبائل، علاوة على غياب بعض الرموز المقدسة بعيد العرش، إضافة إلى كون الأهم بالنسبة للسلطات هو الخطاب الرسمي الذي كان يلقيه عمال الأقاليم بمناسبة عيد العرش.

ومع ذلك نتساءل، عن حدود استيعاب الجماهير، لما يقال في الخطاب الذي كانت تتلوه شخصيات السلطات المحلية. نعتقد أن أغلبية الجمهور البسيط، لم يكن يستوعب فحوى الخطاب الرسمي، الذي كان يواظب على إلقائه رجال السلطات المحلية، حيث يغادر السكان مكان الحفل بعد نهاية الخطاب،

186 - رواية شفوية. بعض شيوخ الأطلس المركزي شاركوا في احتفالات عيد العرش خلال السبعينات والثمانينات. منهم: أحمد أوناصر من بلدة زاوية الشيخ، وعلي بن إبراهيم. من منطقة لقياب: مصطفى كعروس. من مدينة قصبة تادلة...
187 - رواية شفوية. بعض شيوخ الأطلس المركزي شاركوا في احتفالات عيد العرش خلال السبعينات والثمانينات. منهم: أحمد أوناصر من بلدة زاوية الشيخ، وعلي بن إبراهيم. من بلدة لقياب: مصطفى كعروس. من نواحي قصبة تادلة...
188 - رواية شفوية. مقابلة مع العديد من شيوخ الأطلس المركزي. ما بين أبريل 2018. وأبريل 2019.

غير مهتمين وغير مستوعبين لمضامين الخطب الرسمية، والجوانب السياسية فيها. بينما يتمحور حديثهم عن الفرجة والتسلية.

- غايات الدولة من جعل عيد العرش موسما والإكراهات التي تواجهها

من بين الأهداف الحكومية الرئيسية لجعل احتفال عيد العرش كغيرها من المواسم في البوادي والمدن، هو ضمان ولاء وإخلاص الساكنة المحلية للدولة وللعرش العلوي. حيث تحرص السلطات على إقحام الرموز الوطنية (كالعلم، وصور الملك)، في الأنماط الثقافية المحلية. لكن يبدو أن الساكنة المحلية لا تفضل هذا الاحتفال كثيراً، مقارنة بالمواسم، إذ يظهر على سلوكياتهم وملاحظاتهم عدم الرضا والنقد الضمني. نتساءل إذن، لماذا لم تستطع السلطات إدماج عيد العرش في الثقافة المحلية كموسم سنوي؟

للإجابة هذا الإشكال، يظهر لنا أن هناك العديد العوامل ساهمت في عدم قدرة السلطات تحويل عيد العرش إلى موسم سنوي على غرار مواسم الزوايا والأضرحة. ومن بين هذه العوامل: أولاً، كون الخطاب الرسمي الذي يعتبره رجال السلطة بمثابة الرمز المفتاح، لم يكن مفهوماً من طرف المستمعين له، وكان مضمون الخطاب يدور حول الاستمرارية التاريخية للأسرة العلوية الحاكمة، وإلى الوحدة الثقافية للأمة المغربية. هذا الخطاب المجرد المعبر عنه باللغة العربية من قبل رجال السلطة المحلية، لا يعني الشيء الكثير بالنسبة لعامة السكان، الذين يتكلمون الأمازيغية أو العربية العامية.

إلى جانب ذلك، لا تستوعب الساكنة المحلية الرسائل التي ترغب السلطات في تمريرها، حيث أن كل مراسيم السلطات المحلية تدور حول طقوس وعادات بيعة الملك، وهي ممارسات موجهة للجمهور بهدف تمرير للمراسيم الموكبة للاعتراف بالسلطة المركزية، إلا أن الحاضرين من العامة ليسوا إلا متفرجين في طقوس البيعة التي لا يعرفون عنها شيء، وليسوا مساهمين فيها، لكن يعمل ممثلوهم المنتخبون بهذا الدور نيابة عنهم.

ثانياً، يشعر الناس أن الفنتازيا في الموسم تختلف عن فنتازيا عيد العرش، رغم أن الفنتازيا، تعد واحدة من عوامل الجذب الرئيسية للسكان في جميع الاحتفالات والمناسبات، ويعزى ذلك لكون فنتازيا عيد العرش تفتقد للجوانب المقدسة التي يمثلها المزار أو الضريح أو الزاوية، ولا يتضمن حفل عيد العرش طقوساً وعادات جماعية مقارنة بالمواسم. وقد أكدت لنا التحريات الميدانية أن

هذا الإحساس، كان سببا كافيا لعدم حضور البعض لعيد العرش¹⁸⁹.

على الرغم من أن السلطات قد أقحمت شكلا ثقافيا محليا في احتفال عيد العرش، وأعني بذلك الفنتازيا، والبنية المورفولوجية المألوفة في الموسم، نرى أن الناس لا يستمتعون بعيد العرش مقارنة بالموسم، ويرجع سبب ذلك في غياب بعض الطقوس في عيد العرش، وهي طقوس متأصلة في كافة الحفلات القروية، (الولادة، العقيقة، الختان، الزواج، العيد الكبير، الذبيحة، زيارة الضريح، المعروف، والموسم..).

وفي نفس السياق، يلاحظ أن هناك تهميش للنساء في احتفالات عيد العرش، مقارنة بالموسم، إذ تكون النساء حاضرات بقوة في الموسم بفضل زيارتهن لضريح الولي، بينما لا يعرض أي رمز مقدس في عيد العرش، كتقديس الأولياء، وزيارة الضريح، ولا وجود لشيء يهتم النساء باستثناء الفروسية مع ذلك، تحاول الثقافة الرسمية إدماج "الثقافة الشعبية" في المسار الوطني من خلال الاحتفال بتربع الملك على العرش.

ومن بين العوامل الأخرى التي ساهمت في نفور عامة السكان، من عيد العرش مقارنة بالمواسم، اختيار موضع الاحتفال بعيد العرش بالقرب من مؤسسة حكومية، وتوفير البنيات التحتية للمواسم فقط، وتهميش مؤسساتها الموروثة. وبهذه السياسة تكون السلطات فقدت جزءا من هدفها في حضور الجميع، وترسيخ أهمية هذا الاحتفال الوطني في كافة نفوس السكان ذكورا ونساء.

ويشكل هذا الإهمال الرمزي للمواسم دليلا على الاختيار السيئ، حينما انتبهت السلطات المحلية للجوانب الشكلية والبنيات التحتية للموسم فقط، بينما أهملت اهتمامات العنصر البشري فيه، كالضريح والذبيحة والتسليية المقدسة، وبذلك لم تحقق السلطات كل أهدافها من وراء تنظيم عيد العرش كموسم سنوي، يساهم في ترسيخ الروح الوطنية في المغرب.

إن ما يثير الانتباه في احتفالات عيد العرش مقارنة بالمواسم تهميش الثقافة المحلية، أثناء العروض الليلية، ففي عيد العرش، تقتصر التسليية الرئيسية على مشاهدة راقصات (الشيخات) أو بعض الفرق الفولكلورية المحلية. بيد أن ليالي المواسم تتميز بتنوع عروض الفرجة، وتواجد كل

189 - رواية شغوية، أحمد أوناصر، زاوية الشيخ، وعلي بن إبراهيم من منطقة لقياب، مصطفى كعروس من مدينة قصبه تادلة، شاركوا في احتفالات عيد العرش خلال السبعينات والثمانينات.

أشكال التسلية والترفيه، فتجد ساحات مملوءة برجال (متدينون) يرقصون ويغنون، ويتعاطى أتباع الطرق الدينية الشعبية رجالا ونساء للجذبة، وترقص الشيوخات في المسارح المتنقلة، ويظهر المشعوذون، ورواد الحلقة مهارتهم أمام العموم.

تجرى عروض موسيقية بعيد العرش تحت الخيام القايدية، وهي عروض غير مفتوحة في وجه الجميع والعموم، ويختزل عنف السلطة المركزية حول الخيام القايدية. وتدور عروض أخرى ساخرة في خيام خاصة للقرويين، موضوعها تعليمات وعنف رجال الأمن وقوتهم، وترفيه النخبة. تشير هذه الممارسات إلى تحدي ضمني للنظام الاجتماعي والسياسي، ورغم هذا التحدي، فالمشاركون مسرورون لتحدي معايير الحشمة.

إن الترفيه الحقيقي في عيد العرش، هو الذي يجري تحت الخيام القروية الصغيرة الخاصة، حيث يشارك الجميع في عزف الموسيقى والرقص والتصفيق. وتكون الأغاني كلها ارتجالية، تتكرر على إيقاعات موسيقية، تكريما لمختلف الشخصيات المعروفة وأسمائها وأسماء أجدادها. ومن تم تحتفل الجماعة بنفسها، حيث كانت في حاجة ماسة إلى مناسبة احتفالية من الملك كذريعة للاحتفال.

يمكن وصف الممارسات حول الخيام القايدية بأنها طقوس أكثر قوة وأكثر كثافة، مقارنة بالخيام القروية الخاصة، وتبرز لنا تراتبية اجتماعية وسياسية. لدى يشعر من خلالها الجمهور بسعادة عالية، بفعل إحساسهم بانتهاكهم للقوانين والقيم، وتغمرهم الفرحة بتحديهم الضمني للبنية الهرمية للمجتمع. ويعتبر ذلك، شكل من أشكال طقوس التمرد ذات وظيفة نفسية واجتماعية كما يشير Gluckman¹⁹⁰. وفي المقابل، يحس الجمهور المحدود تحت الخيام الخاصة الصغيرة بتضامن اجتماعي قروي قبلي، ويحتفل المجتمع بنفسه، ولا يهتمون كثيراً بالسياق الوطني.

من خلال ما تمت الإشارة إليه، يظهر لنا أنه رغم كل الجهود المبذولة لجعل عيد العرش موسما سنويا، وربط جميع الأفراد بمؤسسات الدولة الحديثة، فإن هذه السلطات لا تشارك نفس الثقافة مع الساكنة المحلية. من ناحية أخرى، لا تستوعب ساكنة الأطلس المركزي، الخطاب الرسمي، لأنها تجهل اللغة الرسمية للبلاد (العربية)، والمبادئ المجردة لعبارات الوحدة الترابية، أو الاستمرارية التاريخية

190 - Gluckman Max, «Order and Rebellion» in *Tribal Africa*, Cohen & West, London 1963, P. 112, 127.

والثقافية. وعلى الرغم من أن الحكومة تحاول فرض شعور وطني على هذه الطبقات من المجتمع، فإن القيم المهيمنة والرموز الرئيسية، لا يتم استيعابها من قبل جميع الرعايا في المنطقة، وفي نفس الوقت، فإن ولاء الساكنة للسلطة المركزية يبقى مترسقا، لما يحظى به الملك من رمزية لدى المغاربة عموما.

يبدو أن النخبة لا ترغب في تقاسم ثقافتها القائمة على الامتيازات مع طرف آخر، وتخلق فصلاً تعسفياً وعنيفاً بينها وبين الجماهير القروية لحماية الوضع القائم. لكن في الوقت الحالي، لا يتم انتقاد هذا التسلسل للهرم الاجتماعي والسياسي إلا بطريقة ضمنية من قبل السكان المحليين، فنجدهم مثلا يسخرون بابتسامة عابرة من رجال الأمن، ومع ذلك، لا يمكن التشكيك في الأساس البنيوي للمجتمع.

إن الساكنة المحلية لا تتعارض مع الدولة الوطنية الحديثة، لكنها في نفس الوقت تعزز التضامن والولاء للمجتمع المحلي. ولا يحتاج السكان لمناسبات عيد العرش للقيام بذلك. وفي الحقيقة، إن الموسم السنوي هو واحد من طقوسهم الرئيسية التي يكثفون خلالها هذا التضامن. يظهر ذلك عندما سألت أحدهم عما إذا كان يفضل حفل عيد العرش أو الموسم، أجاب: الموسم بالطبع، في ضوء هذا الرد، يعبر جوابه كون عيد العرش ليس موسماً، رغم أن السلطات بذلت جهوداً جبارة لجعله كذلك.

منذ تربع الملك محمد السادس عرش المملكة سنة 1999م، استمر في نهج سياسة والده المرحوم الحسن الثاني، لكنه قلص من مظاهر البذخ، التي أصبحت تثير استياء الرأي العام الوطني. لذلك تضمن بلاغ وزارة القصور الملكية والتشريفات والأوسمة، خطاباً مفاده أن الاحتفالات بالذكرى العشرين لتربع صاحب الجلالة الملك محمد السادس، على العرش، ستتم وفق العادات والتقاليد الجاري بها العمل، وذلك على غرار السنوات السابقة. وبناء عليه، فإن مختلف المؤسسات والهيئات والفعاليات الوطنية مدعوة لتخليد هذه المناسبة السعيدة بطريقة عادية، ودون أي مظاهر إضافية أو خاصة.

الغاية أيضا من هذا القرار في نظرنا ترشيده النفقات، فمن غير المنطقي أن نرى جماعات ومجالس منتخبة تجد صعوبة في توفير أدنى احتياجات المواطنين، وتصرف أموال كبيرة في الحفلات، فالأولوية يجب أن يبقى هي خدمة المواطنين. وهذا ما جعل من احتفالات عيد العرش الماضي عادية، ودون مظاهر البذخ. هذا القرار، تزامن مع مشروع قانون المالية لسنة 2020م، الذي تضمن

ضرورة ترشيده النفقات، لكون المغرب مقبل على مرحلة صعبة تستدعي حشد جميع الإمكانيات لإنجاح الورش الاجتماعي .

2 - سياسات السلطات تجاه المواسم والمهرجانات مطلع القرن 21م

2-1 أهمية المواسم والمهرجانات في السياسات العمومية

تكتسي دراسة مختلف أبعاد ظاهرة المواسم بالأطلس المركزي أهمية بالغة منذ بداية القرن 21م، نظرا لاستمرار المواسم إلى يومنا هذا، خصوصا إذا علمنا أن التظاهرات موعلة في التاريخ كما تم الإشارة إلى ذلك في الفصول السابقة. وركزنا في مقاربة هذه الإشكالية على أخبار المقالات المنشورة بمواقع الإعلام الإلكتروني الجهوي¹⁹¹، ووسائل التواصل الاجتماعي والتحريرات الميدانية، وتتبعنا ردود فعل الجمهور من متبوعي أخبار المواسم. وحاولنا استنباط خلاصات واستنتاجات تهم أساسا التحولات التي شهدتها المواسم في علاقتها بسياسات الدولة والمجتمع المغربي.

وللإشارة، تزامن الانفجار التكنولوجي في قطاع الإعلام، مع تشجيع الدولة للمواسم والمهرجانات في العقدين الأخيرين، لذلك، تضاعف عدد المواسم، وأضحت كل المدن والقرى تقريبا، تحتضن مواسم أو مهرجانات يحج إليها آلاف الزوار من البوادي والمدن ومن الخارج، الشيء الذي فتح الباب أمام أغلب الزوار لتقاسم مشاركتهم في هذه المواسم مع رواد التواصل الاجتماعي، خصوصا وأن الدولة لا ترى حرجا، بل تثمن هذا الاهتمام بهذا التراث المحلي.

ويأتي دعم الدولة للمواسم والمهرجانات الراهنة في إطار التوجهات التنموية الجديدة للدولة، بحيث تعول السلطات على أن يكون هذا التراث الثقافي رافدا من روافد التنمية. لذلك، لا تتردد الحكومة للدعوة إلى الاهتمام بالرأسمال الرمزي المحلي والجهوي واستغلاله لتحقيق التنمية. وفي هذا

191 - القليل من كتاب مقالات مواقع الإخبارية لم يحاولوا فهم كل الطقوس وجعلها في سياقها التاريخي، حيث أن معظم هؤلاء المهتمين بالمواسم أهملوا الأهمية الكبيرة في النيش في تاريخها والانكباب على تحليلها. في أفق المساهمة في اكتشاف المجتمع لذاته، بل غالبا ما تكتفي الجهات المنظمة بإعلان خبر انعقاد المواسم واستعراض برامجها، وقليل ما يتعامل مع المواسم كميدان للاستقصاء والبحث، بل كواقع سوسيوثقافي يتضمن مجموعة من الطقوس لا يفهمها حتى الممارسين لها. فهي إذن لا تستثمر هذا الفضاء الإعلامي الجديد والواسع الانتشار بين مختلف فئات المجتمع لتبليغ خطاب كاشف للميكانيزمات المحركة لبعض الظواهر كالمواسم والتدين الشعبي وغيرها. ولم يكن هذا التتبع الإعلامي للمواسم وللتدين الشعبي بهذه الكثافة من قبل. عندما كان الإعلام يعتمد أساسا على الصحف الورقية والبيث الأثري. وكان يتابع هذه الظواهر آنذاك صحفيون محترفون، ولم يولوا أهمية لظاهرة المواسم وطقوسها. لكون هؤلاء كانت تشغل بالهم قضايا اقتصادية، وتجاذبات سياسية.

الإطار، أصدرت وزارة الثقافة المغربية مراسلة وزارية للمديريات الجهوية للثقافة¹⁹² سنة 2019م، تدعوها إلى جرد جميع المواسم والمهرجانات بجميع ربوع المملكة، في أفق تثمينها وجعلها محركا من محركات التنمية الجهوية.

وتنفيذا لقرارات هذه المراسلة الوزارية، عملت المديرية الجهوية للثقافة جهة بني ملال- خنيفرة، على جرد المواسم والمهرجانات وتحديد توزيعها المجالي، إضافة إلى التعريف بمظاهر الاحتفال والطقوس المرتبطة بها، والقبائل التي تحج إلى هذه المواسم. هذا القرار الحكومي يوضح بالملاموس اهتمام الدولة بمواسم الزوايا والأضرحة والمهرجانات الفولكلورية، بفعل أدورها الروحية والنفسية والاجتماعية والتنموية، والتي تساهم في خلق جو من الترفيه والفرجة بالنسبة لشرائح واسعة من المجتمع، وخاصة الساكنة القروية، التي تشتغل طيلة السنة في الزراعة والرعي والأشغال المنزلية.

بيد أن، هذه الأدوار المهمة التي تلعبها المواسم والمهرجانات، لم تمنع الدولة من حظر هذه التجمعات في بعض الأحيان، كفترات انتشار الأوبئة أو الحرب أو عند وقوع أحداث ترى فيها السلطات تهديدا للأمن العام. ويعد منع المواسم والمهرجانات سنة 2020م، نموذجا لهذا الحظر، فقد أصدرت وزارة الثقافة، مذكرة يوم الخميس 05 مارس 2020م، تدعو فيها إلى مواجهة الوضع الاستثنائي المتعلق بخطر تفشي فيروس كورونا(كوفيد19) على التراب الوطني. وقررت ابتداء من التاريخ المشار إليه، منع كل المهرجانات باستثناء المواسم¹⁹³، كما عملت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بإصدار مذكرة تمنع إقامة المواسم الدينية لنفس الأسباب والغايات.

عموما، يلاحظ اهتماما متزايدا للدولة والمجتمع تجاه للمواسم والمهرجانات، حيث أضحت هذا التراث يحظى بمتابعة إعلامية مهمة، سواء في وسائل إعلامية تقليدية أو مواقع إخبارية إلكترونية. وتروم هذا المتابعة الإعلامية الواسعة، التعريف بهذا الموروث الثقافي وتثمينه، وإبراز أهميته الاجتماعية والاقتصادية والهوياتية. إلا أن بعض الطقوس والعادات المنتشرة في المواسم لا

192 - وزارة الثقافة، مراسلة وزارية للمديريات الجهوية للثقافة، مذكرة رقم 22 / 2020.

193 - وزارة الثقافة، مذكرة وزارية رقم 129 / 2020، أنظر: الإجراء رقم 3.

ينظر إليها المجتمع بعين الرضى، كالرقص الصوفي الممزوج بالعنف، أو طقوس الذبيحة الجماعية... وتبرر الجماهير المنتقدة لهذه الطقوس ردود فعلها هذه، بكونها ممارسات وثنية سحرية، لا علاقة لها بالدين الإسلامي الصحيح.

2 - 2 مواقف السلطات من بعض الطقوس ومظاهر الاحتفال بالمواسم

يظهر منذ الوهلة الأولى أن هناك تباين واختلاف في مواقف السلطات والمجتمع تجاه الطقوس والعبادات الاحتفالية بالمواسم الراهنة بالأطلس المركزي، ومن أبرز هذه الطقوس زيارة الأضرحة، والرقص الصوفي، والذبيحة على الأضرحة والمزارات وتقديم الهدايا لها.

يشكل موسم الطائفتين العيساوية والحمدوشية بدمنات نموذجا لمثل هذه المواسم¹⁹⁴، المعروف بطقوس الذبيحة، والجدبة، حيث ينظم أتباع الطائفتين مسيرة استعراضية في مدينة دمنات، بدعم ومساندة من قبل السلطات المحلية، التي تشيد دائما بمحافظة ساكنة هذه المدينة العريقة والمجتمع المدني على تراثهم المادي واللامادي المتجسد في حرص "جمعية حمادشة" على إحياء موسم الطائفة الحمدوشية كل عام¹⁹⁵.

ومن بين المواسم الأخرى المشهورة بمثل هذه الطقوس الاحتفالية¹⁹⁶، من (زيارة القبور، وتقديم القرابين، والهبات، والهدايا، وحفلات الرقص والغناء)، والتي نالت دعم وتشجيع الدولة، موسم مولاي بوعزة بزبان¹⁹⁷. حيث تواظب السلطة المحلية على تنظيم هذا الموسم، وتقدم كل الدعم المادي والمعنوي، للطقوس الاحتفالية بالموسم.

غير أن ردود فعل فئات واسعة من المجتمع تجاه هذه الطقوس، أثر في مواقف الدولة تجاه بعض المواسم المشهورة بطقوسها وعباداتها، حيث تعتبر هذه الفئات تلك الطقوس بمثابة شعوذة، وسحر ووجهاً من وجوه التخلف. رغم أن هناك من يعتبرها ممارسة صوفية تراثية خصوصا أتباع هذه

194 - الموقع الإلكتروني الإخباري، أنفاس بريس، بتاريخ 08 غشت 2016.

195 - من بين أفراد الطائفة الحمدوشية والعيساوية في دمنات: با محمد الحاج البوهالي؛ وابن هنية بن الحاج عزي؛ وأحمد مقدم

الطائفة السابق؛ وبن عياد المقدم الحالي للطائفة. أنظر: الموقع الإلكتروني، أطلس سكوب، بتاريخ 21 شتنبر 2019.

196 - تتخلل موسم مولاي بوعزة طقوس عبارة عن رقصات ممزوجة بالعنف الجسدي، وشرب الماء المغلى وانقراض الجذابين على جديان حية و تمزيقها بأسنانهم واكل لحومها نيئة".

197 - الموقع الإلكتروني الإخباري، أنور بريس، 21 دجنبر 2019.

الطوائف الصوفية. نحن إذن أمام تيارين، تيار يتبنى موقف الحياد الإيجابي من التراث ولو أن طقوسه غريبة، وموقف معارض لهذه الطقوس ويدعو إلى منع إقامتها¹⁹⁸. هذا الواقع جعل السلطة المحلية غالباً ما تتبنى موقف الأغلبية، المتمثل في منع في بعض الطقوس أحياناً، أو تشجيع طقوس واحتفالات أخرى أحياناً أخرى.

وغالباً ما تحاول السلطة المحلية، إدراج أنشطة موازية إلى جانب الطقوس الاحتفالية التقليدية "الجدبة والذبيحة" لتشتيت موقف الرأي العام المندد بهذه الطقوس. وعلى سبيل المثال، فقد نظمت جماعة مولاي بوعزة على هامش الموسم السنوي، نشاطاً ثقافياً للاحتفاء بالتصوف والمتصوفة، شاركت فيه نخبة من المثقفين، ركزت أعمال الندوة على دراسة ظاهرة التصوف، من خلال مناقب أحد رموزه هو الشيخ "مولاي بوعزة" دفين القرية التي تحمل اسمه.

وهكذا، تراهن السلطات المحلية، على الحديث عن قيم التصوف لبناء المجتمع المنشود، لإعادة النظر في التمثلات الاجتماعية المنددة بالممارسات والطقوس الاحتفالية، والتركيز على قيم هذا الموروث الديني الحاضر بشكل أو بآخر في الوعي الفردي والجماعي للمجتمع. لكن دون الإشارة إلى المظاهر الاحتفالية التي تمارسها العامة بالموسم بطريقة مباشرة.

إلى جانب ذلك، تهدف السلطات المحلية من وراء تنظيم أنشطة موازية مرتبطة بالتصوف، على هامش موسم مولاي بوعزة، التركيز على كرامات الشيخ أبي يعزى، ودورها التربوي والقيمي الذي يمكن أن تلعبه قيم التصوف في إصلاح الفرد والمجتمع. لتبرير سلوكيات الزوار، كبغلة الشيخ أبي يعزى، التي تركل كل ابن عاق لوالديه، وهي دعوة صريحة لطاعة الوالدين، ثم امتحان المرور من نفق "حجرة مولاي بوعزة" التي تمنع ذوي الخطايا والأعمال السيئة من المرور...

رغم كل الجهود المبذولة من قبل السلطات المحلية، لشرعنة وتبرير دعمها للمواسم، وخاصة بعض الطقوس المثيرة، كالذبيحة والحضرة... إلا أن رفض المجتمع لهذه الطقوس في تزايد مستمر، مما دفع الدولة إلى وقف بعض الطقوس استجابة لضغط الرأي العام، كما هو الحال، حينما منعت السلطة طقوس الذبيحة في موسم مولاي بوعزة بزيان سنة 2016م، وذبح الناقة في موسم مولاي

إبراهيم بمراكش سنة 2018م.

إذا كانت طقوس الذبيحة والرقص الصوفي، يواجه رفضاً مجتمعياً متزايداً، فإن التبوريدة تعتبر احتفالاً فولكلورياً، تعشقه ساكنة الأطلس المركزي صغاراً وكباراً¹⁹⁹، مما جعل السلطات المحلية تشجع وتدعم هذا التراث، في أفق تثمينه وجعله رافداً من روافد التنمية المحلية. ومن مظاهر هذا الدعم والتشجيع، تنظيم مسابقات جهوية خاصة بالفروسية، وتخصيص جوائز مهمة للفرق الفائزة، واعتماد معايير لاختيار الفائزين منها: التحية والتشويرة، والطلقة، والسرج، واللباس، والاستقامة، والتنظيم.

تعمل الدولة جاهدة على تشجيع الدعاية الإعلامية²⁰⁰ لفنون للفروسية الأصيلة، والترويج لها داخلياً وخارجياً، بكل أبعادها الرمزية والمادية، كأحد مكونات التراث الوطني المغربي. لذلك نجحت الدولة في هذا المسعى المتمثل، في افتخار السكان وحبهم للتبوريدا والخيال، سواء في السهول كما في الجبال. وللرفع من شغف الجماهير بهذا التراث، يستخدم الإعلام عبارات فيها إعجاب مبالغ فيه بالحصان والتبوريدة، إلى درجة إثارة ردود فعل قوية عصبية لكل من يحاول الإساءة للتبوريدا والحصان المغربي الأصيل، وهكذا أصبح هذا التراث جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية بالأطلس المركزي. هذا الدعم والتشجيع الذي توليه الدولة للفروسية من جهة، وحب المجتمع لهذا الموروث الثقافي من جهة ثانية، دفع الجماعات المحلية إلى إطلاق أسماء مواسمها ومهرجاناتها لها علاقة بالفروسة والخيال، ويعد مهرجان "ألف فرس وفرس" بمدينة الفقيه بن صالح، عوض موسم الولي الصالح الفقيه بن صالح سابقاً، نموذجاً لمثل هذا التوجه²⁰¹.

إن دعم الدولة وتشجيعها للتبوريدا ساهم في ظهور فرق من الفرسان الشباب والشابات، يتعاطون لهذا التراث بحب وحماس منقطع النظير²⁰². إن يمكن استخلاصه بخصوص موضوع الفانتازيا بالأطلس المركزي، هو الارتباط القوي لساكنة المنطقة، بهذا الموروث الثقافي وافتخارهم

199 - الموقع الإلكتروني الإخباري، العمق، نقلا عن وكالة المغرب العربي للأنباء، 07 مايو 2016.

200 - الموقع الإلكتروني الإخباري، azilal24.com، 27 أبريل 2016.

201 - الموقع الإلكتروني الإخباري، belpress.com، 9 أبريل 2019.

202 - الموقع الإلكتروني الإخباري، azilal24.com، 01 أبريل 2017.

به، وتمسكهم بكل تفاصيله، وحرصهم الشديد على استمراره، بل وتطويره والرقى به، في أفق نشره في صفوف الأجيال الصاعدة.

الصورة رقم 5: تشجيع السلطات لفلكلور التبوريدة²⁰³



2- 3 الأدوار السياسية والدينية للمواسم الراهنة بالأطلس المركزي

تلعب المواسم الراهنة بالأطلس المركزي، على غرار باقي مناطق المغرب أدوارا دينية وسياسية مهمة²⁰⁴، وما يؤكد هذه الأهمية، تزايد مواقف السلطات والجهات المختصة لتدبير هذا الموروث الثقافي، ففي كلمة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية خلال جلسة برلمانية، تحدث عن أهمية الميراثية المخصصة للإسلام الشعبي ودور مؤسساته في الأمن الروحي للمغاربة. وصرح أن وزارته أنفقت 146 مليون درهم (14 مليار سنتيم) على الأضرحة والزوايا، كهبات سنوية من أجل الاعتناء بها²⁰⁵.

203 - تصوير شخصي.

204 - الموقع الإلكتروني الإخباري، هيسبريس، 13 فبراير 2018.

205 - نفسه.

وقال الوزير المشار إليه، إن المغرب يتضمن 5038 ضريحا و1496 زاوية، وأوضح أن الأولياء يمثلون نماذج لقيم إنسانية، وأن الزوايا تساهم في التآطير الروحي للمغاربة. وحاول الوزير تبرير حجم الميزانية المخصصة للتدين الشعبي، بحاجة فئة عريضة من المجتمع المغربي لمثل هذه المؤسسات، لذلك قررت وزارته استمرارها والحفاظ عليها. وفي هذا الإطار، طالب عدد من النواب البرلمانين بضرورة اهتمام الوزارة بهذه الأضرحة والزوايا والمواسم التي تمثل جزءا من الهوية المغربية.

ولإشارة، تستفيد العديد من الزوايا والأضرحة بالأطلس المركزي خلال تنظيم المواسم، من هبات ومنح ملكية، كان آخرها استفادة عدة مؤسسات دينية من هبات ملكية، قدمها وفد حكومي برئاسة مولاي المامون المرابي، وبحضور عامل إقليم أزيلال محمد عطاوي 24 ربيع الأول 1441هـ الموافق 22 نونبر 2019م. وقد تسلم الهبات الملكية، كل محمد بني العباس ممثل شرفاء زاوية تانغمت قيادة آيت تكلا، ومولاي إسماعيل بصير ممثل شرفاء زاوية آل بصير قيادة بني عياط دائرة أفورار.

حضر هذه المراسيم رئيس المجلس العلمي المحلي والمندوب الإقليمي للشؤون الإسلامية ورؤساء الجماعات الترابية آيت تكلا بني عياط ورؤساء الدوائر ورؤساء المصالح الأمنية. وقد تسلم شرفاء أبي الجعد، هبة ملكية بمناسبة انعقاد الموسم السنوي، سيدي امحمد الشرقي، وقد تسلم الهبة الملكية، عبد الرحمان الشرفاوي مزوار الزاوية الشرقاوية، الذي أكد أن الزاوية تستفيد بشكل منتظم من الهبة السلطانية، والتي تخصص لأغراض اجتماعية وثقافية²⁰⁶.

يتضح أن الدولة، لا زالت تولي أهمية كبرى لهذه المؤسسات الدينية الموروثة، ومن مظاهر هذه العناية، مواظبة سيارات فخمة تحمل هدايا سلطانية إلى العديد من الزوايا بمناسبة تنظيم موسمها²⁰⁷، إضافة تنظيم موكب رسمي يضم عمال وولادة، لزيارة الأولياء خلال انعقاد الموسم. كل هذا يوضح استمرار هذه العناية، واعترافاً رسمياً بأدوارها الروحية والاجتماعية والسياسية، رغم ما

206 - القناة الثانية المغربية، نشرة الأخبار، حول موسم أبي الجعد، 19 شتنبر 2019.

207 - لا زالت العديد من الزوايا بالأطلس المركزي تستفيد من الهبة السلطانية منها: الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد؛ زاوية تانغمت بانتيفة؛ زاوية البصير ببني عياط؛ زاوية سيدي أحمد بلقاسم ببني ملال؛ زاوية سيدي علي بن براهيم البوزيدي ببني عياط. وغالبا ما تقدم هذه الهدايا أثناء انعقاد المواسم.

يلاحظ من تراجع هذه الأدوار في السنوات الأخيرة.

الصورة رقم 6: توزيع الهبات الملكية على بعض الزوايا²⁰⁸.



هذا الدعم والتشجيع الواضح من طرف الدولة تجاه التدين الشعبي والمواسم والطرقية والأضرحة، تطبعه المزاجية في بعض الفترات، ففي بعض الأحيان تمنع السلطة بعض الطقوس التي ترفضها وتشجبها الجماهير، وعلى سبيل المثال: فقد صدر قانون يمنع بعض الطقوس، يقال عنها همجية ووحشية كطريقة ذبح النافثة في موسم مولاي إبراهيم²⁰⁹، ولقي قرار السلطة هذا، معارضة شديدة من قبل مريدي وزوار الموسم.

وفي نفس السياق، تدخلت السلطات لتقليص عدد أيام الاحتفال في عدة مواسم، وأصبحت في غالب الأحيان لا تتعدى ثلاثة أو أربعة أيام، ونتج عن هذا التسلل المتزايد للسلطة في المواسم إلى تراجع الأدوار الرئيسية لحفدة الأولياء والأتباع والطرق الصوفية في تدبير شؤون المواسم، خاصة بعدما أصبحت تدخل ضمن برامج وزارة السياحة، التي تحاول تسويقها في الخارج كجزء من الهوية الثقافية المغربية.

208 - جريدة أزيلال الإخبارية، 13 نونبر 2019.

209 - الموقع الإلكتروني الإخباري، casapress.com، 18 يناير 2017.

الصورة رقم 7 : عامل إقليم أزيلال يزور ضريح وموسم مولاي عيسى بن إدريس بآيت عتاب²¹⁰



وأصبحت المواسم الراهنة مناسبة للتجاذبات والصراعات السياسية والشخصية، ومنها مثلا: مقاطعة فعاليات إعلامية، وجمعوية، وسياسية، ورياضية، وفنية مهرجان "ألف فرس وفرس بالفقيه بن صالح"²¹¹ الذي يديره الوزير السابق للحركة الشعبية، لأسباب سياسية على ما يبدو، حيث أجمعت المعارضة، عن تراجع إشعاع المهرجان، إذ كانت حسب زعمهم دورة جد باهتة وارتجالية من حيث التنظيم، وتوقعوا فشل المسؤول الأول عنه في الارتقاء به إلى مستوى المهرجانات الدولية. وطالب أعضاء من حزب العدالة والتنمية من جهة أخرى، مدير المهرجان الكشف عن ميزانية الموسم ومداخله ومصاريفه الضخمة، في وقت تعاني فيه مدينة الفقيه بن صالح من تواضع جهود التنمية والنقص الواضح في الخدمات والتجهيزات²¹². كما انتقدوا إقصاء مدير المهرجان لكل ما هو محلي من إعلاميين²¹³ وفعاليات المجتمع المدني المحلي، من جمعيات، وفرق فنية ورياضية وغيرها، وهذا بطبيعة الحال يتنافى كليا مع فلسفة مثل هذه التظاهرات. لكن يبدو أن انعقاد

210 - موقع آيت عتاب. نيت

211 - الموقع الإلكتروني الإخباري، taxinews.ma، 17 أبريل 2019.

212 - نفسه.

213 - نفسه، 21 أبريل 2019 .

تنظيم حزبي في حجم الكتابة الإقليمية للعدالة والتنمية، لتدارس مهرجان الفقيه بن صالح هو في حد ذاته تدافع سياسي، نشتم منه رائحة السباق الانتخابي، ومحاولة استمالة الساكنة لكسر احتكار حزب الحركة الشعبية في تدبير الجماعة الحضرية لمدينة الفقيه بن صالح.

وتتميز المواسم بالحضور القوي والمكثف لأعوان السلطة، بكل مراتبهم من المقدم والشيخ، والمخزني، والشرطي، والقواد، والعمال، والولاة، والباشوات، وضباط الشرطة، والدرك. يتدخل هؤلاء في كل صغيرة وكبيرة في تنظيم الموسم، كمنح ترخيص انعقاد الموسم، وفرض الأمن والنظام، وحماية الجمهور والزوار، وتوفير بعض الخدمات اللوجيستكية والنقل والتمويل والمشاركة في بعض البروتوكولات، مثل: توزيع الجوائز، وافتتاح التظاهرات الفنية والرياضية والفنية والاقتصادية.

علاوة على مساهمة فعالية لأعوان السلطة، في التحضير وتأهيل ميادين التبريدة، وتنظيم مسابقات ومعارض وفضاءات الفرجة، والتدخل لإعادة النظر في بعض فقرات الموسم أو إضافة أخرى، مع دعم مادي ولوجستيكي للفعاليات المشاركة في الموسم. ناهيك عن ضبط التوازنات بين مختلف القوى الفاعلة في الموسم، والتنسيق في مختلف قضايا الموسم والضريح مع حفدة وأتباع الولي.

إن الحضور القوي للمجالس التمثيلية في تدبير احتفالات المواسم، أصبح واقعاً لا يجحده أحد، وأصبحت هذه أجهزة هذه المجالس تفرض وصايتها على المواسم، وتحكم قبضتها على مختلف تفاصيلها، بل أكثر من ذلك، تعتمد بعض الجماعات المحلية إلى إعلان تنظيم بعض المواسم الكبرى تحت الرعاية السامية لجلالة الملك المغربي محمد السادس.

ومما ينبغي الإشارة إليه، أن الدولة لم تكتف فقط بدعم المواسم التقليدية الكبرى بالمنطقة، (مولاي عيسى بن إدريس بايت عتاب، مولاي بوعزة بزيان، سيدي علي بن إبراهيم بني عياط، موسم إملشيل...) بل عملت على خلق مهرجانات جديدة²¹⁴، تميزت بانتشار أنشطة بعيدة على الطقوس الدينية الشعبية، كالتجارة والخدمات والمعارض التجارية والفنية والمسابقات الرياضية²¹⁵.

214 - أحدثت الجماعة القروية تاونزة مهرجانها السنوي سنة 2010م.

215 - الموقع الإلكتروني الإخباري ، trtarabi.com. 12 غشت 2019.

2 - 4 الأدوار التنموية للمواسم والمهرجانات الراهنة والإكراهات التي تواجهها

تشكل المواسم والمهرجانات بالنسبة للسلطات تراثا ثقافيا مهما يمكن استغلاله لتحقيق التنمية المحلية. لذلك تحظى هذه التظاهرات باهتمام بالغ في البرامج التنموية الحكومية، فقد أكد وزير الثقافة أن المواسم واحدة من رافعات التنمية السوسيواقتصادية، وإحدى الركائز الأساسية المعتمدة في إطار استراتيجية 2020م، للنهوض بالسياحة القروية، مبرزا أن وزارة السياحة، فضلا عن مواكبتها لمثل هذه التظاهرات، تعتزم تعزيز وتطوير منتج خاص بسياحة المواسم والمهرجانات الثقافية²¹⁶.

وتتمثل أهمية هذه التظاهرات، في كونها مناسبات لتعبئة الساكنة حول القضايا الثقافية من أجل تدعيم التنمية والاهتمام بالسياحة الداخلية، في أفق البحث عن الإمكانيات لتطويرها سواء تعلق الأمر بالإيواء أو الاستجمام أو الإطعام، ولن يتحقق هذا إلا بتعزيز التواصل بين الجماعات المحلية، وباقي المتدخلين من فعاليات وجمعيات محلية مهتمة بهذا المورد، خاصة وأن السلطة أصبحت تعد برامج تنموية في إطار ما يسمى بالفلسفة التشاركية بين السلطة والمجتمع.

غير أن الخطاب الطموح والقوي لوزارة الثقافة الداعي إلى ضرورة استثمار المواسم والمهرجانات لتحقيق التنمية، لم يأخذ بعين الاعتبار هزالة الميزانيات المخصصة للشأن الثقافي عموما، رغم إعلان الوزارة الوصية عن زيادة حجم الميزانية المرصودة للمهرجانات الثقافية والتظاهرات الفنية، والتي قدرت برسم سنة 2019م بحوالي ثمانية ملايين درهم. لذلك، يظهر أن الخطاب الرسمي حول المواسم يحمل حمولة تنموية قوية، بيد أنه، من الصعب على الملاحظ العادي أن يعين مشاريع تنموية على أرض الواقع، إلا إذا تحسنا جزئياتها وتفصيلها في فعاليات الموسم، لكون معظم المشاريع مجهرية، وغير مهيكلة البنيات الاقتصادية والاجتماعية.

من هذا المنطلق، يمكننا اعتبار أن الدولة تراهن أن تصبح احتفالات المواسم والمهرجانات، أحد الراكز الأساسية لتنفيذ سياساتها وتوجهاتها التنموية في مختلف الميادين، من قبيل، المبادرة

216 - الموقع الإلكتروني الإخباري، أخبارنا المغربية، 24 دجنبر 2013.

الوطنية للتنمية البشرية، والمحافظة على البيئة، ونشر ثقافة حقوق المرأة والطفل، ودعم الوحدة الترابية وغيرها، وهو ما بدأنا نلاحظه في شعارات المواسم التي تربط بين التراث وقضايا جديدة تشغل بال الدولة والمواطن.

يمكن تفسير تشجيع الدولة للمواسم والمهرجانات في تطلع السلطات أن تساهم هذه التظاهرات في تحقيق التنمية المحلية، من خلال: انتعاش المدخول المادي لبعض الأسر التي تعيش التجارة البسيطة، وكذا بعض المهن المتواجدة بساحات المواسم. غير أنه لابد من الإشارة، إلى أنه وإذا وضعنا تقريبا لحجم رأسمال هذا الرواج التجاري في محيط الموسم، نجده لا يتعدى بضعة ملايين سنتيم، وفي ذلك دلالات كثيرة، منها: كون الموسم فضاء لا يقصده إلا التجار الصغار، والفئات الاجتماعية الهشة، أو ذات الدخل المحدود.

وتحرص السلطات المحلية على إبراز هذه الأدوار التنموية للمواسم والمهرجانات، في أفق تبرير تشجيعها. وغالبا ما تستعين السلطات المحلية بالإعلام العمومي والخاص، لإبراز تلك الأدوار التنموية للمواسم، لذا نفهم لماذا تخصص بعض المواقع الإخبارية²¹⁷ صفحات من جرائدها، للحدث على التنمية بمناسبة انعقاد المواسم بالأطلس المركزي على غرار باقي مناطق المغرب.

يتم التركيز في هذه الحملات الإعلامية المشجعة للمواسم على كثافة البرامج الاقتصادية التي تتضمنها فعاليات المواسم. وغالبا ما تستهدف تثمين المنتج المحلي، وإنعاش الاقتصاد الجهوي، وخلق فرص الشغل، في إطار ما أصبح يسمى بالاقتصاد الاجتماعي والتضامني، الذي يستمد مبادئه وأهدافه من برامج المبادرة الوطنية للتنمية البشرية التي أطلقها الملك محمد السادس سنة 2005²¹⁸.

- أهمية المواسم والمهرجانات لتحقيق التنمية الاقتصادية والتحديات التي تواجهها

لعبت التحديات والإكراهات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تواجه الدولة، دورا مهما في تبني سياسة تروم تثمين المنتوجات المحلية، واستثمار الرأسمال الرمزي لتحقيق التنمية المنشودة،

217 - الموقع الإلكتروني الإخباري، benimellal.press.com. 28 مارس 2016.

218 - الموقع الإلكتروني الإخباري، benimellal.press.com. 28 مارس 2016.

والتخفيف من التباينات المجالية والاقتصادية والاجتماعية. لهذه الغاية استحدثت السلطات المحلية بالأطلس المركزي مواسم ومهرجانات عديدة، تستهدف برامجها تحريك عجلة التنمية المحلية في مناطق تشكو ضعف الاستثمار، وشح فرص الشغل، كمهرجان الزيتون في بلدة زاوية الشيخ، وموسم التفاح بمدينة ميدلت، ومهرجان الرمان بأولاد عبد الله الفقيه بن صالح وغيرها.

إلا أن هذه الغاية التنموية تعثرها سلسلة من الإكراهات²¹⁹، لكون عملية تثمين الإنتاج، تقتصر فقط على المنتجات الفلاحية، التي تتوقف في الغالب عند جني المحصول، وجمعه وتوزيعه، أو تخزينه في أحسن الحالات. في حين أن التثمين الحقيقي يجب أن يشمل كافة المنتجات الحرفية التقليدية والزراعية والحيوانية، كالحليب ومشتقاته، والتفاح والزيتون، والفلفل الأحمر، والخروب والسّمسم(الجلجلان)...فهي لازالت تنتظر مواسمها الخاصة، لتطلع بدورها كقاطرة للتنمية الاقتصادية المحلية.

ونشير أيضا، إلى أن المواسم والمهرجانات لم تصل بعد إلى مرحلة تنشيط السياحة البيئية والجبلية، عن طريق استغلال التراث الطبيعي الغني والمتنوع بالأطلس المركزي، من شلالات وقمم مكسوة بالثلوج، وأودية عميقة، وبحيرات...إضافة إلى تراث فولكلور شعبي ثفافي متنوع وغني، ومنتوج حرفي محلي زاخر بالرموز الفنية وغيرها.

عملت الدولة على تشجيع المواسم والمهرجانات، نظرا لأدوارها الاجتماعية المهمة، إذ غالبا ما تتخلل معظم المواسم في الأطلس المركزي حملات ختان جماعي للأطفال المعوزين، وفحوصات طبية مجانية كقياس البصر والسكري، وذلك الاستعانة بقوافل طبية متطوعة²²⁰. علاوة على إدراج مسابقات رياضية في المواسم لاكتشاف المواهب المحلية وتشجيعها، وغالبا ما توزع هدايا ومكافئات على الفائزين في تلك المسابقات²²¹.

219 - يظهر أن برامج التنمية التي تتخلل المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي، هي مجرد مشاريع مجهرية من الدرجة الثانية والثالثة، لا يمكنها بكل تأكيد إحداث تنمية حقيقية مندمجة محلية وجهوية.

220 - الموقع الإلكتروني الإخباري، azilal24.com، 24 أبريل 2016

221 - نفسه.

الصورة رقم 8: التوجهات التنموية الجديدة للمواسم والمهرجانات²²²



- دور المواسم والمهرجانات في تحقيق التنمية الاجتماعية والتحديات التي تواجهها

هذه الأدوار الاجتماعية الجديدة للمواسم لم تأتي على أنقاض أدوارها التقليدية، بل ما زالت المواسم تلعب أدوارها الاجتماعية العريقة، باعتبار هذه التظاهرات مناسبة سنوية تجتمع فيه ساكنة المنطقة، لمعرفة أخبار القبائل الأخرى والتعارف وتبادل الزيارات فيما بينها. وعلى سبيل المثال، لا زال الدور الاجتماعي الذي يلعبه موسم الخطوبة لدى قبائل آيت حديدو في إملشيل بالأطلس المركزي في الحفاظ على رموزها الاحتفالية²²³.

وللإشارة، يعتبر موسم الزواج جزءا من التقاليد الاجتماعية العريقة لهذه القبائل، والذي تتحدى به التحولات السوسيوثقافية التي تشهدها المجتمعات المعاصرة، ويظهر ذلك من خلال إشعاع

222 - تصوير شخصي

223 - الموقع الإلكتروني الإخباري، هسبريس، 26 شتنبر 2017.

موسم إملشيل الذي تتقاطر عليه الزوار من داخل المغرب ومن خارجه قصد اكتشاف طقوس العرس الجماعي لشباب الأعالي، ودور هذه التظاهرة في تشجيع الشباب على الزواج وتكوين الأسر²²⁴. بيد أن، هناك تراجعاً للأدوار الروحية والدينية الصوفية للمواسم، وتزايد الانتقادات حول طقوس زيارة الأضرحة والجذبة والذبحة، الشيء الذي دفع في نظرنا دفع السلطات المحلية إلى خلق مهرجانات حديثة، لاستقطاب اهتمام الزوار بمختلف أطيافها²²⁵. وقد اعترف العديد من خدام الأضرحة، بهذا الواقع، وبترجع الاحتفالات الدينية²²⁶، التي بدأت تفتقد إلى شعبيتها المعهودة، مقارنة بالمهرجانات المستحدثة.

إلى جانب ذلك، لم يعد أتباع الزوايا يؤدون الطقوس الأولى كما كانت عليه، بل أصبحت الطرق الصوفية الشعبية بالأطلس المركزي، وخاصة في موسمي مولاي بوعزة وموسم الطائفين الحمدوشية والعيساوية في دمنات، مجرد جنس من الأجناس الموسيقية تستهوي الشباب، وتدفعهم إلى الرقص على إيقاع موسيقاها، وتسجل حضورها في المهرجانات المحلية والوطنية وحتى الدولية²²⁷. ولم يعد هدف الزوار الأساسي البحث عن بركة الأولياء، والاستمتاع بحلقات الحضرة والجذبة وغيرها من الطقوس التقليدية للمواسم. بل إن دافعهم لزيارة المواسم هو تعطشهم للتسلية، والترويح على النفس، وربط علاقات جديدة مع الأقران. لهذه الغاية، حرصت السلطات المحلية على أن يتزامن فترة تنظيم المواسم مع فترات العطل الربيعية أو البيئية أو الصيفية.

إن هذه التحولات التي تعرفها ظاهرة المواسم والمهرجانات في السنوات القليلة الماضية، تجد تفسيرها في التحولات التي عرفها المجتمع المغربي منذ احتكاكه بالأوروبيين وبثقافتهم. ولا شك أن ذلك الثقافة، انعكس بشكل أو بآخر على ظاهرة المواسم الدينية بالمغرب. كما أن الدولة المغربية بدورها تحاول أن تؤلف بين ثنائية الحداثة والأصالة، وما يرتبط بهذه الأخيرة من إمارة المؤمنين والتدين الشعبي، لهذا فالتحولات التي تعرفها أو بدأت تعرفها ظاهرة المواسم تؤطرها ثلاثية الدين

224 - أسطورة العاشيقين المتداولة. مفادها أن شابين حرمتها الصراعات والعداء بين القبائل من الزواج. رغم الحب الجامح الذي جمع بينهما. فالأسطورة هذه. تسعى لنشر قيم الحب ونبيذ الصراع. وتشجيع الزواج بين شباب قبائل لتقوية التضامن بينها.

225 - الموقع الإلكتروني الإخباري. trtarabi.com. 12 غشت 2019 .

226 - الموقع الإلكتروني الإخباري. Atlascoop.com. بتاريخ 21 شتنبر 2019.

227 - الموقع الإلكتروني الإخباري. almassaraljadid.com. 25 مارس 2018.

- دور المواسم والمهرجانات الراهنة في استحضار الأمجاد التاريخية والقضايا الوطنية

تعتبر المواسم والمهرجانات الراهنة بالأطلس المركزي، مناسبة لاستحضار محطات تاريخية وطنية خالدة²²⁸، حيث دأب بعض المنظمين في المنطقة على استحضار محطات تاريخية وطنية، تشكل شعار هذه التظاهرات الاحتفالية، وعلى سبيل المثال، يعقد موسم دير القصبية لإحياء واستحضار ذكرى معركة "مرمان"، التي تعتبر واحدة من بين سلسلة المعارك التي خاضتها قبائل آيت ويرة ضد الزحف العسكري الاستعماري. وبهذه المناسبة، جندت السلطات المحلية بدير القصبية الإعلام الجهوي²²⁹، ومواقع التواصل الاجتماعي، لإثارة الرأي العام المحلي حول الأهمية المعنوية لموسم دير القصبية، باستحضار بطولات قبائل آيت ويرة في مواجهة الاستعمار، بواسطة خطابات حماسية، وندوات ثقافية، خلقت لدى الساكنة شعورا بالفخر والاعتزاز بالدفاع على الوطن.

إلى جانب ذلك، تراهن السلطات المحلية على استغلال المواسم، لإثارة بعض القضايا الوطنية المصرية، وخصوصا قضية الصحراء، ففي موسم أولاد زمام (إقليم الفقيه بن صالح²³⁰)، تراهن السلطات المحلية أن يلعب الموسم دورا تحسيسيا بأهمية الدفاع عن القضية الوطنية الأولى، ويبدو من خلال شعار نسخة الموسم "من أجلك يا صحراء"²³¹ الدور الذي تحرص عليه السلطة المحلية أن يلعبه الموسم في نمو الوعي الوطني، وتقريب قضية الصحراء من الأجيال الحالية، وفهم ملابسات هذا النزاع المفتعل، والرفع من سقف الإجماع الوطني²³².

228 - الموقع الإلكتروني الإخباري، azilal24.com، 27 يونيو 2013.

229 - نفسه.

230 - نفسه، 29 أبريل 2015.

231 - نفسه.

232 - نفسه.

الصورة رقم 9: أهمية المواسم لاستحضار الأجداد الوطنية²³³



وفي ذات السياق، أجمعت كل الفعليات المنظمة، على دور مثل هذه المناسبات في التحسيس بالقضية الوطنية الأولى، كما أبدوا تعاطفهم الشديد مع محتجزي تندوف فوق الأراضي الجزائرية. بل وأكد رئيس الجماعة القروية لأولاد زمام، أن المهرجان فرصة لتعميق النقاش حول مبادرة الحكم الذاتي التي اقترحتها المغرب لحل النزاع المفتعل حول الصحراء المغربية²³⁴.

- ردود فعل المجتمع تجاه تشجيع الدولة تظاهرات المواسم والمهرجانات

يتضح من خلال تحرياتنا الميدانية، وما جاء في بعض مواقع التواصل الاجتماعي والتعليقات الواردة في المواقع الإخبارية الإلكترونية الجهوية بخصوص المواسم والمهرجانات²³⁵، أن بعض الشرائح الاجتماعية أغلبها من فئة الشباب يستنكرون مجموعة من الطقوس والعبادات، كالطريقة

233 - تصوير شخصي.

234 - نفسه.

235 - الموقع الإلكتروني الإخباري، Casapress.net، 18 يناير 2017.

التي هاجم بها زوار موسم الولي مولاي إبراهيم جملا في نواحي مدينة مراكش، باستعمالهم السواطير والسكاكين لنحره ثم التهام لحمه نيئاً²³⁶. ووصفت الجماهير تلك الطريقة بالمتخلفة، والتي لا تسير التطور الذي يعرفه المجتمع المغربي على كافة المستويات. ودعا هؤلاء الدولة للتدخل لوضع حد لهذه الشعوذة التي يتعاطى لها بالخصوص بسطاء الناس²³⁷.

كما اعتبر البعض أن تقديس الأضرحة وإحياء المواسم هو بدعة وضرب من الشرك بالله، حيث تعرف استفحال ظاهرة الاختلاط بين الجنسين، ودعت هذه الفئة الجهات الرسمية إلى محاربة هذه المواسم وطقوسها، ولا تخفي هذه الفئات معارضتها الشديدة والعلانية لمثل هذه التظاهرات. إلى جانب ذلك، عبر العديد من رواد المواقع الإخبارية الإلكترونية، عن رفضهم لاستمرار منح الهبات الممنوحة للزوايا والأضرحة والمواسم²³⁸، باعتبارها موجهة إلى الموتى تنمي التواكل والكسل، في حين أن مستحقيها هم الأحياء من الفقراء والمرضى والعاطلين وسكان البوادي، ويجب توجيهها لخلق مشاريع تنموية.

في المقابل، يرى البعض الآخر من متتبعي تظاهرات المواسم، أن إهمال الأحزاب السياسية المغربية للشأن الثقافي، سواء في أنشطتهم العادية أو في برامجهم الانتخابية، مهد لتنامي معارضة المواسم من طرف التيارات الإسلامية الأصولية المتشددة، حيث تقود حملة شعواء بين بسطاء الشعب المغربي لمقاطعة طقوسها ومواسمها²³⁹.

والملاحظ في هذا السياق، أن هناك تجاهل للتيارات الحداثية الوطنية للمواسم والمهرجانات وكل الطقوس ومظاهر التدين الشعبي، ولا تخفي رغبتها حصرها في إطار ثقافي²⁴⁰. لذلك، أصبحت المواسم والمهرجانات الراهنة موضوعا يحتد فيها الخلاف والنقاش بين المتشبهين بها كإرث روحي، لا يمكن الاستغناء عنه أو التفريط فيه بأي وجه كان، والداعين إلى القطيعة معها لما تعرفه من مخالفات شرعية وأخلاقية تتنافى مع مقاصد العقيدة الإسلامية.

236 - نفسه.

237 - نفسه.

238 - الموقع الإلكتروني الإخباري، هسبريس، 15 يناير 2016

239 - الموقع الإلكتروني الإخباري، العمق المغربي، 06 دجنبر 2017.

240 - نفسه.

3- سياسات السلطات تجاه المواسم اليهودية الراهنة

تتميز سياسات السلطات تجاه المواسم اليهودية الراهنة بالأطلس المركزي بالتشجيع والدعم، ويتجلى ذلك في الحضور الوازن لرجال السلطات المحلية أو المركزية، وممثلي المجالس العلمية الجهوية وبعض جمعيات المجتمع المدني، أثناء افتتاح مواسم "الهيلولة"²⁴¹. علاوة على ذلك، تحظى احتفالات الهيلولة بتغطية إعلامية واسعة سواء وسائل الإعلام الرسمية وغير الرسمية.

وغالبا ما تستغل السلطات احتفالات الهيلولة بالأطلس المركزي، لإتارة العلاقة التي تربط اليهود المغاربة ببلدهم المغرب²⁴². وعلاقات التعايش والتسامح التي تربط بينهم وبين والسكان المحلية، وهو أفرز مجتمعا بلغ فيه الاندماج درجة أصبح لليهود والمسلمون أولياء يتبركون منهم معا، كالولي "مول أزاد" المتواجد ببلدة ابزو بمنطقة انتيفة، والذي اشتهر بين سكان المنطقة بكراماته العلاجية كعلاج الأمراض العقلية والجسدية²⁴³.

إلى جانب ذلك، تحظى مواسم الهيلولة اليهودية، بتغطية إعلامية واسعة بدعم من السلطات، خاصة الإعلام الإلكتروني، وغالبا ما تركز هذه المواد الإعلامية على مواضيع تبرز أواصر علاقات التضامن والتعايش والتسامح والارتباط التي تجمع اليهود المغاربة ببلدهم الأم²⁴⁴.

وتشكل المواسم اليهودية بالأطلس المركزي، مناسبة تزور فيها الجالية اليهودية المغربية أضرحتها ومزاراتها المقدسة، حيث يمارس هؤلاء طقوسهم وعاداتهم بكل حرية. ويعبرون في كل مناسبة عن فرحتهم وسرورهم بتواجدهم في المنطقة، وزيارة مدنهم وقراهم الأصلية واسترجاع الذكريات الجميلة. وللإشارة، يحتفل اليهود بموسم الهيلولة في عدة مناطق بالأطلس المركزي، كموسم "ريبي يوسف ابازيو" في بلدة فم الجمعة، وموسم داويد دراع بتدلي فتواكة بدمنات²⁴⁵،

241 - بالرجوع إلى الأبحاث في التراث واللسانيات العبرية نجد ان كلمة او مصطلح "هيلولة" هو تحريف لإحدى اللزيمات كثيرة الورد في مزامير داوود و"هاليلويا" معناها "سبحوا لله" ومن بين الطقوس التي تميز احتفالات "الهيلولة"، عقد مزاد علني على الشمعة التي ستنير ضريح الولي الصالح، وعود الثقاب الذي سيثقلها، حيث تباع بمبالغ خيالية اعتقاداً منهم أنها تحتوي على "بركة" أولئك الأولياء، رواية شفوية مشار إليها، مخلوف أبي تبول حزان ضريح الولي مول البرج ببلدة ابزو.

242 - الموقع الإلكتروني الإخباري، noonpost.com، 18 شتنبر 2017.

243 - الموقع الإلكتروني الإخباري، wasat.ma، 08 ماي 2015.

244 - الموقع الإلكتروني الإخباري، ar.welovebuzz.com، نقلا عن موقع أسفي بريس، بدون تاريخ.

245 - الموقع الإلكتروني الإخباري، atlas24.ma، 18 يناير 2016.

وموسم ربيبي اتسحاق هليلفي بموضع ابرو²⁴⁶.

يمكن تفسير دوافع الدعم المادي والمعنوي من قبل السلطات للاحتفالات اليهودية بالأطلس المركزي لسببين، يكمن الأول، في رغبة السلطات إبراز أهمية التراث اليهودي المغربي، في إثراء الثقافة الوطنية، ودور اليهود المغاربة في تحقيق الإشعاع الثقافي والسياحي للجهة وللمملكة، وأهمية ذلك في المساهمة في تحقيق التنمية. ويتمثل السبب الثاني، في رغبة السلطات استغلال النفوذ الاقتصادي والسياسي لليهود المغاربة في العالم، للدفاع عن المصالح السياسية والاقتصادية المغربية في المحافل الدولية.

مجمل القول، يتضح أن تشجيع الدولة للمواسم والمهرجانات اليهودية، يجد تفسيره في رغبة السلطات استغلال الأدوار والوظائف الروحية للمواسم لتحقيق التماسك الاجتماعي من جهة، وبين استغلال الوظائف الجديدة للمواسم اليهودية، لتحقيق التنمية المندمجة، والمحافظة على التراث الثقافي الوطني والمحلي، والدفاع عن القضايا الوطنية دولياً.

نستنتج من خلال ما تناولناه في هذا المبحث، أن سياسة الدولة بخصوص احتفالات المواسم والمهرجانات خلال النصف الثاني من القرن 20م ومطلع القرن 21م. شهدت تطورات كبرى تماشياً والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفها المغرب بعد نيل استقلاله سنة 1956م. لقد تميزت سياسة الدولة على العموم تجاه المواسم الاحتفالية خلال النصف الثاني من القرن 20م بالدعم والتشجيع، ويمكن تفسير هذا الخيار السياسي، برغبة السلطات استغلال هذه المواسم الاحتفالية لتنمية الشعور القومي المغربي، وإظهار سلطة المؤسسات الجديدة للدولة الحديثة التي حلت محل المؤسسات التقليدية الممثلة في القبيلة والزاوية والمخزن.

إلى جانب ذلك، حاولت السلطة استغلال هذه المواسم للمساهمة في التنمية المحلية، والدفع بالسكان إلى الارتباط بالجماعات المحلية والتمسك بالعرش العلوي. وهو ما دفع في اعتقادنا المرحوم الملك الحسن الثاني إلى محاولته جعل عيد العرش موسماً جديداً، على غرار مواسم الزوايا والأضرحة.

246 - الموقع الإلكتروني الإخباري، أزيلدال 24، 18 يناير 2016.

وقد شهدت سياسة الدولة تغييرات في تعاملها مع احتفالات المواسم والمهرجانات مطلع القرن 21م، الذي تزامن مع تولي الملك محمد السادس عرش المملكة المغربية، واستجابة للتحويلات التي شهدها المجتمع المغربي، وأصبحت السلطة تولي أهمية كبرى للأبعاد التنموية للمواسم، بحيث تراهن السلطات المحلية أن تلعب هذه المواسم دورا كبيرا في التعريف بالتراث الثقافي المحلي بما فيه التراث اليهودي المغربي وتثمينه، واستغلال كل ذلك في تطوير وتنمية الاقتصاد التضامني. ورغم مجهودات الجماعات المحلية، لتحقيق كل هذه الغايات والأهداف، إلا أن هناك تباينا في مواقف المجتمع تجاه العديد من هذه الطقوس الاحتفالية، المتمثل مثلا في رفض معظم المجتمع بعض الطقوس كزيارة الأضرحة والذبيحة، مقابل تشجيعه طقوساً احتفالية أخرى كما هو الحال بالنسبة لتراث التبوريدة، مما دفع السلطات المحلية إلى تبني موقف الجماهير الذي يضر في بعض الأحيان بتراثنا المحلي والوطني.

خاتمة الفصل الخامس

نستخلص من خلال هذا الفصل، أن سياسة السلطة الحاكمة منذ الأدارسة إلى غاية مطلع القرن 21م، اتسمت بالتباين والاختلاف حسب ما تقتضيه كل ظرفية تاريخية من تطورات ومصالح سياسية لكل سلطان. وقد اتضح على ما يبدو، أن سياسة الدول المتعاقبة على المغرب قبل المرينيين تجاه المواسم الزراعية التقليدية القديمة لم تكن واضحة. ولا يستبعد أن تكون هذه الدولة واجهت إكراهات عدة لتحقيق غاياتها في محاربة المواسم الطقوس والعادات المحلية ونشر الإسلام في كل مناطق المغرب. وهذا ما استغلته الحركة الصوفية خلال حكم كل من المرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين، حيث رسخت هذه الحركة الإسلام في البوادي والجبال المغربية، وكيفت الدين الإسلامي مع معتقدات وطقوس الساكنة المحلية، وربطت المواسم بالزوايا والأضرحة. وقد أفرز هذا الوضع تباينا في سياسات المخزن العلوي تجاه الزوايا والمواسم الاحتفالية، حيث نهج سلاطين الدولة العلوية في مراحلها الأولى، سياسة تطويق حركة الزوايا المتطلعة للحكم، وشن حربا على أنشطتها وخاصة المواسم الاحتفالية. وفي المقابل، شجعت السلطات أنشطة الزوايا التي كانت تناصر نظام الحكم العلوي، بل أيدوا تأسيس طرق صوفية الجديدة مساندة له. إلى جانب ذلك، اتضح أن الحركة الصوفية شهدت خلال القرنين 18م و19م، تحولات وتطورات كبرى، تمثلت في بسط هيمنتها على مختلف المجالات الاقتصادية والسياسة والاجتماعية والثقافية

الدينية للقبائل. ومن تم انتقل تنظيم جل المواسم الاحتفالية القديمة من القبيلة، إلى الأولياء وشيوخ الزوايا، وأصبحت مرتبطة مباشرة بها، مما دفع السلطة إلى تبني سياسات متباينة تجاه المواسم والزوايا والطرق الصوفية والأضرحة، اتسمت في بعض الأحيان بالتسامح والتحالف لتفادي المواجهة، وأحيانا أخرى بالتشدد والصرامة، كما حدث في عهد السلطان مولاي سليمان، الذي شن حربا على الزوايا وأنشطتها.

أما في فترة الحماية، فقد اتسمت سياسات السلطات تجاه المواسم بالدعم والتشجيع في الغالب، وذلك من خلال الحضور الشخصي للمقيمين العامين وأعوانهم من المخزن للمواسم الاحتفالية، وإشرافهم على تنظيم المواسم الاحتفالية وإلقاءهم خطبا بهذه المناسبة. ويعزى هذا الدعم في رغبة السلطات الفرنسية تنفيذ سياستها الإسلامية بالمغرب، وإحداث تحولات اقتصادية كبيرة، خاصة في القطاع الفلاحي، في أفق تسهيل الاستيطان والاستغلال الاستعماري، وإضعاف مخططات الوطنيين والسلفيين المناهضة للإستعمار الفرنسي.

غير أن السياسة الفرنسية تجاه المواسم الاحتفالية، لم تكن دائما تسير في اتجاه التشجيع والدعم، وإنما يطبعها المنع والحظر في بعض الأحيان، حيث منعت سطات الحماية تنظيم بعض المواسم الاحتفالية، لأسباب ترى فيها تهديدا لمصالحها الاستعمارية، حيث كانت بعض المواسم فرصة لإشاعة ونشر الأفكار المناهضة للاستعمار.

ومن جهة أخرى، لاحظنا أن مواقف قادة الحركة الوطنية خلال الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، يغلب عليها طابع الرفض لكل الطقوس وأنشطة الزوايا والمواسم الاحتفالية، باعتبارها بدعة تتنافى مع الدين الإسلامي، وتخدم مصالح الاستعمار. هذا الوضع، دفع سلطات الحماية إلى اتخاذ موقف مناهض للحركة الوطنية والتيار السلفي المناهضين بدورهما للزوايا والمواسم والاستعمار.

وشهدت سياسة الدولة بخصوص احتفالات المواسم المهرجانات خلال النصف الثاني من القرن 20م ومطلع القرن 21م، تحولات عميقة، حيث قدمت السلطات كل الدعم المادي والمعنوي لهذه الاحتفالات، بسبب رغبة السلطات استغلال هذه المواسم والمهرجانات لتنمية الشعور القومي المغربي، والمساهمة في تحقيق التنمية المحلية والمحافظة على التراث، وإبراز سلطة الدولة المؤسسات الجديدة، التي عوضت المؤسسات الموروثة.

إلى جانب ذلك، يظهر أن السلطات تراهن على استغلال هذه المواسم لربط الساكنة المحلية

بالجماعات المحلية، والملكية الدستورية، بدل ارتباط الساكنة بالقبيلة والزاوية ومؤسسات المخزن التقليدي. وهو ما دفع السلطات إلى حرصها على جعل عيد العرش موسما، على غرار مواسم الزوايا والأضرحة.

وعرفت سياسات السلطات تجاه المواسم والمهرجانات تغييرات مهمة منذ تولي الملك محمد السادس عرش المملكة المغربية، بحيث أصبحت السلطة تولي أهمية كبرى للأبعاد التنموية للمواسم، من خلال التعريف بالتراث الثقافي المحلي بما فيه التراث اليهودي المغربي وتثمينه، واستغلال كل ذلك في تحقيق التنمية المندمجة المحلية.

غير أن السياسات الجديدة للسلطات تجاه التراث تواجهه مجموعة من التحديات أهمها: تنامي مواقف مجتمعية قوية معارضة للعديد من طقوس المواسم، كزيارة الأضرحة والذبيحة، وهو ما يهدد تراثنا المحلي والوطني، ويحول دون تحقيق غايات الدولة من تشجيع ظاهرة المواسم والمهرجانات.

مظاهر الاحتفال بمواسم ومهرجانات
الأطلس المركزي خلال القرن 20 ومطلع القرن

الفصل
السادس

التبويريدة بمواسم ومهرجانات الأطلس
المركزي

البحث
الأول

الرقص والغناء بمواسم الأطلس المركزي

البحث
الثاني

عروض التسلية والترفيه بمواسم الأطلس المركزي

البحث
الثالث

مقدمة الفصل السادس

تعتبر التبوريدة أو الفروسية، أو الفنتازيا، من أهم المظاهر الاحتفالية التي تؤثت ساحات المواسم، بفعل الامتدادات التاريخية لهذا الموروث الثقافي، والتحويلات التي عرفتها، وآفاقها وإكراهاتها الراهنة، حيث انتقلت من أدوارها العسكرية الحربية، إلى أدوار فنية فولكلورية احتفالية خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م. هذه الأهمية التي تحظى بها التبوريدة في المواسم، دفعنا إلى دراستها بأبعادها التاريخية، وأهم التطورات التي عرفتها خلال القرن 20م، وواقعها الراهن وآفاقها المستقبلية. كما وضنا درجة اهتمام الساكنة بهذا الموروث الثقافي، والإكراهات التي تواجهه بالأطلس المركزي، خاصة بعد تزايد المهرجانات والمواسم المرتبطة بالفروسية في السنوات الأخيرة . هذا بخصوص المبحث الأول، أما المبحث الثاني، فقد خصناه لموضوع الرقص والغناء بمواسم الأطلس المركزي، باعتبارهما مظهرين من مظاهر الاحتفال خلال انعقاد المواسم بالأطلس المركزي، والذي يتميز بخصوصيات تاريخية وثقافية وتنوع منقطع النظير. ومن الفرق الموسيقية ركزنا عليها رقصة "أحيدوس" ورقصة "أحواش" ورقصة "بوغانيم" والرقص والغناء المعروف بالفراجة أو "الشيخات"، وهي التي تميز مواسم الأطلس المركزي في الفترتين المعاصرة والراهنة. ووقفنا كذلك على رقصة "عبيدات الرمي عند القبائل العربية بسهل تادلا" أو "العامت لدى القبائل الأمازيغية". وفي الأخير، قاربنا تمثلاث الساكنة المحلية للرقص والغناء في المواسم، وردود فعل (الجماهير) والفقهاء تجاه هذا التراث الثقافي، الذي تؤطره ثنائية المقدس والمدنس.

وفي المبحث الأخير، تطرقنا لموضوع التسلية أو الترفيه بمواسم الأطلس المركزي بما فيها التسلية في المواسم اليهودي، التي تعتبر من المظاهر الاحتفالية التي تميز المنطقة ومواسمها، بفعل تنوعها وعراقتها التاريخية، وأهميتها التراثية، خاصة وأن تراث التسلية شهد تطورات خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م. ومن بين أصناف التسلية والترفيه التي وقفنا عندها، فن الحلقة والرقص، والألعاب السحرية، وألعاب البهلوانية... وتناولنا في آخر هذا الفصل، مختلف اهتمامات فئات المجتمع للتسلية والترفيه خلال انعقاد المواسم.

المبحث الأول: التبوريدة بمواسم ومهرجانات الأطلس المركزي

تعتبر التبوريدة أو الفروسية أو الفنتازيا، من أهم المظاهر الاحتفالية التي تؤثت ساحات المواسم،

وهي وثيقة حية تلخص جوانب من التاريخ والتراث الثقافي المادي وغير المادي للمغرب عامة وللأطلس المركزي على وجه الخصوص.

تناولنا هذا الإشكال من خلال التطرق لمفهوم الفروسية بدلالاتها الواسعة وعمقها التاريخي، ومختلف التحولات التي عرفتتها التبوريدة خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م، خصوصا وأن هذا التراث انتقل من أدوار عسكرية إلى أدوار فرجوية فولكلورية احتفالية. ووقفنا كذلك على واقع فن التبوريدة وأفاقها والإكراهات التي تواجهها، ودرجة اهتمام الساكنة المحلية بهذا الموروث الثقافي، خصوصا بعد تزايد المهرجانات والمواسم المرتبطة بالفروسية في السنوات الأخيرة.

1 - التبوريدة من الأدوار العسكرية إلى الأدوار الفلكلورية

1 - 1 تعريف التبوريدة

يظهر من الوهلة الأولى أن هناك تنوع في المصطلحات والمفاهيم المعبرة عن الفروسية، فهناك من يسميها بالتبوريدة، نسبة إلى البارود، وهناك من يطلق عليها اسم الفنتازيا أو لعبة الخيل، ويحتمل أن يكون الفرنسيين هم أول من استخدم مصطلح "فانتازيا"، للتعبير عن ألعاب وفنون الفروسية التقليدية¹.

وهناك من يشير إلى الأصل الإسباني أو الإيطالي لمصطلح الفنتازيا، وغالبا، يرجع أصل مصطلح فانتازيا إلى اللغة الإسبانية الذي يشير إلى لعبة الخيل. ورغم أن هذا المصطلح غريب عن الثقافة المغربية، إلا أنه تم استعماله على نطاق واسع في القطاع السياحي. وتشير الباحثة فانك ريسو، أن مصطلح الفنتازيا بدأ استخدامه في اللغة الفرنسية منذ عام 1833م، وهو التاريخ الذي رسم فيه "Eugène Delacroix" لوحة فنية للفنتازيا².

يعتبر Delacroix أول من استعمال كلمة "فانتازيا" سنة 1833م حسب الباحثة فانك ريسو، وبعد ذلك قدم فنانون آخرون لوحات فنية تصور عروض التبوريدة خلال النصف الثاني من القرن 19م، ومنهم (Eugène Fromentin)، الذي رسم مشهد الفروسية بمناسبة تكريم زعيمين قبليين

1-Fenneke REYSOO, Des moussemes..., op. cit. p p. 149, 152.

2 - Peyron Michael, « Fantasia », in: *Encyclopédie berbère*, Volume, no 18, 1997, mis en ligne le 01 juin 2011, p. 323.

بالأطلس المتوسط سنة 1869. كما رسم (E. Bayard)، لوحة فنية يعود تاريخها لسنة 1879م، وهي عبارة عن فرقة تبويدا "كتيبة حرب" أمام أسوار إحدى المدن المغربية العتيقة³. يشير مصطلح "التبويدا" في العامية المغربية، إلى لعبة البارود، والمصطلح مشتق من كلمة "البارود" المرتبطة بصناعة (مسحوق البارود)، وهي حرفة معروفة عند العديد من القبائل المغربية. أما مصطلح التبويدا لدى القبائل الأمازيغية بالأطلس المركزي، فإن هناك من يستخدم مصطلح "إيسان" أي الخيل للدلالة على التبويدا، وهناك من يستخدم مصطلح "التحريك" أي الحركة، للإشارة إلى تراث الفنتازيا. وفي هذا السياق، أشار "مايكل برون" إلى أن بعض قبائل إقليم أزيلال، يطلقون مصطلح "أسناحي" للدلالة على الفروسية ولعبة الخيل، لكن الذاكرة الجماعية، لم تؤكد لنا رواية الباحث برون⁴.

وتجدر الإشارة، إلى أن القبائل الأمازيغية بالأطلس المركزي، يستعملون مصطلحات مرتبطة بالمحاربين "إمناين - أي الفرسان"، أو "إيسان - أي الخيل" للإشارة للتبويدا. والملاحظ أن اللغة والثقافة العربية لا تختلف عن الأمازيغية في هذا السياق، ففي لسان العرب، تشير الفروسية إلى الخيل، ومنه الخيول، والخيالة أي الفرسان، ومنه والفروسية المشتقة من الفرس، وهي أنثى الحصان ومن تم أطلق العرب مصطلح الفروسية.

هذا التنوع الاصطلاحي والثقافي لهذا التراث، يبرزه تنوع المصطلحات والكلمات المستعملة للدلالة على هذا الموروث الثقافي، حيث يستعمل البعض تارة الفروسية، وتارة التبويدا وتارة أخرى الفنتازيا.... ورغم هذا التنوع يعتبر هذا الإرث الثقافي فن مغربي أصيل، تخصص له اليوم مواسم مهرجان سنوية في مختلف ربوع المملكة، تضمن بها القبائل الفرجة، وتتابعها بشغف كبير، لكونها رمز للشجاعة والكرم والطهارة التي تظهر أيضا العلاقة التفاعلية والودية بين الحيوان والإنسان.

1 - 2 تطورات الفانتازيا بالمواسم والمهرجانات

إن أول سؤال يتبادر إلى ذهن، هو معرفة ما إذا كانت الفانتازيا في شكلها الحالي ممارسة قديمة

3 - Peyron Michael, « Fantasia » ...,op. cit., p.2.

4 -Ibid, p.186.

وعريقة، أم أنها ارتبطت بفترات تاريخية حديثة؟ يظهر أنه من الصعب الإجابة عن هذا السؤال بشكل قطعي، بسبب ندرة المادة المصدرية حول الموضوع.

ومن تم، لا نعم بالضبط تاريخ ارتباط التبوريدة بالمواسم، لكن ربما يرجع ذلك لفترات تاريخية قديمة قدم المواسم الزراعية، ويشير Hobsbawn⁵ في هذا السياق، إلى أن ابتداع التقاليد والطقوس والعادات كالمواسم، تتم خلال فترات ضعف التحولات الاجتماعية السريعة، أو في فترات انهيار الأنظمة الثقافية القائمة الموروثة⁶. وتسعى التقاليد والعادات التي يتم إبداعها إلى غرس قيم وقواعد معينة، تحرص على تأكيد الاستمرارية مع الماضي بممارساتها وعاداتها الطقوسية والرمزية التي تحكمها قواعد مقبولة علنا أو ضمناً.

الصورة رقم 10: التبوريدة من خيمة القائد أمهروق خنيفرة 1951⁷



5 -Fenneke REYSOO, Des moussemes, op. cit. p p. 149, 152.

6 - يعتبر انهيار الديانة الوثنية بشبه الجزيرة العربية، وانتشار الإسلام خير مثال على ابتداع أنماط ثقافية جديدة، ساهمت في غرس قيم جديدة عوضت العديد من العادات والتقاليد.

7 - التراث الأمازيغي بالأطلس المتوسط

يفسر ارتباط الفانتازيا بالمواسم والمهرجانات⁸، لكون هذه الأخيرة ملائمة لتنظيم مثل هذه الاحتفالات، بحكم التأمها في ساحات الهواء الطلق يحج إليه الزوار لإحياء الصلة بسلف القبيلة أو ماضيها الروحي. وتجرى تظاهرات الفنتازيا أمام الخيام القايدية، التي من خلالها يعبر ممثلو السلطة وضيوفهم الشرفيون عن إعجابهم بجمالية هذا التراث، وبخيولهم الرائعة، وأسلحتهم الجميلة⁹، وأناقتهم ونخوتهم التي تشهد على ماضي حربي، حيث تذكر المواسم بالحركات العسكرية المشهورة للجيش السلطاني¹⁰، وتبرز علاقات الهيمنة الاجتماعية.

لقد ارتبطت الفنتازيا بالمواسم لكون هذه الأخيرة مناسبة تجتمع فيها القبائل لإبراز ماضيها البطولي، وقيم وأمجاد القبيلة، فالفروسية، حسب "Loti Pierre" سنة 1925م، رمز من رموز النضال ضد قوى خارجية وداخلية، وهي موروث تتداخل فيه مفاهيم، النظام، الحرية، والعفوية، والحكمة، تتعاقب فيه الأنوثة والرجولة، والخفة والرزانة، والراحة والسرعة. إضافة إلى أن لعبة الخيل، تحقيق نوعا الفرجة والترويح عن النفس وتساهم في القطيعة مع الرتبة اليومية، عن طريق ترك عموم العمل والجد والتفرغ للهو والفرح والاحتفالات، التي تزينها أصوات نارية من طلقات البارود.

1 - 3 التبوريدة بين الأدوار العسكرية والأدوار الفولكلورية

أ- الأدوار العسكرية للتبوريدا

- 8 - خلال حفل زفاف الأميرة لالة أسماء يونيو عام 1987م، ضربت السلطات أكثر من 2500 خيمة قايدية بمرakash، وحضر الحفل جل ممثلي الجماعات المحلية، وأكثر من 3000 فارس الفانتازيا، ومئات الفرق الموسيقية الشعبية. أنظر: - Le Matin du Sahara, 6 Juin 1987, p. 2.
- 9 - يرتدي الفرسان عموما ملابس بيضاء تتكون من: سروال تقليدي فضفاض يسمى "القندريسي"، وقميص، "حايك" أو برنس، ويغطي الفرسان رؤوسهم بعمامة بيضاء أو ذهبية. ويرتدون أحذية عبارة عن "بلغة" عالية. يحملون على جانبهم خنجر مقوسا وحقيبة جلدية. يكون لجام الخيول أنيقة ومحبوكة ومصنوع بعناية. ويتم شد السرج المطرز تحت بطن وعنق الحصان، وتربط الركائز المصنوعة النحاس في السرج متدلّية نحو الأسفل.
- 10 - ينبغي للمحلة السلطانية، أن تقدم عند سيرها، أجمل العروض، حيث تتقدم صفوف من المشاة والفرسان، ومن خلفهم صف آخر يضم فريقا يحمل الأعلام وفريق من الموسيقيين العازفين. متبوعين بفرق المخازنية، والقواد والضباط، يتموقع السلطان تحت مضلته وسط المحلة، وخلفه أعضاء الحكومة، والوزراء وكتاب الدولة الممتطين البيغال المسرجة باللون الأحمر. وفي مؤخرة المحلة طابور الحرس الأسود... تحيط بالمحلة المدفعية وإسطبلات الخيول وبيغال السلطان. وبجوار مخيم السلطان يتواجد مخيم العسكر الذي يفصلها عن مخيم المخزن أرضية السوق، الذي يشبه جميع الأسواق الأسبوعية، من حيث المبادلات التجارية وانتشار المتسوقين والمومسات، وأصحاب الطب الشعبي، والدجالين، الموسيقيين والراقصين والبهلوانيين. أنظر:
- SEFRIQUI Ahmed, « Les tradition guerrières », in: Le Mémorial du Maroc, Vol. VIII, 1985, pp. 64-67- 250-263.

ترجع الأصول التاريخية الفروسية بالمغرب، إلى حقب تاريخية قديمة، لها علاقة باستعداد فرسان القبائل لخوض المعارك، وللفروسية حضور قوي لدى الأمازيغ القدامى، حيث كان يتميز الإنسان البربري بشغفه بركوب الفرس، وبتجربته في التعامل مع هذا الحيوان في الحرب والسلم¹¹. وقد وصفت الكتابات القديمة فرسان الأمازيغ أثناء المعارك، للتأريخ لحروبهم ضد الأجانب...¹². ارتبطت الفنتازيا المغربية بتقاليد الفروسية القديمة منذ إدخال "الحصان اللحية" السريع والمقاوم إلى شمال إفريقيا، حيث استخدمه الليبيون الشرقيون منذ القرن 13 ق.م لجر العربات¹³. منذ هذا التاريخ، بدأ أمازيغ شمال إفريقيا تدجين الخيول، واستخدموها لأغراض عدة كالتنقل. وقد تحدث المؤرخون في هذا الإطار عن الخيول التي كانت تتضمنها كتيبة نوميديا الشهيرة للملك ماسينيسا.

ولالإشارة، فإن الحضارة البيزنطية لعبت دورا مهما في إغناء حديقة الفروسية المغربية، ومنذ الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا ساهم في تلاقح الحصان "العربي الأصيل، والحصان "اللحية" البربري الأصيل، ومن تم تشكلت السلالات التي نراها اليوم في كل مرابط خيول بالمغرب، والتي نستمتع بتراثها في كل أنواع الفروسية، وخصوصا الفروسية التقليدية¹⁴.

لقد كان البعد العسكري حاضرا في كل الإشارات المصدرية حول الخيول وسباقاتها، وهو ما يلاحظ في إشارة بعض المصادر الوسيطة بخصوص سباق الخيول الذي كانت تنظمه القبائل المغربية، في إطار ما يمكن أن نسميه اليوم بالاستعدادات العسكرية. وقد انصب اهتمام هذه المصادر على أهمية الخيول وجودتها في المنطقة، نظرا للأدوار العسكري التي كانت تلعبها آنذاك، وتجمع مختلف هذه الإشارات المصدرية إلى الطبيعة العسكرية للتبوريدا¹⁵.

من هذا المنطلق، تعتبر الفروسية استعراضا للتكتيك العسكري العربي والبربري، المتمثل في

11 - لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا القديم، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2001-2002، ص. 268.

12 - المحفوظ أسمهر، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2003-2004، ص ص. 193، 197.

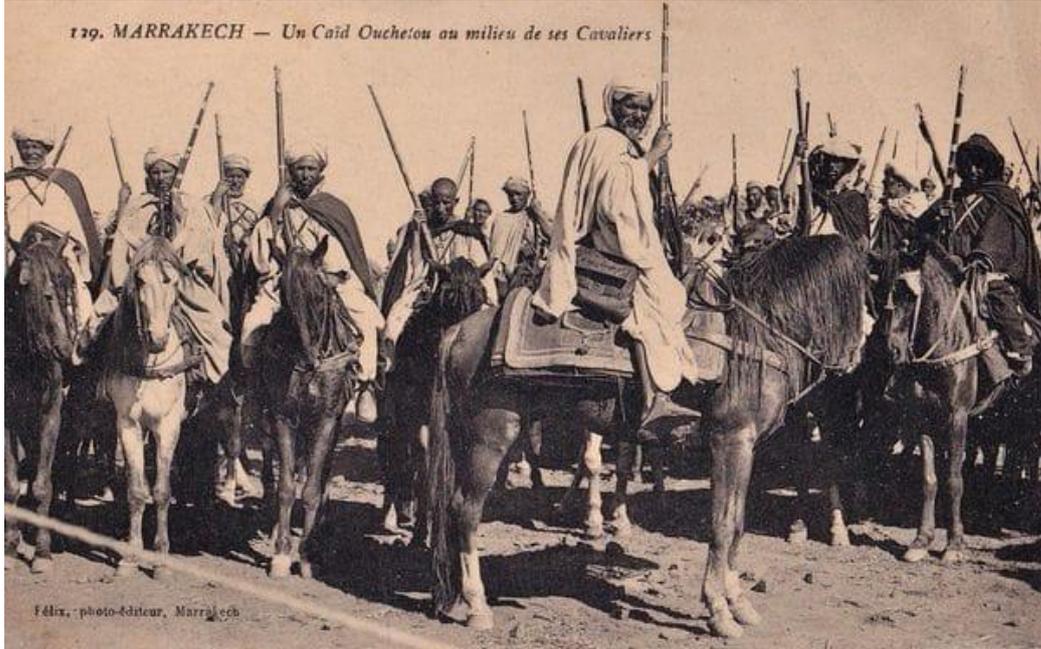
13 - Peyron Michael، « Fantasia... »، op. Cit. p. 2.

14 - Peyron Michael، «Fantasia...»، op. Cit. p p.323.

15-SEFRIQUI Ahmed، op. cit. p p. 64، 67، 250، 263.

عمليات الكر والفر حسب ابن خلدون¹⁶. لذلك، نرجح بشكل كبير، أن تكون هذه الفروسية استمرت بهذا الشكل إلى مطلع القرن 20م، غير أن طبيعة الأسلحة وطرق ممارسة الفروسية قد عرفت تحولات، خاصة بعد اختراع الأسلحة النارية.

الصورة رقم 11 : استعراض عسكري من قبل القائد أشطو قائد قبائل انتيفة بداية القرن 20م



هذه المؤشرات التاريخية المشار إليها، توضح أن الفروسية حاضرة بالمغرب قبل دخول الإسلام للمنطقة، واستمرت هذه الظاهرة بعد الفتح الإسلامي، خاصة وأن القبائل العربية التي استوطنت المغرب في العهد الموحد على دراية بهذه الفروسية إسوة بنظيرتها القبائل البربرية، وإن اختلفت طرق وعادات ممارسة هذه العادة من حيث الطقوس واللباس والأسلحة....

لذلك، شهد المغرب انتشارا واسعا للفنتازيا في السهول الأطلسية والهضاب الوسطى والأطلس المركزي على طول السفوح الشمالية والغربية، وفي ملوية العليا¹⁷. وتبدو الفنتازيا في هذه المناطق مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بخوض الحروب أكثر منه بالاحتفال بالمرابطين المتصوفة¹⁸. ويمكن ربط الظروف المفسرة لاستمرار الفروسية إلى يومنا هذا، بمنطق البقاء في الحرب، أو التحضير لحركة

16 - أنظر: ابن خلدون عبد الرحمان، م. س، ص. 224.

17 - Peyron Michael, «Fantasia... », op. Cit. p p. 2, 323.

18 - Ibid.

عقابية ضد قبيلة مجاورة، أو لصد عدوان خارجي، إذ لا يوجد سوى سلاح الفرسان الخفيف والمناور والمدرّب باستمرار للقيام بعمليات سريعة¹⁹.

توضح الأمثلة التالية، الأدوار العسكرية للفنتازيا بالأطلس المركزي، ففي بلاد زمور، كان الجميع مجبراً، تحت وطأة الغرامة، على شراء بندقية أو حصان أو خراطيش والمشاركة في الاستعدادات العسكرية المنظمة. لذلك، كانت تتعاطى قبائل زمور "الخميسات والنواحي" للفنتازيا كاستعدادات عسكرية، حيث "يلعج البارود لعدة أيام" تكريماً للزعماء الروحيين العظام من شرفاء وزان، أثناء زيارتهم لهم²⁰.

في هذا السياق، نقل شارل دوفوكو خلال زيارته لمنطقة آيت بوزيد بالأطلس المركزي خلال القرن 19م، هذا البعد العسكري للفروسية بهذه المناطق، حيث قال "... أن كل فارس من آيت بوزيد عليه أن يحضر كل يوم أحد ليشارك في هذه اللعبة. وكل من تغيب يعاقب بغرامة قيمتها 10 فرنكات. هذه طريقة مباشرة للتمرين الفروسي: ويجتمع المتبارون زمراً وعددهم 10 أو 20 فارساً. تأخذ بالتتابع كل واحدة من هذه المجموعات عملية السباق، يشحن المشاركون البندقيات، ويطلقون النار ثم يتوقفون ويشهرون السلاح تاركين المجال للمجموعة الأخرى، ثم يملؤون البندقيات بالبارود في انتظار إعادة الكرة عندما يأتي دورهم²¹".

وأشار Segonzac خلال رحلته الأولى بالأطلس مطلع القرن العشرين، إلى انتشار التبوريدة بالأطلس المركزي، وأبرز في الوقت نفسه أبعادها العسكرية، ووصف الفروسية بقبيلة آيت عياش التي اعتبرها تتوفر على "أفضل فرسان المغرب"²². كما وصف مهرجان الفروسية بقبيلة إشقيرين بملوية، عندما مر بالمنطقة، حيث كان يستمتع بالفنتازيا إلى جانب الرجل القوي والشهير بالأطلس المركزي سيدي علي أمهاوش مع مرافقيه²³.

وغالباً ما كانت القبائل تنظم تدريبات عسكرية "التبوريدة"، خلال هذه مناسبة فرصة اجتماع رؤساء القبائل للتشاور فيما بينهم حول القضايا ذات الاهتمام المشترك، بل ويتخذون أثناء انعقادها

19 - Ibid.

20 - Ibid.

21 - شارل دوفوكو، م. س. ص. 97.

22 - SEGONZAC Marquis de, Voyages au Maroc 1899-1901, Armand Colin, Paris, 1903, p. 166.

23 - Ibid, p.155.

بعض القرارات الحاسمة، ومن ذلك إشارة محمد بن البشير بوسلام إلى اتفاق زعماء قبائل المناطق المتاخمة لقصبة بني ملال بمناسبة انعقاد موسم سيدي عيسى بن إدريس سنة 1915م على خطة هجوم مشتركة (على جيش الاحتلال الفرنسي). وقد نفذ الهجوم بالفعل في 15 ماي 1915م من تجمع قبائلي كبير تكون في قصبة بني ملال وضم حوالي 5000 مقاتل...²⁴.

يتضح من خلال ما أشرنا إليه، أن أصل الفروسية استعداد وتدريب على خوض المعارك والجهاد ضد عدو محتمل بالدرجة الأولى. وهذا ما يفسر تسمية الساكنة المحلية في المنطقة اللباس الأبيض الذي كان يرتديه الفرسان بالكفن، ويعتبر ذلك دليل على البعد العسكري والجهادي لهذا الموروث الثقافي العريق.

ب- انتقال الفروسية من البعد العسكري إلى البعد الفولكلوري

عرفت الفروسية بالأطلس المركزي تحولات كبيرة في فترة الحماية، متمثلة في تزايد حضورها في المواسم والمناسبات الخاصة والعامة، وفقدانها لأدوارها العسكرية وتحولت إلى فولكلور فرجوي²⁵، شأنها شأن مختلف المؤسسات الموروثة التي كانت تنظم المجال بالأطلس المركزي، سواء القبيلة أو المخزن أو الزوايا، خاصة بعد القضاء على آخر معاقل المقاومة بالمنطقة سنة 1934م.

وترجع العوامل المفسرة لفقدان الفروسية أدوارها العسكرية، إلى نهج سلطات الحماية سياسة تقوم على إفراغ الفروسية من وظيفتها العسكرية الحقيقية، مقابل دعم الأدوار الفولكلورية الجديدة للفتازيا، وتحويلها إلى فولكلور فرجوي تنشط به الساكنة المحلية والسلطات مواسمها ومختلف مناسباتها.

من هذا المنطلق، أصبحت الفتازيا، وسيلة للفرجة والترفيه والتسلية خلال انعقاد المواسم والمناسبات الاحتفالية. وحسب بعض مصادر القرن 20م، لم يقتصر حضور الفتازيا على المواسم فقط، وإنما كانت حاضرة في العديد من المناسبات لدى بعض قبائل الأطلس المركزي، كتكريم واستقبال شخصية مشهورة. وقد أوردت هذه المصادر بعض الإشارات حول هذا الموضوع: كاستقبال

24 - محمد بن البشير بوسلام، م. س، ص. 221.

25 - محمد حقي، م. س، ص. 203.

قبائل آيت مكيد للمقيم العام المرشال ليوطي بفروسية صاخبة تحت المطر، أثناء زيارته لمنطقة تيمحضيت بالأطلس المتوسط²⁶. كما استقبلت قبائل آيت سكوكو دبلوماسي بريطاني بأزيد من 3000 فارس في منطقة مريرت، حينما كان يقوم بجولة في المدينة، رفقة مدير وكالة بريد مدينة أزرو²⁷. ومن بين المناسبات التي كانت تحضر فيها الفروسية خلال النصف الأول من القرن 20م، مناسبات الاحتفاء بأحد الأولياء، أو شيوخ الزوايا، أو أحد زعماء القبيلة. وفي هذا الإطار، نقل إميل لاوست خبر احتفال فرسان قبيلة آيت عياش سنة 1926م، تكريما لوليها الصالح سيدي علي بن ناصر الدرعي، وعبروا عن فرحتهم بتنظيم التبوريدة الجميلة بإيقاعات البارود، وزغاريد النساء من شدة فرحهم وإعجابهن بالفروسية²⁸.

إلى جانب ذلك، كانت القبائل تنظم احتفالات التبوريدة، بمناسبة عودة ركب الحجاج، وقد تحدث لنا مجموع من الشيوخ في زيان وآيت حديدو وآيت عتاب ودمنات، أن القبائل المذكورة كانت تقيم الفروسية عند عودة الحجاج من الديار المقدسة، وتقدم لهم الهدايا المختلفة من مواشي وأموال، وتنظم ألعاب الفروسية، وقد يستمر هذا الاحتفال أسبوعا كاملا. وتجدر الإشارة، إلى أن بعض القبائل تنظم احتفالات التبوريدة للترويح عن النفس، أو تدريب الخيول على قواعد الفنتازيا، وإبراز مهارات الفرسان. ونقل إميل لاوست في هذا الصدد خبر تنظيم قبيلة آيت أوتفركال بأزبال، للفروسية لإظهار المهارة، وإثارة إعجاب الجمهور²⁹.

لقد تحولت التبوريدة بالأطلس المركزي من أدوارها العسكرية إلى أبعادها الجمالية والفنية والثقافية، حيث أصبحت القبائل تجتمع أيام المواسم في خيامها السوداء، يستمتعون بعروض الفنتازيا، حيث جموع من الفرسان الملفوفون في برانيس بيضاء مثيرة للإعجاب، وبجوارهم راقصات أحييدوس، وخلف هذه العروض جبال الأطلس المظلمة الجميلة بأشجار البلوط والعراعر الأرز...³⁰.

وعموما فإن الفروسية بالأطلس المركزي، فقدت دورها العسكري في ظل الحماية الفرنسية التي

26 - Peyron Michael, « Fantasia... », op. cit. p.3

27 - Ibid.

28 - Laoust Emile, op. cit. p.171.

29 - Peyron Michael, « Fantasia... », op. cit. p. 3, 4.

30 - Ibid, p.4, 5.

أصبحت تنظم المجال سياسيا وعسكريا. مما أفقد الفروسية طابعها العسكري والسياسي، وأصبحت التبوريدة منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا، فلكلورا احتفاليا يلاحظ خلال المناسبات والمواسم والمهرجانات.

2 - التطورات التي عرفتتها التبوريدة خلال النصف الثاني من القرن 20 ومطلع القرن 21م

2-1 التطورات التي عرفتتها التبوريدة بعد استقلال المغرب سنة 1956م.

نجح المغرب بعد حصوله على الاستقلال سنة 1956م، في إحياء تراث الفانتازيا كموروث وطني عريق، بعدما عرفت تراجعاً ملحوظاً في ذهنية السكان خلال فترة الحماية 1912-1956م. لذلك، حاولت السلطات استعادة بريق الفنتازيا وديناميتها، لكونها تنقل خطاباً قومياً هوياتياً، يستند إلى مفاهيم الاستمرارية التاريخية والتراث الثقافي والأصالة.

من هذا المنطلق، بدأت تروج السلطات المركزية منذ أوائل الستينات³¹، للفنتازيا في العديد من المناسبات، قصد تثمين هذا التراث الثقافي الفولكلوري. ويعتبر تنظيم المواسم والمهرجانات الفنية الشعبية سلاحاً إيديولوجياً أساسياً لنشر صورة الثقافة العريقة للأصالة المغربية، باعتبارها ثقافة مستقلة عن التأثيرات الغربية.

ففي صيف عام 1962م نظمت تظاهرات مهمة للفروسية بقصبة تادلة، إلا أن حضور الجمهور والسياح كان قليلاً على الرغم من جودة العروض المقدمة آنذاك، صحيح أن هذا النوع من العروض كان بعيداً من مستوى والمهنية والاحترافية التي ستعرفها الفنتازيا لاحقاً. بيد أن هذه الفترة تشكل بداية حقيقية لازدهار الفروسية من جديد.

هذا التطور الإيجابي للفروسية واصل منحاه التصاعدي منذ استقلال المغرب سنة 1956م، بسبب رعاية واهتمام الدولة بهذا التراث. وتشير بعض الأبحاث إلى أن بداية رعاية الدولة المغربية للفنتازيا كان منذ استقلال المغرب، وبالضبط سنة 1962م، بمناسبة انعقاد موسم مولاي إدريس زرهون. وفي هذا السياق، وقف بعض الباحثين على منشورات للفروسية برعاية الخطوط الملكية المغربية سنة

31 -Fenneke REYSOO, Des moussemes, op. cit. p p. 149, 152.

1966م³².

إلا أن الحدث الأبرز الذي ساهم في إحياء الفنتازيا وانتشارها بشكل كبير في مختلف مناطق المغرب، هو الاحتفال الذي احتضنته مدينة الرباط سنة 1969م، بمناسبة الذكرى الأربعين لميلاد الملك الراحل الحسن الثاني. وقد شارك في هذا الحفل أكثر من 2000 فارس³³. واشتهرت هذه الذكرى باسم "فانتازيا القرن". إلى جانب ذلك، تميز هذا الاحتفال بتألق فرق التبوريدة، ومشاركة عدد كبير من الفرسان في فرقة واحدة. حيث كان يصل عدد فرسان الفرقة الواحدة ما بين 150 و200 فارس، دون أن يثير ذلك مشاكل في التنسيق والتنظيم أثناء عملية الركض وإطلاق طلقات البارود النهائية³⁴.

ويرجع الفضل الكبير للتطورات الإيجابية التي شهدتها التبوريدة بعد استقلال المغرب سنة 1956م، للاهتمام الذي كان يوليه الراحل الملك الحسن الثاني لرياضات الفروسية بشكل عام، ولعبة الفروسية بشكل خاص، وقد ساهم ذلك في تطور وشهرة الفنتازيا المغربية، خاصة بعد تنظيم مسابقات عديدة في رياضة الفروسية سنة 1984م، وإحداث الجائزة الوطنية للفروسية سنة 1999م تحت الرعاية السامية للأميرة لالة أمينة. وقد نتج عن هذا الاهتمام ورعاية الدولة للفنتازيا، تزايد شغف الساكنة بهذا الفن، وتضاعف فرق الفروسية التقليدية، وظهور فرق نسائية.

بفضل الرعاية الملكية للفنتازيا وحب المغاربة لهذا التراث، انتعشت تربية الخيول في العديد من مرابط المملكة، بعدما عرفت تراجعاً في فترة الحماية، خاصة في بعض مناطق الأطلس المركزي مثل: آيت بوكمار، وآيت سخمان وتونفيت، وآيت يحيى... التي كانت مشهورة بالفنتازيا قبل سيطرت الاحتلال على هذه المناطق. لكن منذ نيل المغرب استقلاله سنة 1956م، استعادت الفروسية حيويتها في هذه المناطق، حيث احتفلت القبائل المشار إليها بعيد العرش عام 1988م بفروسية محلية رائعة³⁵.

32 – Fenneke REYSOO, Des moussemes, op. cit. p p. 149, 152.

33 – Ibid.

34 - Ibid.

35 - Peyron Michael, « Fantasia... », op. Cit. p. 5.

2 - طقوس التبوريدة بمواسم بالأطلس المركزي

للفروسية بالأطلس المركزي طقوس ومراسيم تبدأ أيام قبل بداية الموسم، إذ يجتمع الفرسان المكونين الفرقة أو السرية، يتشاورون فيما بينهم، ويقومون بإعداد وليمة "الزردة" عند رئيس الفرقة الذي يسمى "العلام". ويسافر بعض الفرسان الذين لا يملكون الخيول المدربة على التبوريدة إلى القبائل المجاورة قصد إعارتها. وبعد اكتمال الفرقة يكون غالباً عددها أكثر من خمسة فرسان، ويطلق عليها اسم "السرية" وتحمل اسم الفخذة أو القبيلة التي ينتمي إليها الفرسان. يجمع العلام تبرعات المحسنين ومساهمات الفرسان لتغطية مصاريف الموسم.

قبل بداية الموسم بيوم واحد، يغادر المجتمعون القبيلة في اتجاه ساحة الموسم، إما فرادى أو جماعات في الشاحنات أو وسائل النقل التقليدية "البغال والحمير". يختارون مكان داخل ساحة الموسم، فيضربون خيامهم، ويربطون خيولهم. وأحياناً تصادف بعض الفرسان يصطحبون أهلهم لمساعدتهم في ترتيب الخيمة وطهي الطعام...، كما يرافق الحداد الذي يقوم بإعداد نعل الخيول، ويعمل بعض المساعدين في شحن بنادق الفرسان، ومراقبة الفرسان، ومساعدتهم أثناء وقوع حادثة من الحوادث.

في أول أيام الموسم، يقوم الفارس في الصباح الباكر بغسل فرسه وترتيبه، ويحرص على ارتداء زي مناسب، يتكون من "المنصورية" البيضاء اللون عموماً، والحزام والجلابة والعمامة والسروال الفضفاض وكلها بيضاء³⁶، وينتعل بنعلين من النوع العالي أو الواطئ، ويحمل خنجر من نوع "الكمية"، و"شكارة" فيها آيات من القرآن الكريم.

عند إقدام الفارس على المشاركة في ألعاب الفروسية، يتوضأ ويمتطي فرسه طاهر السريرة، مصداقاً لما يروم التعبير عنه من فضائل إنسانية متمثلة في الشجاعة وطهارة الروح. ويتمثل السلاح التقليدي لألعاب الفروسية في "البارودة" المعروفة "بالمكحلة" أو "أرندي"، بوحبة³⁷، المرصعة بخيوط متموجة دقيقة. ويحافظ الفارس عند توقفه على ركبته بارزة إلى الأمام، وساقه

36 - يسمى لباس فرسان التبوريدة "ب الكفن". نظراً لونه الأبيض، وارتباطه بالجهاد والشهادة في سبيل الله.

37 - تزين البنادق إما بقطع من نحاس منقوش متبث على خشب مرصع بخيوط من الفضة. وإما بقطع من نحاس وفضة وعجين الزجاج متبث على خشب الجوز. أنظر: متحف الأسلحة البيضاء، رقم الجرد 46-1-78.

مائلة، وكعبه إلى الورا، وأصابع رجله إلى الأسفل. وعند تحركه وركض فرسه ينتصب واقفا على الركاب جاعلا رجله إلى الأمام وركبته إلى الخلف، مما يمكنه من استعادة توازنه مستندا إلى أعلى القربوس الخلفي.

قبل انطلاق الفرسان، يثير لباسهم وأمتعتهم الأنظار، لا سيما السروج المطرزة بالحريير والفضة والذهب، والتي يمكن أن يصل سعرها إلى 25000 درهم، إضافة إلى لجام غني بالتطريز أيضا، خاصة حزام جبهة الحصان الذي يزينها إلى حدود العنان المزخرف بخيوط من ذهب. والركائب المعدنية التي يستخدمها الفارس الجيد، إذا كان يرغب في تجنب الإصابات. ويشترط في حصان الفروسية إعداده وتدريبه لممارسة لعبة الفروسية، على أساس أنه جواد حرب الذي يسمى "بأسناحي في أمازيغية الأطلس المركزي، الذي اشتق من مصطلح "السناح" (السلاح). وهذا ما يؤكد الطابع الحربي القديم لهذا التراث³⁸.

من بين ما يثر الانتباه خلال ممارسة الفرسان للفنتازيا، البنادق الاستعراض القديمة، والمزينة والمزخرفة بدقة، والمطوقة بأساور من الفضة، والعصي المحفورة المطعمة بالصدف والعاج التي يشحنها الفرسان بمسحوق البارود الأسود، يصطلح على هذه البنادق في المغرب ب"المكحلة"، وتسمى أيضا "بوحبة"، ونادرا ما تسمى أزندي أو بوشفر، في منطقة الأطلس المركزي³⁹.

يؤدي فن التبوريدة فرسان قد يصل عددهم إلى خمسين فارسا، ينتظمون في خط مستقيم، ويبدأون في التقدم إلى الأمام، يزداد ركض الجياد، التي تنهب بسنابكها أرض المضمار. وعندما يصبح المقدم بعبرة "الحفيظ الله"، عبارات تذكر "بحركة الجهاد"، ثم يطلقون نيران بنادقهم في اتجاه السماء⁴⁰ أو في اتجاه الأرض تابعين في ذلك إشارة "العلام"، وكلما كانت الطلقة منسجمة وموحدة، كان اللغط والتصفيق والزغاريد، وكلما كانت الطلقات متناثرة ومشتتة غضب العلام ومعه الجمهور.

38 - Peyron Michael, « Fantasia... », op. cit. p. 5, 6.

39- Ibid, p.5, 6.

40 - الملاحظ، أن فرسان الفنتازيا بشمال ووسط المغرب يوجهون بنادقهم نحو الأعلى أثناء إطلاق البارود خلال الاحتفالات، ويمكن تفسير ذلك بارتباط التبوريدة بالمقاومة والمناورات العسكرية. ويشكل ارتفاع التضاريس عاملا أساسيا في توجيه الفرسان بنادقهم في اتجاه السماء حيث يوجد عدو مفترض. وفي المقابل، يوجه الفرسان الفنتازيا في الأقاليم الجنوبية بنادقهم نحو الأسفل أثناء إطلاق طلاقات البارود، بسبب تنكر وتريص العدو في الرمال، وهذا في نظرنا هو سر اختلاف بخصوص اتجاه إطلاق البارود.

في كل حين يتغير عدد فرق الفرسان المشاركة، حيث أحيانا يتقدم ثلاثة فرسان نحو خط الانطلاق، وأحيانا أخرى نرى ثلاثين فارسا. وتعتبر عملية الانطلاق التي يعطيها رئيس الفرقة دقيقة جدا في نظر الجمهور. حيث تبدأ من خلالها سرية الخيل في الركض ببطء، وبأمر من رئيس السرية ترتفع السرعة شيئا فشيئا إلى أن تصل أقصاها، ويلوح الفرسان ببنادقهم، ويلقونها إلى الفضاء. يفرغ الفرسان بنادقهم في طلقة نارية حقيقية. ومباشرة في نهاية المسار البالغ طوله حوالي مائتي متر، وبعد تفجير البنادق، يكبح الفرسان خيولهم. ولأداء هذا العمل البار، ينبغي على الفرسان امتلاك خبرة حقيقية في الفروسية، علاوة على الجرأة والشجاعة.

عندما يتأكد مقدم السرية من اصطاف الفرسان، يعطي انطلاقة السباق في اتجاه الخيام القائدية التي تبنى في نقطة وصول سباق الفرسان. وأثناء السباق يتنافس الفرسان في إبراز مهارتهم، حيث يقف البعض على ركابهم، والبعض الآخر على السرج ويمسك البعض لجام فرسه بأسنانه⁴¹. ويستمر الركض والتسابق حتى يعطي المقدم إشارة، وتوجه البنادق إلى السماء أو إلى الأرض، وهكذا تنطلق طلقات البارود، ويكبح المتسابقون فرسانهم.

وصف موكليز سباق التبوريدة وصفا أدبيا جميلا حيث قال: "إن الفانتازيا من بين الأفراح المفضلة بشكل كبير لدى المغاربة، الذين يعشقون الاندفاع على الحصان، والسيف في اليد، إنه حصان شرس ومخلص مثل أجمل قصص الخيال، هو فخرهم ورفاهيتهم. يشرفهم بريق السيف، وميض نيران البندقية، ورائحة مسحوق البارود، وهذيان التفجيرات. يجتمع الفرسان على عتبة الصحراء، فخورين بركاب سروجهم الرائعة، وأحزمتهم وأزياءهم، وهذه المخامل وهذه الحرائر، وهذه الفضة، وهذا الذهب اللامع تحت لحاف قماش المرسلين الأبيض.

ينطلقون مع صيحات حادة، ويتحولون إلى بهلوانات، يقف رجال على السروج والخيول في كامل ركضها، ويلقون بنادقهم عاليا ويعيدون التقاطها بعد تدويرها في الهواء، إنهم يضبطون ويكبحون، ويوقفون خيولهم، يعيدون الركض بكامل سرعتهم، أو يستلقون على أرداف الخيول. يهرعون لإعادة شحن البنادق بالبارود، والارتقاء فورا في زوبعة صماء، في سحابة غبار يخرقها وهج قرمزي ونار، في

41 - Peyron Michael, « Fantasia ... », op. Cit. p.6

قصيدة الشجاعة المجنونة، انه عيد البارود، واحتفال مسحوق البارود⁴².

تشاهد فرسان غرباء، ممتطين خيولهم النحيفة، فوق سروجهم العالية على أريكة، فيتخيل لك أنهم نساء مسنات بلحاف أبيض طويل، وموميئات قديمة ذات وجه أسود. يمسكون بأيديهم عصي رقيقة وطويلة جداً مكسوة بالنحاس اللامع، ويلفون رؤوسهم بعناية بثوب المرسلين، تتدلى برانسهم على أرداف دوابهم مثل الوشاح.

نحن نقترب، وفجأة، يلقى بصوت أجش وغلظة ينتشر الكل، ويحتشدون مثل رحلة النحل الطائر، ينطوون مع رنين الأسلحة، وهم يطلقون صيحات. تقفز وتركض خيولهم، محفزة بالركبان، كالغزلان الخائفة، والذيل والعرف يتطايران في الريح، يقفزون فوق الصخور والحجارة، وبنفس الإيقاع تصبح الموميئات القديمة حية ورائعة أيضاً، ويصبح الفرسان نحفاء ورشقاء، بوجه شرس وجميل.

يقفون على ركاب فضية كبيرة، وكل البرانس البيضاء التي تلفهم، قد حلقت ورفرفت، والآن وهي تطفو بشكل رائع. وتكشف عن كسوة داخلية من قماش أحمر وآخر برتقالي وثالث أخضر. وسروج من لفائف حريرية وردية، صفراء وزرقاء ذات تطريز ذهبي. تخرج الأذرع العارية والقوية للفرسان مثل البرونز من أكمام واسعة رفعت إلى الكتفين، ويلقى الفرسان خلال السباق المجنون، بالبنادق النحاسية الطويلة في الهواء، التي أصبحت خفيفة مثل عيدان القصب⁴³.

2 - 3 قواعد وعادات ممارسة التبوريدة بالأطلس المركزي

من الصعب الحديث على قواعد وضوابط دقيقة لفن التبوريدة بالأطلس المركزي خلال القرن 20م. كما أن المصادر والمراجع المكتوبة، والذاكرة الجماعية لا تولي اهتماماً لقواعد الفنتازيا. لكن الكل يركز على البعد الجمالي والفني والبطولي لهذا التراث. ويحكم المتذوقون لفن الفروسية على براعة فرق الفنتازيا على تناسق وانسجام الفرقة وتطابق طلقات البارود.

إن الضوابط العامة التي لا بد من احترامها أثناء ممارسة الفنتازيا، هي الحفاظ على التوافق بين الفرسان أثناء التحضير للسباق؛ والحرص على استقامة السرية، وتطابق طلقات البارود. ولا بد أن تكون

42 - MAUCLAIR Camille, La Fantasia, pub. Maroc Pierres étâmes, Casablanca, non daté, p. 26 .

43 - MAUCLAIR Camille, op. cit. p. 26.

خيول الفنتازيا مدربة ومروضة على الفروسية، حيث تخضع منذ صغرها لتربية خاصة، وعناية فائقة من طرف أصحابها، حتى تكون مؤهلة للمشاركة في مسابقات الفنتازيا.

هذه المعايير يجب على كل فارس مشارك أخذها بعين الاعتبار. ففي نهاية كل سباق، يتوقف الفرسان لمناقشة خروقات البعض، خصوصا ضربة البارود النهائية. وكل فارس تبث في حقه عدم تطابق طلقة بندقيته مع شارة مقدم السربة، يُعاقب، إما بدفعه غرامة مالية، أو أن يعود سيرا على الأقدام، وهو يقود حصانه لمكان انطلاق السباق. في مثل هذه الحالة، يغادر فريق الضحية السباق، حفاظا على شرفهم.

إلى جانب ذلك، لابد لفرسان الفنتازيا أن يكونوا على علم بطقوس وعادات التبوريدة، خاصة الجوانب التي تعرف حضور المقدس، والمرتبطة أساسا بالطهارة والنجاسة أثناء ركوب الخيل، وكل المعتقدات الموجهة نحو حماية الفرسان من الأرواح الشريرة والعين، كوضع يد من حناء على ظهر الفرس أو التمام في عنقه أو زيارة الضريح والتبرك بالولي الصالح قبل الدخول إلى ساحة الفروسية. غير أنه لابد من الإشارة، أن لكل منطقة طقوسها وعاداتها بخصوص لعبة الفنتازيا. "ففي موسم مولاي عيسى بن إدريس بايت عتاب مثلا: لا يحق لأية سربة من الخيل سواء من قبيلة آيت عتاب أو من خارجها أن تطأ ساحة الفروسية إلا إذا مرت منه "سربة" تسقي" المعروفين بالعلامة". ويفسر ذلك حسب الرواية إلى أن سكان "تسقي" هم من استقبلوا أول مرة سدي عيسى بن إدريس، لذلك احتفظوا وحظو بشرف افتتاح الموسم.

غير أن رواية أخرى تفسر ذلك، كون قبيلة تسقي كانت دائما في مقدمة الحملات العسكرية أو "الحركات الجهادية"، وكانوا حاملين للعلم، لذلك سمو "بالعلامة"⁴⁴. وللإشارة أن عادة إقامة ألعاب الفروسية بموسم مولاي عيسى بن إدريس بأيت عتاب لا يتم إلا بمرور فرسان "تسقي"، وأدائهم الفنتازيا وما تزال هذه العادة قائمة إلى اليوم".

ومن عادات التبوريدة بالأطلس المركزي، استقبال فرسان القبائل المنظمة للفروسية، لأفراد من قبائل مجاورة وبعيدة، كما هو الحال بالنسبة لموسم سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط، وموسم

سيدي الطيبي بناور القصيبة، الذين يستقبلون سنويا شرفاء أبي الجعد وشرفاء سيدي بن داود بالشاوية. وقد تشارك أحيانا فرق من التبريدا من مناطق بعيدة في مواسم المنطقة، كمواظبة قبيلة الركيبات الصحراوية على المشاركة في موسم الفقيه بن صالح، وموسم سيدي علي بن إبراهيم خلال القرن 20م.

2 - 4 درجة اهتمام المجتمع المحلي بالتبوريدة

تتميز الفنتازيا بالأطلس المركزي باهتمام متزايد من قبل غالبية الساكنة المحلية، ويعزى هذا الاهتمام في نظرنا، إلى تشجيع السلطات هذا الموروث الثقافي العريق، ليصبح دعامة ورافعة في خدمة السياحة الثقافية الجهوية والوطنية. لقد استغلت السلطات عشق غالبية الساكنة المغربية لتراث الفنتازيا، لإحداث وخلق مواسم ومهرجانات للفروسية في مختلف مناطق المملكة، سواء كانت هذه المواسم دينية أو فولكلورية. وترتب عن هذا الاهتمام الرسمي والشعبي تطور التبوريدة نحو الاحترافية خلال السنوات الماضية.

إن ما يؤكد اهتمام المجتمع وشغفه بالفنتازيا، الحيز الكبير الذي يحتله الخيل والفروسية في الأغاني والأمثال الشعبية والزجل. وتبرز بعض الأمثال أسفله، مكانة هذا الموروث الثقافي في الثقافة الشعبية المغربية عموما، وبالأطلس المركزي على وجه الخصوص.

- طاحت سرية الخيل، قالت لا وألف لا.

- شعلات المكاحل ببارود رومي تتعالا.

- خالي يا خالي عودي وشحال غالي.

- الى بغيتي تعمر المحكلة عمر بيديك ميزان وقياس.

- لا دير عمارة أتاي في الكاس تعود ليك بالندامة.

ولالإشارة، هناك تباين في طرق ممارسة الفنتازيا من منطقة إلى أخرى، حيث تنتشر بالأطلس المركزي الطريقة الزيانية في بلاد زيان وقبائل الأطلس المتوسط وصولا إلى مكناس. وتتميز المناطق الشرقية للمملكة بانتشار الطريقة الكتانية، والطريقة الرحالية، والطريقة الشرقية. في حين تسود الطريقة الناصرية، في كل من دكالة وعبدة، والطريقة الشراوية، في الغرب وكروان وتادلا والشاوية وزعير.

إلى جانب ذلك، يتميز الحوز بانتشار الطريقة الناصرية الحوزية، بينما تسود الطريقة الناصرية

والرحالية، في كل من السراغنة والرحامنة وتازة. أما مناطق فاس ومكناس وتونات هي معقل الطريقة الحياينة الفاسية. علاوة على ذلك، تتميز منطقة الدار البيضاء والرباط بتواجد الطريقة والخياطية.

وتجدر الإشارة، إلى أن بعض المغاربة، يفضلون عروض الفنتازيا المرتبطة بالموسم الكبرى المحتفى بها سنوياً، بالقرب من قبر احد الأولياء، كمولاي إدريس زرهون بالقرب من مدينة مكناس، الذي حافظ على الاحتفالات في هذا المكان المقدس، تكريماً لمؤسس الدولة الإدريسية، ونفس الأمر حصل بالنسبة لموسم مولاي عبد الله أمغار بالجديدة.

والملاحظ في هذا السياق، أنه بالرغم مما تتميز به بعض المواسم من طابع صوفي وديني، إلا أن الزوار لا يحبذون المواسم التي لا تتخللها عروض التبوريدة. وعلى سبيل المثال يمتاز موسم الهادي بن عيسى بطابعه الديني، ويشكل قبلة لأتباع طائفة عيساوة. إلا أن رغبة الزوار كانت ملحة في مشاهدة الفنتازيا، مما ترتب عنه تدخل الوزارة الوصية. وحولت مدينة مكناس في سنوات الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي إلى "مهرجان فانتازيا" مذهباً للغاية⁴⁵.

من خلال التحريات الميدانية، يلاحظ أن غالبية ساكنة الأطلس المركزي، يفضلون عروض الفنتازيا خلال انعقاد المواسم، مقارنة بطقوس زيارة الأضرحة والذبيحة وعروض الفرجة. وتشتهر قبائل آيت أنير بإفران، وقبائل زيان بخنيفرة، وقبائل ايت سري، وقبائل زمور بالخميسات، بفنتازيا ذات مستوى تقني عالٍ للغاية. ويعبر الجمهور عن إعجابه بالفنتازيا بطرق مختلفة، لكن عبارات مثل: "ضربوا جيداً، (ضربو زوين)"، أو "لعبوا بشكل جيد (لعبو مزيان)". هذه الأحكام، لا تستند على القواعد الأساسية للعبة الفروسية.

45 – Fenneke REYSOO, Des moussemes, op. cit. p p. 149, 152.

الصورة رقم 12: الفروسية ببني ملال سنة 2012⁴⁶



من أهم النتائج التي خلفها هذا الاهتمام الشعبي والرسمي المتزايد للتبوريدا والخييل، تحول الفانتازيا لأحد شعارات المغرب المعاصر والراهن، وأصبحت محل تقدير واحترام الجميع، باعتبارها جزء لا يتجزأ من التراث الثقافي المغربي، وتبرز أصالة البلد وعمقه التاريخي. لذلك، يعترف السكان أن التبوريدا جزء لا يتجزأ من هويتهم المحلية والثقافية. وفي هذا الإطار، عبر لنا مجموعة من الشباب ينحدرون من قبيلة آيت أم البخث براوية الشيخ نحن المغاربة عن حبهم للفروسية والخيول، وأكدوا لنا أن خيول المغرب هي الأجل والأفضل الخيول في العالم.

إن من بين المظاهر التي تبين اهتمام المجتمع بالفنتازيا خلال تنظيم المواسم الاحتفالية ارتداء زوار المواسم والمهرجانات، بما فيهم حفدة الأولياء، والفرسان أفضل الملابس، حيث يحاول الجميع الظهور بمظهر لائق⁴⁷. إلى جانب ذلك، يلاحظ أن الفروسية لا تصنف ضمن الممارسات المرفوضة والمستنكرة من قبل الفقهاء والمجتمع، لما للخيول والفرس من قدسية في العقيدة الإسلامية. رغم أن مجال اللهو والترفيه ليس دائماً محل تقدير ومباركة واحترام من قبل الفقهاء، حيث يبدي هؤلاء الفقهاء الأصوليين نوعاً من الاحتقار لمواسم الأضرحة والزوايا، والمدرجة ضمن الممارسات المثيرة

46 - تصوير شخصي.

47 - Ibid.

والمستنكرة، باعتبارها تنتمي لعالم الشعوذة وعبادة الأولياء والطقوس الصوفية⁴⁸. إن الفضاء الأول الذي يثير اهتمام زوار المواسم والمهرجانات، هو الفضاء الخاص بالفنتازيا أو التبوريدة، وخاصة فئة الذكور⁴⁹، رغم وجود العديد من الأماكن الترفيهية التي تجذب انتباه الزوار⁵⁰.

3 - آفاق التبوريدة بمواسم الأطلس المركزي والإكراهات التي تواجهها

3 - 1 أسباب غياب الفنتازيا ببعض مواسم الأطلس المركزي

تلعب العوامل المادية دورا مهما ازدهار أو تراجع الفنتازيا لدى القبائل، إذ نادرا ما تمتلك أسرة واحدة أكثر من حصان في القبائل الجبلية بالأطلس المركزي، فالعناية بالفرس وتغذيته وتحضيره وترويضه للمشاركة في تظاهرات الفنتازيا، تشكل تكاليف إضافية تثقل كاهل ساكنة هذه القبائل، التي تعاني أصلا من الفقر والهشاشة.

من هذا المنطلق، توقفت مشاركة بعض قبائل الأطلس المركزي في تظاهرة الفنتازيا في التي تحتضنها مواسم ومهرجانات عديدة، كتوقف الفنتازيا في موسم سيدي حماد ألمغني بإملشيل مند الثمانينات لأسباب مادية لها علاقة بتوفير تكاليف الخيول. وتوقف موسم سيدي لحسن أوحساين بآيت عتاب منذ التسعينيات لنفس الأسباب المادية⁵¹.

يظهر أن العامل المادي يشكل سببا محوريا وراء تراجع الفروسية في الجبال، على عكس مناطق الدير والسهل، التي عرفت انتشارا للفنتازيا بشكل واسع، حيث يلاحظ توفر بعض الأسر على أكثر من فرس لممارسة الفروسية. ورغم ذلك، هناك من يفسر غياب الفنتازيا في بعض المواسم في الأطلس المركزي لأسباب طبيعية لها علاقة بوعورة التضاريس، حيث أن ممارسة الفنتازيا تتطلب أرضية وساحة منبسطة.

48 - Dermenghem Emile, J'ai vu les Aissaouas d'Afrique du Nord Jouer mystiquement avec le fer et avec le feu, Sciences et voyages, 1949, page non-numérotée.

49 - هذا لا يعني عدم وقوف أي امرأة على جانبيات ساحة الفنتازيا. على العكس من ذلك، فإنهن يبتن الحيوية بزغاريدهن على عروض الفنتازيا. ورغم ذلك، لا تمكث النساء لساعات طويلة. ولا تناقشن مهارة الفرسان.

50- Sefrioui Ahmed , op. Cit. p. 250.

51 - رواية شفوية، إبراهيم بن شهيد دوار آيت إغرم آيت عتاب. عمره 70 سنة. بتاريخ 06 أبريل 2019.

ومن العوامل الأخرى التي لعبت دورا في تراجع الفنتازيا في مواسم الأطلس المركزي، تهميش سلطات الحماية لتربية الخيول بالمناطق الجبلية، بعد فقدانها لوظائفها العسكرية خصوصا، في كل من آيت بوكماز، وآيت سخمان في تيكلفت وأغبالة، وكذلك في تونفيت، وآيت يحيى. بيد أن رغبة الدولة في إحياء هذا الموروث بعد الاستقلال، وشغف الجماهير بالفانتازيا، أعيدت تربية الخيول إلى العديد من مناطق المملكة، بما فيها بعض مناطق الأطلس ذات التقاليد القديمة في الفروسية⁵².

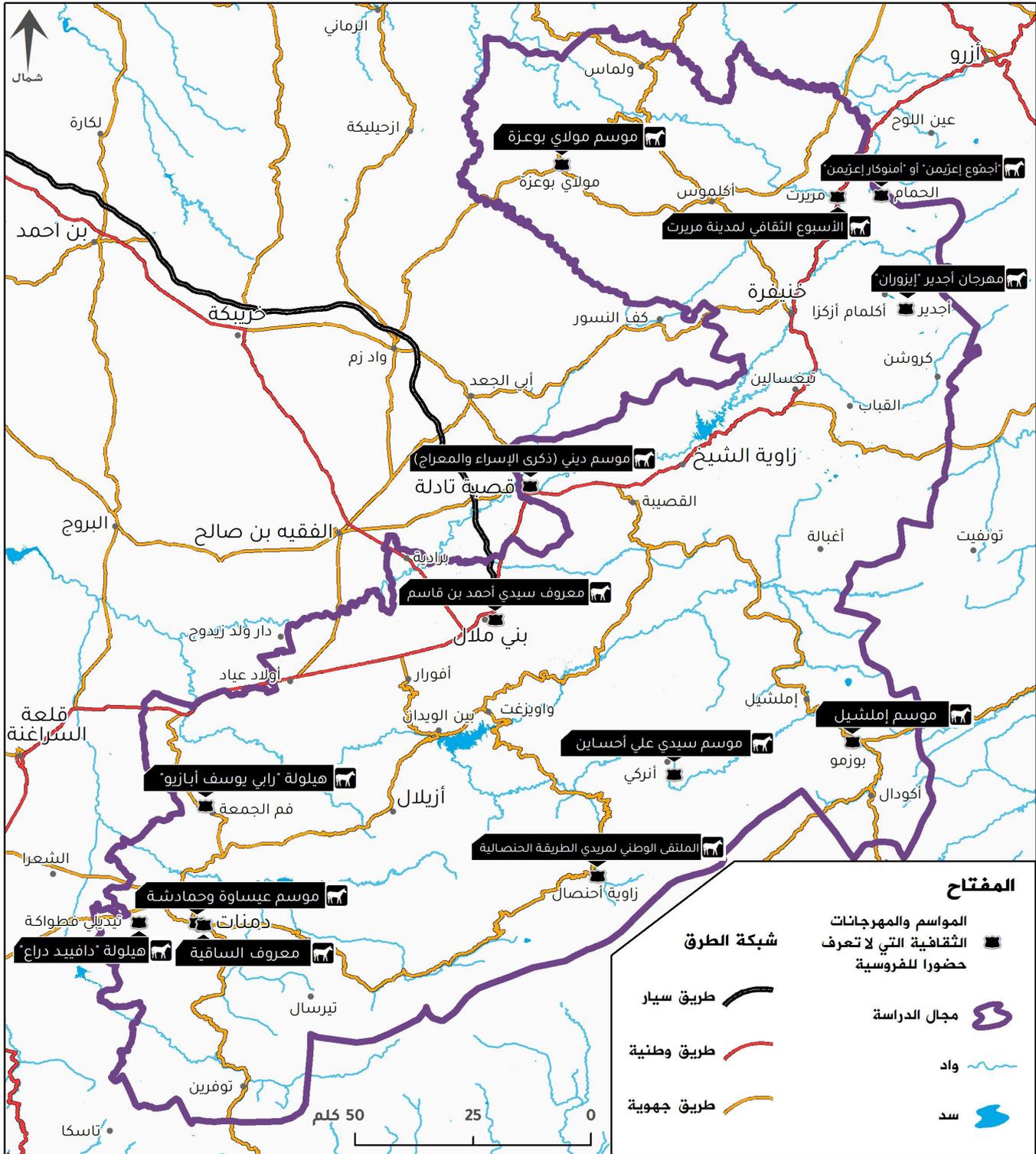
الجدول رقم 6: المواسم غير المتضمنة للفروسية أو التبوريدة

اسم الموسم	التوطين الجغرافي	تاريخ التنظيم
موسم مولاي بوعزة	إقليم خنيفرة جماعة مولاي بوعزة	من 21 مارس - إلى منتصف ابريل
الأسبوع الثقافي لمدينة مريرت	إقليم خنيفرة مدينة مريرت	شهر غشت
"أجموع إعرّيمن" أو "أمنوكار إعرّيمن"	إقليم خنيفرة جماعة الحمام.	4 غشت (من يومين إلى ثلاثة أيام)
مهرجان أجدير "إيزوران"	جماعة أكلمام أزكرا ، إقليم خنيفرة	شهر أكتوبر
موسم سيدي علي أوحساين	آيت داود أعلي- جماعة أنركي- إقليم أزيلال	شهر أكتوبر
هبلولة "رابي يوسف أبازيو"	جماعة فم الجمعة إقليم أزيلال	17 يناير
موسم عيساوة وحمادشة	مدينة دمنات إقليم أزيلال	شهر غشت من كل سنة عن طريق التناوب بين الطائفتين.
معروف الساقية	دوار آيت أومغار/ دمنات	شهر غشت

52 - Michael Peyron, « Fantasia... », op. Cit. p. 5.

	إقليم أزيلال	
شهر ماي	جماعة تيديلي فطاوكة إقليم أزيلال	هيلولة "دافييد دراع"
شهر شتنبر	جماعة زاوية أحنصال إقليم أزيلال	الملتقى الوطني لمريدي الطريقة الحنصالية
ليلة القدر (شهر رمضان)	الصومعة -مدينة بني ملال- إقليم بني ملال	معروف سيدي أحمد بن قاسم
يوم 26 رجب	مدينة قصبه تادلة إقليم بني ملال	ذكرى الإسراء والمعراج
أواخر شتنبر	جماعة بوزمو إقليم ميدلت	موسم إملشيل

الخريطة رقم 4: المواسم التي لا تتضمن عروضاً للفروسية⁵³



3 - 2 واقع الفنتازيا بمواسم ومهرجانات الأطلس المركزي وسهل تادلا

عرفت مناطق الدير والسهول المجاورة للأطلس المركزي، تزايد المواسم والمهرجانات المرتبطة بالتبوريدة والخييل، وإقبال أجيال جديدة على هذا الموروث الثقافي، بل أصبحت مهرجانات خاصة بالتبوريدة، بدل كونها مجرد وصلات مؤثثة للموسم إلى جانب عروض أخرى، والتي لم تعد حكرا على الرجال، بل ظهرت فرق نسائية خاصة من الخيالة في كل من سهلي بني موسى وبني عمير بتادلا السفلى.

وترجع العوامل المفسرة لانتشار تراث الفروسية وتزايد الاهتمام بها في السهل والدير مقارنة بالجبال، إلى وفرة علف الخيول والإمكانات المالية للسكان المستقرة بهذه المناطق، حيث استفادت بني موسى وبني عمير، من الاستثمارات الفلاحية خلال فترة الاحتلال الفرنسي للمغرب 1912-1956م. ففي هذه الفترة، ظهرت العديد من المشاريع الاستثمارية المهمة بتربية الفرس في سهلي بني عمير وبني موسى بإقليم الفقيه بن صالح. مما جعل هذه المناطق من أهم المناطق المغربية التي تتوفر على ثروة مهمة من الخيول العربية البربرية الأصيلة. لذلك، نلاحظ اليوم أن إقامة الموسم بالدير والسهل لا تكتمل دون حضور الفروسية.

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في تزايد الاهتمام بالتبوريدة في العديد من مناطق الأطلس المركزي، رغبة الدولة في الاهتمام بهذا الموروث الثقافي، وتثمينه، عن طريق تشجيع المهرجانات والمواسم والمسابقات، التي تهتم بفن الفروسية. وخصت الدولة لهذه الغاية منحا مهمة للسربات الفائزة بهذه المسابقات على المستوى الجهوي⁵⁴، وعلى المستوى الوطني بدار السلام بالرباط⁵⁵.

54 - كانت إلى وقت قريب مدينة بني ملال عاصمة جهوية المحتضنة لاقصائيات التبوريدة. غير أنه في السنتين الأخيرتين أصبحت

مدينة الفقيه بن صالح هي التي تتولى تنظيم هذه المسابقات.

55 - تمنح جوائز لفئة الكبار لفرق التبوريدة الخمس الأوائل:

- الجائزة 1: 15000 درهم.

- الجائزة 2: 14000 درهم.

- الجائزة 3: 13000 درهم.

- الجائزة 4: 12000 درهم.

- الجائزة 5: 11000 درهم.

وتستفيد فرق التبوريدة غير الفائزة من منحة 7500 درهم، لكل سربة كتعويضات لها عن مشاركتها.

كما تم منح جوائز مالية لفرق التبوريد فئة الصغار:

من هذا المنطلق، أصبحت بعض جمعيات المجتمع المدني بالجهة تسهر على تنظيم ودعم فن التبوريدة ماديا ولوجستيكيًا منها:- جمعية بلادي للتبوريدة "الفيقيه بن صالح"؛ جمعية الفروسية التقليدية "الكريفات"؛ جمعية فرسان السلام للتبوريدة "الكريفات"؛ جمعية الدهيرات للفروسية "أولاد علي الواد"؛ جمعية الجالية المقيمة بالخارج للتبوريدة؛ جمعية المهاجر "أولاد اركيعة" للتبوريدة⁵⁶؛ جمعية الموضع للفروسية "أزيلال"؛ جمعية تمشكضان للفروسية "آيت تاكلأ أزيلال"⁵⁷.

لتأمين تراث الفروسية والحفاظ عليها، وضعت السلطات مجموعة من المعايير والشروط للمشاركة في مسابقات الفروسية التقليدية، إذ تسهر لجان على دراية بالفروسية وسباق الخيل على تنظيم هذه المسابقات، ويتم اختيار السربات الفائزة بناء على مدى احترامها للقواعد والشروط الموضوعية⁵⁸. وللإشارة، تتميز السربات المنتمة لمجال الأطلس المركزي بشهرة وخبرة عالية في ممارسة الفروسية، لذلك، دائماً ما تكون الفرق المتوجة من إقليم بني ملال أو إقليم الفيقيه بن صالح⁵⁹.

إلى جانب ذلك، عملت السلطات الوصية على هذا القطاع، على تنظيم مسابقات في فن الفروسية

-الجائزة 1: 10000 درهم.

- الجائزة 2: 8000 درهم.

وتستفيد فرق التبوريدة غير الفائزة من منحة 5500 درهم كتعويضات لها عن المشاركة في حال استعمالهم لخيول خاصة بهم، بينما يحصلون على منحة قدرها 2250 درهم في حالة استعمالهم لخيول غيرهم، وتحصل جميع الفرق على شواهد المشاركة.

56 - محمد العنزي، الفرس بيني عمير، بحث لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، سنة 2012، ص. 107.

57- المنصوري محمد، رئيس جمعية الموضع؛ وبوطالب عبد الرحمان، رئيس جمعية تمشكضان آيت تاكلأ إقليم أزيلال.

58- من بين المعايير المعتمدة في اختيار فرق التبوريدة الفائزة :

- حالة الخيول البدنية: 4 نقاط.

- حالة الأرجل والقوائم: 4 نقاط.

- حالة السروج : 6 نقاط.

- جودة وتناغم اللباس: 6 نقاط.

- تناغم السربة أثناء التدرية: 5 نقاط.

- الطلاقات: الانتلاق مراعاة التوقيت والاصطفاف.

- لعب البارود وتناسق الحركات بالبنادق وسباق منظم: 10 نقاط.

- إخراج البارود موحد، وبعده سريع: 12 نقطة.

وللإشارة، يتم خصم نقطتين على كل بندقية انفجرت أثناء هذا الاختبار.

في حالة التعادل تعطى الأولوية للسربة الحاصلة على أعلى تفيط في مجموع الطلاقات، وإذا تكرر التعادل، يتم الرجوع إلى عدد النقاط في آخر طلاقة، وبخلاف ذلك، يقوم رئيس الحكام باختيار أحسن سربة.

59 - فرقة حدو أكموس من زاوية الشيخ إقليم بني ملال، وفرقة عبد الجليل البوعبادي إقليم الفيقيه بن صالح.

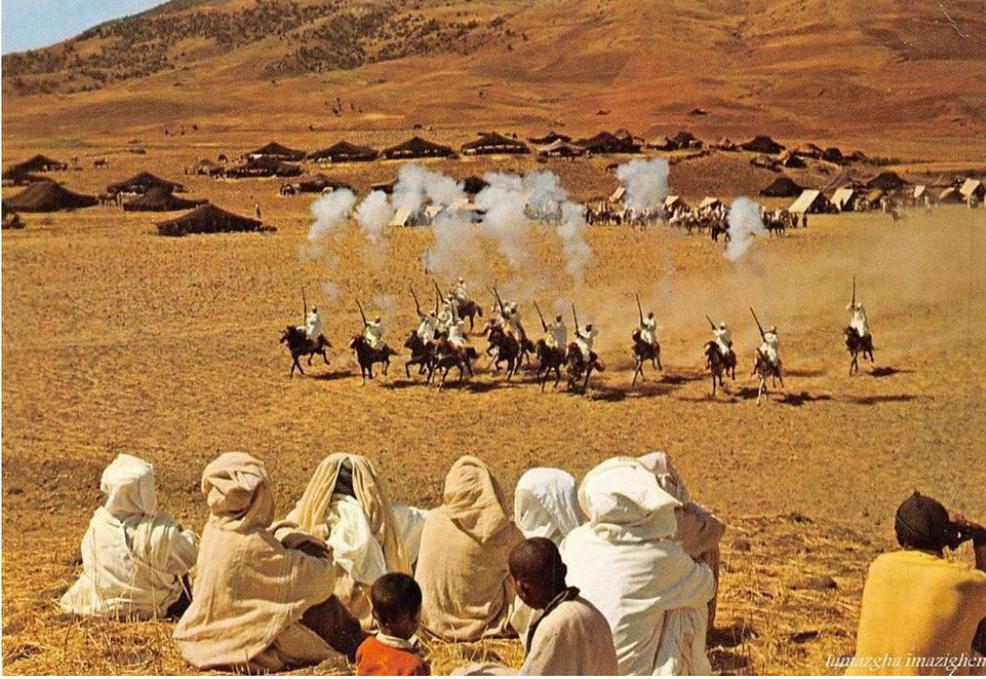
لفئة الشباب على المستوى المحلي والجهوي والوطني، وخصت للفرق الفائزة كما هو الحال بالنسبة لفئة الكبار جوائز مهمة. والهدف تشبيب هذا التراث وتشجيعه، وإحيائه وحمايته من الاندثار. وغني عن القول، أنه في العامين الماضين، أسس رؤساء وممتهنو التبوريدة، العديد من التنسيقيات الجهوية المنضوية تحت التنسيقية الوطنية للفروسية بالمغرب. والهدف من تأسيس هذه التنسيقيات هو حماية هذا التراث العريق وحقوق الفئات النشيطة فيه، والضغط على السلطات المحلية والمركزية للرفع من التعويضات، وتقديم الدعم الكافي والمعنوي لفرق الفروسية بالمغرب. وهددت العديد من هذه التنسيقيات بمقاطعة الإقصائيات، إذا لم يتم الاستجابة لمطالبها. وقد وردت العديد من بيانات هذه التنسيقيات في وسائل التواصل الاجتماعي، منددة بأوضاعها المادية والمعنوية المتأزمة، ودعت إلى الاهتمام بهذا الموروث الثقافي ودعم الفئات النشيطة فيه.

في الأخير، لابد أن نشير، إلى أن المغرب حاول في السنوات الماضية القليلة، أن يصل بهذا التراث المغربي الفريد إلى العالمية، وذلك بتنظيم عروض الفروسية في بعض الدول الشقيقة. إذ نظم المغرب تظاهرة تراث الفروسية المغربية بالعاصمة الإماراتية دبي، بحضور جلالة الملك محمد السادس، والعاقل الإماراتي محمد بن زايد. إضافة إلى مشاركة العديد من سربات الفروسية من بني عمير وبني موسى إقليم الفقيه بن صالح، في تظاهرة أقيمت بمدينة ميلانو الإيطالية. ولعب رئيس بلدية الفقيه بن صالح وعدد من أفراد الجالية المغربية المقيمة بإيطاليا، دورا كبيرا في إنجاح هذه التظاهرة، خصوصا وأن المنطقة مشهورة بالجالية المغربية المقيمة بإيطاليا.

هذا الاهتمام المتزايد بالتبوريدة في المنطقة، ترتب عنه بروز فرق التبوريدة بالمنطقة، مشهورة بمهارتها ودقتها في ممارسة هذا الموروث الثقافي، من أهمها: فرقتي اليقوت رشيد، والفاتحي عزيز بسيدي جابر بني ملال، وموحى اكموس بزاوية الشيخ. وتعتبر سربة المقدم عبد الجليل البوعبادي من إقليم الفقيه بن صالح، من أحسن الفرق على المستوى الوطني، ففي 24 يوليوز 2019، فازت فرقة البوعبادي بالمرتبة الثانية، وفاز العربي بن خدة من إقليم خريبكة بالمرتبة الثالثة. في حين

فازت سرية المقدم ماهر البشير من الدار البيضاء بالمرتبة الثالثة لجائزة الحسن الثاني لفنون الفروسية التقليدية فئة كبار⁶⁰.

الصورة رقم 13 : الفروسية بأحد مواسم الأطلس المركزي مطلع القرن 20م⁶¹



3-3 آفاق التبوريدة بالأطلس المركزي

ساهم اهتمام الدولة المغربية والمجتمع بفن التبوريدة، في إثارة اهتمام وسائل الإعلام العمومية والخاصة المختلفة بهذا الموروث المغربي الأصيل، وقدمت في هذا الصدد عدة برامج، منها برنامج "مرحبا بكم"، على قناة الأولى المغربية، بشراكة مع قناة TV5 الفرنسية سنة 2013م، حول موضوع الحصان والفروسية بالمغرب. وبرنامج ترفيهي، مسابقات في فن "التبوريدة" بقناة ميدي1 TV المغربية، وزاد هذا الاهتمام في تطور وانتعاش الحرف التقليدية المرتبطة بزبي الفارس والفرس، في السنوات الأخيرة.

60 - الموقع الإلكتروني الإخباري، تكنة انفو، 24 يونيو 2019.

61 - أرشيف الصور لموقع مكتبة ال سعود بالدار البيضاء.

وللإشارة، تعمل الشركة الملكية لتشجيع الفرس، على الرفع من الميزانية المخصصة للفروسية بشكل عام، والفروسية التقليدية على وجه الخصوص، وتؤكد الشركة المشار إليها، أن الميزانية المخصصة لهذا التراث عرفت ارتفاعها بتزايد عدد المشاركين، وتبحث عن موارد أخرى للرفع من قيمة المنح الممنوحة لفرق المشاركة خلال المباريات الجهوية والوطنية.

وفي إطار تثمين واهتمام الدولة بالتبويردة، بادرت وزارة الثقافة والاتصال (قطاع الثقافة) على إيداع ملف ترشيح التبويردة ضمن القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي لدى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. وتم إعداد الملف بتعاون وتنسيق مع الشركة الملكية لتشجيع الفرس، والجامعة الملكية المغربية للفروسية، وقد تم إيداعه بشكل رسمي لدى منظمة اليونيسكو. ساهم هذا الاهتمام في تزايد حجم الاستثمارات الموجهة نحو هذا القطاع، وأصبحت هذه الأزياء رمزا للثراء والتميز الاجتماعي. وأضحت الفروسية تكلف الفارس مبالغ مالية مهمة، حيث يتراوح مثلا ثمن السرج الواحد ما بين 3000 درهم و30000 درهم فما فوق، وخاصة السروج المطرزة بخيوط الذهب والحزير⁶².

وللنهوض بهذا القطاع عملت الدولة، على تطوير مرابط الخيول وتأهيلها ومنها، المرابط الجهوي بمدينة مكناس الذي يمتد على مساحة 62 هكتار، والذي تأسس سنة 1913م من قبل سلطات الحماية. هذا المرابط الذي يضم العديد من سلالات خاصة، سلالة الحصان المغربي الأصيل منها: الحصان العربي، أو المحلي البربري، أو الحصان البربري العربي. ويأتي هذا الاهتمام العمومي بهذا القطاع في سياق سياسة الدولة ومخططاتها لتنمية الخيول في أفق 2015م. علاوة على ذلك، بادرت الدولة لتأسيس متحف يهتم بالفروسية بمدينة الرباط.

كما أن الوزارة الوصية تعمل باستمرار على تحسين نسل الخيول، والمواظبة على تلقيحها، لدى عملت المؤسسة الوصية على إقصاء الفرسان الذين أهملوا لتلقيح والمعتمدين على الخيول المجهولة الفصيلة "RNC"⁶³. ففي سنة 2018، شاركت 283 سربة ب 15 حصان عربي بربري. وشاركت

62 - قناة الأولى المغربية، بمشاركة القناة الفرنسية TV5 ، برنامج مرحبا بكم، سنة 2013.

63 - يقصد ب "RNC" فصيلة الخيول مجهولة الهوية.

15 سرية ب14 حصان عربي بربري وحصان واحد "RNC"، في حين شاركت 15 سرية ب 13 حصان عربي بربري و2 خيول RNC.

ومن بين أنواع الخيول المشاركة في المباريات الجهوية والوطنية، أولا الخيول العربية الأصيلة، والخيول البربرية الأصيلة، ثم الخيول العربية البربرية الأصيلة، وأخيرا الخيول المصنفة تحت اسم RNC أو الخيول المجهولة الفصيلة. إلا أن الخيول التي تشكل الجزء الأكبر هي الخيول العربية البربرية. وقد بلغ عدد الخيول المشاركة بالبطولة السنة الماضية أكثر من 1080. وتحظى ألوان الخيول بأهمية كبيرة، عند ممارسي تراث التبوريدة، ويعتبر اللون الأسود، والأشقر المائل للأسود والرمادي من أفضل الخيول. ويمثل الجدول أسفله ترتيب الخيول حسب جودتها بالنسبة لرواد التبوريدة بناء على اللون.

الجدول رقم 7: ترتيب الخيول حسب جودتها بالنسبة لرواد التبوريدة بناء على اللون

لون الحصان	الاسم باللغة العربية	الاسم الذي يطلق عليه في الأطلس المركزي
الأسود	الأسود الأدهم	"لدهم"
الرمادي "خليط بين الأسود والأبيض"	الرمادي	"الزرك" أو "حجر الواد"
الأشقر المذهب أو الأشقر المحروق	الأشقر المذهب، أو الأشقر المائل للأسود	"البركي المحروك"
الأبيض أو المائل للأصفر	الأبلق	"الكمري"
الأحمر	الأحمر	"الأحمر"
الأشقر	الأشقر	"الأصفر"
الأحمر الفاتح	الأحمر الفاتح	"الأحمر الفاتح"

3-4 المشاكل والتحديات التي تواجه التبوريدة

تواجه الفروسية في أيامنا هذه، بعض المشاكل والتحديات، رغم ما يلاحظ من دعم وتشجيع من قبل الدولة والمجتمع لهذا الفلكلور المغربي الفريد، ولمواجهة هذه المشاكل التي تواجه الفنتازيا، انتظمت فرق التبوريدة في تنسيقيات جهوية ووطنية للدفاع عن حقوقهم، والمطالبة بتوفير

الدعم المادي والمعنوي لهذا الرأسمال الرمزي.

وتحدث لنا مجموعة عشاق وممارسي لعبة التبوريدة عن حجم المشاكل والتحديات المادية والرمزية التي يواجه هذا الموروث الثقافي، وقد خصصت بعض الجرائد الإلكترونية صفحاتها لنقل معاناة عشاق هذا التراث، وتداولت هذه المواقع لقاء خاص مع المقدم الخنوفي عبد الكريم السايبي المشهور لدى ممارسي لعبة التبوريدة.

يشكو هؤلاء الفرسان حسب تصريح المقدم الخنوفي، من تغييب التقييم المادي للتكلفة المالية الباهظة التي يتكبدها فرسان التبوريدة بالمغرب سنويا لرعاية خيولهم وإعدادها للتباهي بها، وتقديم أجود عروض الفرجة والمنافسة سواء بجائزة الحسن الثاني بدار السلام بالرباط، ومعرض الفرس بالجديدة، أو بالمواسم والمهرجانات المتخصصة في تقديم عروض فنون الفروسية التقليدية عبر ربوع جهات المملكة. هذا الإهمال تجاه الفرسان وخيولهم من طرف القائمين على شأن تراثنا له انعكاسات سلبية تشتد وطأتها خلال سنوات الجفاف التي تكبدهم خسائر جسيمة مقابل رعاية خيولهم.

يتساءل فرسان التبوريدة، هل تعلم الجهات الوصية على الموروث الثقافي الشعبي، كم يصرف الفارس على حصانه؟ وكم تترتب عليه من الواجبات المادية لادخار معيشة جواده، ورعايته، ومواكبة حاجياته الأساسية إلى أن يحين موعد الفروسية؟ وحجم التكلفة المالية التي ينفقها هؤلاء على اللباس والزي التقليدي.

يحتاج حصان التبوريدة، حسب مقدم عبد الكريم السايبي⁶⁴، إلى "عناية فائقة ورعاية خاصة طيلة السنة على جميع المستويات، ويعتبر جواد التبوريدة أهم شيء يملكه الفرس في بيته، بحيث يفضل على كل أفراد الأسرة". ويخصص له أحسن الإسطبلات، ويقدم له أجود الأعلاف، ويضعه باستمرار تحت مراقبة نصائح الطبيب البيطري".

ويؤكد مقدم عبد الكريم السايبي أن الحد الأدنى لمصاريف العناية والرعاية بحصان التبوريدة، والحرص على تجويد وقفته ونظرتة والتباهي به وسط الخيول سنويا، ما يقارب 33,000,00 درهم في

64 - رواية شفوية، عبد الكريم السايبي، مقدم فرقة الخيل، من عشاق الفنتازيا، ومن قداماء الممارسين لهذا الموروث الثقافي .

المعدل المتوسط"، وفي التفاصيل يوضح بأن الحصان يستهلك يوميا 60,00 درهم على الأقل لتوفير (الكأ – والعلف – والماء – والدواء ..). هذا بالإضافة إلى مستحقات المياوم التي تصل إلى 50,00 درهم يوميا، والذي يقوم بأعمال، كتقديم العلف للخيل وتأهيله بتدريب مستمرة، والحرص على تنظيفه ونظافة إسطبله.

ويخصص للباس والزي التقليدي و"السناح"⁶⁵: 30,000,00 درهم، وأضاف أنه من الضروري أن يجدد الفارس كل سنة متطلبات فن التبوريدة الخاصة به وبحصانه، ليظهر بمظهر أنيق بين أعضاء كتيبة الفرسان الموحدة، ويعكس صورة تقاليد منطقته وخصوصية موروثها الثقافي الشعبي المتمثل في (السلهام – الجلابة – التشامير – السروال القندريسي – العمامة – الدليل – الخنجر أو السيف – الحرافات – التماك – المكحلة – السرج).

تقتضي الضرورة من الفارس توفير هذه المستلزمات بشكل مزدوج لتغيير مظهر شخصيته ومظهر جواده كل يوم خلال عروض التبوريدة، حيث تتضاعف هذه القيمة المالية. وأضاف المقدم المشار إليه، أن مصاريف التنقل والتغذية تقدر بحوالي 20,000,00 درهم. والحديث عن مصاريف التغذية والإقامة والتنقل والسفر من موسم لآخر ومن مهرجان لآخر، تقتضي مبالغ باهظة. علما أن سربات الخيل تعتمد في ذلك على مساهمة كل الفرسان، فضلا عن كرم وجود أبناء الدوار والقبيلة الذين يقتفون أثر فرسانهم وخيولهم، للاستمتاع بعروض التبوريدة، وتشجيع كتيبتهم والتباهي بها بين سربات الخيل.

أفاد المستجوب حول هذا الموضوع، أن القيمة الإجمالية لكلفة الفروسية هي حوالي 300 مليار سنتيم، وهي الحصيلة التقريبية لتكلفة فن التبوريدة بالمغرب طيلة السنة، أي أن سربة الخيل المكونة من 15 فارس، تستهلك ما قيمته 945,000,00 درهم سنويا في الحد الأدنى، دون احتساب مصاريف التنقل والتغذية المقدرة بحوالي 20,000,00 درهم.

علما أن منافسات جائزة الحسن الثاني بدار السلام يشارك فيها اليوم ما يقارب 300 سربة ينفق على فرسانها وخيولهم من مالهم الخاص ما يقارب 300 مليار سنتيم. ويبقى السؤال الجوهرى

65 - يقصد بالسناح في معجم "الباردية"، سلاح الفارس، المتكون من خنجر وسيف وبنوقية.

المطروح هو، انعكاسات هذه القيمة المالية الكبيرة، التي يستثمرها فرسان المغرب على تراث ثقافة الخيل والبارود، والتي تستفيد منها صناعتنا التقليدية.

إلى جانب هذه المشاكل المادية التي تواجهها التبوريدة، تتسبب الفنتازيا في حوادث قاتلة، وعاهات دائمة لبعض الفرسان الذين يصابون أثناء ممارسة التبوريدة⁶⁶، ومن بين هذه الحوادث المؤلمة التي تعرض لها بعض ممارسي الفروسية بالمنطقة في السنوات الأخيرة، وفاة الفارس حميد، البالغ من العمر 22 سنة من سرية آيت لعربي آيت عتاب، إثر انفجار بندقيته في موسم مولاي عيسى بن إدريس بتاريخ 08 أبريل 2019. إضافة إلى وفاة فارس آخر بسبب طلقة بارود بمهرجان ألف فرس وفرس بالفقيه بن صالح.⁶⁷ ووفاة فارس آخر في موسم أولاد عزوز بإقليم خريبكة بعدما أصيب في الرأس. كما أصيب فارس شاب بموسم أفورار بطلقة بارود على مستوى الرأس إلا أنه نجا بأعجوبة⁶⁸.

ومما زاد من حجم مشاكل الفنتازيا، تزايد حدة الجفاف، وغلاء أسعار الأعلاف، والذي تزامن مع جائحة كورونا كوفيد 19 سنة 2020م، حيث أصدرت وزارة الثقافة مراسلة، تدعو فيها إلى عدم تنظيم المهرجانات باستثناء بمختلف جهات المملكة بسبب تفشي وباء كورونا. لذلك، قررت العديد من الجماعات القروية بالأطلس المركزي، إصدار بيانات تؤكد فيها إلغاء أو تأجيل كل المهرجانات والمسابقات المحلية والجهوية للفروسية والتبوريدة.

إلا أن مذكرة الوزارة السالفة الذكر استثنت تظاهرات المواسم وهو ما خلق نقاشا واسعا بين مختلف أطياف المجتمع، حول دوافع هذا الاستثناء غير المبرر. لكن يفهم هذا الاستثناء أن المواسم الدينية من اختصاص وزارة الأوقاف، التي أصدرت هي الأخرى مذكرة تدعو فيها لمنع تنظيم المواسم الاحتفالية الدينية.

أمام حجم المشاكل الذي يواجهها رواد التبوريدة، انتظم هؤلاء في تنسيقيات جهوية ووطنية، للمطالبة ببعض الحقوق، وتحسين ظروف ممارسة هذا الموروث الثقافي، واثمينه، ومن بين

66 - الموقع الإلكتروني الإخباري، هسبريس، فيديو، 3 مارس 2019.

67 - الموقع الإلكتروني الإخباري، أزيلال، 24، 08 أبريل 2016.

68 - الموقع الإلكتروني الإخباري، أخبارنا المغربية، 18 أكتوبر 2015.

المطالب التي طالب بها هؤلاء تأمين الفرسان والخيول⁶⁹، ومناقشة بعض أنواع الحوادث وأسبابها مثل: حوادث السقوط، وحوادث انفجار البارود والبنادق المستعملة.⁷⁰

مجمل القول، تعتبر الفانتازيا تراث مغربي عريق، ووثيقة تاريخية حية تؤرخ للتاريخ والتراث الجهوي والوطني، خاصة التاريخ العسكري للقبائل، حيث أن الفنتازيا كانت بمثابة استعدادات عسكرية تقوم بها قبائل الأطلس المركزي قبل سيطرة الاستعمار الفرنسي على المنطقة مطلع القرن 20م. وتحولت بعد هذا التاريخ، إلى أبعاد فنية فولكلورية احتفالية.

ومن جهة أخرى، تتميز مراسيم ممارسة الفنتازيا بالغنى والتنوع في الطقوس والعادات والقواعد التي يجب على عشاقها الالتزام بها أثناء القيام بهذا الموروث الثقافي. وتحظى الفنتازيا باهتمام كبير من قبل جل فئات، بفعل الأصالة والعمق التاريخي لهذا التراث، وتشجيع السلطات له، ويرجع الفضل لاستمرار وانتشار هذا التراث الثقافي بعد استقلال المغرب 1956م، للعناية التي يوليها الراحل الملك الحسن الثاني لرياضات الفروسية بشكل عام، ولعبة الفروسية بشكل خاص. مما ترتب عنه تضاعف عدد المهرجانات والمواسم المرتبطة بالفروسية، رغم بعض المشاكل التي تواجهها.

البحث الثاني : الرقص والغناء بمواسم الأطلس المركزي خلال القرن 20

ومطلع القرن 21م

يعتبر الرقص والغناء مظهرا من مظاهر الاحتفال الأساسية الموازية، خلال انعقاد المواسم بالأطلس المركزي، وتتعدد أنواع الرقصات التي تؤثث فضاءات المواسم، لما يتميز به مجال الأطلس المركزي من تنوع ثقافي قل نظيره. وقد ساهم الاهتمام المتجدد بالفولكلور والفنون والتقاليد الشعبية خلال القرن 20م، إلى مضاعفة جميع أنواع الفرق الفلكلورية. والتي أصبحت تقدم عروضها في فعاليات المواسم، وغيرها من المناسبات. ويظهر من خلالها الموسيقيون والراقصات في أجمل

69 - بيان التنسيقية الوطنية لتشجيع الفارس. سنة 2019.

70 - بيان التنسيقية الوطنية لتشجيع الفارس. سنة 2019.

أزيائهم التقليدية. وتشير هذه المجموعات الشعبية إلى ماضي ثقافي غني وأصيل. وترمز إلى الاستمرارية الثقافية التاريخية.

وتوثقت فضاء المواسم بالأطلس المركزي، فرق موسيقية تراثية متنوعة، تحقق الفرجة للزوار، وتتشكل بالأساس من أبناء القبيلة المنظمة، أو من أحد القبائل المجاورة، ونادرا ما تكون هذه الفرق خارج المنطقة. ومن أهم هذه الفرق، فرق "أحيدوس" و فرق "أحواش"⁷¹، و فرق "بوغانيم" و فرق "عبيدات الرمي" و فرق "الفراجة"...

1- رقصات "أحيدوس" بمواسم الأطلس المركزي خلال القرن 20م

1-1 رقصات "أحيدوس" بمواسم الأطلس المركز بين التاريخ والفلكلور

تحتل رقصة "أحيدوس" مكانة خاصة في الأطلس المركزي، بفعل جماليتها، وغنى رموزها وإيحائها الثقافية والتاريخية. و تدور موضوعات رقصة أحيدوس حول الخصوبة حسب Mazel.

71 - أحيدوس الذي ينقسم إلى قسمين كبيرين: أحيدوس "أختار أو أمقران" وتمسرحت. أ- أحيدوس "أختار أو أمقران": أي أحيدوس الكبير. وهو المقطع الأول في رقصة أحيدوس. يبدأ بالوقوف المستقيم لأعضاء الفرقة استعدادا لانطلاق الرقصة. وتكون الإنطلاقة بأبيات شعرية من شاعرين من بين أعضاء الفرقة. حيث يرتجلان أو يختاران "إزلان. هي جمع لكلمة إزلي. وهي مجموعة من الأغاني المكونة من جملتين متطابقتين أو متناظرتين. حيث تكون الجملة الثانية جوابا للجملة الأولى. وبعد ذلك، يغى باقي أعضاء الفرقة بإيقاعات ألون "البندير". وأثناء الإنشاد يسود الصمت والإصغاء إلى أن يستوي اللحن. ويتمكن الجميع من كلمات ومعاني البيت المردد مرتين أو أكثر. وبعد ظهور توافق الجميع على البيتين ومعناهما ولحنيهما. يشرع رئيس الفرقة "الرايس" من حملة البندير، فيتموج الصف أو الدائرة. وما هي إلا ثوان قليلة حتى يستوي الإيقاع. ويدور صف الراقصين حول نفسه أو يترك من اليسار إلى اليمين، بحيث لا تكاد تدرك حركات أقدم الراقصين. يتحرك رئيس الفرقة على طول مسافة صف الراقصين لتنظيم الإيقاع. مقدما الرجل اليسرى على اليمنى محاكيا حركة الفرس. ليعود إلى وسط المجموعة. فيرفع آلة النقر إنذارا لنصف المجموعة من الراقصين للاستعداد للقيام بإيماءات تختلف بها عن المجموعة الثانية. وبعد إيماءة "أنقر" تبدأ هذه المجموعة في قلب آلة النقر "ألون". مقيمة بالآلة خطأ موازيا للأرض مع ثني الركبة اليمنى ونقر ضربتين على "ألون" لترجع إلى الهيئة الأولى. ويكون تكرار هذه الإيماءات حسب إشارات قائد الفرقة "الرايس". ويظل "المايسترو" قائد الفرقة يراقب أعضاء الفرقة في انتظار من يريد التدخل لإلقاء "إزلي". وحين ظهور الشاعر، يتدخل الرايس، فيرفع آلة نقره مرة ثانية إيدانا بوقف النقر على الآلة. فيعمل على استدارة آتته على أصبعه، وحينما يقوم أعضاء الفرقة بنقر ثلاثة ضربات متتالية على ألوان ينتهي المقطع الأول من أحيدوس.

ب- تمسرحت

بعد فترة قصيرة من الراحة، والكل يظل واقفا يبدأ المقطع الثاني من رقصة أحيدوس تعرف "تمسرحت". وكسابقة يفتتح بمجموعة من أبيات شعرية أمازيغية "إزلان"، ويتألف كل بيت من سطرين: الأول يسمى "اللغا" (الكلام)، والثاني أوماس، إكماس، إكماس بمعنى أخوه. وبعد استيعاب هذه الجمل الموسيقية بالخفة عن سابقتها في المقطع الأول. نظرا لتغيير الإيقاع، وتخفيفه عن سابقه وإيماءات الرقصة في المقطع الأول، وبعد بضع دقائق ينتهي "الطرح" أي أحيدوس. وبعد استراحة يبدأ أحيدوس من جديد و "إزلان" جديدة.

وتشكل متنفس حقيقي بالنسبة للسكان الذين يعيشون حياة تطبعها الأعمال الشاقة طيلة السنة⁷².

يرجع ارتباط ظهور رقصة "أحدوس" بحياة الترحال والرعي عند قبائل الرحل بالأطلس المركزي. ويعد الرقص بالنسبة لهذه القبائل وسيلة للفرجة، تحيي بها احتفالاتها ومناسباتها، ومواسمها الفلاحية. ولا يستبعد بعض الباحثين، أن رقصة أحيديوس ترجع إلى فترات تاريخية قديمة، قدم استقرار الإنسان في جبال الأطلس⁷³.

وللإشارة، يعتبر مغنيو أحيديوس، بالأطلس المركزي، خاصة لدى قبائل آيت أمالو صناعا كبارا للرأي العام. وكانت أدوارهم كبيرة في صناعة الرأي العام المحلي والجهوي، إضافة إلى نقل الأخبار ومعاونة وهموم القبائل. لذلك تقدر الساكنة المحلية العمل الذي تقوم به هذه الفئة، بفعل دورها في التعبير عن مشاعر السكان⁷⁴.

ومن عادات ساكنة الأطلس المركزي، إحضار فرقة "أحيديوس" في جميع مناسباتها وأفراحها الخاصة، وتكون تلك الفرق إما محلية من أبناء القبيلة، أو من القبائل المجاورة. غير أن فرق "أحيديوس" تفضلون الاحتفالات الجماعية العمومية، خصوصا في فترة المواسم السنوية. وهو ما أشار إليه القبطان الجزائري سعيد كنون مطلع القرن 20م، بمناسبة موسم تنصيب أحد شيوخ "أمغار" قبيلة آيت أمالو، حيث تنظم القبيلة حفلا ضخما بهذه المناسبة بعد جني المحصول. وتؤثث ساحة الموسم رقصات "أحيديوس" على طول واجهات الخيام المنصوبة. كما يستمتع الجمهور بعروض الفروسية في وسط المخيم. ويستمر الاحتفال لمدة ثلاثة أيام إلى أربعة⁷⁵.

إلى جانب ذلك، كانت تنتقل فرق "أحيديوس" بداية القرن 20م، من موسم لآخر، ويعد وصول هؤلاء إلى جانب الشعراء المتجولون المعروفين "بإمديازن" بمثابة بداية الاحتفال بالموسم. وعبر القبطان الجزائري عن أهمية أحيديوس بالنسبة لساكنة الأطلس المركزي في قوله "لا يحس إنسان الأطلس

72- Mazel Jean, Enigmes du Maroc, édition Robert Laffont, Paris 1971, p. 225-239.

73 - Mazel Jean-op. cit. p. 226.

74 - سعيد كنون، م. س، ص. 130.

75 - نفسه، ص. 96.

المركزي بحلاوة المواسم والأسواق، إلا إذا أضيف لهما صخب وموسيقى ودفوف أحيديوس وإمديازن⁷⁶. وغني عن القول، أن أعضاء فرقتي "أحيديوس" و"أحواش"، كانوا ينقلون الأخبار بين المقاومين، ويتغنون بأعمال المقاومة. مما دفع سلطات الحماية وأعوانها من الشيوخ والمقدمين، إلى ممارسة الرقابة على أشعارهم. بل تم منع بعض الفرق من آيت حديدو وزيان من الغناء في الفضاءات العمومية. وأكثر من ذلك فرض قواد الاستعمار على هؤلاء الشعراء اختيار أبيات شعرية يمجدون فيها فرنسا وعملائها⁷⁷.

وعرفت رقصة أحيديوس تحولات بعد نيل المغرب استقلاله 1956م، حيث حاولت السلطات الاهتمام بهذا الفلكلور الغنائي المغربي وتثمينه ليكون أحد الروافد الأساسية للهوية المحلية، يساهم في ترسيخ القومية والوطنية المغربية، ويلعب دورا في تشجيع السياحة الثقافية المغربية.

إن دعم وتشجيع السلطات لرقصات أحيديوس، شجع القبائل لإعادة إحياء هذا التراث الثقافي، وهذا ما أشار إليه مايكل برون، الذي أكد على أن أحيديوس عاد بقوة كرقصات مرتجلة من طرف الرعاة ذكورا وإناثا خلال الثمانينات، في قلب جبل العياشي، الذي يعد مكانا أفضل لاحتفال الرعاة بمواسم المراعي المشتركة بين قبلية آيت حديدو وقبيلة آيت مرغاد⁷⁸.

76 - نفسه، ص. 50:

77 - رواية شغوية. أنزور لوسيوور. أحد شعراء آيت إحيى آيت حديدو. موسم إملشيل، شتنبر 2019.

78 - Peyron Michael, « Ait Ferroukh « Danse », in : *Encyclopédie berbère*, « Volumes », no. 14, 1994, p.5.

الصورة رقم 14: رقصة أحيديوس بزيان خلال الأربعينيات من القرن 20م⁷⁹



1 - 2 الانتشار المجالي لرقصات "أحيديوس"

يتميز الأطلس المركزي بتنوعها الموسيقي وتداخلها، من حيث في المواضيع والإيقاع والأزياء. وتنتشر رقصة أحيديوس في جزء كبير من جبال الأطلس المغربية، سواء في الأطلس الصغير، والأطلس الكبير الغربي، والأطلس المركزي، من دمنات إلى آسيف مكون. كما أن فرق أحيديوس تتواجد في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير والأطلس الصغير. وتسود رقصات أحيديوس أيضا عند قبائل "القصور" الرحل، في كل من الأطلس الكبير الشرقي، والأطلس المتوسط، وفي المناطق الشمالية

الشرقية للبلاد الأمازيغية لدى قبائل آيت إوارين⁸⁰.

ومما يجب الإشارة إليه، أنه كلما اتجهنا نحو أعالي جبال الأطلس المركزي والأطلس المتوسط، كلما استمتعنا بنغمات أحيديوس الأصيل. بينما كلما اتجهنا نحو الدير والسهل، نجد "أحيديوس" متشبع بالثقافة الأمازيغية والعربية. وكلما توجهنا نحو الجنوب والجنوب الشرقي نجد "أحيديوس" القريب من أحواش الذي تتميز به قبائل الجنوب الشرقي للأطلس المركزي.

1 - 3 مراحل أداء رقصة "أحيديوس"

تتعدد طرق ومراحل أداء رقصة "أحيديوس"، تبعا لخصوصية كل قبيلة من قبائل الأطلس المركزي. غالبا ما تتشكل فرقة "أحيديوس" من النساء والرجال معا، سواء كان "أحيديوس" دائريا أو خطيا. وفي الغالب تشارك في رقصات "الأحيديوس" نساء أراملات أو مطلقات أو فتيات شابات، في حين نادرا ما تجد امرأة متزوجة تشارك في فرقة "أحيديوس"، لأن ذلك يعد إهانة لزوجها، خاصة في المناطق الجنوبية والشرقية للأطلس المركزي، وتفضل قبائل زايان واشقيرن نطق حيدوس، وهي دائرة تشكلها مجموعة من النساء والرجال في صف واحد⁸¹.

صنف الباحث في الموسيقى الأطلسية، Mazel مراحل أداء رقصة أحيديوس بالأطلس المركزي، إلى سبعة مراحل⁸². والملاحظ أن هذا التصنيف الذي قدمه الباحث Mazel⁸³، يعتبر شموليا، أمزج فيه أغلب خصوصيات أحيديوس لدى قبائل الأطلس المركزي.

1 - الصف - أ - إطلاق "إزلي" izli من قبل صانع الألعاب "المايسترو"، الذي يعطي الانطلاقة، معها يبدأ تمايل كل صف مقابل صف آخر، وتسمى هذه الحركة "أسركيكي assergig (الهزة)".

2 - الصف - ب - يغني "إزلي" izli.

3 - الصف - أ - و - ب - يتمايلان ببطء، وفجأة يرتفع الإيقاع.

4 - الصف - أ - يكرر نفس الحركات، أي، يتدلى ببطء أثناء التمايل

80 -Ibid, p.1.

81 - Mazel Jean,op. cit. p. 225, 239.

82 - Ibid, p. 235.

83- Ibid.

5 - يقوم الصف - ب - يقومون بثني الركبة ثلاث مرات متتالية، في حركات انحناء وارتفاع.

6 - الصف - أ - يكرر هذه الحركة، أي ثني الركبة ثلاث مرات متتالية، في حركات انحناء وارتفاع.

7 - أخيراً، يتميل الجميع، ويرتفع الإيقاع إلى أن ينهي المايسترو الرقصة⁸⁴.

ويتميز أحيديوس بخمس إيقاعات، الذي يشبهها⁸⁵ (Chottin) بالإيقاع الإفريقي القديم، لكن العديد من الباحثين تحفظ على أطروحة Chottin من أبرزهم⁸⁶ (Lortat-Jacob)، الذي اعتبر هذه الإيقاعات أصيلة بالمنطقة، ولا علاقة لها بالإيقاع الإفريقي القديم.

ورغم ذلك، تبقى أطروحة Chottin، ذات مصداقة، لكون القبائل الإفريقية في علاقات تأثير وتأثر عبر التاريخ، خصوصاً وأن رقصة أحواش تشبه الرقص الجماعي لدى القبائل الإفريقية جنوب الصحراء . وفي هذا الإطار لاحظ الباحث (Lortat-Jacob) أن هناك، تشابهاً بين رقصة أحيديوس وأحواش من حيث الإيقاع والزي والمواضيع. وحسب نفس الباحث (Lortat-Jacob)، يلاحظ انتشار رقصات أحواش الصاعدة من الجنوب نحو الأطلس المركزي على حساب أحيديوس، بفعل الهجرات القبلية التي عرفتها المنطقة⁸⁷.

وعموماً ينشد أعضاء فرقة "أحيديوس" أبياتاً شعرية، مصحوبة بالضرب على الدفوف ذات إطار من خشب، ومجهز بأجراس، مما يعطيه صوت اهتزازات فريدة. ويتم استبعاد تقسيم الجنسين خلال أداء رقصات أحيديوس، حيث يختلط الجميع ذكورا وإناثاً، سواء اتخذ "الأحيديوس" شكلاً خطياً أو دائرياً، ويمكن للمرأة أن تشكل إلى جانب الرجال صفاً متصلاً، كما يمكنهن تشكيل صف منفصل قبالة صف رجال.

1 - 4 الخصوصيات الثقافية والتاريخية لرقصات "أحيديوس"

تختلف طرق أداء رقصات أحيديوس من منطقة إلى منطقة أخرى بالأطلس عموماً، ومن بين مظاهر هذا التباين، أن الرجال هم الذين يشكلون مجموعة رقصة "أحيديوس" عند قبائل بني وارين

84 - Ibid.

85 - Ibid, p. 225, 239

86 - Ibid.

87 - Peyron Michael, Ait Ferroukh..., op. cit. p. 1

وجيرانهم آيت سغروشن، حيث يحرصون أن تكون أيديهم مترابطة أثناء أداء رقصة أحيديوس، ولا تتم مشاركة النساء إلا في مرحلة ثانية من أداء الرقصة، وتكون مشاركة النساء جنباً إلى جنب الرجال مع معارفهن من الرجال فقط.

ولعل ما يفسر حرص بعض قبائل الأطلس المركزي، على عدم مشاركة النساء في رقصة أحيديوس، أو مشاركتهن مع معارفهن فقط، هو الطابع المحافظ البعض هذه القبائل، وتأثير الفكر الديني المتشدد، حيث إذا رأى الأب زوجته أو الأخ أخته، أو الخطيب خطيبته في أحيديوس، يعتبر ذلك مساساً بشرف هؤلاء. وإذا شاركت النساء من هذه الفئة، يتسلل أحدهم وراء المشاركة في أحيديوس، وينقرها على كتفها بحذر، ويترك المجموعة، دون المساس بسلاسة الرقص.

لكن عموماً تشكل رقصة "أحيديوس" بالأطلس المركزي، وسيلة للفرجة والتسلية، تسمح بالاختلاط بين الجنسين دون خجل، إلى حد اللمس بالأدراع بين الرجال والنساء المشاركين في تأدية رقصة أحيديوس. وتعد مناسبة بالنسبة للشباب الذكور لإظهار رجولتهم، وفرصة للشابات لإظهار أنوثتهن. لذلك، تحدد شباب المنطقة رغبة كبيرة للمشاركة في أحيديوس. إذ يبلغ في غالب الأحيان عدد المشاركين في رقصة أحيديوس أكثر من عشرين شاباً وشابة. يشكلون دائرة، الرقص أكثر حركية وخشونة، تتميز بثلاث ثنيات للركبة، تليها خطوة متقدمة إلى اليسار. وهكذا، تدور الدائرة على نفسها بشكل غير محسوس ومتواصل في جو تطبعه البهجة والسرور.

يعتبر أحيديوس آيت حديدو أصيلاً، وعميقاً من حيث إيقاعاته وأشعاره، بشهادة شيوخ أحيديوس الأطلس المركزي. هذه الأصالة التي يتميز بها أحيديوس آيت حديدو، دفع الباحث Garrigue إلى دعوة محبي أحيديوس الأصليين، بزيارة قبائل آيت حديدو، خلال موسمها السنوي "أكود"، المعروف بهذا الموروث الثقافي العريق، الذي لا زال يقاوم تأثيرات العولمة⁸⁸. ومن مميزات أحيديوس آيت حديدو، مواضعه التاريخية الأصيلة، وأزيائه الأمازيغية التراثية، تبدأ رقصات أحيديوس آيت حديدو باصطفاف أفراد الفرقة من الجنسين، وغناء "المايسترو" أبيات شعرية (إزلي - izli)، وبعدها يردد باقي أفراد الفرقة القصيدة الشعرية التي بدأها رئيس الفرقة، وترتدي النساء وشاح بها قطع

معدنية دائرية لامعة تسمى (موزون)، وبينما يرتدي الرجال جلابيب وبرانس البيضاء، يؤدي الجميع دوره بشكل رائع⁸⁹.

يثير هذا الرقص الإعجاب والفرجة في نفوس المتفرجين والمشاركين من كلا الجنسين ومن مختلف الفئات العمرية. ويؤكد الباحث Garrigue أن أجمل وأفضل ما يشاهده زوار موسم "اكود"، المعروف بموسم إملشيل سيدي حماد أولمغني، خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، هو أحييدوس نايت حديدو الأصيل⁹⁰.

الصورة رقم 15 : فرقة أحييدوس بموسم سيدي عبد الله بأفوار سنة 2012⁹¹



أما بخصوص أحييدوس في بلاد زيان وإشقيرون وآيت سخمان، فإنه لا يقل شهرة من نظيرها ببلاد آيت حديدو. وبفضل دراسة حديثة عن الرقصات في بلاد زيان واشقرن وآيت سخمان، أنجزها

89 - Ibid, p.4.

90 - Ibid.

91 - تصوير شخصي.

Aherdan⁹² سنة 1980، مكنتنا من التعرف على بعض التفاصيل حول أشكال أحيديوس ببلاد زيان وأشقرن وآيت سخمان.

يتميز أحيديوس في المناطق المشار إليها، بتمايل الأجساد والقدمين، وهي إيقاعات منتشرة في جميع أنحاء الأطلس. ومن مميزات هذا الرقص أنه يتضمن بصمة من الحماسة شبه الدينية، بفضل الإرث الثقافي لزاوية أمهاوش في منطقة لقباب، المرابطين القدامى ذوي التأثير القوي في بلاد آيت أمالو وزيان⁹³.

وهناك شكل آخر من أحيديوس، المعروف بـ"أحيديوس الهات" . عند قبائل "زبور" المجاورة لقبائل زيان، حيث يتميز تنظيم الأحيديوس بقواعد مماثلة في زبور، كما هو الحال في بلاد آيت سخمان وآيت حديدو (الأطلس الشرقي العالي)، ونجد نوعا آخر من الأحيديوس مخصص للنساء، وهو معروف باسم "أحيديوست" . المرتبطة بشكل أساسي بحفل الختان، حيث تشكل النساء صفوفًا، وجهاً لوجه، ويرافق اغانيهن قرع الدف (تالونت)⁹⁴ .

خلاصة القول، تعتبر فرق أحيديوس في مناطق الأطلس المركزي، مكونا ثقافيا أساسيا في تظاهرات المواسم والمهرجانات، وخاصة تلك التي تقام بأعالي الجبال. كموسم "آيت امحمد، ومواسم قبائل آيت ويرا وزيان ومواسم قبائل آيت سخمان، وآيت سري، ومواسم قبائل آيت مساض، وآيت حديدو.

2- رقصات "أحواش" بمواسم الأطلس المركزي

2 - 1 الخصوصيات الثقافية والتاريخية لرقصة "أحواش".

تنتشر رقصات أحواش في أجزاء كبرى من السفوح الجنوبية الغربية والشرقية للأطلس المركزي. وتختلف رقصة أحيديوس عن رقصة أحواش، من حيث الإيقاع والآلات الموسيقية، والزي ... بحيث تتميز رقصة أحواش بتناسق حركات الأرجل، وتجريد آلة البندير من الجرس. الذي يكون بأحجام

92 - Mazel Jean, op. cit. p. p. 225-239 .

93 -Aherdan Mahjoubi, op. cit. p. 72.

94 - Peyron Michael, Ait Ferroukh« Danse », op. cit. p. 6.

مختلفة. وتضرب بعض فرق أحواش على قطع معدنية والطبل خاصة في الأطلس الصغير⁹⁵. يلاحظ تباين في تنظيم ومورفولوجية رقصات أحواش من منطقة إلى أخرى، إذ تشكل الفرقة أحياناً دائرة كبيرة منقسمة إلى فرقتين أو ثلاثة فرق صغيرة. وفي أحيان أخرى، تنتظم الفرقة على شكل دائرة نصفها من النساء، والنصف الآخر من الرجال. وقد تصادف فرق من أحواش، منقسمة إلى صفيين متقابلين، واحد خاص بالنساء والآخر خاص بالرجال⁹⁶. وغالباً ما تنحرف الفرقة من مسارها الدائري، مشكلة نصف دائرة، يكون الرجال من جهة والنساء من جهة أخرى، ويشير ذلك بشكل ضمني إلى الفصل بين الجنسين، هدفه تجنب أي استياء من جانب زوج غيور من زوجته، أو من أخ من أخته، أو من أب تجاه ابنته⁹⁷.

تؤدي فرق أحواش رقصاتها وأغانيها بإيقاعين أو أربعة إيقاعات، حسب كل منطقة. وتحيي هذه الفرق الموسيقية الأطلسية العريقة احتفالات قبائلها والقبائل المجاورة، وتفضل فرق أحواش إحياء المناسبات الجماعية مقارنة بالاحتفالات الخاصة. وتعتبر المواسم إحدى المناسبات التي تحيي فرق أحواش سهراتها الفنية، في دمنات والأجزاء الشمالية الشرقية لبلاد انتيفة.

2 - 2 التوزيع المجالي لرقصات "أحواش"

تعتبر رقصة "أحواش" التي تؤديها فرق تلوأث ببلاد كلاوة أصيلة وعريقة. بحيث تعتبر ساكنة كلاوة أسياد هذا الشكل الفني التراثي حسب Mazel، لدرجة أنه يعتبر بلاد كلاوة هي الأرض الأصلية لرقصة "أحواش"⁹⁸. واعترف Mazel بخصوصيات وأصالة رقصة "أحواش" عند قبائل كلاوة مقارنة بباقي المناطق⁹⁹، رغم إعجابه بأحواش قصبة تويرت بورزازات¹⁰⁰، التي تحتفظ بقيمة شعبية حقيقية¹⁰¹.

تنتشر رقصات "أحواش" عند قبائل "أيت واوذكيت" بالسفوح الجنوبية الشرقية للأطلس المركزي،

95 - Mazel Jean, op. cit. p. 232.

96 - Peyron Michael, Ait Ferroukh« Danse », op. cit. p. 6.

97 - Ibid.

98 - Mazel Jean, op. cit. p. 230.

99 - Ibid.

100 - Ibid.

101 - Peyron Michael, Ait Ferroukh..., op. cit. p.2.

المتخصصين في هذا النوع من الرقص. كما تسود رقصات أحواش في مساحات شاسعة في سفوح توبقال الجنوبية، وفي بلاد سكساوة، وعلى طول هضبة تيشكا. إلا أن فرق أحواش المشهورة بالأطلس المركزي، هي التي كانت منتشرة في "إمي نيفري بالقرب من دمنات، وبلاد انتيفة، وخاصة فرقة "أحواش تازروت وتناغملت"، التي تنظم سهرات في جميع المناسبات والمواسم بالمنطقة. وللإشارة، استمرت هذه الفرق في تنشيط هذه القبائل في المناسبات الخاصة والعامّة إلى غاية التسعينات من القرن الماضي¹⁰².

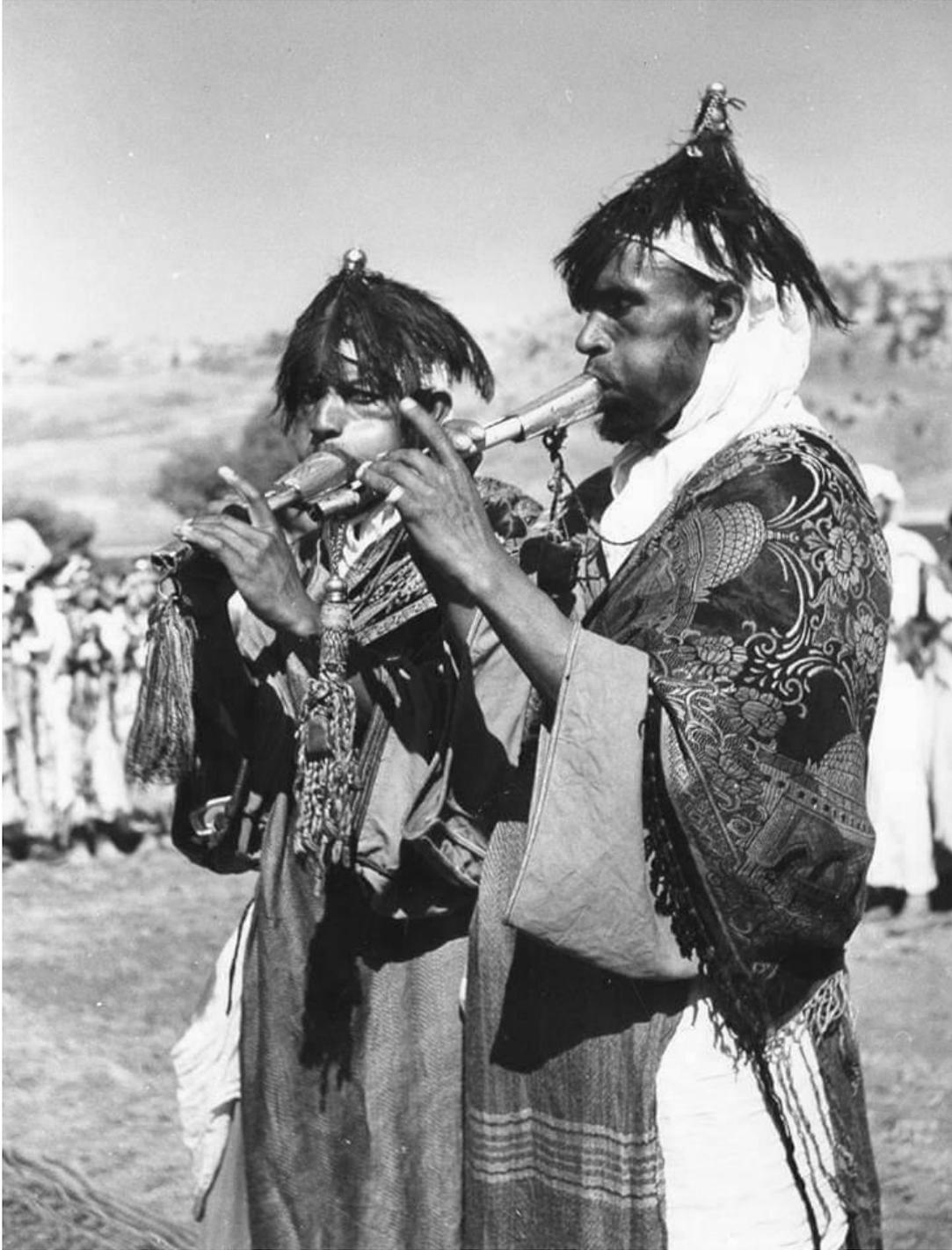
3 - رقصات "بوغانيم" بمواسم الأطلس المركزي

ينتشر بالأطلس المركزي نوعا آخر من الرقص له خصوصياته ومميزاته الثقافية والتاريخية، تميزه عن رقصتي أحواش وأحدوس، ويتعلق الأمر بفرقة "بوغانيم" أي "صاحب القصبة"، ويقتصر مجال انتشار هذا الفن في منطقة الأطلس الكبير المركزي، وتعرف به حاليا ثلاث قبائل، وهي قبيلة آيت بوكمار، وقبيلة آيت عباس ثم قبيلة آيت بلال.

تضم كل فرقة من فرق بوغانيم، أربع رجال وأربع نساء، ويتميز أفراد هذه الفرق، بارتداء نساءها زياً أمازيغياً أبيضاً، وارتداء الرجال لباساً أبيضاً وقبعة خضراء، يعزف واحد منهم على المزمار، ويبطل الآخرون على البندير، ويرقص الجميع على إيقاعات البنادير والمزمار. وقد انعكست الطبيعة الجبلية الوعرة التي ترعرع فيها هذا الفن، على طبيعة مواضيع انشغالات شعرائه، من قبيل، الجفاف والمطر والثج، والصراع والسلم والطبيعة والجمال وغيرها.

102 - BERQUE Jacques, « Les capteurs du divin: marabouts et oulémas », in : *La Revue de la Méditerranée*, Tome 10, mai - juin, 1955, p p. 286-302 ; et Tome 11, Juillet - août, p p. 417-429, 464.

الصورة رقم 16 : فرقة بوغانيم بداية القرن 20م¹⁰³



تعتبر فرقة بوغانيم آيت بوكماز الأكثر شهرة وتمثيلية للمنطقة، وتمثل الإقليم كل سنة في

103 – Khalid Rhaouch El Mokh.

المهرجان الوطني للفرق الفلكلورية، وتشارك في مهرجانات داخل المغرب وخارجه، وفي المواسم المحلية مثل موسم آيت عباس، وموسم آيت بولي الذي ينضمون فيه سهرات إلى جانب فرق أحيديوس والعامت¹⁰⁴.

الصورة رقم 17 : صورة فرقة بوغانيم ايت بوكماز¹⁰⁵



اعتبر Mazel رقصة بوغانيم نوعاً آخر من الأحيديوس، اشتهرت به قبيلة "آيت بوكماز" بالأطلس الكبير المركزي، وهو رقص مثير للانتباه، خصوصاً أن "النساء اللواتي تقودن الرقص، نساء سمينات، متميزات بزيهن الأمازيغي، ومتفوقات في ضرب البندير، ورجال معروفين بشد رؤوسهم بعمامات بيضاء أو خضراء، وارتداء برانيس بيضاء، وحمل خنجرًا له شكل قوس، ومنهم عازف مزمار متميز بقبعة مخروطية خضراء¹⁰⁶.

وأشار مايكل برون إلى نوع آخر من الرقص عند قبيلة آيت بوكماز، وعند القبائل المستقرة على

104- يطلق سكان الأطلس المركزي على فرقة عبيدات الرمي اسم آيت وعراب أو العامت وخاصة لدى قبائل انتيفة وآيت مساض وآيت عتاب.

105 - موقع الهضبة السعيدة ايت بوكماز.

106 - Mazel Jean, op. cit. p. 234.

ضفاف واد الأخضر، وهي "رقصة البندقية" المعروفة ب"أدرسي"، وهي شكل من أشكال أحييدوس، تحيي بها الساكنة المحلية حفلات زفافها، أو مهرجاناتها المحلية¹⁰⁷. ويؤدي رقصة "أدرسي" حوالي 80 رجلاً، ينتشرون على شكل دائرة، يغنون ويرقصون على إيقاعات الدفوف وإطلاق نار بنادقهم في الهواء¹⁰⁸.

4 - "الشيخات أو الفراجة" بمواسم الأطلس المركزي

تحيي مجموعات غنائية شعبية مختلف حفلات ومناسبات بالأطلس المركزي، وخاصة المواسم والمهرجانات، وتسمى هذه الفرق الموسيقية عند الساكنة المحلية "بالفراجة أو الشيخات" وتكون من أبناء المنطقة أو قادمة مناطق أخرى. ولكل مجال خصوصياته الفنية، فالمناطق المتواجدة من قبائل زيان إلى حدود انولتان دمنات، يفضلون فرق الفن الأمازيغي الشعبي المعروف بالفراجة أو الشيخات. أشار مايكل برون أن فن الفراجة أو الشيخات، كان معروفاً على نطاق واسع بالأطلس المركزي نهاية القرن 20م، وسماه بأحييدوس النساء، وتؤدي هذا الفن فنانات راقصات، معروفة باسم "الشيخات" مشهورات بارتداء زي من الملابس بألوان مختلفة، وحرّام بالعقيق يسمى "أبوقس". وتتشكل عادة كل فرقة من راقصتين إلى ستة راقصات، برئاسة رئيس الفرقة، وعادة ما يكون عازف الكمان أو "لوثار"، لديه اثنين أو ثلاثة موسيقيين آخرين، معظمهم يضربون الدفوف. تقدم هذه الفرق الغنائية خدماتها خلال انعقاد المواسم والحفلات العائلية، مقابل مبالغ مالية تختلف حسب شهرة الفرقة الموسيقية... وتعتبر المناطق الشمالية للأطلس المركزي وخاصة خنيفرة وأحوازها مناطق تركز هذا النوع الفني، بحيث أن أغلب الشيخات ينحدرون من قبائل زيان وقبائل ايت سري وقبائل ايت ويرا وقبائل آيت يوسي وقبائل آيت امكيل. ومن الفرق الموسيقية المشهورة بإحيائها سهرات المواسم والمناسبات العائلية بعد استقلال المغرب 1956م "فرقة حدو أوشاوش؛ فرقة محمد رويشة؛ فرقة حادة وعكي وبناصر أوخويا؛ فرقة عبوزان؛ فرقة تمهاوشت...".

107 - Peyron Michael, Ait Ferroukh..., op. cit. p.7

108 - Ibid.

4 - 1 الشيخات في التمثلات الاجتماعية بالأطلس المركزي

كانت القبائل إلى غاية الثمانينات من القرن الماضي، تنشط حفلاتها اعتمادا على فرقها الموسيقية المحلية في جل المناسبات بما فيها تظاهرات المواسم والمهرجانات. وغير أن هذه العادة تغيرت مع نهاية القرن 20م ومطلع القرن 21م، حيث أصبحت هذه الساكنة تستقدم فرقا موسيقية من القبائل والدواير المجاورة، وتشتهر مجموعة المناطق بتوفرها على أفضل الفرق الموسيقية من هذا اللون الغنائي، وخاصة قبائل زيان، وقبائل آيت ويرا، وقبائل آيت أم البخت بزواوية الشيخ... يحظى حضور الفراجة أو الشخات باهتمام بالغ في مختلف احتفالات قبائل الأطلس المركزي، غير أن الشخات التي يمارسن هذا الفن يصفهم المجتمع بأوصاف قذحية وسمعة سيئة، لذلك يحرصن على ممارسة أغانهم ورقصاتهن خارج قبائلهن. ولاحظنا أن الشيخات التي تحي حفلاتها الموسيقية في المواسم المنعقدة بالعديد من قبائل الأطلس المركزي هن غريبات وأجنبيات على المجال الذي يمارسن فيه هذا الفن، بسبب القيود الاجتماعية المحافظة.

أشارت الباحثة فانك ريسو إلى هذه الملاحظة، في دراستها للمواسم في منطقة الغرب، أن الفرق الموسيقية المعروفة "بالشيخات أو الفراجة" المفضلة لدى ساكنة هذه المنطقة، هي المنتمية لقبائل زمر الأمازيغية. وتفسر انتقالهن إلى مناطق أخرى بعيدة للرقص والغناء، لتفادي إحراج مجتمعهن، إذ سيصبحن نساء أجنبيات في منطقة الغرب، حيث أن كل كشف عن هويتهن هناك، يسبب لهن إحراجا¹⁰⁹.

لقد ارتبط مصطلح الشبيخة بنساء منحرفات في تمثلات الساكنة المحلية، لأنهن يرقصن في الأماكن العمومية؟ ويشاركن في حفلات موسيقية لا تراعي مبدأ الفصل بين الجنسين؟ وتعبر هذه الممارسات في نظر الساكنة المحلية عن تجاوز للرموز والتقاليد المحافظة¹¹⁰. ومن تم تشير عبارة "شبيخة" في مخيال السكان عن امرأة ساقطة في تناول الرجال، رغم ما يلاحظ من حب الناس لهذا الفن، ومجاملتهم للشيخات أثناء أداء الرقص والغناء.

109 - Fenneke REYSOO, Des moussemes, op. cit. p p. 143, 148.

110 - BOURDIEU Pierre, Esquisse d'une théorie de la pratique, précédé de, Trois études d'ethnologie kabyle, Genève, Librairie Droz, 1972, P. 36.

من هذا المنطلق، لا يتنظر الناس بعين الرضى إلى الاختلاط بين الجنسين في العديد من المناطق في الأطلس المركزي، حيث أن رقص النساء إلى جانب الرجال يوحى بالجنس، لهذا يحرص الجمهور تفادي هذا الإحراج أثناء أداء الرقص، و تتم المناداة في مناسبات كثيرة على راقصات (الشيخات)، اللواتي ينشطن الحفلات، (مناسبات كالمواسم والمهرجانات والاحتفالات العائلية، ووطنية). وللإشارة، تدور مواضيع الأغاني في الغالب حول الزواج والحب والجنس، وتحرص النساء المتزوجات على الظهور بسلوك لائق خلال المواسم، عكس أعياد النساء في البيوت حيث يرقصن ويغنين بكل حرية.

4 - 2 الفرجة أو الشيخات في الخيام القايدية

جرت العادة خلال انعقاد المواسم تنظيم احتفالات الشيخات تحت الخيام القايدية الكبيرة، وتلعب الراقصات الشيخات دورا كبيرا في إسعاد الرجال في الحفلات، وتسليية ممثلي السلطة والأمن، برقصاتهن وغنائهن وإيحاءاتهن المثيرة. ولا يرقصن أمام رجال أجنب فقط ، بل يدخن السجائر، ويشربن الخمر، ويغازلن الرجال مقابل المال. إنها مهنة مهمشة، تمارسها عدد كبير من نساء غير متزوجات كالمطلقات، والأرامل.

تتمتع الشيخات بحرية التنقل في فضاء الحفل، وأخذ مبادرة التحدث مع الرجال، والجلوس على ركبهم، و يتصفن بسلوكيات كانت دائما خاصة بالرجال، ويقمن بإيحاءات جنسية. يشير شعرهن المتدلي، وإزالة الحزام إلى صورة امرأة (مستقلة) ساقطة. ويعبر الرجال في في الخيمة القايدية عن سعادتهم بالهتاف، والتبرع بالمال للراقصات. والملاحظ أن ما يحصل في الخيام القايدية هو حكر على رجال السلطة والأعيان فقط. أما باقي الجمهور فيتم إبعاده على مسافة ما.

وتجدر الإشارة، أن المجتمعات التي يكون فيها الفصل بين الجنسين واضحا، يجعل النخبة أمام ممارسة أعمال يطبعها التناقض حسب (Boudhiba)¹¹¹، إذ تعتبر هذه النخبة فضاء المواسم، فضاء خاص بها لتحقيق الفرجة، وتجعلهم يظهرون مكانهم الاجتماعية الراقية. يمكن اعتبار سلوك هذه الفئة في نظرنا، ثورة وتمردا على الرموز المحافظة بحجة الترويج على النفس.

111 - BOUDHIBA Abdelwahab, La sexualité en Islam, collection Quadriga, PUF, Paris, 1986, p. 256.

4 - 3 " الشيخات أو الفراجة" في الخيام العائلية الخاصة

لا يقتصر الأمر على حفلات الفراجة والشيخات التي يتم تنظيمها في الخيام القايدية بمواسم الأطلس المركزي، بل تنظم بعض العائلات أو الفخذات حفلات رقص وغناء بخيامها الخاصة، ينشط فيها الجمهور بطريقته الخاصة، حيث يشكلون فرقة صغيرة من الرجال، يحيون سهرات فنية تحت الخيام، ويتم أحيانا ترديد نصوص دينية على ضربات إيقاعية.

يمنح الجمهور للفرق الموسيقية هدايا مالية صغيرة عديدة، مقابل الدعاء والشكر للماح. ويرقص بعض الرجال على ضربات إيقاعية، فيرعشون أجسادهم وأكتافهم. وتبدي المتفرجات إعجابا كبيرا بهذا العالم المتناقض، والمقصود بالتناقض، الرجال الذين يعرضون رقصهم أمام جمهور خليط من النساء والرجال، وفي بعض الأحيان يرتجل الشباب المراهق الأغاني، ويتقدمون بخطوات نحو ساحة الرقص.

ومن التحولات التي عرفها المجتمع المحلي في موضوع الرقص، هو أن النساء خلال فترة الحماية وقبلها إلى غاية الثمانينات والتسعينيات، لا يشاركن في الرقص والغناء في الأماكن العمومية، حيث أكدت لنا كل من الرواية الشفوية التي تعود إلى الخمسينيات والستينيات، وإضافة إلى ما جاء في أبحاث الباحثة الهولندية فنك ريسو¹¹² خلال الثمانينات من القرن الماضي، أنه نادرا ما ترى فتاة أو امرأة تتفاعل مع الموسيقى وتقوم للرقص أمام الحاضرين.

ولا نستبعد أن يكون سبب ذلك خوف الجماهير من تجاوز تقاليد وأعراف العائلة والقبيلة. غير أن اليوم يختلف الأمر تماما، حيث أصبح مألوفا رقص وغناء النساء في المواسم والأماكن العمومية. ولا بد من الإشارة إلى أن المناطق الشمالية والشرقية للأطلس المركزي أقل محافظة، مقارنة بالمناطق الجنوبية والغربية للأطلس المركزي.

وتشير الرواية الشفوية أنه إلى غاية السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، كانت العديد الفرق الصوفية الشعبية تقدم عروضاً في الرقص والغناء والحضرة المعروف "بالسواكن"¹¹³ تحت

112 -Fenneke REYSOO, Des mousseemes, op. cit. p p. 143, 148.

113 - نوع من الأغاني والرقص الممزوج بالذكر والحضرة والجديبة الصوفية. تسمى عيوط السواكن بالعربية وتسمى بالحضرة بالأمازيغية

خيام خاصة هنا وهناك بالعديد من المناطق في الأطلس المركزي وخاصة في دمنات وزيان وآيت عتاب. وتوصف هذه الرقصات في الذاكرة الجماعية، بأنها رقصات مبتهجة تؤديها فرق عيساوة، أو جيلالة، أو حمادشة، مصحوبة بتشوهات جسدية. وتجاوزت عروض هؤلاء المنتمين للطرق الصوفية الشعبية حدود المغرب، وشهدت هذه العروض بعد تصديرها إلى ساحات الاحتفالات الحديثة في أوروبا.

وقد تم تقديم، في معرض مدينة لبيج البلجيكية 10، أكتوبر 1981م تحت خيمة من النوع القايدية، "العيساوي" سليمان، الرجل غير الحساس، الذي يتحرك على المسامير والسيوف، ويأكل الزجاج المكسور ومع ذلك، لا أعتبر رقصات هذه الفرق تسلية في معرض الترفيه، ولم أتوقف عندها طويلا وسنوضح هذا الأمر في المبحث الذي خصناه للحضرة والرقص الصوفي¹¹⁴.

5- رقصة "عبيدات الرمي" أو "العامت" بمواسم الأطلس المركزي

من الفرق الموسيقية المعرفة ودير الأطلس المركزي وسهل تادلا المجاور، نجد "عبيدات الرمي". ولا نعرف تاريخ ظهور هذا الفن في المغرب بالضبط، ولا يستبعد أن يكون ظهوره مرتبط بالهجرات العربية للمنطقة خلال القرن 12م. ويصنف هذا الفن في خانة الفنون الفرجوية الشعبية المغربية، وتدلنا تسمية عبيدات الرمي، (عبيد الرماة)، حسب الرواية الشفوية¹¹⁵ - بجماعة من المولعين بمصاحبة الصيادين والقائمين على خدمتهم في الحل والترحال، سواء (حياحة) أثناء عملية الصيد، أو مضحكين للرماة في أوقات الراحة وساعات السهر، حيث ينصرفون إلى إعداد الأطعمة والشاي، ويجهزون البنادق لاستقبال يوم جديد يقضونه في تعقب الطرائد والإيقاع بوحيش الغابة.

إن هذا الفن المسمى أيضا "العامت" أو "آيت واعراب" بالأمازيغية، يتميز بالإبداع في القول المأثور وفن الحركة والغناء، الذي يشتمل على التمثيل والتعبير الجسدي محاكيا رقصة الخيل أثناء التبوريدة، ولهذا الفن كذلك علاقة وطيدة بالفنون الحربية، فلفظ "الرمي" مشتقة من اسم الرماية بالبندقية، لهذا نرجح أن يكون "عبيدات الرمي" فيما مضى جنود يتدربون على الرماية، تتحول

114 - Fenneke REYSOO, Des moussemes, op. cit. p p. 143, 148.

115-رواية شفوية، الزاهدي المعطي، من دوار أولاد الطرش واد زم، 45 سنة، بتاريخ، 08، شتنبر 2012.

معاركهم إلى فرجة المنتصر عند انهزام العدو¹¹⁶.

تتميز بعض المناطق بهذا الفن الأصيل مثل ورديفة والشاوية وتادلا، لهذا ارتأت وزارة الثقافة في ربيع كل سنة تنظيم مهرجان عبيدات الرمي، وذلك بتعاون مع عمالة إقليم خريبكة والمجلس الجهوي لجهة الشاوية ورديفة، والمجالس البلدية لكل من خريبكة وأبي الجعد ووادي زم¹¹⁷. وتشارك "مجموعات عبيدات الرمي"¹¹⁸ في حفلات الأعراس والختان داخل الوطن وخارجه، وتعتبر مجموعة الصيادة لعبيدات الرما خريبكة الأكثر شهرة وتمثيلية. وتشكل المواسم والمهرجانات أهم المناسبات التي يتعرف فيه الزوار على هذا التراث الشعبي المغربي، بل أكثر من ذلك ينظم كل سنة موسم عبيدات الرمي بمنطقة بني موسى على حدود قبيلة بني مسكين.

6 - الرقص والغناء بالمواسم اليهودية بالأطلس المركزي

لا يختلف الرقص والغناء بالمواسم اليهودية بالمنطقة، عن نظيرتها التي ينظمها المسلمون، حيث كانت تشارك فرق أحييدوس وأحواش مواسم هيلولة. وتفضل الطائفة اليهودية الفراجة "الشيخات" القادمة من زيان، وايت ويرا، وزاوية الشيخ، إلى جانب فرق موسيقية محلية تعتمد على المزمار "الغيطة" التي اشتهرت بها قبائل انتيفة خاصة تانغملت، وأوزود وتابيا. من بين المواسم اليهودية التي كانت تنظم فيها حفلات الرقص والغناء في المنطقة، نجد هيلولة "ربي يوسف أبا زاو" في فم الجمعة، وهيلولة "سيدي مول تمحضر" بتابيا، وموسم سيدي حاييم قرب أشطو بانتيفة، وهيلولة "دافيد درعة الحمادنة" دفين بزو، وأشهرهم - موسم "هيلولة"

116- ويكيبيديا الموسوعة الحرة. عبيدات الرمي. 15 دجنبر 2011.

117- نفسه.

118- من بين فرق عبيدات الرما الموسيقية. بمختلف مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي مهرجانات نذكر:

- مجموعة أولاد حديدو لعبيدات الرمي (الفقيه بن صالح).
- مجموعة السماعلة لعبيدات الرمي (واد زم).
- مجموعة بني زمر لعبيدان الرمي (أبي الجعد).
- مجموعة الحركة لعبيدات الرمي (خريبكة)
- مجموعة سمكت لعبيدات الرمي (قصة تادلا).
- مجموعة الصيادة لعبيدات الرمي (خريبكة).
- مجموعة لعبيدات الرما للتراث الشعبي الفقيه بن صالح.
- مجموعة عبيدات الرما أولاد علي الواد.

سيدي مول البرج "ربيبي اتسحاق اسرائيل هليفي" الذي يقام في فاتح أكتوبر وهو ولي مشترك، يزوره معاً اليهود والمسلمين في بلدة بزو¹¹⁹.

7- الرقص والغناء في المواسم بين المقدس والمدنس

يظهر أن الرقص بالأطلس المركزي يتضمن أربعة أصناف: أولاً، رقص الأفراح بين النساء، أو بين الرجال فقط، وليس فيه اختلاط بينهما. ثانياً، رقص دو طابع مقدس، سواء الذي تؤديه الفتيات الصغيرات في موكب الختان الجماعي بالمواسم، ويرمز إلى الخصوبة. أو الرقص الذي تؤديه الصوفية الشعبية. وثالثاً، رقص "الشيخات" اللواتي يقدمن عروضهن أمام الحضور سواء من الرجال أو النساء. في أغلب الحالات يحدث اختلاط بين الجنسين، ولا يبدو عموماً الفصل بين الجنسين بشكل واضح أثناء رقص وتسليية الزوار.

إن ما يميز الرقص والغناء بالمواسم في الأطلس المركزي، ترديد الموسيقيين نصوصاً دينية بين الفينة والأخرى، ويجد كل من الرجال والنساء متعة في مشاهدة وسماع هؤلاء المنشدين، وتأخذ تسليتهم هذه طابعاً مقدساً، هؤلاء المنشدون هم فنانون يعيدون استنساخ القيم الإسلامية. إلا أن البعض يوجه انتقادات قوية وعنيف لمثل هذا التراث، وخاصة من جانب الأصوليين الإسلاميين المتشددين. الذين يناقشون أفكاراً حول الآثار السيئة للموسيقى، والرقص، والاختلاط بين الجنسين. ومع ذلك، يؤكد زوار المواسم أن استظهار الأذكار الدينية المقدسة على إيقاعات الموسيقى والرقص، له تأثير قوي على راحتهم النفسية. حيث أن بسماعهم لهذه الأذكار، يتكون لديهم انطباع حول أهمية الدين الإسلامي في خلق راحة سيكولوجية، خصوصاً لدى أتباع الطرق الدينية الشعبية، الذين لم يشككوا في قدسية طقوسهم الانتشائية.

لكن ردود فعل أغلب الجماهير حول الرقص، يطبعها نوعاً من الاحتجاج والمعارضة، لأسباب دينية، فالراقصات موصومات بالعار، وذات أخلاق ساقطة. كما أن مجال اللهو والترفيه ليس دائماً محل تقدير ومباركة واحترام من قبل الفقهاء. حيث أن الأصوليين المسلمين المتبنين للحداثة، يبدون كل الاحتقار والحقد لهذه الأنشطة الموسمية المدرجة ضمن الممارسات المثيرة والمستنكرة،

119 - رواية شفوية، مخلوف أبي تبول مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا بيزو ، 70 سنة، 03 غشت 2019.

باعتبارها تنتمي لعالم الشعوذة وعبادة الأولياء والطقوس الصوفية¹²⁰.

وحسب الباحث (Dermenghem)¹²¹، فقد أدينت حفلات ليلية كانت تنظمها القبائل موسمياً، على إيقاع الأغاني والرقصات وضربات بالأيدي والتصفيق، بحجة أنها غير أخلاقية وتأميرية على العقيدة والقيم الإسلامية. وقد تلجأ السلطات السياسية إلى حظرها إذا لزم ذلك كما فعل السلطان مولاي سليمان¹²².

مجمل القول، يعتبر الرقص بصفة عامة، هدفاً لانتقادات قوية من قبل جزء كبير من المجتمع المغربي، غير أن هذا لم يمنع الرقص من مقاومة إجراءات تحريمه زمناً طويلاً، فهو يحتل مكانة مركزية في الأفراح الشعبية. وتعتبر رقصات كل من "أحيدوس" وأحواش" و "بوغانيم" من أهم الفرق الغنائية التي ترجع إلى حقبة تاريخية قديمة، وتوثقت فضاءات مواسم الأطلس المركزي إلى يومنا هذا.

ولا يستبعد ارتباط هذا النوع من الرقص بحياة الترحال، خصوصاً وأن موضوعاته تدور حول الخصوبة وعبادة الطبيعة، وتحقيق الفرجة، غير أن دور هذا الفن لم يكن يقتصر على تنشيط المناسبات الاحتفالية، بل كان يساهم بشكل كبير في صناعة الرأي العام المحلي والجهوي، ونقل الأخبار والتعبير عن معاناة وهموم القبائل. وشهد هذا الفن تحولات كبيرة خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م، بعد اهتمام السلطة بهذا التراث كفلكلور، في أفق تثمينه والحفاظ عليه، باعتباره جزءاً من الهوية المحلية يمكن استغلاله في تحقيق التنمية، والمساهمة في ترسيخ الروح والوطنية المغربية.

كما أن الرقص والغناء بمواسم الأطلس المركزي بما فيها المواسم اليهودية عرف تطورات كبيرة خلال النصف الثاني من القرن 20 م ومطلع القرن 21م. ومن مؤشرات هذا التحول، تزايد اهتمام زوار المواسم بأنماط وأشكال أخرى من الرقص والغناء، كالفراجة أو "الشيخات"، التي بدأت تثير اهتمام وأذواق الزوار، وخاصة لدى فئة الشباب التي تفضل هذا النوع من الغناء والرقص.

120 - Dermenghem Emile, op. cit. page non-numérotée.

121 - Ibid.

122 - Ibid.

المبحث الثالث: عروض التسلية والترفيه بمواسم الأطلس المركزي

تعتبر عروض التسلية والترفيه، مظهرا من مظاهر الاحتفال الأساسية بمواسم الأطلس المركزي، وقد شهدت هذه العروض تحولات مهمة خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، والمتضمنة لكل أشكال الترفيه والمتعة من رقص وألعاب وموسيقى، وفن الحلقة، وخذع سحرية... وتتميز عروض التسلية والترفيه بعمقها التاريخي وأهميتها الاجتماعية.

وتتابع الساكنة المحلية باهتمام بالغ عروض التسلية والترفيه خلال انعقاد المواسم والمهرجانات، التي تقدم فيها عروضاً ملونة وممتعة للغاية، تتضمن كل أشكال الترفيه المصنف ضمن دائرة اللعب والمدنس، بما فيها بالترفيه والتسلية التي تدور طقوسها حول احتفالات الولي.

1 - عروض التسلية والترفيه بمواسم بالأطلس قبل فترة الحماية

تشير كلمة التسلية والترفيه في الاشتقاق اللغوي، إلى الخروج عن الجادة والجد، والقيام بأنشطة تتيح الفرح والإثارة واللهو، ويتيح للأفراد ولو لوقت وجيز نسيان المشاكل المادية والوجودية لحياتهم اليومية. ويسمى وقت التسلية هذا بالترفيه عند علماء الاجتماع، ومن سلبيات هذا المصطلح السوسولوجي هو صعوبة إسقاطه على المجتمعات نصف المصنعة.

وإذا أسقطنا هذا المصطلح لدراسة مجتمع المنطقة، سنصل إلى خلاصة مفادها أن جزءاً من السكان يعيش دون ترفيه. وجزء آخر يعيش ترفيهها مستمرا، ونجزم إذاً أن اعتماد كلمة التسلية هي الأصلح في هذه الدراسة. حيث تتعارض أشكال التسلية في الدول الصناعية مع العمل، وتترك ممارستها لأوقات الإنتاج وإعادة الإنتاج. وتحيل كل أشكال الترفيه، لجميع الأنشطة التي توفر المرح والإثارة المشار إليها. إلا أن أشكال التسلية لا تخلو من عناصر مرتبطة بالمقدس، مما أفرز نوعاً من الازدواجية والثنائية في الأشكال الترفيهية، بين عناصر تنتمي للمقدس، وأخرى مرتبطة بالمدنس.

لم تكن عروض التسلية والترفيه مترتبة بالمواسم الراهنة بالأطلس المركزي، بل كانت هناك عروض ترفيهية بالمواسم قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة، رغم أن المادة المصدرية نادرة بخصوص هذا الموضوع، لكننا سنركز على بعض الإشارات المصدرية، التي نتمنى أن ننجح في تشكيل صور التسلية بمواسم الأطلس المركزي.

كانت التسلية في المواسم تتركز على ترويض بعض الحيوانات، واستغلالها في خلق الفرجة والترفيه لدى زوار المواسم. ومن بين هذه العروض العريقة، عروض الحيوانات المروضة كالقردة

والزواحف، إضافة إلى سباق الخيل باعتباره تسلية يبرز مهارة الفرسان¹²³. لكن هذا النوع من التسلية ليس الغرض الوحيد منه الفرجة، وإنما يعد نوعاً من التدريب والتمرين العسكري، كي يبقى الجيش على أهبة الاستعداد لخوض الحرب.

إلى جانب ذلك، كانت عروض التسلية التي تؤثت فضاء المواسم بالمنطقة تتضمن أهازيج، ورقص، وغناء وفولكلور محلي. وتعبّر بها كل مجموعة وكل منطقة عن فرحها، وتتفنن وتتبدع في إظهار احتفالاتها، حسب المناسبات أو المواسم - الفلاحية أو الدينية. حسب الذاكرة الجماعية، كانت طرق التسلية والترفيه لدى سكان الأطلس المركزي خلال انعقاد المواسم، تتمحور حول "الحلقة"، وترويض الحيوانات، وبعض الألعاب الجماعية والفردية¹²⁴، علاوة على الرقص والغناء والتبوريدة.

إلا أن الزوار غالباً ما يفضلون الغناء والرقص المعتد على آلات منها الدف والمزمار والناي والكمّان. وهي نفس الآلات التي أوردها ابن الدراج في كتابه الإمتاع جملة من الآلات التي كانت تستعمل في التسلية والترفيه، والموظفة في الغناء والرقص خلال القرن 15م من أهمها: الكبر، المزهر، الطبل، الشاهين، القضيب، البوق، المزمار، العود، المعزف، البرابط، صفارة، الشبابة¹²⁵.

إلى جانب ذلك، أشار لنا بعض الشيوخ بالأطلس المركزي، إلى انتشار الترفيه بالدومات، مثل التي تستعملها النساء خلال احتفالات "تغنجا". وقد تحدث العقباني في كتابه تحفة الناظر إلى انتشار هذا النوع من الترفيه في المغرب خلال الفترة المرينية والذي سماه، التصاوير "الدومات" التي كانت تستعمل للصبيان في الأعياد والمواسم. وللإشارة، فقد كان سائداً بيع الدمى (العرائس) للفتيات

123 - أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشا في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه: نبيل خالد الخطيب، دار الفكر للطباعة - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1987، ج 5، ص 20؛ ومحمد المنوني، "ورقات عن حضارة المرينيين"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 20، ط 2، 1416هـ/1996م، ص 565.

124 - تحريات ميدانية.

125 - أبو عبد الله محمد ابن الدراج، كتاب الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع، تحقيق محمد بن أحمد بن شقرون، منشورات كلية الآداب، محمد الخامس الرباط، ص 122 - 128؛ وأبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، 1987م، ج 6، ص 416 - 417، ج 11، ص 74، 80.

والجوازي في خلال القرن 15 و16م¹²⁶.

يمكن تصنيف طرق وأشكال التسلية، إلى تسلية مرتبطة باستعمال الذكاء، وأخرى معتمدة على القوة وفنون القتال، إضافة إلى تسلية سمتها التهور، وأخرى مرتبطة بالأغاني والرقص الفولكلوري المتنوع الذي يتداخل فيه المقدس والمدنس. وكانت هذه الأشكال الترفيهية سائدة بالمنطقة على غرار باقي مناطق المغرب، و تقام بمناسبة انعقاد المواسم أو غيرها من المناسبات. وتجدر الإشارة، إلى أن الترفيه والتسلية، لقي معارضة قوية من قبل الفقهاء السلفيين بالمغرب عموماً، والذين أفتوا في تحريم الغناء والطرب بآلات الموسيقى¹²⁷، ونهوا وحرّموا السماع لبعض الآلات واللهو واللعب. غير أنه من المستبعد أن تكون هذه المعارضة أثرت بشكل كبير في جبال الأطلس المركزي، لكون الساكنة الأمازيغية بالمنطقة، ظلت تمارس عاداتها وتقاليدها رغم تلك المعارضة.

2 - عروض التسلية والترفيه بالمواسم الاحتفالية خلال القرن 20م

2 - 1 معرض التسلية والترفيه

يرتبط معرض التسلية والاحتفال في ذهنية الساكنة المحلية ارتباطاً وثيقاً بانعقاد المواسم، إلا أن هذه الاحتفالات لم تكن من قبل موضوع دراسة مفصلة، إذ نادراً ما حظيت التسلية باهتمام الباحثين¹²⁸. هذه الحقيقة تجعل مهمة فهم وظيفتها الاجتماعية، وتطورها وتحولاتها صعباً للغاية.

حاولنا بناء تصور حول أشكال وطرق التسلية خلال انعقاد المواسم خلال القرن 20م، بناء على بعض الإشارات الواردة في بعض المصادر خاصة الأجنبية، وما احتفظت به الذاكرة الجماعية. وقد خلصنا إلى فكرة مفادها أن معرض الترفيه والتسلية بالمواسم خلال القرن 20م وبداية القرن 21م،

126 - محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، منشورات المعهد الثقافي الفرنسي، دمشق، 1967م، ص. 97-98-99.

127 - نفسه، ص. 99.

128 - SALMON Georges, « Le cult e de Moulay Idris e t la mosquée des Chorfa à Fès ».in *Archives marocaines*, Vol. III, 1904, pp. 411-29 ; SALMON Georges, « La vie religieuse au Maroc: le grand moussem de Moulay-Idriss et la signification des fêtes musulmanes », in *Bulletin d'Information et de Documentation*, n° 15 septembre, 1938, pp. 3-5 ; MONTAGNE Robert, « Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc », in : *Hespéris*, Vol. IV, 1er trimestre, 1924, pp. 101-16.

راقية أكثر مما نتصوره، وهناك بعض مظاهر استمراريتها اليوم على مستوى الشكل، وهي نفس الخلاصة التي خلصت إليها الدراسة الأنثربولوجية للباحثة "فانك ريسو".

يحرص الساهرين على تنظيم المواسم أن يكون معرض التسلية والترفيه في الموسم في منطقة يسهل الولوج إليها. حيث يخصص له فضاء في الموسم، يتضمن جدار دائري كبير، عليه مجسمات لسيارات وحيوانات للأطفال، وأرجوحات، وألعاب العجلات الصغيرة، والمدافع، والمقاليع، و"البولينغ"، وألعاب الرهان بالورق أو رهان الخيط، واليانصيب بالفأر الهندي، أو بدونه، ومسارح الألعاب السحرية، أو الرقص، وأكياس المفاجئات، وحلوى القطن. ولعبة الدوارة التي يتم تحريكها يدويا. كل المنشأة هنا ميكانيكية، باستثناء سيارة الوفير التي تشتغل بمولد كهربائي.

من بين عروض التسلية التي تثير انتباه الزوار خلال القرن 20م، نجد منصات الرماية، وهي عبارة عن أكشاك خشبية صغيرة، إضافة إلى لعبة المركبات الطائرة، والتي كانت تتكون من من ثمانية إلى ستة عشر مقعدا فقط، وتتميز بزخارف وجمالية رائعة، وبدون تصاميم هندسية أو تصويرية واضحة¹²⁹، وليست هناك أضواء متألئة، ولا مؤثرات صوتية، أو موسيقية¹³⁰.

الصورة رقم 18 : صورة تبين بداية بناء معرض التسلية والألعاب¹³¹



129 - يشبه Rabat في دراسته بعض الموضوعات المعروضة في المسارح المتحركة في المغرب بالنساء والتعبين والزهور ، أنظر: RABATÉ Marie Rose, Les peintures naïves des théâtres forains au Maroc, in: MarocTourisme, Rabat, no 53, 1969, pp. 41-50.

130 - WATTIER Cap, Le carnaval à Marrakech, Lectures pour Tous, 1917 , pp. 257-261.

131 - تصوير شخصي

والملاحظ أن معرض التسلية والترفيه الذي تحدث عنه Wattier¹³² بداية هذا القرن "20" في ساحة جامع الفنا بمدينة مراكش وفي مدينة الرباط، هو استمرار لمعارض التسلية بمواسم المنطقة بنفس المميزات والخصائص، مع اختلاف في الشكل والأدوات والتقنيات المستعملة. غير أن التسلية بمواسم الأطلس المركزي، كانت بسيطة وبدائية للغاية، مقارنة بتلك التي كانت بالمراكز الحضرية الكبرى كفاس ومراكش والدار البيضاء.

ويفسر هذا التباين في معرض التسلية بين المراكز الحضرية الكبرى والمناطق الجبلية بالأطلس المركزي، إلى صعوبة إحضار أدوات الترفيه من قبل رواد الفرجة، بسبب بعد المسافة وصعوبة التضاريس. ولم تبدأ التسلية في الانتشار والتنميط في جميع مناطق المغرب، إلا بعد تطور وسائل الاتصال والمواصلات نهاية القرن 20م، وتزايد الإقبال على الترفيه والتسلية الحديثة في أوساط الطبقات الشعبية.

2 - 2 أصناف التسلية بالمواسم وأهميتها

تمنح عروض التسلية والترفيه متعة لجمهور المواسم والمهرجانات. ويمكن تصنيف معارض التسلية في المواسم إلى عدة أصناف أهمها: أولاً: تسلية التغذية؛ ثانياً: التسلية العنيفة والمغامرة والتهور؛ ثالثاً: تسلية فرجة الألعاب السحرية والخداعية وركوب المجسمات؛ رابعاً: تسلية ألعاب الرهان والمهارة. وتتيح لنا معارض التسلية معرفة أنواع الترفيه والمرح المعروف في المواسم، وتبين طريقة تفاعل الناس مع الترفيه والمرح، وطبيعة سلوكياتهم أثناء الاستمتاع بها¹³³.

الصف الأول: تسلية التغذية، لا تشكل التغذية في معرض التسلية أهمية كبرى لدى زوار المواسم، فليس هناك إسفنج، ولا كعكة بالفواكه، ولا توجد حلوى محشوة بالفواكه الجافة، أو حلوى تفاح الحب. وإنما تباع فقط حلوى القطن. بينما تشكل التغذية مركز اهتمام الناس في أماكن أخرى من الموسم، وخاصة الوجبات الجماعية المقدسة التي تحضرها من لحم الأضحية. علاوة على التغذية المرتبطة بالبركة بباروك الولي، الذي يشتريها الزوار كذكرى مباركة في نهاية الموسم.

132- Ibid.

133 - BALINT Michael, « Fêtes foraines et frissons », in: *Les voies de la régression*, Petite Bibliothèque Payot, Traduit de l'anglais Thrills and Regressions, The International Psychoanalytical Library, Paris, 1959, P. 19

الصف الثاني: تسلية إظهار القوة والمغامرة والتهور، تحظى تسلية الألعاب وإظهار القوة والمغامرة بإعجاب خاص من طرف الذكور الشباب، حيث يتحدى هؤلاء أنفسهم في لعبة المدافع، والتي تسمح لهم بإبراز قدراتهم البدنية، والعلامة الخارجية الدالة على رجولتهم وقوتهم. ونجد في هذا الصف، تسلية مرتبطة بالمغامرة وفقدان التوازن أو الدوار، وعدم التركيز، خاصة أثناء ركوب المقاعد الطائرة والأرجوحات. ويثير هذا الصف إعجاب الشباب والبنات الصغيرات، حيث تتعاقب لديهن مشاعر القلق والانشراح، مصحوبة بصيحات تتلوها قهقهات الضحك.

الصف الثالث: تسلية فرجة الألعاب السحرية والخداعية، تحظى عروض الخدع السحرية بإعجاب الجنسين، إذ يكون الجمهور في مسارح الخدع السحرية، عرضة لعواطف غريبة، حيث ينبهرون بتلك الخدع التي يصعب عليهم منطقيًا فهمها، فيسبحون في عالم سريالي.

ينبهر الزوار في الموسم بالتسلية المرتبطة بألعاب السحر والخدع، ففي كل جولة تموهية سحرية يترسخ لديهم الاعتقاد، أن ما شاهدوه هو فعلاً أمر صحيح. يشاهدون ساحراً يضع رأساً بشرياً مقطوعاً يتكلم بمفرده، ويوضع آخر رأس امرأة مقطوع على صحن يجيب على أسئلة يوجهها له صاحب الخدعة. وقد لمح الجمهور في إشارة، إلى أنها خدعة بصرية، تسمى عندهم "قلب العين". ولا يسعى المتفرجون هنا رفع الغموض عن هذه الظاهرة، فيستمر لديهم إحساس غريب .

الصف الرابع: تسلية ألعاب الرهان والمهارة، يستمتع زوار المواسم بهذا النوع من التسلية، حيث يشكل الشباب دائرة حول ألعاب المهارة (والتركيز)، ويحاول هؤلاء الفوز بجائزة صغيرة"عبارة عن علبة سجائر، أو قنينة مشروب بارد" أو نيل تقدير بعض الأصدقاء، نتساءل، ما هي المتعة التي لا يمكن أن نشعر بها، عندما نحاول أن تكون أكثر ذكاء من الداهية الذي يلعب متاهة الحبل أو نوعاً من لعبة "البوكر" المحلية؟

2 - 3 صناعات الفرجة والتسلية بالمواسم والمهرجانات

يمتهن مجموعة من الأفراد مهناً مرتبطة بصناعة الفرجة والتسلية، حيث يشكلون حلقات من الجمهور المستمتع هؤلاء المنشطين من "رواد الحلقة"، والكوميديين(الحلايقي المتجول) الذين يعرفون كيف يسلبون عقول هذا الحشد.

يتنقل صناعات الفرجة والتسلية لمسافات طويلة داخل المغرب، حيث يلاحظ أن بعض كوميديي جامع الفنا بمدينة مراكش ينشطون في مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي. ويراهن هؤلاء على

تعطش الساكنة المحلية للفرجة في أوقات التسلية والفكاهة لديهم. ويبدأ صنع الفرجة والتسلية عملهم بالترحيب بالجمهور قبل تقديم عروضهم الفرجوية، ويعيش هؤلاء على تبرعات الجمهور، التي تشكل بالنسبة للمنشط "الحلايقي" مصدر رزقه من جهة، ومناسبة للمتبرعين للتباهي فيما بينهم من جهة أخرى.

يبدأ صنع الفرجة والتسلية عروضهم بعد انتظار طويل من الجمهور، إذ يحرص "الحلايقي" على خلق نوع من التشويق والإثارة لدى الحضور. وتتعدد موضوعات الفرجة المتكررة والمقدمة للجمهور، الذي غالباً ما يجد متعة في الاستماع لعروض معينة كـ "الحمار الحكيم"، و"ضرب القوي للضعيف"، و"سخرية الداهية من الغبي"، وكذا الرجال المتنكرون في زي نساء، المتشبهين بـ "الشيخات".

من بين الشخصيات الفكاهية المشهورة والمنشطة لمواسم ومهرجانات الأطلس المركزي خلال النصف الثاني من القرن 20م نجد: "كمراد"، و"لحسن أزيان"، و"باقشيش..." وينتقل رواد الفرجة والتسلية من سوق أسبوعي لأخر، ومن موسم لآخر بحثاً عن جمهور متعطش للفرجة. حيث تشكل هذه التجمعات الأسبوعية والموسمية مناسبة لهؤلاء فرصة لتنشيط الجمهور، وضمان جزءاً كبيراً من مداخيلهم المادية.

2 - 4 عروض التسلية والترفيه في المواسم اليهودية

لا تختلف المواسم اليهودية عن نظيرتها الإسلامية بخصوص التسلية، حيث كانت مواسم الهيلولة احتفالات مشتركة بين اليهود والمسلمين، وتعرض فيها نفس عروض الفرجة والتسلية المشار إليها، ويكون مقدموها صناعات التسلية والفرجة إما من الطائفة اليهودية أو الإسلامية.

من بين المواسم اليهودية التي كانت تقدم فيها عروض الفرجة والتسلية بالأطلس المركزي قبل هجرة اليهود المنطقة نجد، "هيلولة" ربي يوسف أبا زاو" في فم الجمعة، و"هيلولة" سيدي مول تمحضر" بتابيا، وموسم سيدي حاييم قرب أشطو بانتيفة، و"هيلولة" سيدي مول البرج، المعروف بـ "ربي اتسحاق اسرائيل هليفي بابزو"¹³⁴.

كانت عروض التسلية خلال القرن 20م أساسية في مواسم اليهودية بالأطلس المركزي، قبل هجرة

134 - رواية شفوية مشار إليها، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا بيزو.

اليهود المغاربة إلى إسرائيل ودول الغرب. وحسب رواية "مخولف أبي تبول"، حزان ضريح مول البرج بابزو، أن من بين أشكال التسلية المشهورة في مواسم الهيلوية ما يعرف ب"الفراجة" التي كانت تنظمها فرق موسيقية من القبائل المحلية، والتي تضم عناصر يهود ومسلمين. وغالبا ما تعتمد على آلات موسيقية مثل: "المزمار" أو "الكمان"، إلى جانب، ألعاب الخدع السحرية، والبهلوانية، وفنون الحلقة. وللإشارة فإن التسلية في المواسم اليهودية، لا تتضمن عروض الفنتازيا، ويغلب عليها طابع المقدس.

3 - عوامل اهتمام الساكنة المحلية بالتسلية خلال انعقاد المواسم

تتعدد العوامل المفسرة لاهتمام الساكنة المحلية بأشكال التسلية والترفيه خلال انعقاد المواسم بالأطلس المركزي، والمرتبطة أساسا بعوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية، وبالتحولات التي عرفها المغرب خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م.

يظهر منذ الوهلة الأولى أن زوار المواسم يختزلون المواسم في الترفيه والتسلية، التي تتداخل فيها تسلية المقدس، المتمثلة في ممارسة طقوس موجهة نحو تقديس الأولياء والأضرحة، وتسلية عروض الفرجة التي ليست لها علاقة مباشرة بالمقدس، والمتضمنة لعروض الألعاب وفن الحلقة والألعاب السحرية ويسمى الفضاء المخصص لذلك بمعرض الترفيه والتسلية.

يستهووي معرض التسلية والترفيه جمهورا كبيرا، دون اعتبار للسن والجنس والمكانة الاجتماعية ووسط الإقامة، حيث تعتبر التسلية متنفسا حقيقيا بالنسبة للساكنة المحلية. بيد أن، لابد من الإشارة إلى أن هناك تبايناً واضحاً في اهتمام الزوار بأشكال التسلية، حسب الحقب التاريخية، وحسب السن ووسط الإقامة "المجال الريفي - المجال الحضري"، وحسب المهن السوسيواقتصادية...

يرجع سبب اهتمام السكان بالتسلية خلال انعقاد المواسم والمهرجانات لعدة عوامل منها: افتقار الأحياء والدواوير لمؤسسات التسلية والترفيه، سواء تعلق الأمر بالوسط الحضري أو القروي، حيث يقضي البعض (مسنين وشباب) أوقاتهم في المقاهي والساحات العمومية. ويلعب البعض من الشباب كرة القدم لوقت طويل في ميادين مفتوحة. ويمارس البعض الآخر لعبة الورق أو "الضاما".

تعتبر المقاهي في المدن والمراكز القروية من أهم أماكن التسلية العمومية المتاحة حالياً، حيث تشكل مكانا للالتقاء والتجمع، ومناقشة المواضيع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمنطقة. وتشكل المنافسات الرياضية تسلية بديلة، ومنتفسا لدى فئة عريضة من الشباب، وتسهر على

تنظيم هذه المنافسات، بعض المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، التي تولد لدى الشباب إحساسا مذهلا وشعور بالانتماء الاجتماعي والوطني.

إلى جانب هذه الأشكال الترفيهية العمومية، يتسلى الناس في منازلهم، من خلال الاستمتاع بمشاهدة جهاز التلفاز الذي عرف انتشارا سريعا، حيث أصبحت أغلب البيوت نهاية القرن 20م تتوفر على هذا الجهاز. إضافة إلى ذلك، انتشرت التسلية بالوسائل التكنولوجية الحديثة كالهواتف الذكية، والحواسب المحمولة، بفعل الثورة التكنولوجية التي لعبت دورا في تحول طرق التسلية من أنماط تقليدية إلى أنماط تكنولوجية أصبحت مفضلة لدى الأجيال الحالية.

باختصار لا توجد إمكانات مهمة للتسلية والترفيه والالتقاء والتجمهر بالعديد من مناطق الأطلس المركزي، لذلك يبحث السكان عن التسلية والترفيه لملء وقت أيام الفراغ الطويلة، وكسر الرتابة اليومية، هذا المسعى يخلق تجمعات الجمهور، ويفسر الحشود الكبير خلال الأحداث المناسبة¹³⁵. ومن الأسباب الأخرى المفسرة لاهتمام ساكنة الأطلس المركزي بالتسلية والترفيه خلال انعقاد المواسم، رغبة الجميع في التخلص المؤقت من مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية، حيث تشتغل الفئة النشيطة في المنطقة سبعة أيام في الأسبوع لساعات طويلة، سواء في الأوساط الحضرية أو القروية. علاوة على تزايد عدد العاطلين عن العمل وخاصة في المدن، وهم في بحث متواصل عن شغل معين، إضافة إلى انتشار الفقر والهشاشة، والإقصاء الاجتماعي والهدر المدرسي...

أمام هذا الوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي المتدهور لأغلب ساكنة الأطلس المركزي، لا يتمتع هؤلاء بأوقات تسلية وترفيه منتظمة، مقارنة ببعض الفئات المهن-اجتماعية، خاصة من الطبقة الغنية والأطر الإدارية وموظفي القطاع الثالث، الذين يحرصون على خلق أوقات معينة منتظمة للتسلية والترفيه والسفر. هذا الواقع، دفع الفئات الاجتماعية الفقيرة والمهمشة إلى البحث عن تسلية وترفيه بديل، يمكنها من كسر رتابة الحياة اليومية المتأزمة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسيكولوجيا، وتعتبر المواسم والمهرجانات مناسبة لهذه الفئة للاستمتاع بالتسلية والتجمهر

135 - من بين المناسبات المغربية الراهنة التي احتشد فيها آلاف الأشخاص. جنازة الراحل مولاي عبد الله شفيق الملك الحسن الثاني بمدينة الرباط في 22 دجنبر 1983. وجنازة الراحل الملك الحسن الثاني سنة 1999م. إضافة إلى زيارتي بابا الفاتيكان لمدينة البيضاء سنتي 1986م و 2019م.

والإلتقاء ونسيان مشاكل ومشاكل الحياة اليومية.

4 - اهتمامات زوار المواسم بالتسلية حسب الفئات العمرية

تختلف اهتمامات الزوار بطرق وأشكال التسلية خلال انعقاد المواسم حسب الجنس والفئات العمرية، ووسط الإقامة. وتشير فضاءات التسلية إعجاب زوار المواسم والمهرجانات، لذلك تصبح عروض التسلية موضوع الحديث بين الناس، وخاصة "الفراجة"، الذي تعني عروض الترفيه، والكرنفال، أو معرض التسلية والترفيه، ورواد الفن الشعبي، وفن الرقص والفروسية "التبوريدة"، والحضرة الصوفية الدينية.

إن الأهم بالنسبة للشباب، حسب تصريحهم، ليس هو زيارة ضريح الولي، بل ما يهمهم هو الفرجة والترويح عن النفس، وقضاء أوقات جميلة في الليل والنهار أثناء انعقاد المواسم، التي يستمر بعضها ما بين ثلاثة أو أربعة أيام، والبعض الآخر لأسبوعين كاملين كما هو الشأن بالنسبة لموسم مولاي بوعزة. في هذا الإطار، عبر لنا الشباب عن رغبتهم بالتجول أو الإلتقاء في مواعيد مع الأصدقاء، في حين عبرت النساء المسنات عن رغبتهن في زيارة الضريح ونيل البركة والبقاء تحت الخيام. بينما أبدت البنات في سن المراهقة عن رغبة جامحة في التجول واللهو والتسلية، باعتبار ذلك يشكل فرصة لهن لربط علاقات جديدة، والتعارف مع زوار الموسم من خارج المنطقة.

وصرحت لنا نساء أرامل ومطلقات من مدينة خنيفرة، أنهن يفضلن التسلية في المواسم، خصوصا المرتبطة بطقوس الذبيحة والحضرة، حيث يتح لهن غياب الأزواج التصرف في أوقات تحركاتهن الخاصة خارج البيت، رغم المراقبة الاجتماعية في المنطقة، لذلك يحرصن ألا تتضرر سمعتهن. مع العلم أنهن يترددن على الموسم والسوق المحلي أو المدينة قصد اقتناء مشترياتهن، هذه التحركات تسمح لهن قليلا بالترويح عن النفس. وفي المقابل عبرت نساء أخريات متزوجات وعازبات عن تفضيلهن للعب والرقص والخدع السحرية، رغم أن وتحركاتهن مراقبة من قبل أفراد العائلة. خلاصة القول، إن إمكانية التسلية في الأماكن العمومية لدى قبائل الأطلس المركزي تبقى قليلة،

وتبقى أشكال التسلية المتاحة هي التردد على المواسم والمهرجانات، والأسواق الأسبوعية¹³⁶، واحتفالات الختان، والاحتفال بالخطوبة وعقد القران، والاحتفالات المرافقة "للولادة" أي اليوم السابع بعد الولادة، حيث ويتم فيه اختيار اسم للمولود الجديد".

علاوة على ذلك، يمكن لبعض المواسم والمهرجانات أن تتطور كملتقيات سياحية، بفضل معداتها وبنياتها التحتية التي توفر كل أشكال التسلية. وسيكون من المفيد استثمارها في ضمان تسلية السكان، أمام التراجع الكبير في وسائل الترفيه العمومية، وخاصة دور الشباب ودور السينما. لذلك لابد من تشجيع التسلية والترفيه المتعلق بالاحتفال بالولي الذي تراجع بشكل كبير منذ نيل المغرب استقلاله سنة 1956م¹³⁷. ورغم هذا التراجع، لكن هذا لا يعني أن جزء كبيراً من ساكنة الأطلس المركزي لا يتعاطون لتلك التسلية والطقوس بقلب مسرور.

5 - تجليات التحولات الذهنية والتقنية في تسلية المواسم

تعتبر مظاهر التسلية والترفيه المعروضة في ساحات بالمواسم، عن ذهنية وتقنيات الساكنة المحلية، وتختزل اهتماماتها الثقافية. وتمكن أشكال الترفيه والتسلية من فهم ذهنية وثقافة وتقنيات السكانية المحلية، والتحولات التي شهدتها في فترات تاريخية معينة. حيث أن هناك تأثير الأعمال الهزلية والترفيهية على أعراف وأفكار الساكنة المحلية، ولها دور كبير في بناء خصوصية محلية (Bergson)¹³⁸.

يظهر من خلال تمثيلات الساكنة المحلية بالأطلس المركزي، أن التسلية تركز على الرغبة في المنافسة بين الأصدقاء، والإحساس بالمتعة ومشاعر الذهول، حيث يجد الجمهور نفسه في لحظة ما، في عالم سريالي، جالسين على مجسم حصان، يخلقون عالماً بين السماء والأرض. ويجلس الأطفال بدورهم أمام مقود سيارة، أو أمام موجه لقارب، الشيء الذي يحملهم إلى رحلة في الخيال. كل أشكال التسلية تستغل بشكل جماعي، والشيء الأكثر إثارة ومتعة، هو ممارسة أشكال تسلية

136 - يلاحظ أن الرجال يترددون أكثر إلى الأسواق الأسبوعية بالأطلس المركزي مقارنة بالنساء. وغالبا ما ترافق النساء أزواجهن وأقاربهن

للأسواق. لقاء حاجتهن، من قبيل. اقتناء الملابس ومواد التجميل والصفوف... وأحيانا يستغلن الفرصة لزيارة العائلة.

137- Fenneke REYSOO, op, cit. p p , 171, 175.

138 - BERGSON Henri, Le rire: essai sur la signification du comique, Paris, PUF, 1978, P. 250.

التحدي مع الأصدقاء، والصراخ بصوت جماعي مرتفع. إن وجود الآخرين هو شرط ضروري لمضاعفة الابتهاج الذي يشعر به الجميع. ويعادل أيضا تأثير الأعمال الهزلية للفكاهيين على الجمهور، فالحمار الحكيم، لا يثير الضحك إلا بتواطؤ المتفرجين، الذين يعرفون أنهم جميعا مشدودون لعروض الفرجة. ونفس الشيء، عندما يتنكر الرجال في صفة نساء، لتقديم عروض الرقص، هذا التناوب على الأدوار مثير للضحك.

يعتبر الجمهور التسلية تحول عابر وقطيفة مع الحياة اليومية، ولا ترتبط التسلية في ذهنية الجمهور بالأنشطة التي تدخل في نطاق المندس، رغم أن المواسم هي المكان الذي يتداخل فيه المجالان (المقدس والمندس)، وتظهر فيه مواقف متناقضة كما رأيناها سابقا في المبحث الخاص بالرقص.

تجدر الإشارة، أن معظم ألوان الترفيه والتسلية المعروضة خلال المواسم والمهرجانات تقام أثناء التغييرات الفصلية، أي أن ظهورها الأول، مرتبط بالطقوس الفصلية للانقلابات الرمزية، واللحظات المتناقضة المميزة للمراحل التمهيديّة لطقوس المرور¹³⁹. وتعتبر المواسم المرتبطة بالتقويم الإسلامي في حد ذاتها فرجة بالنسبة للمتفرجين، الذين لا يشاركون بالضرورة في الطقوس والمعتقدات وأشكال التسلية الأخرى.

إن العديد من أشكال التسلية التي تعود إلى فترات ما قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة واستمرت إلى يومنا هذا، رغم أن التحولات السريعة التي عاشها المجتمع المغربي خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، التي كان لها أثر طبيعي على أنواع وطرق التسلية المرتبطة بالمواسم. بيد أن السمات المشتركة لطرق التسلية عبر التاريخ، هو تداخل الأنشطة التي تنتمي للمجال الدنيوي مع الطقوس الدينية المقدسة، حتى وإن كان يبدو من الصعب وضع معايير واضحة للتمييز بينهما.

والملاحظ أن وجود آلات الرهان العصرية، والألعاب الإلكترونية الحديثة...، ارتبط بالفترة الاستعمارية بداية القرن 20م، ويعكس البنية التقنية والعلمية للمجتمع قبل وبعد 1912م الأقل تقدما على المستوى التكنولوجي قبل الفترة الاستعمارية، ويبرز من جهة أخرى، التحولات التقنية

139 -TURNER Victor, The Ritual Process: Structure and Anti-Structure, Routledge and Kegan Paul, London, 1969, P. 73- 86.

التي عرفها المجتمع خلال النصف الثاني من القرن 20م وبداية القرن 21م. مجمل القول، تعتبر عروض التسلية من أهم مظاهر الاحتفال الأساسية خلال انعقاد المواسم والمهرجانات، ولم ترتبط هذه العروض في الفترات الراهنة، بل كانت معروفة بمواسم الأطلس المركزي بما في ذلك المواسم اليهودية قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة بآليات ووسائل تقليدية، كترويض الحيوانات والألعاب التقليدية¹⁴⁰.

غير أن عروض التسلية والترفيه بالمواسم الأطلس المركزي شهدت تطورات مهمة خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، حيث برزت أصناف أخرى من التسلية مرتبطة بالتطورات التقنية التي عرفها المغرب خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م. وأصبحت المواسم تتضمن ما يشبه مدينة الألعاب في الدول المتقدمة، وتعد التسلية متنفسا حقيقيا لزوار المواسم، الذين يعانون من انعدام فضاءات الترفيه خاصة في العالم القروي.

خاتمة الفصل السادس

تشكل الفنتازيا بمواسم ومهرجانات الأطلس المركزي مظهرا من مظاهر الاحتفال الأساسية الحاضرة في تلك التظاهرات، والتي كانت في الأصل مناورات عسكرية واحتفالات تواظب القبائل على تنظيمها قبل سيطرت سلطات الحماية على المنطقة. وتتميز الفروسية بتعدد المصطلحات الدالة عليها بين من يسميها بالتبوريدة، أو الفروسية، أو الفنتازيا... وترمز للنضال ضد قوى خارجية وداخلية، ويمارسها فرسان عارفين بضوابطها وطقوسها ومراسيمها.

شهدت الفنتازيا تحولات خلال النصف الأول من القرن 20م، تمثلت في انتقال الفنتازيا من أبعادها العسكرية المشار إليها، إلى أبعاد فنية فولكلورية احتفالية بعد القضاء على المقاومة بمنطقة الأطلس المركزي خلال الثلاثينات من القرن الماضي. وتحظى الفنتازيا باهتمام كبير من قبل زوار المواسم مقارنة بباقي الطقوس ومظاهر الاحتفال المعروفة في المواسم. الشيء الذي نتج عنه تشجيع الدولة لهذا التراث الوطني، مما زاد من عدد بالمهرجانات والمواسم المرتبطة بالفروسية منذ

140- تحريات ميدانية.

النصف الثاني من القرن 20م، رغم المشاكل التي تواجه هذا التراث.

يتميز الرقص والغناء بمواسم الأطلس المركزي، بانتشار بعض أنماط تراثية عريقة وفريدة من نوعها، من قبيل: رقصتي "أحيدوس" وأحواش، ورقصة بوغانيم، الشبيه بالرقص الجماعي لدى القبائل الإفريقية جنوب الصحراء، ويرجع هذا التراث كله إلى حقبة تاريخية قديمة مرتبطة بنمط الترحال، ولها علاقات بموضوعات الخصوبة. ومن سمات الرقص والغناء بالأطلس المركزي الغنى والتنوع الثقافي والأصالة التاريخية، وتعدد الموضوعات التي يعالجها. ويلعب فناني هذا النمط من الفن دورا مهما في صناعة الرأي العام المحلي والجهوي، حيث كانوا ينقلون الأخبار ويعبرون عن معاناة وهموم القبائل خلال احتفالات المواسم، أو غيرها من المناسبات الاحتفالية.

عرف الرقص والغناء بمواسم الأطلس المركزي تحولات كبيرة خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م ناتج عن تحول اهتمام زوار المواسم، وخاصة فئة الشباب، بأنماط وأشكال أخرى من الرقص والغناء منها: ما يعرف ل "الفرجة" أو "الشيخات" أو رقصة "عبيدات الرمي" أو أيت وعراب أو "العامت" المعروفة عند الساكنة المحلية. وعرف تراث الرقص والغناء بالأطلس المركزي أيضا، اهتمام السلطات في العقود الأخيرة، نظرا لرغبة الدولة في تثمين هذا الموروث الثقافي والحفاظ عليه، باعتباره جزءا من الهوية المحلية يمكن استغلاله للمساهمة في تحقيق التنمية المحلية.

اتضح لنا في هذا الفصل، أن التسلية والترفيه كانت معروفة بمواسم الأطلس المركزي بما في ذلك المواسم اليهودية قبل الاحتلال الفرنسي للمنطقة بأدوات ووسائل وتقنيات تقليدية. وترجع العوامل المفسرة لحضور التسلية بمواسم الأطلس المركزي، في كونها متنفسا حقيقيا لزوار المواسم بعد عام من العمل والجد في الحقول، وفي ظل انعدام فضاءات الترفيه خاصة في العالم القروي. وشهدت عروض التسلية تطورات كبيرة خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، بفعل التحولات التقنية التي شهدتها منطقة الأطلس المركزي والمغرب عموما، الشيء الذي نتج عنه ظهور أصناف جديدة من التسلية العصرية التي تشبه مدينة الألعاب في الدول المتقدمة.

الطقوس والمعتقدات بمواسم بالأطلس
المركزي

الفصل
السابع

طقوس الحضرة والرقص الصوفي

البحث
الأول

طقوس الذبيحة في الراقص

البحث
الثاني

مقدمة الفصل السابع

يتناول هذا الفصل بعض الطقوس والمعتقدات الاحتفالية بمواسم الأطلس المركزي، كطقوس الحضرة والرقص الصوفي المنتشرة والحاضرة بقوة منذ القرن 18م. وقد ارتبط هذا الحضور القوي للحضرة في المواسم بانتشار العديد من الطرق الصوفية الشعبية كالطريقة الدرقاوية والعيساوية... التي تعتبر الحضرة في المواسم جزءا من طقوسها الصوفية.

شهدت الحضرة الصوفية المقامة في مواسم الأطلس المركزي تحولات خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، ناتجة عن التطورات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي شهدتها المغرب منذ 1912م. وتثير الحضرة في المواسم ردود فعل متباينة سواء من قبل الفقهاء، أو عامة ساكنة الأطلس المركزي، نظرا للطقوس والعادات التي تتضمنها، والتي غالبا ما تكون مستنكرة من قبل فئات عريضة من المجتمع، وخاصة أتباع المذاهب الإسلامية المتشددة.

ومن الطقوس الاحتفالية التي وقفنا عندها في هذا الفصل طقوس الأضحية الجماعية الصوفية بمواسم الأضرحة والزوايا بالأطلس المركزي، والتي يرجح ارتباطها بالمواسم الزراعية القديمة الوثنية، التي لعبت أدوارا تاريخية مهمة. ووقفنا كذلك، على واقع طقوس الذبيحة بالمواسم، ومختلف وردود الفعل تجاهها.

المبحث الأول: الحضرة والرقص الصوفي بمواسم الأطلس المركزي

تعرف احتفالات المواسم المرتبطة بالزوايا والأضرحة بانتشار ظاهرة الحضرة والرقص الصوفي، التي ارتبطت بالمواسم الزراعية القديمة بفعل تنامي الحركة الصوفية منذ القرن 12م. غير أن الحضور القوي للحضرة بمواسم الأطلس المركزي حدث ما بين القرنين 18م و 20م، والناتج عن انتشار مجموعة من الطرق الصوفية الشعبية بالمنطقة، التي كانت تعتبر الطقوس الاحتفالية بالمواسم جزءا لا يتجزأ من مذهبها الصوفي. ومن أهم هذه الطرق الصوفية الطريقة الدرقاوية، والطريقة العيساوية والبوعزاوية والطريقة الحمدوشية... والملاحظ أن ممارسة طقوس الحضرة والرقص الصوفي بمواسم الأطلس المركزي، يخفي دلالات وأبعاد رمزية ومعتقدات ضاربة في التاريخ.

رغم أهمية هذا التراث الثقافي العريق، إلا أنه يواجه عدة إكراهات تهدد استمراريته في الوقت الراهن، بسبب مواقف الفقهاء المعادية للحضرة والرقص الصوفي بالمواسم الاحتفالية من جهة، وردود

فعل مجتمع الأطلس المركزي الواصف لطقوس الحضرة بنعوت وأوصاف مشيئة مرتبطة بالشعوذة والتخلف من جهة ثانية.

1 - السياق التاريخي لارتباط الحضرة والرقص الصوفي بالمواسم

ارتبطت الحضرة والرقص الصوفي بالمواسم في منطقة الأطلس المركزي إبان فترتي حكمي المرابطين والموحدين خلال القرنين 11م و12م. حيث بينت بعض كتب المناقب الخاصة بالتصوف بالأطلس المركزي للعصر الوسيط¹، أن ارتباط المواسم بالجذبة² والحضرة والرقص الصوفي كان في الغالب في عهد الدولة الموحدية³.

رغم هذه الإشارات القليلة في المصادر، إلا أن هناك شبه غياب لموضوع ارتباط المواسم بالرقص الصوفي الجماعي في كتب مناقب العصر الوسيط، بسبب عدة عوامل متداخلة، أهمها: كون البدايات الأولى للحركة الصوفية بالمنطقة، كانت أغلبها تجارب فردية، هدفها العبادة والزهد. علاوة على دور قوة الدولتين المرابطية والموحدية في الحد من اتساع دائرة نفوذ المتصوفة، حيث كان أمراء وقواد الدولتين يمارسون مضايقات على المتصوفة، باعتبار سلوكياتهم وطقوسهم بعيدة عن الدين الإسلامي الصحيح، وتهدد نظامهم السياسي.

وترجع أقدم إشارة لبروز الرقص الصوفي خلال انعقاد المواسم بالمنطقة إلى القرن 12م، كما تمت الإشارة إلى ذلك. غير أن البدايات الحقيقية والعلنية لظهور الحضرة بمواسم عدة بالمغرب، كان في عهد الدولتين المرينية والسعدية خلال القرنين 15م و16م⁴. ففي هذه الفترة حصل نوعا من التوافق على ما

1 - ابن الزيات التادلي، م. س. ص. 217.

2 - المجذوب عند الصوفية هو الذي اجتذبه الحضرة العلوية بقوة، وجعلت ميزانه الشرعي يختل أو ينعدم، وذلك باستعداد سابق فيه بخلاف السالك المتدرج. والمجاذيب الأحياء الذين ذكرهم الغجدامي كانوا يترددون على دمانت وعددهم سبعة من بينهم امرأة. وذكر الغجدامي نبوءات واختبارات لبعض المجاذيب صدقها التاريخ المحلي أو صدقتها أحداث حياته. أنظر: أحمد التوفيق، م. س. ص. 437.

3 - أحمد الصومعي التادلي، م. س. ص. 217.

4 - خلال القرنين 15م و16م أعرض الصوفية عن جميع أوامر الدين سواء المستحبة أو الواجبة. ولم يعودوا يتقيدون من الشعائر بما يمارسه العلماء بل رحلوا بعكس ذلك يتمتعون بكل الملذات التي تعتبر مباحة في مذهبهم، وهكذا يقيمون مآدب كثيرة ينشدون فيها أناشيد غرامية ويرقصون رقصا طويلا. ويحدث أحيانا في هذه اللقاءات أن يمزق أحد الحاضرين ثيابه تأثيرا بما ينشده المنشدون أو بسبب الأفكار الطائشة التي قد تخطر ببال أناس فقدوا كل اتزان. ويقول هؤلاء القوم حينئذ أنهم مكتونون بلهب الحب الإلهي. وما أظن شخصا أن ما يفعلون ذلك من أجل الهوى الذي يكون لبعض الغلمان المرء، وليس من النادر أن يدعو بعض الأعيان إلى أعراسهم أحد الشيوخ البارزين لهؤلاء المتصوفة مع جميع مرديه. فاذا أتو الوليمة بدأوا بتلاوة الأذكار وترتيل. وبعد تناول الطعام يأخذ المسنون منهم في تمزيق

يبدو بين مؤسسة الزاوية ذات النفوذ القوي المتزايد، ومؤسسات المجتمع المغربي الموروث المتمثل: في القبيلة والمخزن، التي ترى في المؤسسة الدينية الجديدة، مخرجا وحلا لمشاكل البلاد الداخلية، والتصدي للتدخلات الأجنبية انطلاقا من السواحل المغربية.

وقد ازداد تأثر هؤلاء المتصوفة وشيوخ الزوايا في المجتمع المغربي في عهدي دولتي بني مرين والأشراف السعديين، ونتج عنه تداخل بين العادات المغربية العريقة وبين الطقوس والممارسات الصوفية. ويرجع سبب ذلك من جهة، كون دولة بني مرين في بحث عن أنصار وشرعية دينية، وبالتالي سمحت ودعمت ممارسات الطرق الصوفية منها المواسم الطرقية والحضرة. ومن جهة ثانية ومحاولة دولة الأشراف السعديين الحفاظ على التوازنات السياسية والاجتماعية التي تتحكم فيها الزوايا والمتصوفة، لذلك تحاشت الانتقاد أو الضرب في بعض الممارسات البعيدة عن الدين الإسلامي الصحيح، والتغاضي عن طقوس الغناء والرقص الممزوج بنفحات الذكر.

وقد سمح العديد من شيوخ الزوايا بالأطلس المركزي بهذه الممارسات، ومنهم أبو بكر الدلائي، وامحمد الشرقي، خوفا من هجرة العامة لهم، وتراجع نفوذ زواياهم، في زمن اشتد التنافس المتصوفة والزوايا والطرقية بالمنطقة⁵ خلال القرنين 10هـ-11هـ / 16م-17م. لذلك، انخرطت بعض الطرق الصوفية في السماح لأتباعها لممارسة الرقص والغناء أثناء القيام بالحضرة الصوفية.

وعلى سبيل المثال، سمح سيدي عبد القادر الفاسي، وسيدي محمد بن أبي بكر الدلائي لأتباع زاويتهمما بالترنم بالأمداح والرقص والشطح⁶. ورخص امحمد الشرقي لأتباعه بالرقص والجدبة والحركة بشكل عام، أثناء ذكرهم، حتى ارتبط الرقص بالشرقاوي وصار العامة ينسبون المديح للمسناوي، والرقص للتدلاوي الذي يعني به الشيخ الشرقاوي⁷. هذا النهج الصوفي شكل متنفسا سيكولوجيا للعامة، يتحررون أعباء الحياة اليومية. لقد تحول نهج السماع والرقص والشطح والتعبد إلى احتفال جماعي، لم يعد يقتصر

ثيابهم. وإذا سقط أحدهم أثناء الرقص أوقفه حلا على رجليه أحد الشبان المتصوفين فقبله العجوز في الغالب قبلة شهوانية. أنظر : الحسن الوزان، م. س. ص. 269-270.

5 - كان الأطلس المتوسط مجالا تتقاسمه الزوايا الثلاث الكبرى خلال ق 17م وهي: الزاوية الدلائية بزعامة سيدي محمد بن أبي بكر الدلائي في الأطلس المتوسط. والزاوية الناصرية بزعامة سيدي محمد بن ناصر الدرعي بالأطلس الكبير المركزي. والزاوية الفاسية برئاسة سيدي عبد القادر الفاسي بمناطق عدة بالأطلس المركزي.

6 - محمد حجي، الزاوية الدلائية ... م. س. ص. 67.

7 - نفسه.

على توفيق إيقاع بالكف أو الدف، وبدأ توظيف البندير، بل وتم الانتقال إلى توظيف الآلات الوترية. وبالتالي لعبت الزاوية دوراً في ولادة العيطة خصوصاً في شقها الديني المعروف "بالسواكن"⁸. وفي هذا الإطار، تشير العديد من الأبحاث إلى أن الرقص والحضرة الصوفية انتشرت بشكل واسع بالمغرب منذ نهاية القرن 18م، حيث من الصعب أن تجد موسماً دينياً خالياً من طقوس الحضرة والجذبة، وتتداخل السياقات التاريخية المفسرة لانتشار الواسع الحضرة والرقص الصوفي بمواسم الزوايا والأضرحة بالأطلس المركزي منذ القرن 18م التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أ- انتشار الطريقة الدرقاوية والمعروفة بطقوس الحضرة

عرفت الطريقة الدرقاوية انتشاراً سريعاً منذ تأسيسها في قبيلة بني زروال سنة 1786م. من قبل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي، التي تبث أنها كانت تعتمد في طقوسها على الحضرة والجذبة والرقص الصوفي في جل المواسم التي كانت تشرف عليها خاصة بالأطلس المركزي. شهد نفوذ الدرقاوية في الأطلس المركزي تزايد كبيراً على حساب الطريقة الناصرية، والحنصالية، ويرجع سبب ذلك، إلى الاختلاف الواضح في البنية المذهبية بين درقاوة من جهة، وبين الطريقتين المذكورتين من جهة ثانية، فالطريقتين الناصرية والحنصالية، تميزتا بتوجهاتهما السنية والصاقهما الشديد بتعاليم الشريعة الإسلامية، وعدم القبول بالأعراف والطقوس القبلية السائدة⁹. وعرف عن الناصريين معارضتهم ونبذهم للعديد من الممارسات والطقوس الصوفية السائدة، كالسماح والرقص في حلقات الذكر، باعتبارها من البدع المنافية للشريعة الإسلامية. في حين تميزت الطريقة الدرقاوية بالمرونة والتسامح مع تلك الطقوس، بل كانت مرجعتها المذهبية حاول التكيف من نمط عيش المجتمعات القبلية المتمسك بالبساطة والخشونة وتقبل بطقوسها وممارستها المحلية¹⁰. لذلك، تبنت العديد من الزعمات الدينية والسياسية بالأطلس المركزي المذهب الدرقاوي، وتعتبر الأسرة الصوفية "الامهاوش" نموذجاً لفرقة صوفية تزعمت جزءاً كبيراً من اقبائل آيت أمالو، التي يمتد

8 - محمد حجي، م. س. ص. 67.

9 - أنظر: المنصور محمد، م. س. ص. 192؛ ونور الدين الزاهي، الزاوية والحزب، الإسلام السياسي في المجتمع المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط. 1، 2003، ص. 8.

10 - نفسه.

نفوذهم على طول واد العبيد من منابعه إلى مرتفعات واويزغت¹¹، وارتكز نفوذ إمهاوش على القسم الأكبر من آيت أمالو وأشقرن وآيت ويرا وآيت مكيلد وملوية¹² إلى جانب أسرة آل أمهاوش، لعبت أسرة أولاد سيدي الطيبي الدرقاويين دورا في انتشار الطريقة الدرقاوية ومعها الرقص الصوفي والحضرة خلال انعقاد المواسم وحتى في الزيارات المناسباتية. وللإشارة، فإن أولاد سيدي الطيبي استوطنوا الأطلس المتوسط (آيت اسحاق) نهاية القرن 19م، وتحالفوا مع آل أمهاوش¹³، ولإزال موسم سيدي الطيبي إلى عهد قريب ملتقى للطريقة الدرقاوية للاحتفال وممارسة الرقص والحضرة الصوفية.

أما بخصوص الزاوية الحنصالية¹⁴، فقد حاولت توسيع نفوذها بالإرتماء تحت راية الطريقة الدرقاوية خلال القرن 19م، على غرار "آل أمهاوش". وللإشارة، فقد امتد نفوذ الزاوية الأم "زاوية أكديم" وأصبح يشمل آيت أوكديد وآيت اتفركال وآيت امحمد، وقسم من آيت اصحا، بينما شمل نفوذ زاوية تمكا أسكر آيت عطا نومالو وآيت سخمان وآيت بوزيد وبعض قبائل آيت سري¹⁵.

إن ما زاد نفوذ الحنصاليين انخراطهم في الزاوية الدرقاوية¹⁶. وقد لعب سيدي الحسين أوتمكا هذا الدور، وأصبح زعيما للجناح الدرقاوي للزاوية الحنصالية بأسكر، جنوب وادي العبيد، والمناهض لزعيم الزاوية الأم "سيدي محا" الحنصالي على صعيد الزعامة السياسية والدينية لحركة الجهاد، وهو الذي عوض الفراغ السياسي والروحي للزعيم الدرقاوي سيدي علي أمهاوش. وامتد تأثيره ليشمل آيت داود أعلي

11 - التقي العلوي، م. س. ص. 106.

12 - قاسم الحادك، م. س. ص. 233.

13 - يرجع نسب أبناء سيدي الطيبي المستقرين بالأطلس المركزي إلى جددهم سيدي الطيبي بن عبد المالك الهواري ابن عم سيدي العربي بن عبد الله الهواري مؤسس زاوية فركلة الدرقاوية. استقر ببلاد اشقرن لتربية أبنائه. وتمكن سيدي الطيبي من تحقيق نفوذ روحي في المنطقة. وزوجه سيدي المكلي أمهاوش إحدى بناته وأصبح حفدة سيدي الطيبي من سلالة إمهاوش.

14 - تأسست الزاوية الحنصالية من قبل سيدي سعيد بن عامر بن، أو دادا سعيد خلال القرن 13م، وتعرف أيضا بزاوية أكديم. لكن الظهور الفعلي للزاوية كان خلال القرن 17م على يد أبو عثمان سعيد بن يوسف أحنصال المتوفي سنة 1702م، المعروف سيدي سعيد أويوسف، الذي أسس زاويته في آيت مظيف قرب واويزغت ببلاد آيت عطا-ن- أمالو جنوب جبل غنيم. ولما قتل سيدي أويوسف أحنصال من قبل مولاي أحمد الذهبي نجل مولاي اسماعيل، دخلت الزاوية في مرحلة التراجع، وفقدت جل فروعها. وظل نفوذ الزاوية الأم قائما، وانقسم شيوخ زاوية أحنصال إلى فريقين، الأول، ظل مقيما في المنطفة في تاغيا زاوية أحنصال، والفريق الثاني، غادر مقر الزاوية الأم، واستقر في منطقة تمكا قرب تيلكيت أنظر:

- DRAGUE Georges, notice sur lazaouia d'Ahançal ..., op. Cit.. 23-29.

15 -Ibid.

16 - أحمد بن خالد الناصري، م. س. ج. 8، ص. 139.

(تاكلفت) وآيت سعيد أعلي (فم العنصر) وآيت عبدي أعلي (تيزي نسلي)¹⁷. لذلك، يبدو أن الزاوية الدرقاوية، منذ إنشائها، كان لها نفوذ كبير بين قبائل الأطلس المركزي، واستغلت تراجع المكانة الروحية للزاويا التقليدية وخاصة الزاوية الناصرية¹⁸.

ب- ظهور الطوائف الصوفية الشعبية المعروفة بالحضرة

- الطائفة العيساوية والكتانية والبوعزاوية

ترجع العديد من طقوس الحضرة والجذبة المنتشرة بالمواسم خلال القرنين 19م و20م، إلى انتشار الطرق الصوفية الشعبية، وتراجع أدوار الزوايا التقليدية الكبرى التي برزت خلال القرنين 16 و17م، إلا أن غياب الوثائق المكتوبة من جهة، وعدم اهتمام النخبة المثقفة بموضوع وتطور الطوائف الصوفية الشعبية¹⁹ وأهميتها، نتج عنه صعوبة فهم هذه الظاهرة، كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين أبرزهم: (Crapanzano) و (Lévi-Provençal)²⁰.

وبالرغم من هذا الغموض، فالظاهر أن للطائفة العيساوية مجموعة من الزوايا والأتباع في الأطلس المركزي خاصة في بلاد زيان ودمنات، إذ كانت تضم هذه الأخيرة مركزا دينيا للطائفة العيساوية سنة 1923م²¹، ولا زالت تحتفل بموسمها في هذه مدينة إلى اليوم، وتشتهر بالرقص الصوفي الغريب، وبمظاهرها المقززة، كالرقص على الزجاج وأكل اللحوم النيئة... وتفتقد الطائفة حتى اليوم إلى الوحدة بين أتباعها²².

إلى جانب الطائفة العيساوية، نجد الطائفة الكتانية، التي أسسها الشريف الإدريسي سيدي محمد

17 - قاسم الحادك، م. س. ص. 241.

18 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. Cit. p. 27.

19 - غالبا ما تعرف بعض الطرق الصوفية الدينية "بالشعبية". وتتضمن كل من عيساوية وحماشة وجيلالة وكناو. رغم أنها مرتبطة تاريخيا بالطوائف الصوفية، باستثناء كناو. لكون ممارسة هذه الطرق الصوفية لا تهدف إلى الالتحام والتواصل مع الذات الإلهية. فهم يكرسون احتفالاتهم وطقوسهم وعاداتهم بغرض شفاء المرضى المملوكين من قبل الأرواح الشريرة. وتستخدم عبارة "شعبي" لكون أتباعها من الشريحة الأمية. وأن طقوسهم غريبة خاصة الرقصات الهائجة المصحوبة بالجذبة والتشوهات الجسدية. أنظر:

- Crapanzano Vincent , op. cit. p p. 40, 67, 70

- BRUNEL Paul, op. cit. p p. 38-129.

20 - Crapanzano Vincent, op. cit. pp. 40, 67, 70 ; LEVI PROVENCAL, « Evariste, Pratiques agricoles et fêtes saisonnières des tribus djebala de la vallée moyenne de IOuarghah », in : Archives Berbères, publication de l'Institut des hautes études marocaines, Vol. 3, fascicule 1, 1918 , pp, 83-108.

21 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p.11

22 - Ibid.

الكتاني سنة 1850م بفاس. وقد وضعها حفيده منذ عام 1890م على الطريقة الدرقاوية، وكانت معروفة بطقوس الحضرة والجذبة في مواسمها بالأطلس المركزي. أما الطائفة البوعزاوة فإنها لم تتأسس إلا في نهاية القرن 19م من قبل المقدم الدرقاوي محمد البوعزاوي، الذي ادعى أنه ينحدر من سلالة مولاي بوعزة المتوفي في القرن 12م²³.

وكشفت العديد من الدراسات التي ترجع إلى النصف الأول من القرن 20م²⁴، إلى تزايد نفوذ الزاوية العيساوية داخل مكناس، حتى انضم إليها عناصر من جيش عبيد البخاري²⁵، ووضحت العديد من الفديوهات التي ترجع للنصف الأول من القرن 20م، إلى انتشار الطريقة العيساوية بالمواسم بالأطلس المتوسط والكبير، وخاصة في موسمي مولاي بوعزة بزيان، وموسم الطائفة العيساوية بدمنات²⁶. وتعتبر الطائفة العيساوية، طائفة شعبية قديمة، أسسها محمد بن عيسى المختاري، المعروف ب (الشيخ الكامل)، الذي عاش أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر الميلادي في مكناس. يصل نسبه إلى الجزولي. ويشير Brunel²⁷، أن نفوذ الطائفة العيساوية اتسع خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، لذلك، لجأ المخزن إلى إضعافها، عبر تشجيع الزاوية الحمدوشية التي تشبه العيساوية من حيث ممارساتها وطقوسها، وأصبحت هاتان الزاويتان تتنافسان داخل مجال واحد هو مدينة (مكناس)²⁸.

- الطائفة الحمدوشية

تؤكد العديد من المصادر التاريخية إلى ضعف نفوذ الطريقة الحمدوشية بالأطلس المركزي مقارنة بالطريقة العيساوية، رغم انتشار اتباعها في زيان القريبة من مكناس معقل الزاوية، ودمنات لاحتضانها مركزا دينيا للطريقة الحمدوشية. ومن الصعب جدا التمييز بين الطائفتين العيساوية والحمدوشية، بفعل التشابه الكبير في طقوسهما واحتفالاتهما خلال انعقاد المواسم، والليالي التي ينظمها في بعض المناسبات.

يرجع نسب الحمادشة إلى سيدي علي بن حمدوش (المتوفي سنة 1719م أو سنة 1723م)، ويتواجد

23 - Fenneke REYSOO, Des moussemes ... , op. cit. p p. 37- 52.

24 - Lévi-Provençal Evariste, op. cit. p p. 83-108.

25 - رحمة بورقية، م. س، ص. 44.

26- <https://fb.watch/7ZZqDztYJu>

27 - Brunel Paul , Essai sur la confrérie religieuse ..., op. cit. p.168.

28 - رحمة بورقية، م. س، ص. 44.

ضريحه في بني رشيد على ثلة زرهون بمكناس. ويعتبر سيدي علي بن حمدوش من حفدة مولاي عبد السلام بن مشيش والجزولي، وسيدي بوعبيد الشرقي (المتوفى حوالي سنة 1600)²⁹. حسب Voinot، كان بدمنات العديد من أتباع الطائفة الحمدوشية، يمارسون مختلف الحرف خاصة الدباغون، واشتهروا بطقوس خاصة بهم، كأناشيدهم أثناء رفس الجلود التي تخفف عنهم ظروف العمل الشاق. إضافة إلى مواظبتهم على تنظيم النزهة الجماعية التي كانوا يخرجون إليها في مواسم معلومة التي تخفف عنهم الرتابة.³⁰ ولعب المركز الديني للحمدوشية في مراكش دورا في انتشار أتباع للطائفة في دمنات، إلا أن هذه الطائفة ليس لها زوايا أو أتباع في باقي مناطق الأطلس المركزي³¹.

-الطائفة الجلالية أو القادرية

تتميز الطائفة القادرية بانتشارها في الأطلس المركزي خاصة في الدير نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م ومن سماتها تبنيتها مجموعة من الطقوس الصوفية الشعبية، وخصوصا الحضرة والرقص الصوفي، فكانت مواسمهم وزواياهم في المنطقة مركزا لممارسة طقس الرقص والجدبة، ويشكل جيلالة خليطا شعبيا من الطائفة القادرية والجلالية³².

ومن الزوايا القادرية التي تحتضن الحضرة في موسمها بالأطلس المركزي، نجد زاوية سيدي أحمد بن أودادس، في باحي (بزو)، التي يعتبر موسمها مناسبة لممارسة هذه الطقوس. وللإشارة، فقد تأسست هذه الزاوية حوالي عام 1730م، من قبل سيدي هاشم، وابن عمه سيدي عبد السلام، وليس لأفرادها مذهب معين، بل كان أعضائها من أتباع الطريقة القادرية³³. وقد تبنت هذه الزاوية الطريقة الدرقاوية سنة 1923م، وكان مقدها آنذاك رجلاً مسناً، المعروف ب"سي الحاج محمد بن أودادس"؛ المشهور بتلاوته

29 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. Cit. p. 27.

30 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 245.

31 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. Cit. p. 27.

32 - Brunel Paul, le monachisme errant dans l'islam: Sidi Heddi et les Heddawa, Librairie Larousse, Paris, 1955, p. p. 40- 150.

33 - ويعود أطباع الطائفة القادرية في ابزو هؤلاء إلى أصول شريفة، كان شيخهم هو سيدي أحمد بن أو دادس بن علي بن إبراهيم، دفين بني موسى. وليس للزاوية حيوس انظر:

-VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. cit. p. 27.

للورد القادري وحتى الورد الدرقاوي³⁴.

ورغم ذلك، كان نفوذ الزاوية القادرية أقل انتشارا في جنوب وغرب الأطلس المركزي، حيث كانت القادرية بمدينة ذات أهمية قليلة، تضم زاوية صغيرة يرأسها المقدم أحمد أو سليمان عام 1913م³⁵، بينما عرفت هذه الطريقة انتشارا كبيرا في دير تادلا، حيث وصل عدد أتباعها بقبيلة آيت اعتاب مثلا حوالي 200 موردا³⁶.

2 - طقوس الحضرة الصوفية بالمواسم المعاشة بالأطلس المركزي

2-1 طقوس الحضرة الصوفية ببعض المواسم الراهنة بالأطلس المركزي

أ - طقوس الجذبة بموسم مولاي بوعزة

تتميز طقوس الحضرة في موسم مولاي بوعزة، بتنوعها وغرابتها وغناها الثقافي، حيث يمزج ممارسي تلك الطقوس بين طقوس الذبيحة من جهة وطقوس الجذبة من جهة أخرى. تبدأ طقوس الحضرة والجذبة عندما تصل وفود القبائل المواظبة على القيام بالجذبة في موسم مولاي بوعزة، وعادة ما تكون أصول تلك الوفود من قبائل بني خيران، وورديغة، وقبائل المذاكرة بالشاوية، وطائفتي عيساوة وحمادشة من مدينة مكناس. تبدأ هذه الوفود في التحضير لممارسة طقوس "العادة" وهي تنظيم موكب يمتزج فيه بين طقس الذبيحة وأكل لحوم النيئة بالجذبة والرقص الصوفي.

ينطلق موكب الحضرة على طول الشارع المؤدي إلى ضريح أبي يعزى حوالي 600 متر، يحمل الزوار أعلاما بألوان مختلفة، وعتاد الرقص والحيرة والمكون من: (البنادر، والطبول، والمزامير العادية، والنحاسية...). يبدأ "المجاذيب" في افتراس لحوم التيوس السوداء النيئة، ويكسرون الكؤوس والقنينات الزجاجية ومصايح الأعمدة الزجاجية، يرفسونها بأقدامهم الحافية، ويشربون الماء الحارق، في جو يسمى عند الزوار ب(الحضرة) أو(الحيرة) أو(العادة).

تحت أنغام الطبل والمزمار (الغيطة)، يذبج المجاذيب التيوس وسط الصراخ، ويبدأون في اختطاف لحمه وجلده، حتى قبل أن يمس الأرض، وتمزيقه بأيديهم وأسنانهم... يستمر موكب العادة وأكل اللحوم

34 - VOINOT Louis, Les Zaouia de Marrakech..., op. Cit. p. 10.

35 - Ibid. p. 10,11.

36 - Ibid.

بعد ذبح وأكل جدي آخر بشراسة ذئب جائعة، ويتعاركون من أجل الظفر بأكبر جزء من التيس المعروف عندهم "بالباروك". ينظر المجاذيب للجمهور العريض، الذي ينتشر بينهم، وفوق سطوح المنازل والمحلات التجارية، وفوق الأماكن المقابلة للشارع والضريح. أزيد من عشرة آلاف مشاهد شدتهم شراسة أكلة اللحوم النيئة، فأطلقوا العنان للصراخ والهتاف وترديد عبارات: طلب التسليم... الله يحفظ... اللهم صلي عليك يا رسول الله...، فيما يعم الخوف قلوب الأطفال والنساء اللواتي أغلقن أعينهن وأدمعت أعين أطفالهن الراكبين فوق ظهورهن.

والملاحظ أن المجاذيب، كانوا يأخذون القطع النقدية «الباروك» أو «الفتوح» مقابل أن يضعوا أيديهم المتعفنة بالدماء فوق رؤوس وأكتاف طالبي «البركة» و«التبرك»، الذين كانوا يعدون بالعشرات. إن نيل بركة أكلة اللحوم النيئة، يتطلب المسح أو الضرب على الأكتاف والرؤوس، ليصل أحيانا إلى البصق في وجوه وأفواه طالبي البركة.

تعتبر عيون الكل مشدودة إلى المشاهد المثيرة والمقرفة، التي يتباهى بها أكلة اللحوم النيئة، الذين استمروا في الأكل أو التظاهر بأكل لحوم النيئة. وأغلب النساء فتيات، يتبركن بهؤلاء المجاذيب وينتظرن منهم فك «عقدة الزواج والحب والصحة...»، مقابل منحهم ما تيسر من «فتوح» في انتظار أن يأتي الفرج على أيديهم، ليمنحهم «الهدية الكبرى» (عتروس كحل، ثور، مبالغ مالية...)

أن بعض أحشاء الجدي ولحمه وجلده أو حتى بعضا من شعره الأسود أو حوافره، تتم سرقتها أو تخزينها من طرف المشرفين على «العادة» أو بعض العارفين بخبايا الشعوذة، حيث يتم بيعها في مزادات سرية، وبأثمنة خيالية لنساء وشخصيات ما. وللإشارة أن هذه الطقوس استمرت إلى غاية 2015م، تاريخ تدخل السلطات لمنع هذه الطقوس بفعل معارضة فئات عريضة من المجتمع.

الصورة رقم 19: طقوس الجذبة بموسم مولاي بوعزة بزيان³⁷



ب- الحضرة بموسم العهد

يقع موسم العهد بنواحي الفقيه بن صالح، بسهل تادلا المجاور للأطلس المركزي، تمارس فيه الطائفتان الجلالية والعيساوية طقوس الحضرة في خيم خاصة. لاحظنا في إحدى الخيم أن هذه الحضرة تبدأ بكلمات حول كرامات الأولياء وخاصة سيدي أحمد بالقاسم الصومعي، وسيدي امحمد الشرقي³⁸، بعد ذلك، يرقص الجميع ذكورا وإناثا، ومع مرور الوقت تزداد حركات الرقص عنفا، وتتسع دائرة "المجاديب"، وبجانبيهم "مواقد" وعليها "مقارج" بها ماء مغلى. بعد ارتفاع إيقاع الغناء والرقص، يندفع المجاديب ويأخذون مقارج ماء شديد الغليان، يشربون منه ويرشون به الناس من حولهم، دون أن يظهر عليه أثر ألم.

مما أثار اهتمامنا في هذا الموسم، حضور الشباب ورقصهم مع المجاديب في حلقة الجذبة، وممارستهم للطقوس، حيث كلما ازداد الإيقاع أخذوا كؤوسا من الزجاج، وكسروها في صحن، فأخذوا يعجنون ذلك الزجاج بيدهم كما تفعل المرأة بعجين الدقيق، ولم يقفوا عند ذلك الحد، بل كانوا يرقصون على ذلك الزجاج بأرجلهم الحافية، دون حدوث جروح ودماء.

37 - بديل بريس.

38- رواية شفوية، بوهادي محمد، من مجاديب العهد، من دوار أولاد إعلاد، إقليم الفقيه بن صالح، عمره 60 سنة.

استغرقت هذه الرقصة التي يسميها المجاذيب، "الذكر"، حوالي نصف ساعة دون توقف حتى اختلقت رائحة الغبار برائحة العرق، وبعدها سقط جل المجاذيب أرضاً، توقف الضرب على الدفوف، فعم الصمت إنها وقت الاستراحة، وشرب الشاي، وبعد ساعة تبدأ الرقصة من جديد. أما الأشعار التي يرددتها هؤلاء المجاذيب، فهي أشعار صوفية روحية، تتماشى والمناسبة الدينية المحتفى بها، ويكون إيقاعها مسائرا لإيقاع الرقص والضرب على الدفوف.

لاحظنا بالمواسم الراهنة التي زرتها³⁹، تكرار نفس الطريقة التي أشرنا إليها بموسم العهد، التي تعتمد في إنشادها على المصاحبة الآلية، فهي تعتمد في أدائها على الدلالات النقرية، التي تساهم بدورها في بلورة الخصائص الإيقاعية لأغانهم، وهو خلاف لما يلاحظ في بعض الطرق الصوفية التي تعتمد كلية على الإنشاد الصوتي، وفق الأنغام الموسيقية على طريقة المسمعين، كالكتانيين والتجانيين والشرفاء الصقليين، دون استعمال الآلات مطلقاً⁴⁰.

الصورة رقم 20 : الرقص الصوفي بموسم العهد بني شك달 بإقليم الفقيه بن صالح⁴¹



39- من بين هذه المواسم: موسم سيدي لحسن أحساين بآيت عتاب، موسم سيدي خلوف بولوى، سيدي موسى بن قرقور بالبروج، موسم مولاي بوعزة".

40- الزبير مهداد، "الاحتفاء بالفنون الشعبية في عيد المولد النبوي في المغرب"، في: مجلة الثقافة الشعبية، السنة 4، العدد، 13، ص. 139 .

41 - تصوير شخصي.

ج - الأبعاد الرمزية والروحية لطقوس الحضرة

يشير ممارسو طقوس الجذبة، عند جيلالة وعيساوة وشرقاوة في المنطقة إلى ارتباط هذه الطقوس بالجن، وتسخيرها في الشفاء وإيجاد حلول للمشاكل التي يعاني منها الزوار القاصدون هؤلاء "المجاذيب" ومع ذلك، فإن هذه الطوائف تتكلم بحذر كبير عن الجن في الحدود الممكنة، وتتجنب تسميتهم. ويركز جزء كبير من نظام الاعتقاد عندهم على مفاهيم مشتركة يتقاسمونها ضمناً. وللإشارة، فإن الرقص الصوفي الشعبي عند الطائفة الجيلالية والعيساوية والحمدوشية والكناوية المعروف بالجذبة، يقام بعزف الموسيقى ولكل طائفة آلتها الخاصة، وإيقاعاتها الموسيقية المفضلة. فطائفة كناوة متشعبة بالتأثيرات الإفريقية، أما إيقاعات جيلالة، وحمادشة، وعيساوة وبوهالة، فهي أكثر تأثراً بالثقافة العربية. رغم أن عدداً كبيراً من "الجن" تتم إثارتهم بواسطة موسيقى المجموعات الأربع المذكورة سابقاً. ويتطلب ممارسة طقوس الحضرة والجذبة معرفة البخور والألوان التي تناسب كل جن وألوانها المفضلة، وبخورها المستعملة.

- سيدي حمو / كندورة الحمراء / "القرزير" و"الجاوي" المكاوي (من مكة)
- سيدي ميمون / كندورة سوداء / "الجاوي" الأسود
- لالة ميرا / كندورة صفراء / مسك
- مولاي إبراهيم / كندورة خضراء / صبار
- لالة مليكة / كندورة أرجوانية / مسك
- لالة عائشة / كندورة سوداء مرقشة / الجاوي أسود
- مولاي عبد القادر / كندورة بيضاء / الجاوي المكاوي
- سيدي موسى / كندورة زرقاء لون السماء / القزير والجاوي

وعادة ما تنظم الحضرة وفق مراسيم وطقوس معروفة، يتطلب القيام بطقوس الحضرة الخاصة ببعض الأولياء نحر أضاحي معينة، فالولي مولاي عبد القادر الجلاي يشترط كبشا أبيضاً، والولي سيدي حمو أضحية يشترط عجلاً، وسيدي عيسى بقرة، ويشترط سيدي ميمون تيساً أسوداً⁴².

42 - Fenneke REYSOO, Des mousseimes ... , op. cit. p p. 37- 52.

يظهر أن الحضرة الممزوجة بالعنف أحيانا تلعب دورا ترفيهيا، بحيث فهي وسيلة للتعبير عن الأوضاع الاجتماعية، وتساهم في تحقيق التضامن⁴³. كما أن ممارسة الجذبة حسب فاعليها هو تطهير الحواس، والتكفير عن أخطائها، شأنهم شأن المؤمنين الشيعة في محرم، حيث يحتفلون بذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي، أو التائبين في الأسبوع المقدس، والذين يعمدون تعذيب أجسامهم أثناء القيام بالتراتيل والرقصات و النقر على آلات الإيقاع⁴⁴.

في هذا السياق، خصص كرابانزانو دراسة لمقاربة طائفة حمادشة في مدينة مكناس ونواحيها، وخلص إلى أن هذه الطائفة بمثابة نظام علاجي، بواسطة مجموعة مهيكلية من الطرائق لإعادة تكييف فرد يعاني من عجز ما⁴⁵. وخصص كرابانزانو تحليلا مفصلا للنظرية والمسلسل العلاجي، وكيف يتم اختيار علاج ما، ودراسة الأعراض والتشخيص وتفسير الأمراض بارتباط مع الجن على وجه الخصوص، وطقوس الشفاء.

وفي نفس السياق، يرى بعض الباحثين⁴⁶ أن "الجذبة هي عملية لتجاوز التقاليد والحدود المعترف بها، لكونها تقوم على مبدأ الخرق المتواصل لما تجعله المجموعة مقدسا، وخاصة فيما يتعلق بالاختلاط بين الرجال والنساء. كما أن الجذبة تكون أكثر خرقا للواقع والعقل والمنطق، عندما تتزين النساء إلى جانب الرجال، ويسعون إلى استكمال فرحتهم أثناء الموسم أو العيد، عبر إشراك هذا الميت في طقس الرقص والفرح"⁴⁷.

إن ثراء هذه الطقوس تتطلب دراسة منفصلة، لكون اهتمامنا هنا ليس إجراء تحليل شامل، وإنما طرح مفاهيم تتعلق بتبجيل الأولياء البشر وتقديس أولياء الجن خلال تنظيم المواسم. ويمكن تفسير هذه الممارسات بالأوضاع الاجتماعية الصعبة، التي تنم عن عجز هذه الفئة في التأثير على هذه الأوضاع إيجابا. مما دفع هذه الفئة للجوء إلى الطقوس والمعتقدات، بحيث يمكن للقوى المقدسة إيجاد حل لتلك المشاكل، إذ تهدف الفئة من ممارسة الحضرة إنهاء مشاكلهم وإحباطاتهم.

43 -MERNISSI Fatima, op. cit. p p. 02- 101.

44- خوان غويتيفولو، م. س. ص. 227.

45 - حسن رشيق، الإسلام في الحياة اليومية... م. س. ص. 31.

46- المبروكي، م. س. ص. 84.

47- نفسه.

إن معظم ممارسي هذه الحضرة الصوفية الشعبية من النساء (وإن لم تكن لدي إحصاءات دقيقة)، إما مطلقات أو أرامل، وتحرص الطوائف الدينية الشعبية على إيجاد إطارا يلعب دورا اجتماعيا واقتصاديا بالنسبة لهذه المهمشات التي أصبحت يلعبن دور الوساطة بين العالمين الدنيوي والغيبوي وبين الرجال والنساء في عالم يتداخل فيه المقدس والمدنس.

تعد فكرة الشفاعة وثنائية الشر والبركة من المفاهيم المركزية للحضرة، ورغم أن الجن لا يحملون البركة، فإن هذه الثنائية تحتل مكانة أساسية في هذه الطقوس. فالبركة إلهية متأصلة في كل مكان مقدس. ولنيل هذه البركة لابد من معرفة دقيقة بطقوس الجذبة، والموسيقى، والرقص، والألوان، والبخور، وأنواع المواد الغذائية. ويوظف كل شيء فيها، لإثارة الحواس وإرضاء الجن.

3 - مواقف الفقهاء من الحضرة والرقص الصوفي في المواسم

يعتبر الرقص الصوفي من المواضيع التي خصص لها الفقهاء مؤلفات⁴⁸، ووجهوا من خلالها انتقادات لبعض الطرق الصوفية التي سمحت بممارسة طقوس الرقص والحضرة التي يعتبرها هؤلاء الفقهاء بدعة⁴⁹. كان التوجه العام لدى الفقهاء إدانة طقوس بعض الطرق الصوفية، باعتبار ممارستها من البدع وتعمل على تدنيس الدين بواسطة الموسيقى والرقص والأغاني.

ولم تكن هذه الانتقادات وليدة القرن 19 و20م، وإنما ارتبطت بظهور الحركة الصوفية منذ القرنين 11م و12م، إلا الصراع بين الفقهاء والمتصوفة في تلك المرحلة كان فكريا وله علاقة بمقاربة إشكالية النقل والعقل، إلا أن الصراع بين الفقهاء والمتصوفة اتخذ وجهة أخرى منذ القرنين 15م و16م، ارتبط أساسا بالطقوس والعبادات التي بدأت الحركة الصوفية تمارسها في زواياها ومواسمها السنوية.

في هذا الإطار، نقل الحسن الوزان خلال القرن 16م موقف المجتمع المغربي من ظاهرة الرقص والحضرة الصوفية الممارس في المواسم والزوايا والأضرحة، واعتبرها بمثابة إعراض الصوفية عن جميع أوامر الدين سواء المستحبة أو الواجبة، ولم يعودوا يتقيدون من الشعائر، بل رحلوا بعكس ذلك

48 - على سبيل المثال مؤلف، المكّي الناصري، م.س.

49 - البدعة عند المتصوفة ما حدده شيوخ التصوف في طريقة ما، بينما عند الفقيه كل من خالف التصور السني الذي شرعه الفقهاء، وهكذا الصوفية في طريقة معينة ليست بدعة، لكنها عند الفقهاء بدعة، والذبيحة عند الأولياء محكوم فقها بدوعيتها، لكنها عند المتصوفة سلوك ضروري... والحصيلة أن مفهوم البدعة ليس واحدا في كل التراث.

يتمتعون بكل الملذات التي تعتبر مباحة في مذهبهم، يقيمون مآدب كثيرة ينشدون فيها أناشيد غرامية، ويرقصون رقصا طويلا⁵⁰.

ووصف الوزان بعض مظاهر الرقص التي حضرها، حيث كان يمزق أحد الحاضرين ثيابه تأثيرا بما ينشده المنشدون، ويقول هؤلاء القوم حينئذ أنهم مكتوون بلهب الحب الإلهي، وليس من النادر أن يدعو بعض الأعيان إلى أعراسهم أحد الشيوخ البارزين لهؤلاء المتصوفة مع جميع مريديه، فإذا أتوا الوليمة بدأوا بتلاوة الأذكار وترتيل الأناشيد، وبعد تناول الطعام، يأخذ المسنون منهم في تمزيق ثيابهم وإذا سقط أحدهم أثناء الرقص، أوقفه على رجليه أحد الشبان المتصوفين، فقبله العجوز في الغالب قبلة شهوانية⁵¹.

يظهر لنا أن المغرب عرف منذ ظهور الحركة الصوفية انقساماً إلى تيارين متناقضين، تيار يميل إلى رفض هذا الرقص والغناء حول الأضرحة والزوايا أثناء انعقاد المواسم، وتيار لا يرى حرجا في انتشار هذه الممارسات⁵² والطقوس المنتشرة ببعض الزوايا، بل امتعضوا التنكيل بالمتصوفة خلال قيامهم بطقوسهم التعبدية، كما وقع في موسم مولاي إدريس بفاس⁵³.

هذا الصراع والانقسام بين الفقهاء والمتصوفة وصل مداه خلال القرن 19م في عهد السلطان مولاي سليمان، حيث دعا هذا الأخير إلى محاربة الزوايا والطرقية والمواسم باعتبارها من البدع المتنافية مع الدين الإسلامي، وبسبب النفوذ الذي كانت تحظى بها الزوايا، وانتشار الفكر السلفي الوهابي⁵⁴. وهكذا برز تياران: تيار يميل إلى تطبيق الفكر الوهابي بالمغرب، وتيار يميل إلى محاربة هذا الفكر المتطرف خاصة الفئة التي كانت متأثرة ومتعاطفة مع الخلافة العثمانية.

وقد أورد إبراهيم حركات ما يفيد ذلك، حيث أن جماعة كبيرة من الفقهاء اقتنعت بصواب الإجراءات الوهابية وضرورة تطبيق ما يماثلها أو ما يقابلها بالمغرب. فالناصرى ارتضى موقف مولاي سليمان ومثله أكنسوس، فضلا عن الفقهاء الذين رافقوا الأمير إبراهيم (ابن مولاي سليمان) إلى الحج وسيطاً بين

50 - الحسن الوزان، م. س. ص. 269-270.

51 - الحسن الوزان، م. س. ص. 269-270.

52 - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ... م. س. ج 3، ص. 87.

53 - إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب قرنين ونصف قبل الحماية، مطبعة الرشاد، الدار البيضاء، 1985، ص. 70.

54 - أنظر: خطبة مولاي سليمان ، op. cit. p. 275-281 - Fenneke REYSOO, Des mousses ... ,

الوهابيين والسلطان مولاي سليمان.

أما الزياني فقد حمل بشدة على الوهابيين ومذهبهم فهو الديبلوماسي الذي تردد على القسطنطينية، حيث حارب العثمانيون الوهابيين، فقد ظل الزياني على وفائه للقضية العثمانية⁵⁵. وكان لا يرى حرجا في بعض الطقوس المنتشرة ببعض الزوايا، حيث ختم بانتقاده هذا بالتنديد بأحوال الفقراء خلال موسم مولاي إدريس، وما يقومون به من رقص وغناء⁵⁶.

إلا أنه لابد من الإشارة، إلى أن الأطلس المركزي كان له خصوصيات فيما يتعلق بالانقسام بين المتصوفة والفقهاء خلال القرن العشرين، حيث أكد لنا العديد من حفدة شيوخ الزوايا في أبي الجعد وبني عياط وأزرراك بإعرم لعلام وتناغمت، أن الزوايا والفقهاء كان يشتغلون جنبا إلى جنب، وكان الفقهاء يحضرون أنشطة الزوايا، رغم أنهم يتحفظون على بعض الممارسات مثل الذبيحة والجذبة. وما يؤكد هذا القول، ما ذكره أحمد التوفيق، الذي أشار إلى أن العديد من الفقهاء في المنطقة إما أرباب زوايا أو أتباع لمشيخات صوفية، فمقدمو زاوية تاساوت كانوا فقهاء مفتين، والفقيه علي بن عبد القادر الصفراوي دخل الطريقة الكتانية، والفقيه علي بن سليمان البجمعاوي من آيت واودانوست كان ناصري الطريقة⁵⁷. وكل الطوائف الصوفية الشعبية، تدعي أنها طوائف مسلمة حقيقية، وتعتبر أن هذه الطقوس، هي ذات صلة كاملة بالإسلام.

4 - واقع الحضرة الصوفية بمواسم الأطلس المركزي

يظهر من خلال اطلاعنا على العديد من الدراسات التي تعود إلى النصف الثاني من القرن 20م⁵⁸، أن ظاهرة الرقص الصوفي الشعبي الممارس خلال انعقاد المواسم، أو في غيرها من المناسبات، استمر إلى نهاية الثمانينات بنفس الرخم الذي شهدته الظاهرة بداية القرن 20م، إلا أن هذا الحضور الكبير للحضرة والجذبة بالمواسم بالمنطقة شهد تراجعاً كبيراً نهاية القرن 20م وبداية القرن 21م. هذا التراجع المستمر للحضرة والجذبة، يهدد باختفاء هذه الطقوس التراثية، رغم الدعم الرمزي الذي

55 - إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ... م. س. ج. 3، ص. 87.

56 - إبراهيم حركات، التيارات السياسية... م. س. ص. 70.

57 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 438.

58 - Fenneke REYSOO, Des moussemes ... , op. cit. p. 37- 52.

تقدمه السلطات للزوايا والأضرحة التي تمارس فيها مثل تلك الطقوس⁵⁹، بفعل أهمية هذه الطقوس كعادات وتقاليد القبائل المغربية، التي لا تشكل تهديدا على استقرار نظام الدولة خلال في فترة الحماية 1912م - 1956م، وبعد استقلال المغرب سنة 1956⁶⁰.

هذا التراجع الملاحظ في ظاهرة الرقص الصوفي والجدبة، يمكن تفسيره بالتحولات الكبرى التي شهدتها المجتمع المغرب خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، إضافة إلى المد الإسلامي السلفي المشرقي الذي شهدته البلاد منذ القرن 19م، علاوة على تعمد سلطات الاحتلال إفراغ الطوائف الصوفية الشعبية من أدوارها التاريخية منذ بداية القرن 20م، مقابل دعمها للأبعاد الطقوسية والفولكلورية للزوايا. ناهيك عن تأسيس مؤسسات وأجهزة للدولة الحديثة، ساهمت في تأطير وتنظيم المجتمع، وتعوض المؤسسات والنظم التقليدية المتمثلة في الزوايا والقبيلة والمخزن التقليدي.

ومن الأسباب المفسرة لتراجع الحضرة الصوفية في المواسم، انفتاح المغرب على اقتصاد السوق، الذي كان له دور في خلق حاجيات اقتصادية وثقافية واجتماعية جديدة، لذلك لم يعد لدى سكان المنطقة أي محفز للقيام بطقوس الحضرة. ومن تم لم تعد تساهم المؤسسات الصوفية في تأطير المجتمع روحيا ودينيا، وأصبحت مؤسسات أخرى معادية لمثل هذه الطقوس هي التي تتحكم في نشر المعرفة الدينية، وأصبح مصدرها الأول وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي والمدرسة، وأئمة المساجد. وفي المقابل فإن وزن الزوايا وحفدة الأولياء شبه منعدم بخصوص تأثيرهم في المجتمع.

وفي هذا السياق، أكد لنا العديد من المستجوبين في الأطلس المركزي أن طقوس الرقص الصوفي والجدبة حرام، وهذا ما يجعلنا نعتقد بتأثير قوي للخطاب السلفي الذي يندد بزيارة الأضرحة، وفسر أغلب المستجوبين المتمدرسين بنسبة 80٪، الحضرة والجدبة لاعتبارات بعيدة عن الدين، ويستعمل أغلب أفراد مجتمع البحث، الشعوذة والسحر والتخلف لإقصاء الأضرحة والحضرة الصوفية⁶¹.

أمام تزايد معارضة المجتمع لكل طقوس الحضرة والجدبة، عملت السلطات على تشجيع المواسم

59 - <https://fb.watch/7ZZqDztYJu>

60 - تقدم السلطات في أيامنا هذه، دعما ماديا ومعنويا للزوايا والأضرحة أملا منها في استمرار ممارساتها لأدوارها الروحية.

61 - تحريات ميدانية، وتم الاشتغال على عينات من زوار المواسم منها: (موسم مولاي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، موسم سيدي امحمد الشرقي بأبي الجعد، وموسم سيدي الطيبي بنادور).

والمهرجانات المرتبطة بثمين المنتوجات الفلاحية والحرفية والصناعية، والتي لا تقام بالضرورة بجوار الأضرحة، ولا تمارس فيها الطقوس والعادات والمعتقدات. وهكذا أصبحنا نسمع اليوم مهرجان التفاح ومهرجان الزيتون... عوض موسم الولي سيدي فولان⁶².

وفي هذا الإطار، تدخلت الدولة في السنوات القليلة الماضية لمنع العديد من طقوس الجذبة وافتراس لحوم تيروس نيئة، خاصة بعدما أثارت تلك المشاهد الرأي العام الوطني، والصحافة الوطنية، واستنكر الجميع تلك الطقوس، مما دفع الدولة لمنع هذه الطقوس⁶³. وتشير الذاكرة الجماعية إلى استمرار تزايد المواسم التي توقفت فيها طقوس الحضرة منذ الثمانينات، كموسم سيدي لحسن أوحساين بآيت عتاب، وموسم الزيارة بزواوية تانغلمنت ببلاد انتيفة...

أما بخصوص الحضرة لدى الطائفة اليهودية، تبقى نادرة في مواسم الأطلس المركزي، بسبب عدم مباركة وتسامح الحاخامات اليهودية مع مثل هذه الطقوس بالمواسم اليهودية، فحفدة الأولياء اليهود لا يسمحون بممارسة الحضرة الصوفية في مواسمهم، لكونها منافية للدين اليهودي. هذه الصرامة في منع طقوس الجذبة لا تقتصر على المواسم اليهودية، بل نجدها في العديد من مواسم المسلمين بالأطلس المركزي، كموسم الولي الصالح سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي ببني عياط، الذي أكد لنا أحد حفدته، أنه لا تقام في الضريح حلقات الجذبة، عملا بوصية منسوبة للولي سيدي علي بن إبراهيم "ما تجذبوا ما تجذموا"، ويسمحون فقط بتلاوة القران الكريم، وترديد الأذكار⁶⁴.

مجمل القول، تعد الحضرة والجذبة والرقص الصوفي من المواضيع التي لا زالت تثير نقاشا وردود فعل داخل المجتمع، بين مندد بهذه العادات وهم أغلب أطباف المجتمع، وبين من يطالب بحماية هذه الطقوس، وهم في الغالب، إما من الطوائف الصوفية التي تمارس مثل هذه الطقوس، أو من فئة تدعو إلى الحفاظ على هذا الموروث المادي وغير المادي، الذي لعب أدوارا تاريخية، وساهم في التخفيف من

62 - على سبيل المثال: كان الموسم الذي ينظمه شرفاء سيدي الطيبي بناور يسمى "موسم الولي سيدي الطيبي". وفي السنوات الأخيرة، تغير اسمه ليصبح "مهرجان التفاح بناور".

63 - تجدر الإشارة، إلى أن السلطات منعت في السنوات القليلة الماضية ممارسة الجذبة والذبيحة الجماعية في موسمي مولاي بوعزة بزبان، وموسم مولاي إبراهيم نواحي مدينة مراكش.

64 - أكد لنا أحد أعضاء فرقة جلاله بقلعة السراغنة، أن موسم ضريح سيدي علي بن إبراهيم كان ملتقى للطائفة الجلالية لممارسة طقوس الحضرة والذبيحة خلال الثمانينات، وشارك فيها شخصا مرات عدة.

قساوة الظروف الاجتماعية والنفسية والاقتصادية للمجتمع خاصة في فترات الأزمات.

الصورة رقم 21 : فرقة المسيح احمر بموسم زاوية الصومعة ببني ملال 1941⁶⁵



وللإشارة، أن هناك تزايد اهتمام المواقع الإخبارية الإلكترونية الجهوية بطقوس الحضرة والذبيحة خلال انعقاد المواسم والطرق الدينية، خاصة موسم الطائفتين الحمدوشية والعيساوية بدمنات⁶⁶، وموسم مولاي بوعزة بزبان⁶⁷، وموسم الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد، وموسم العهد بنواحي الفقيه بن صالح⁶⁸، ولاحظنا تباينا في طبيعة التعاطي مع هذه الظاهرة بين فئة من الصحافة تلتزم الحياد

65- Khalid Rhaouch El Mokh

66 - الموقع الإلكتروني الإخباري، أنفاس بريس، بتاريخ 08 غشت 2016.

67 - جريدة المساء، م. س.

68 - الموقع الإخباري الإلكتروني، أنور بريس، بتاريخ 21 دجنبر 2019.

الفصل السابع: الطقوس والمعتقدات بمواسم بالأطلس المركزي

الإيجابي من التراث⁶⁹. وفئة أخرى تهدف من وراء مقالاتها الضرب في هذه الطقوس والدعوة لمحاربتها⁷⁰. ويمثل الجدول رقم 5: المواسم التي لا تزال تمارس فيها طقوس الرقص والحضرة الصوفية بالأطلس المركزي.

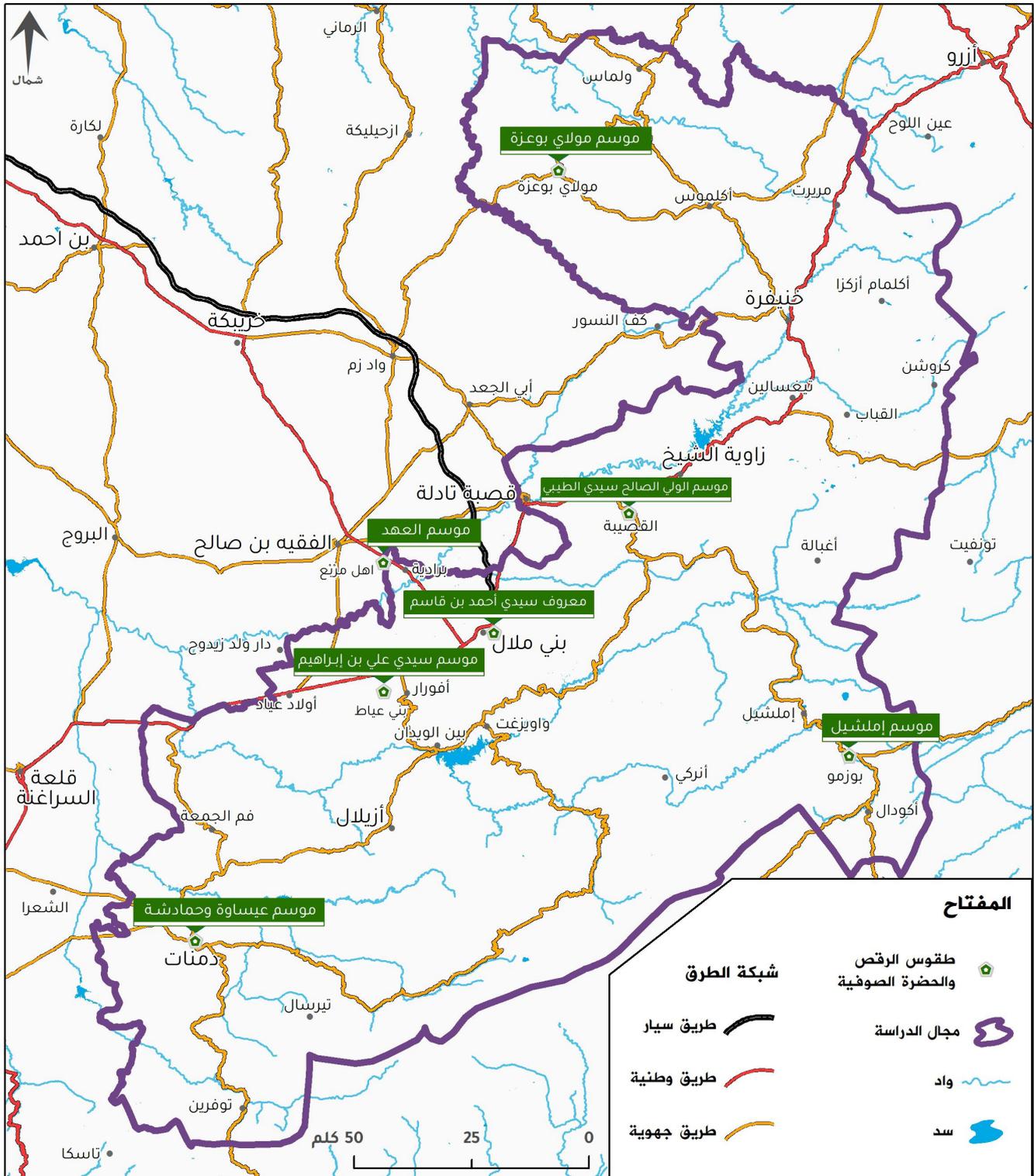
الجدول رقم 8: المواسم التي تمارس فيها طقوس الرقص والحضرة الصوفية بالأطلس المركزي

اسم الموسم	التوطين الجغرافي	تاريخ التنظيم
موسم مولاي بوعزة	إقليم خنيفرة جماعة مولاي بوعزة	ينظم ابتداء من 21 مارس
موسم عيساوة وحماشة	مدينة دمنات إقليم أزيلال	يقام خلال شهر غشت من كل سنة عن طريق التناوب بين الطائفتين.
موسم العهد	جماعة أهل المربع إقليم الفقيه بن صالح	أواسط شهر مارس
معروف سيدي أحمد بن قاسم	الصومعة مدينة بني ملال- إقليم بني ملال	ليلة القدر (شهر رمضان)
موسم الولي الصالح سيدي الطيبي	نور جماعة القصبية إقليم بني ملال	شهر شتنبر

69 - الموقع الإخباري الإلكتروني، أنفاس بريس، بتاريخ 08 غشت 2016.

70 - جريدة المساء، م. س.

الخريطة رقم 5: المواسم التي لا زالت تمارس فيها الحضرة والرقص الصوفي 71



من أبرز الخلاصات التي استنتجناها من هذا المبحث، هو أن تاريخ ارتباط الحضرة والرقص الصوفي بالمواسم الزراعية القديمة بالأطلس المركزي كان منذ القرن 12م، لكن البداية الفعلية والعلنية، كانت في عهد دولتي بني مرين، والأشراف السعديين، حينما سمح بعض شيوخ الزوايا بالأطلس المركزي بممارسة العديد من الطقوس المعروفة في المواسم، في إطار التنافس المتصوفة والزوايا والطرقية بالمنطقة، لاستمالة جمهور كبير من السكان، ومن أهم هؤلاء أبو بكر الدلائي، شيخ زاوية الدلاء، ومحمد الشرقي شيخ زاوية أبي الجعد.

إن بداية الانتشار الكبير لظاهرة الرقص والحضرة الصوفية بالمواسم الاحتفالية بالأطلس المركزي كان منذ القرن 18م. ويفسر ذلك عموما بظهور طرق صوفية شعبية، كالطريقة الدرقاوية والعيساوية... المعروفة بممارستها لمثل هذه الطقوس. التي تزايد نفوذها بالأطلس المركزي على حساب الطرق الصوفية التقليدية كالناصرية، والحنصالية المعروف عنهما معارضتهما لكثير من الممارسات الصوفية. ومن الخلاصات المهمة التي توصلنا إليها في هذا المبحث، هو أن ممارسة طقوس الحضرة والرقص الصوفي بمواسم الأطلس المركزي، تتم وفق قواعد وعادات دقيقة ومتباينة تبعا لخصوصيات كل طريقة على حدى، رغم ما يلاحظ من تشابه في ممارسة هذه الطقوس، وأن جميع طقوس الرقص والحضرة والصوفية لها دلالاتها وأبعادها الروحية والرمزية، التي تعطي شرعية ممارسة هذه الطقوس لدى ممارسيها.

وشهدت الحضرة الصوفية بمواسم الأطلس المركزي خلال النصف الثاني من القرن 20م وبداية القرن 21م، تراجعاً مستمراً، بفعل مجموعة من العوامل المرتبطة من جهة، بالمد الإسلامي المتشدد، ومن جهة أخرى بالتحويلات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المغرب خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م. وقد كان لهذه الأسباب وغيرها، دوراً في اتخاذ غالبية ساكنة الأطلس المركزية موقفاً سلبياً من طقوس الحضرة والرقص الصوفي.

المبحث الثاني: الأضحية بمواسم الأطلس المركزي

تشكل طقوس الأضحية الجماعية مظهراً من مظاهر مواسم الأضحية والزوايا بالأطلس المركزي، ولا زالت بعض المواسم بالمنطقة تمارس فيها طقوس الأضحية، لكن هذه الظاهرة في تراجع مستمر. هذا الواقع، جعلنا نقف في مبحث يتعلق بطقوس وكل المعتقدات المرتبطة بالأضحية الجماعية خلال انعقاد المواسم بالأطلس المركزي.

وقد رجحت الأبحاث المنجزة في هذا الموضوع⁷²، ارتباط طقوس الذبيحة بالمواسم الزراعية القديمة كطقوس تعبدية احتفالية هدفها تحقيق الخصوبة لدى الحضارات القديمة، ويعتبر الأطلس المركزي من أهم المناطق في شمال إفريقيا التي لعبت فيها الذبيحة الجماعية أدوارا تاريخية مهمة، بما فيها الذبيحة المقدسة بالمواسم اليهودية، حيث كانت أضحية المواسم إحدى آليات من آليات تدبير المجال، كانت تساهم في تمتين الروابط الاجتماعية.

ولا زالت العديد من المواسم في المنطقة تمارس فيها طقوس الذبيحة إلى يومنا، والتي تتميز بغنى وتنوع ثقافي وطقوسي منقطع النظير، ولا زالت تثير ردود فعل مختلف أطياف المجتمع، بين أقلية مؤيدة لاستمراريتها، وأغلبية تدعو إلى منعها، باعتبارها رمزا للتخلف ومظهرا من مظاهر البدعة. وهذا يفسر في نظرنا استمرار تراجع هذا الموروث الثقافي العريق المههد بالاندثار.

1 - الذبيحة من المواسم الزراعية القديمة إلى مواسم الزوايا والأضرحة

تعتبر الذبيحة الجماعية المقدسة طقس من طقوس الشعوب القديمة، التي تقام بمناسبة المواسم الزراعية بالعالم القديم وخاصة شمال إفريقيا⁷³. وارتبطت أساسا بالطقوس والعادات الهادفة إلى تحقيق الخصوبة، ونيل البركة والعافية ومقاومة الظروف الطبيعية الصعبة. وقد كانت عادات تقديم ذبائح الأبقار والأغنام⁷⁴ والماعز، قربانا للآلهة منتشرة في كل من مصر وشمال إفريقيا⁷⁵. حيث كانوا يعيشون على الزراعة وتربية الماشية، ومن تم كانت ديانتهم ديانة زراع ورعاة متجهة إلى وقاية الحقول والمحاصيل ووفرتها وجودة قطعان المواشي⁷⁶.

وكان الطواف بالذبيحة معروفا في الحضارات القديمة، وهو نفسه المستمر في مواسم المنطقة حول

72- من بين الدراسات المهمة بموضوع الذبيحة نجد:

-Doutté Edmond, Magie et Religion dans l'Afrique du Nord (1984)

-Westermarck Edward, Ritual and Belief in Morocco , Mac Millan, London, 2 Volumes, 1926. p p. 20- 200.

يبدو لنا أن دوتي، ووسترمارك، ولاوست، هم الذين اقترحوا تأويلات أكثر شمولا. وحاول البحث عن ديانة أمازيغية بدائية، ويزعمان القدرة على تركيبها بفضل "البقايا" التي يعتقدان التعرف عليها في الدورة السنوية للأعياد والمواسم الزراعية.

73- Westermarck Edward, Ritual and Belief in Morocco ...,op. cit. p p. 20- 200.

74- علي زيعور، م. س. ص. 143.

75- مصطفى فرحات، م. س. ص. 228.

76- الفرد بل، م. س. ص. 55.

أضرحة الأولياء إلى يومنا هذا⁷⁷. ولا زالت مجموعة من الأضرحة بجهتنا تمارس طقوس الطواف ثلاث مرات خلال انعقاد المواسم، مثله مثل طواف الحج، لذلك، نتساءل حول التأثير والتأثر بين مختلف الطقوس في شبه الجزيرة العربية وشمال إفريقيا قبل وبعد ظهور الإسلام.

لقد أدمج الإسلام العديد من الممارسات الوثنية في الطقوس الدينية، ومن هنا نعتقد أن الأطلس المركزي وشبه الجزيرة العربية، كانا قبل ظهور الإسلام تمارس فيهما طقوس الذبيحة الوثنية، حول الأضرحة والمزارات. إلا أن الإسلام بالحجاز أدمج هذه الطقوس وعمل على أسلمتها، وجعل بعضها ممارسات إسلامية. وفي المقابل، بقيت طقوس الذبيحة ومعها طقوس أخرى بالأطلس المركزي بعد الفتح الإسلامي محطة انتقاد ومحاربة من قبل الفقهاء والفتاحين وزعماء الدول التي حكمت المغرب بعد الفتح الإسلامي. وسندنا في تعليل هذه الفرضيات، الإشارات التي تحدثت فيها الكتابات الإسلامية في العصر الوسيط⁷⁸، مفادها أن منطقة تادلا وأحوزها، كانت على دين الوثنية واليهودية والمسيحية، وأن الإسلام بها قليل. وعليه فإن هذا الحكم الذي أصدره هؤلاء المؤلفون يجد تفسيره في انتشار طقوس وعبادات لا علاقة لها بالدين الإسلامي، ومهنا الذبائح التي تهديها القبائل للأضرحة والمزارات خلال انعقاد المواسم الزراعية التقليدية.

نرجح بناء على العديد من القرائن، أن طقس الذبيحة ترجع إلى فترات تاريخية قديمة، ومن بين هذه القرائن، استمرار طقوس الذبيحة في المواسم الراهنة بالأطلس المركزي، إضافة إلى كون مواعيد إقامة مجموعة من هذه المواسم تتوافق مع دورات زراعية، إما خلال مرحلة جمع المحصول، أو أثناء مراحل التحضير لسنة زراعية جديدة، أو خلال مراحل نمو ونضج المنتج الفلاحي. كما أن هدف هذه الطقوس، ضمان محصول زراعي وافر، وقطيع معطاء.

لذلك، يأمل السكان خلال ممارستهم لهذه الطقوس والعبادات، تجنب غضب القوى الغيبية، التي يمكن أن تهدد موارد عيشتهم. ويعتقدون أن ممارسة هذه الطقوس بإمكانها التخفيف من أثر الجفاف، وضمان سنة مطيرة، كطقوس طلب المطر المعروف "تاغنجا" أو "تل غنجا"⁷⁹ خاصة وأن مجال الأطلس المركزي

77- من بين المواسم التي يمارس فيها الطواف بالذبيحة: موسم سيدي علي بن إبراهيم بيني عياط، وموسم مولاي بوعزة بزبان.

78- ابن أبي زرع الفاسي، م. س. 30-100.

79- اشتقت كلمة "تل غنجا" في اللسان الأمازيغي من كلمتي "تل" التي تعني لف، و"غنجا أي" المغرب، ومنه "تل غنجا" أي لف المغرب.

يتميز بمناخ من خاصياته توالي سنوات الجفاف، وعدم الانتظام.

نرجح بشكل كبير أن ترجع البداية الأولى لارتباط الذبيحة الوثنية المقدسة الممارسة بالمواسم الزراعية بالمنطقة بالحركة الصوفية إلى الفترة الموحدية⁸⁰. لكن البداية الفعلية كانت مع دولة المرينيين، حينما تقوى نفوذ المتصوفة وتحالفهم مع سلاطين بني مرين الباحثين عن الشرعية الدينية، الذين دعموا المتصوفة والزوايا، واستحسنوا كل الممارسات والطقوس، وإن كانت لا تمت للإسلام بصلة⁸¹. لذلك، عرفت طقوس الذبيحة انتشارا قويا، ومعها كل الطقوس الممارسة بالمواسم بالزوايا والطرق الصوفية خاصة بعدما خلفته هذه المؤسسات الدينية من أصداء إيجابية في نفوس أبناء القبائل المغربية، بعد الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية التي لعبها شيوخ الزوايا منذ القرن 15م.

وهكذا، تميزت فترة ما بعد القرن 15م، بتزايد نفوذ وقوة الزوايا وخاصة الزاوية الناصرية في تامغروت، والوزانية في شمال المغرب وبوهران. كما ظهرت أربعة طرق صوفية جديدة بالمغرب، مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وهي الدرقاوية، والتيجانية، والكتانية، والبوعزاوية. وأصبح أغلب السكان القرويين والحضرين والريفيون أتباع الطرق الصوفية الجديدة⁸². وأصبحوا منخرطون ومشاركون ومباركون لكل الطقوس التي كانت تقوم بها هذه الزوايا كذبيحة الأضرحة والزوايا. لقد انخرط أغلبية ساكنة الأطلس المركزي في الطرق الصوفية التقليدية، خاصة فروع الزاوية الناصرية والدرقاوية بقبائل آيت أمالو وانتيفة، وبني جابر في السهل. كما انخرطوا بشكل كبير في الطوائف الصوفية الشعبية كالطريقة العيساوية والجيلالية والحمدوشية بدمنات وانتيفة خلال ق 19م. ترتب عن ذلك، تطلع العديد من القبائل بالأطلس المركزي إلى جعل طقوس مواسمها السنوية، تحت إشراف وإدارة شيوخ الزوايا، لنيل البركة، والتمتع بحمايتهم من القبائل الاتحادات القبلية الأخرى، أو حمايتها من ظلم قواد وأعوان المخزن، وكذا من التدخل الأجنبي.

من بين المواسم المشهورة في الأطلس المركزي بطقوس الذبيحة خلال القرن 20م ومطلع القرن

80- أحمد الصومعي التادلي، م. س. ص. 217.

81 - أنظر الفصل الثاني من هذا البحث الخاص بالساق التاريخي لظهور وتطور تظاهرات المواسم.

82 - Brignon Jean, op. Cit. p. 201.

21م، موسم مولاي بوعزة بزبان، وموسم الطائفتين العساوية والحمدوشية بدمات، وموسم سيدي علي بن إبراهيم بني عياط، موسم الزاوية الشرقاوي بأبي الجعد، وموسم سيدي الصغير بالمنيار بابزو، وموسم سيدي احمد بناصر بأيت أم البخت... " وكانت تسهر الطرق الصوفية الشعبية على تنظيم طقوس الذبائح الجماعية الموسمية، وخاصة الطريقة الشرقاوية والقادرية أو الجلاية أو الدرقاوية، أو الطائفتين العيساوية والحمدوشية.

بيد أن طقوس الأضحية بمواسم الأطلس المركزي، شهدت تحولات مهمة بعد سيطرت الاحتلال على المنطقة بداية القرن 20م، وتمثل جزء من هذه التحولات، في تزايد عدد المواسم التي تتضمن طقوس الذبيحة بفعل مباركة سلطات الحماية هذه الطقوس التي لا تهدد أهدافها الاستعمارية، قصد كسب تعاطف عامة الناس، واستمالة شيوخ التصوف والزوايا⁸³. وقد أوردت جريدة السعادة أخباراً حول انتشار طقوس الذبيحة بالمواسم، التي أصبحت تشكل عادة من العادات الأساسية المنتشرة بالأضرحة بالمغرب، واستنكر المجتمع هذه الطقوس حسب ما تضمنه المقال بالجريدة المذكورة⁸⁴، وقد أكد العديد من الباحثين هذه الرواية ومنهم على سبيل المثال: Fogg⁸⁵ الذي أشار إلى انتشار مهول لعادات ذبح العجول في الأضرحة من العادات المنتشرة بالمغرب خلال الأربعينيات من القرن 20م.

وتجدر الإشارة، إلى أن الأبحاث الأجنبية التي اهتمت بموضوع طقوس الذبيحة خلال القرنين 19م و20م، ركزت جلها على تلك التي تقدمها القبائل للزوايا والأضرحة والمتضمنة طقوس غريبة تمارسها جيلالة وعيساوة وحمادشة في فاس ومكناس وأبي الجعد ومولاي بوعزة...، ولم يهتموا بالذبائح التي كانت تقدمها القبائل إما لقبائل أخرى تربط بينهما علاقة صداقة أو تحاف الرضاة المعروفة ب"تضا" في الأطلس المركزي، أو التي تقدمها القبائل التي تسمى "العار" لوقف الحرب وإقامة السلم، أو الذبائح الجماعية التي كانت تقيمها القبائل إما لتجديد مؤسساتها "الجماعة وشيخ القبيلة"، أو الاحتفال في حالات الانتصار في الحرب على عدو داخلي أو خارجي.

83 - أنظر المبحث الخاص بسياسات الحماية تجاه المواسم بالأطلس المركزي ما بين 1912-1956.

84 - جريدة السعادة، العدد، 2575، 19 أكتوبر 1923.

85 - Fogg Walter, A Moroccan Tribal Shrine and its Relation to a Nearby Tribal Market, Man nos, 1940, p p. 100-04 123-124.

2 - الأدوار التاريخية للذبيحة بمواسم الأطلس المركزي

إن الهدف من الذبائح التي تقدمها القبائل للأولياء خلال المواسم السنوية هو تجديد ارتباطها بهذا الولي ونيل بركته وتحقيق الفرجة، وعقد اتفاقيات واتخاذ قرارات تهم الحرب والسلام. وتحدثت الذاكرة الجماعية في منطقة آيت عتاب، أن قبائل انتيفة وآيت بوزيد وآيت عياض كانوا يأتون للذبائح للضريح خلال المواسم وغيرها من المناسبات لتجديد الولاء للولي وللقبيلة، وكذا طلب المساندة في فترات الصراع بين القبائل خلال القرن 19م وبداية القرن 20م.

كان يجتمع ممثلي القبائل لاتخاذ قرارات حاسمة ويستغلون مناسبة المواسم لعقد هذه التعهدات التي ترافقها عمليات ذبح الذبائح وإقامة الفروسية، وقد تحدثت الذاكرة الجماعية عن هذا الموضوع بإسهاب وقد أكدته بعض تقارير سلطات الحماية بداية القرن 20م، ومنها على سبيل المثال اجتماع ممثلي قبائل دير تادلا بمناسبة انعقاد موسم مولاي عيسى بن إدريس سنة 1915م لاتخاذ قرار موحد لمواجهة الفرنسيين⁸⁶، وأكد تقرير استخباراتي فرنسي آخر للدوائر الاستعمارية العليا بتشكيل تجمعات أمازيغية ضخمة بمناسبة انعقاد موسم مولاي عيسى بن إدريس سنة 1915م استعدادا للهجوم على القوات الفرنسية⁸⁷. ولا زالت قبيلتي آيت شكر من آيت بوزيد وقبيلة آيت ويركان من آيت عتاب تحيي ذكرى التحالف المعروف "بتضا"⁸⁸ أي الرضاة، وتعقد لهذه الغاية موسما سنويا.

إلى جانب موسم مولاي عيسى بن إدريس، يستقطب الولي الصالح سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط، زوارا من القبائل المجاورة في السهل والدير وحتى من الشاوية وورديغة قبيلة آيت عتاب باعتبارهم من حفدته، وقد كانت تربط هؤلاء مع الولي علاقة صداقة وقرابة دموية. فقبيلة آيت عتاب على سبيل المثال: يعتبرون أن مولاي عيسى بن إدريس هو جد سيدي علي بن إبراهيم، في حين تعتبر بعض قبائل الشاوية نفسها من حفدة سيدي علي بن إبراهيم، من درية ابنه الولي سيدي المكي، الذي استقر ودفن في الشاوية.

86 - الجريدة الرسمية. تقرير عن الوضعية السياسية والعسكرية في منطقة الحماية الفرنسية بالمغرب. رقم 128 بتاريخ. 03-04-1915.

87 - الجريدة الرسمية. رقم 135. بتاريخ 24 ماي 1915.

88- يقصد بميثاق "ناضا" عقد التحالف والمساندة المتبادلين بين قبيلتين أو أكثر أو بين أفراد من نفس القبيلة. أنظر : سعيد كنون. م. س.

ص. 85.

وللإشارة، كان موسم سيد علي بن إبراهيم إلى عهد قريب، تذبح فيه ثلاثة ثيران ضخمة وناقطة، الأولى يقدمها أولاد موسى، والثانية لبني "حسان وادي زم" التي أشرنا إليها، أما الثالثة فهي تقدم من لدن أحفاد الشيخ (أهل الزاوية)، وكانت الناقطة تهدي من طرف أهل الشاوية، ولا زال بني حسان وادي زم مواظبين على تقديم الأضحية في موسم سيدي علي بن إبراهيم وزيارة ضريحه كل سنة إلى يومنا هذا. ويمكن تفسير هذه العلاقات إلى جانب رابطة الدم، بطبيعة العلاقة الدينية والتاريخية التي كانت تجمع بين الولي وتلك القبيلة، حيث كان الولي وسيطا بين القبائل والمخزن يضمن استمرار السلم والأمن بين قبائل الدير والسهل. واتضحت مكانة هذه الأولياء في استنفار القبائل للدفاع عن أولياء في مختلف مراحل الاحتلال العسكري للمنطقة. وقد قدمت المقاومة أداء بطوليا بفضل العقيدة الروحية التي تشبعوا بها، وكانت معركة سيدي علي بن إبراهيم خير مثال.

وبفعل الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والأمنية التي كان يقوم بها الأولياء وشيوخ الزوايا، كان شرفاء أبزو سواء حفدة سيدي الصغير بن المنيار بالمدرسة أو حفدة سيدي عبد الله بن أوحساين باغبالو، محط زيارة سكان قبائل انتيفة وآيت عتاب والقبائل العربية في السهل خاصة بني موسى وبني مسكين وقبائل السراغنة بمناسبة مواسمها السنوية، يحملون معهم هدايا وذبائح من مختلف أنواع الماشية، منها ذبائح صغيرة من ماعز وغنم ودجاج، أو ذبائح كبيرة، كالناقطة التي تقدمها قبيلة أولاد علي من السراغنة، أو والبقرة أو الثور التي تهديه قبيلة آيت ت كلا المستوطنة منطقة انتيفة بعد تهجيرهم من قبل قبائل آيت عطا خلال القرن 16م⁸⁹.

تختلف مقاصد وأهداف الذبيحة المقدمة لشرفاء أبزو، حيث تعتبر ذبيحة آيت تاكلا لشرفاء أبزو وحفدة زاوية تانغمت، بمثابة ضريبة سنوية تمنح لهم مقابل استقرارهم في المنطقة، في حين يقدم أهل الحرونة من نواحي دمنات ثورا لشرفاء أبزو، تيمنا ببركتهم ودورهم في الحفاظ على السلم بين قبائل إنولتان وقبائل انتيفة. ولا تقتصر الذبائح على أيام الموسم بل تشمل باقي أيام السنة في مناسبات عدة.

وقد لا تكون الذبيحة الجماعية الهادفة إلى تحقيق الأمن والتحالف بين القبائل مرتبطة بالضريح،

89 -Michaux Bellaire, Archives marocaines ...,op. cit. p. 90, 100.

ففي موسم "العهد"⁹⁰ بأولاد إغلا بالفقيه بن صالح، يجتمع شيوخ دواوير بني شكдал، وعددهم 14 دوارا، سنويا في أرض جماعية تمثل الحدود بين بني شكдал الشرقيين وعددهم 7 دواوير، وبين بني شكдал الشرقيين وعددهم 7 دواوير، وهي منطقة لا وجود فيها للضريح، وإنما يرمز للمكان الذي تعاهدت فيه قبائل بن شكдал بعدم الاعتداء والتحالف ضد أي عدو خارجي، سواء كان اتحادا قريبا أو تدخلًا أجنبيًا.

وتحدث لنا بعض شيوخ منطقة بني شكдал أن موسم العهد كان يقام بداية القرن 20م، قبل تدخل الاحتلال الفرنسي، والتي عملت على منع إقامته لأسباب أمنية، خاصة وأنه كان يمثل تحالفا ضد مصالح فرنسا، التي كانت لها أطماع في تنفيذ سياستها الفلاحية في سهل ودير تادلا وضمان استغلالها واستيطانها. وقد تم إعادة إحياء موسم العهد بعد استقلال المغرب سنة 1961م، حينما تعاهد "الحجابة من جديد وهم المتصوفة القادريين من فرقتي بني شكдал الغربيين والشرقيين) - على أن يقدموا الموسم مرة في السنة بالتناوب بين خميس بني شكдал ودار الجديري. وقد استمر لمدة عامين فقط ليتوقف سنة 1963م لأسباب سياسية يجهلها أبناء المنطقة. إلا أن الساكنة عملوا مؤخرا على إحيائه، حيث قاموا بإعادة الاحتفال به سنة 2007م. وأصبح هذا الموسم مشهورا في المنطقة بطقوس الذبيحة والذبذة.

2- 1 الذبيحة المواسم ودورها في تدبير المجال

تعتبر الذبيحة التي تقدمها القبائل خلال مواسم الأضرحة والزوايا والمزارات... آلية من آليات تدبير المجال بالأطلس المركزي، ويعتبر معروف أو موسم الساقية بدمنات، نموذجا لمثل هذه الأدوار التدبيرية التي تلعبها المواسم بالأطلس المركزي. هذا الموسم الذي يقام نهاية شهر مارس، أو بداية شهر أبريل، قبالة ضريح الولي سيدي بو البخت بقبيلة آيت أمغار، بالدير المطل على مدينة دمنات.

تدور طقوس هذا الموسم حول الذبيحة التي تقدمها قبيلة آيت إحيى بمدينة دمنات، لقبيلة آيت أمغار الشريفة حفدة الولي سيدي بو البخت. قصد تدبير الموارد المائية بدمنات، بين قبيلة آيت أمغار المتحكمة في المنبع، وقبيلة آيت إحيى المتواجدة في المصب، والمحتاجة لاستغلال الموارد المائية لسقي أراضيها بالمنخفض الخصب المملوء بشجر الزيتون وأشجار أخرى. ولضمان استمرار تدفق المياه نحو

90 - يقع مكان العهد في مجال قبيلة أولاد إغلا على بعد حوالي 5 كلم من جماعة أهل المربع. إقليم الفقيه بن صالح.

قبيلة آيت إحيى، يواضب سكانها على تقديم أضحيتان لقبيلة آيت أمغار الشريفة المتحكمة في منبع العين، الأولى خلال الموسم السنوي، والثانية عندما يريدون تنظيف الساقية.

يلاحظ أن اختيار موقع استقرار الولي سيدي بو البخت ليس اعتباطيا، وإنما يفسر باستراتيجية الموقع للحد من الصراعات والنزاعات حول الماء والأراضي والمراعي خصوصا وأن مياه السواقي كانت محل نزاعات بين القبائل خاصة في أوقات الجفاف. وقد اندلعت خلال القرن 18م، العديد من النزاعات المائية منها نزاع أهل دمنات مع آيت واود نوست المجاورين لهم، بسبب ساقيتيهما النابعتين إيمين إيغري. وقد تجدد هذا النزاع القديم في عهد السلطان سليمان الذي بعث قصد تسوية النزاع لجنة سلطانية، لفك هذا النزاع⁹¹.

هذه النزاع حول الماء، دفع قبيلة آيت يحيى إلى المواظبة إلى نحر ذبيحة في موسم سيدي بولبخت سنويا، وتحمل هذه العادة أكثر من دلالة وهدف، فهي من جهة، هدية للولي قصد التبرك به ونيل رضاه، من جهة ثانية، التخفيف من التوتر مع قبيلة آيت أمغار، بسبب جريان مياه إحدى السواقي عبر مجالها الترابي قبل أن تصل إلى أرض آيت يحيى، فكان من الواجب محاباتهم، وطلب ودهم، وتجديد هذا التعايش في كل موسم، لثنيهم عن قطع هذا الشريان الحيوي لآيت يحيى. لذلك، تساهم الذبيحة في توثيق الروابط بين القبيلتين وفي استتباب الأمن بينها، وهكذا تمثل هذه الذبيحة رمزية تجعل التعايش بين القبيلتين لها طابعا مقدساً تحت ضمان وحماية الولي سيدي بو البخت.

إن طقوس الذبيحة في موسم الساقية بدمنات، وفي مواسم أخرى بالأطلس المركزي كالتى تقام لتدبير المجالات الرعوية بين القبائل المستقرة بالسفوح الشمالية الغربية للأطلس المركزي من مجال آيت بولي إلى تنفيت، والمجالات شبه الصحراوية بالسفوح الجنوبية الشرقية للأطلس المركزي. تعزز التعاون بين مختلف أفراد القبيلتين، وتتمن العلاقات الاجتماعية بينهما، الشيء الذي يغني هذه القبائل على اللجوء إلى حلول أخرى غير الحل الودي أثناء تدبير واستغلال مجالاتها⁹².

ويعد موسم سيدي احمد المغمي بإملشيل مثالا واضحا في إبراز هذه الأهمية، فهو مناسبة للتعايش وتجديد العهود بين القبائل المستقرة (آيت إيغلان) ونظيرتها من القبائل الرحل (آيت مرغاض)، وتشير

91 - أحمد التوفيق، م. س ص ص. 85، 86.

92 - رواية شغوية، فاطمة، إحدى حفيدات الولي سيدي أبي البخت، عمرها 68 سنة، بتاريخ 2019/07/01.

الذاكرة الجماعية إلى أن قبائل آيت مرغاض خلال القرن 19م ومطلع القرن 20م هي التي تقوم بنحر الذبيحة في الموسم وتحضير وجبات جماعية قرب ضريح سيدي احماد ألمغني بمرزيمته الروحية التي تساهم في خلق التقارب، وتجديد موثيق السلم بين قبائل أمازيغية آيت مرغاض وآيت يافلما⁹³. وللإشارة أن هذه مراسيم طقوس ذبيحة ايت مرغاض بضريح سيدي أحماد ألمغني، توقفت مباشرة بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة 1933م، بعدما وضعت حدا لكل مظاهر التحالف القبلي ذي الأبعاد السياسية والعسكري الذي تجسده الذبيحة الجماعية بموسم إملشيل، وفي المقابل شجعت سلطات الحماية الجانب الفولكلوري والاجتماعي والاقتصادي لموسم إملشيل والمستمر إلى أيامنا هذه. والجدير بالملاحظة، أن قبائل آيت أمالو بالأطلس المركزي، كانت تعقد مواسمها بداية القرن 20م لتدبير مجالاتها الترابية، ولا تقام بالضرورة بجوار الأضرحة، وإنما تدار من قبل شيخ القبيلة و"الجماعة"⁹⁴، وتشكل الذبيحة طقسا وفعلا ضروريا لتحقيق غاية انعقادها، المتمثلة في انتخاب شيخ القبيلة "أمغار"، أو لعقد اتفاق بين قبيلتين متصارعتين، أو للاحتفال بالانتصار على عدو من الأعداء سواء كانت قبيلة أو قوات الاحتلال الفرنسي. وفي هذا السياق أشار القبطان الجزائري المشارك في احتلال منطقة الأطلس المتوسط، إلى هذه الاحتفالات المشار إليها التي كانت منتشرة بهذه المناطق⁹⁵. وأكد القبطان كنون أن قبائل آيت أمالو كانت تنحر ذبيحة جماعية خلال موسم تنصيب "أمغار شيخ" القبيلة، وبالمناسبة ينظمون حفلا ضخما بعد جني المحصول، ويرعى في فترات ضوء القمر لضمان الاستمتاع بالتسلية والترفيه ليلا. وتجرى التسلية داخل المخيم الذي يتم تشكيله في منطقة كثيرة العشب والماء وفي وسط المخيم رقصات أحييدوس على طول واجهات الخيام والفروسية في الوسط، ويستمر الاحتفال لمدة ثلاثة أيام إلى أربعة.

93- رواية شفوية، أرني حدو، من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت وابوض، عمره 60 سنة؛ وأشكو باسو، من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة إوناش، عمره 65 سنة؛ واعدي محمد من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت عمر أويكو، عمره 41 سنة. نبارك أوجا من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت أمديد، عمره 48 سنة. موحى أوطيب من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت عمر أويكو، عمره 35 سنة. بتاريخ الأحد 22 شتنبر 2019 الساعة 10 صباحا بضريح سيدي احماد المغني، المتزامن مع انعقاد موسم إملشيل 2019م.

94- يقصد "ب لجماعت" مجموعة من الشخصيات النافذة في دوار أو فخذة أو قبيلة أو اتحادية قبيلة، يسمى عدد أعضائها "إجماعن"، لا ينتخبون من قبل الجمهور، بل يقلدون المهمة المجانية، ولكي يصح المرء "أجماع"، يجب أن يكون مشهورا بحكمته وميسورا ماديا، وأن يكون كريما، ومقداما في الحرب، وأن يكون نشيطا وحازما وأن يمتلك فرسا وبندقية، أنظر "سعيد كنون، م. س. ص. 88.

95- سعيد كنون، م. س. ص. 96.

وتحدث أيضا كنون عن كيفية إبرام اتفاق السلم بين الفخذات والقبائل المتصارعة، حيث تنصب الخيام عند الفجر من كل جانب في المكان المحدد، ومع كل طرف حيوانات للتضحية "تغرسى"، حيث تلتئم الجماعتان. ويتم تحضير الطعام لإجماعن (الجماعة)، إذ يتناول كل الوجهاء المجتمعين الطعام في الخيام بالتتابع، وبعدها يتم التطرق لشؤون القبيلتين، في حين ينتظر سكان العشيرتين القرارات بعيدا على طرفي قطعة أرض محايدة⁹⁶، وإذا توصل الخصمان إلى اتفاق سلام يتم التضحية بالذبائح وتقام الاحتفالات⁹⁷.

3 - الذبيحة بمواسم الطوائف الصوفية الشعبية

تختلف طقوس الذبيحة المنظمة بمواسم الزوايا مقارنة بالتي تقام بجوار الأضرحة والمزارات الطبيعية، فالذبائح التي تهديها القبائل للزوايا في المنطقة خلال القرن 20م اتخذت عدة أشكال، تكون أحيانا هدايا تطوعية تقدمها القبائل للزوايا خلال زيارتهم الجماعية للزوايا، وتتم خلال جني المحاصيل الزراعية والتي تسمى بالزيارة أو العادة أو التعريكية⁹⁸. وتكون أحيانا ذبائح تقدمها الطوائف الصوفية للزوايا، كالتي تهديها الطائفة الحمدوشية أو العيساوية للزاوية الشرقاوية، وتكون الغاية من الذبيحة في هذه الحالة، ممارسة طقوس عادة الذبيحة ونيل البركة. وهناك صنف ثالث من الذبائح مرتبط بالضرائب التي كانت تفرضها الزوايا على القبائل مقابل حمايتها من القبائل الأخرى أو من المخزن، رغم أن هذه الزوايا لا ترغم هذه القبائل على دفعها، وإنما يكون ذلك بمحض إرادتها، كالتي تقدمها قبائل آيت تكلال لشرفاء ابزو.

وتحدث لنا بعض شيوخ السماعلة وبني زمر أن سكان المنطقة كانوا يهدون التعريكية للقوات الفرنسية عند حلولهم بالمنطقة كرمز للخضوع والاستسلام، ودعمت وثيقة ترجع إلى سنة 1911م هذه الرواية، وتفيد أنه أثناء استعراض القوات الفرنسية بمنطقة زعير في شهر يوليوز 1911م بقيادة الكولونيل الفرنسي Branlière، حيث قدمت بعض قبائل زعير ذبائح عبارة عن ثلاثة ثيران للقوات

96 - سعيد كنون، م. س. ص. ص. 59.

97 - نفسه.

98 - كانت التعريكية وفق الأعراف التي كانت سائدة في سهل تادلا. هي عبارة عن هدايا أو قرابين كانت تقدمها قبائل تادلا وغيرها للزاوية الشرقاوية، والعرقب تحيل إلى قطع عرقوب البهيمة، الأمر الذي يمنع من أهديت إليه، تربيتها أو إدماجها في قطعة، أي أنه يجبر على نحرها.

الفرنسية كرمز على استسلامهم.

لا تقتصر الذبيحة على الأضرحة، بل هناك ذبائح جماعية تذبح على أبواب الكهوف والعيون خلال مواسم معينة، وتعرف هذه العادة انتشارا كبيرا بالأطلس الكبير ومن أشهرهم موسم سيدي شمروش سلطان الجن الذي تنظمه قبيلة آيت ميزان، حيث تجتمع القبائل المجاورة سنويا، يعملون على ذبح ثور أسود، يمارس الزوار مختلف الطقوس كشراب الدم، والرقص والجدبة، وتهدف كل هذه الطقوس إلى إخراج الجن من الكهف، والإنصات إلى تكهاناته بما سيقع خلال السنة⁹⁹. وحسب الذاكرة الجماعية، فإن العديد من الطقوس كانت تمارس في مجموعة من المواسم في الأطلس المركزي، خاصة عند قبائل آيت محمد وآيت بوكماز وآيت بولي وآيت سخمان، وتشبه في طقوسها تلك الممارسة في موسم سيدي شمروش ناحية مراكش.

4 - الذبيحة المواسم اليهودية وأدوارها الاجتماعية

تشكل الذبيحة بالمواسم اليهودية بالأطلس المركزي، عنصرا أساسيا في طقوس الموسم اليهودية، ولا تختلف طقوس الذبيحة بالمواسم اليهودية عن المواسم الإسلامية، باستثناء ما هو متعارف عليه في الذبح عند اليهود، ويعتبر الحزان المختص الوحيد بتدبير الذبيحة منذ بدايتها إلى نهايتها، لأنه يعرف شروط تلك العملية بعناية كبيرة.

ومن أهم طقوس الذبيحة اليهودية تحضير الوليمة الجماعية "بالزاوية"، التي يأكل منها الضيوف ويأخذون معهم جزءا منها "الباروك"، وتقتصر أدوار الذبيحة في المواسم عند اليهودية على البعد الديني والروحي، وقد تحدث لنا الحزان مخلوف مقدم الضريح ربي اتسحاق هليلفي ببزو، أن طقوس الذبيحة، هي طقوس تعبدية كغيرها من الفرائض الدينية.

ونظرا لمكانة الذبيحة وقدسيتها جعل الآلاف من اليهود يتقاطرون على الهيلولة من دول كالولايات المتحدة وأوروبا وإسرائيل... وما يميز الذبيحة عند اليهود بالمنطقة خلال مواسم الهيلولة، منح جزء من لحومها للمسلمين الحاضرين، خصوصا أن هؤلاء الأولياء يزورها المسلمون واليهود معا، وذكر louis

99- WESTERMARCK Edward, op. Cit. V.1, p. 283.

voinot عددا مهما من أسماء الأولياء يشترك في زيارتهم المسلمون واليهود المغاربة معا¹⁰⁰. وفي نفس السياق، تحدث لنا أحد أفراد الطائفة الجلالية بقلعة السراغنة أنه كان يقوم بمعية مجموعته، بإحياء ليالي الجذبة والذبيحة في العديد من مواسم الطائفة اليهودية في كل من دمنات وبرزو وفم الجمعة، وكانت زوجة الحزان مخلوف أبي تبول "سارة" تنظم الليلة الجليلية في منزلها ببرزو كل سنة تقريبا¹⁰¹.

5- طقوس الذبيحة بالمواسم الراهنة بالأطلس المركزي

تتميز طقوس الذبيحة في المواسم المعاشة بالأطلس المركزي بالتنوع والغنى الثقافي والغرابية، حاولنا وصف بعض هذه طقوس الذبيحة في مناطق مختلفة من الأطلس المركزي سهل تادلا المجاور بما فيها المواسم اليهودية ، والذي من شأنه أن يتيح لنا المقارنة والخروج باستنتاجات وخراسات علمية.

5 - 1 الذبيحة بموسم سيدي علي بن إبراهيم بدير الأطلس المركزي

يقام موسم سيدي علي بن إبراهيم بمناسبة عقيقة النبي الكريم في قبيلة بني عياط بأكرض تزوره القبائل المجاورة (آيت عتاب، بني موسى، آيت بوزيد، ارفالة...)، وبعض قبائل "بني حسان وأهل الشاوية"، ويخصص اليوم الثالث من الموسم لنحر الأضحية "تيغرسية"، حيث يكون الجميع موجوداً قبالة الضريح بعدما غادر عامل الإقليم المكان، يطلق النساء زغاردهن من فوق سطوح البنايات. عند وصول موعد نحر الأضحية يظهر شخص سنه بين الستين والسبعين، وفي يده علم أبيض، وفي يده الأخرى عصي، يتبعه شاب في يده سكين ، وفي يده الأخرى حبل. يتجه الناس إلى المكان الذي ظهر منه هذان الشخصان، يهتفون بصوت عالي "يا الله - يا ستر الله"، إنها الذبيحة التي يقدمها بني حسان إلى جدهم سيدي علي بن إبراهيم تكريما له وتيمنا ببركاته، وتجديدا للعهد الذي كان يربطهما. تهافت الكل (أهل الراوية، أصحاب الأضحية) من شيوخ وأطفال وشباب فاتجهوا بالثور، بسرعة إلى الضريح، واقتحم الجمهور الغفير ومعهم الثور باب الضريح وصولا إلى القبلة، ثم خرجوا به مرة أخرى إلى مكان الإنطلاقة من جديد، وعاودوا الكرة ثانية، وفي المرة الثالثة بدأت الدماء تظهر في أيدي وملابس

100- VOINOT Louis. Pèlerinages judéo-musulmans du Maroc..., op. cit. p p. 50- 140.

101 - رواية شفوية، محمد الغياط، من مدينة قلعة السراغنة، أحد عناصر طائفة جلالة بالسراغنة، عمره 70 سنة، بتاريخ 23 ماي 2021.

الزوار، وبعد اقتربهم من الضريح، بدأ ثور بني حسان يسقط. وبدأ الجمهور، الرجال والنساء والأطفال يتدافعون بوضع أيديهم في الجرح وبتر شيء من زغبه.

سقط الثور أرضاً بباب الضريح، وبدأ الناس يرجعون أدرجهم تاركين المرابطين البوزيدين في قمة أكرض الجميلة، وكلما نظرت إلى ملابس بعض النساء والأطفال وحتى الشباب منهم إلا وعلامة دم فيها، إنها البركة. وبعد ما غادر الزوار المكان تم توزيع المعروف بين العائلات المرابطة، وقاموا بضيافة وإكرام بني حسان بوليمة نهاية موسم الولي الصالح سيدي علي بن إبراهيم. وفي صباح اليوم الموالي يرجع بني حسان أدرجهم في انتظار الموسم القادم.

ونظرا لموقع ضريح سيدي علي بن إبراهيم في مجال الدير، فإن الزوار المتوافدين عليه يأتون من مناطق الدير كبني عياط باعتبارهم حفدته، وقد كانت تربط جده هؤلاء مع الولي علاقة صداقة. ومن المناطق الجبلية قبيلة آيت عتاب وتربطهم بالولي علاقة نسب من مولاي عيسى بن إدريس أحد أولياء آيت عتاب المشهورين، ومن المناطق السهلية قبيلتي أولاد إيلول وأولاد الجابري من أولاد موسى. ومن الشاوية حيث استقر ابنه الولي سيدي المكّي ودفن هناك.

يعتبر بني حسان وادي زم الوحيدون من القبائل المواظبة على تقديم الذبيحة وزيارة الضريح كل سنة، تقدم القبائل ذبائح تتراوح ما بين ثور وكبش وأحيانا ناقة، كما تفعل بعض قبائل الشاوية، كما يقدم أحيانا بعض الأفراد أو الأسر ذبيحة من الدجاج أو غنما وماعزا كهدية للولي. يتكلف الحفدة بنحر الأضحية وأعدادها ثم توزيع لحومها على الفخذات الثلاث بالتساوي، والتي تتولى بدورها توزيع الحصة على الأسر دون اعتبار لعدد أفرادها¹⁰².

لم يقدم لنا المستجوب سبب تباين حجم ونوع الذبيحة بين القبائل الزائرة للولي. ولكن حسب اعتقادنا فالأمر مرتبط بطبيعة العلاقة الدينية والتاريخية بين الولي وتلك القبيلة، أكثر منها بوفرة القطيع أو بسبب آخر. ومن طقوس الذبيحة عند حفدة سيدي علي بن إبراهيم، بعد تقسيم الأدوار بينهم: ذبح الأضحية، رفع "العلام" (بسكون حرفي اللام والعين) ويكون عبارة عن قطعة قماش لونه أخضر محمول على علم من معدن النحاس أو من الخشب، كتبت عليه عبارة "لا إله إلا الله"، وتوكل إلى

102- رواية شفوية، المهدي شوقي، عمره 48 سنة، حاصل على البكالوريا عاطل عن العمل؛ والدحمان صالح المزاد سنة 1947؛ وجعفر أحمد المزاد سنة 1939، كلهم من حفدة سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط. تم إجراء المقابلة بتاريخ 01-05-2019.

أحد الحفدة رفع هذا "لعلام"، وقد أخبرنا المستجوب أن المكلف بهذه المهمة، قد وافته المنية، لكنه لم يخبرنا عن شروط اختيار من يخلفه، ويتولى القيمون على الضريح (القبالة) عملية بيع وتوزيع باقي الهدايا الأخرى من شموع وماء زهر وقماش ودجاج¹⁰³.

الصورة رقم 22 : الذبيحة بموسم سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط¹⁰⁴



5 - 2 الذبيحة موسم سيدي لحسن أوحساين بجبل ايت عتاب*

يتواجد ضريح هذا الولي الصالح وسط الغابة، على الطريق الرابطة بين آيت عتاب وشلالات أوزود، يعرف هذا الموسم بـ "الموسم ن - أكرام"¹⁰⁵. عندما يقترب الموسم يتم شراء ثور كبير من طرف السكان، الذين يجمعون تبرعات من القبائل المجاورة، وجمع الحبوب لتحضير الكسكس (ما بين عشرين وأربعين

103- رواية شفوية نفسها.

104 - تصوير شخصي.

105 - يقصد "بأكرام" جمعها "إكرامن" الولي الصالح، كما نطلقه تجاوزا على أبنائه وحفدته بصفة عامة. ويحتل "أكرام" مكانة خاصة في ذهنية الساكنة المحلية، نظرا للأدوار الروحية والاقتصادية والاجتماعية التي لعبها الأولياء في الأطلس المركزي، وبما يظلمون به من مهام التحكيم، سواء بين الأفراد أو بين الجماعات في حالة نشوب نزاعات أو صراعات، وما تكتسبه أضرحتهم بعد مماتهم، من قدسية تساعد على حل كثير من المشاكل المتعلقة بأمن الأفراد، وبالمنازعات الجنية، وكثيرا ما تكون مزارات تنعقد حولها مواسم سنوية لا تخفي أهميتها الاقتصادية، أنظر : علي صدقي أزيكو، مادة "أكرم"، معلمة المغرب، ج. 2، ص. 609.

عبرة [عبرة تساوي 26 كيلوغرام] من حبوب الشعير والقمح، وما بين عشرين وثلاثين لترا من زيت الزيتون¹⁰⁶ وتنظمه فخذة آيت إغرم من مشيخة (آيت أمعلا / آيت عتاب).

يقاد هذا العجل في موكب ضخم وسط الغابة في المكان الذي يعرف لدى الساكنة المحلية "(بعين أو أغبالو - ن - تغروط) (أي عين الكتف)¹⁰⁷". وبمجرد وصول الموكب لتلك العين، يتم بتر الأذن اليمنى للثور، ويبدأ الطواف من اليمين إلى اليسار حتى تختلط الدماء بماء العين، ثم ينطلق الموكب من جديد إلى أن يصل باب الضريح، ويطاف به ثلاث مرات حول الضريح، ثم يذبح تحت التهليل والتبريك ويترك ليقوم بعد النحر، ويقسم "المعروف"¹⁰⁸ بعد طهيه داخل "أكرام" على عدد الأفراد الحاضرين. و للإشارة، فإعداد الأضحية، يتم بطبخ جميع لحومها، ويحرم إخراج اللحم من حرم الضريح نيئة قبل طبخها، وهكذا توزع لحوم الذبيحة كاملة على كل الحاضرين في وقت الغذاء، وتعتبر هذه الوجبة باروكا ينتفع به الجميع. لا تقتصر الذبيحة داخل الضريح على مناسبة الموسم أو على ثور هذه المناسبة، بل يقبل الزوار على نحر الأضاحي طيلة يوم الموسم، وقد تكون الذبائح من الغنم أو الماعز¹⁰⁹.

5 - 3 الذبيحة في هيلولة سيدي "مول البرج" ببلدة ابزو

تشبه طقوس الذبيحة بالهيلولة اليهودية تلك الممارسة في باقي أضرحة ومزارات الأطلس المركزي، ففي موسم هيلولة سيدي "مول البرج"، "ربي اسحاق اسرائيل هليفي"، تقتني كل أسرة يهودية أضحياتها، ويتولى الحزان وحده عملية ذبح الأضحية وتحضيرها، لكونه على معرفة بشروط تلك الطقوس التي يحرص على القيام بها بعناية كبيرة. وبعد تنظيف الأضحية من قبل الحزان، تتناول أسرته جزءا من لحمها أو تمنحها كلها للزوار اليهود والمسلمين.

يعتبر تحضير الوليمة الجماعية من أهم طقوس ذبيحة الهيلولة بالأطلس المركزي، وجرت العادة بموسم مول البرج بابزو مثلا، تناول الضيوف جزء من لحم الذبيحة ويأخذون معهم جزءا آخر إلى منازلهم

106 - رواية شفوية، المقدم صالح آيت أمرغاض، من قبيلة آيت أمعلا آيت عتاب، عمره 80 سنة، رواية بتاريخ 04 أبريل 2013.

107 - يقصد ب "تاغروط" في الأمازيغية، عظم الكتف، المستعمل أياض في الطقوس السحرية، ربما يرجع الاسم الطبونيمي لهذا المكان للطقوس التي تقام فيه خلال نحر الذبائح المقدسة، وربما سمي بهذا الاسم نظرا لشكله التضارسي الذي يشبه الكتف.

108 - يقصد ب "المعروف"، الطعام الذي يقدمه شخص أو عائلة أو عدة عائلات مجتمعة بمناسبة ولادة، أو في حالة الجفاف أو لطلب العون الإلهي وهو له قبل كل شيء طابع ديني، باعتبار أنه مأدبة قربانية، فثمة دائما أضحية تنحر قرب ضريح الولي أنظر، (دوتي، الصلحاء... م س، ص. 326-327).

109 - رواية شفوية مشار إليها، المقدم صالح آيت أمرغاض.

يسمى "الباروك". وكانت طقوس الذبيحة بالهيلولة اليهودية منتشرة بالأطلس المركزي قبل هجرة اليهود إلى الخارج، تتم تحت الخيام وفي الهواء الطلق، مصحوبة بالموسيقى التي تؤديها فرق موسيقية تقدم الفرجة للزوار، وهي نفس الظاهرة التي عاينها في عدة مواسم للمسلمين بالمنطقة¹¹⁰.
تعتقد الطائفة اليهودية بكرامات أوليائها، وأهمية طقوس الهيلولة في تحقيق السعادة والرفاهية، والشفاء من الأمراض، حسب رواية مخلوف أبي تبول، حزان ضريح ربيبي إتسحاق بابزو، كان من بين زوار موسم "هيلولة" سيدي "مول البرج" خلال الخمسينات، إحدى البنات من بلدة بزو تدعى السعدية، وهي يتيمة، لا تأكل اللحم منذ صغرها، وفي أحد الأيام قصت السعدية بيت "مخلوف" لتطلب من زوجته "سارة" القليل من الفلفل الحار والطماطم، فأعطتها "سارة" ما هي في حاجة إليه، ووجدت حينها "مخلوف" بصدد ذبح ثور الهيلولة، وسألها مخلوف من سيأكل معنا لحم هذه الذبيحة، فدعاها للدخول إلى حرم الضريح. وبدأ يتلو عليها مقاطع من كتاب التوراة، ودخلت السعدية في غيبوبة وحيرة وجذبة. لما استفاقت طلبت من مخلوف أن يعطيها قضيبا من اللحم المشوي فأكلته، وحثت مشكلتها وأصبحت تأكل اللحم منذ ذلك الحين. وعندما همت بالانصراف منحها بعض اللحم "كباروك"، ودعا لها بالزواج والأبناء، وفعلا تزوجت السعدية وورزقت أطفالا¹¹¹.

5 - 4 الذبيحة بموسم الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد

تسمى الذبيحة بالعادة أو "التعركيبة" في موسم الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد بسهل تادلا المجاور للأطلس المركزي، ومن مميزات ذبيحة هذه الزاوية، مواظبة الفرق الصوفية الشعبية على تنظيم موكب العادة، وهذه الطوائف هي حمادشة، وجيلالة، وعيساوة. وخلال تنظيم الموكب، تسير حشود الزوار وراء الذبائح، التي تقدمها القبائل، أو تهديها الطوائف الصوفية الشعبية للولي يكون الموكب مصحوبا بالجدابة وبالموسيقى العيساوية، والجيلالية والحمدوشية.
تتميز الطائفتين العيساوية والحمدوشية بشراستهما وعنقهما في حالة جذبة، وكرهما للونين الأحمر والأسود¹¹². لذلك يشعر الزوار بحماس كبير صبيحة يوم الذبيحة لمشاهدة طقوس التعركيبة،

110 - رواية شفوية مشار إليها، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا بيزو.

111 - نفسه.

112- Brunel Paul, op. Cit. p p. 130, 38.

وعادة ما تتساءل النساء ما إذا كان لون ملابسهن أكثر احمرارا وسوادا، وفي نفس الوقت، تستعد "المقدمات" و"الشوافات" للمشاركة في الموكب.

تمسك المقدمات الجلايات والعيساويات والحمدوشيات وحتى الكناويات أواني مملوءة بالحليب المعطر بأوراق الورد يرش به مختلف زوايا ضريح سيدي امحمد الشرقي، ومن حين لآخر، يتفضل أحد الزوار بشرب هذا المشروب المبارك. ترتدي مقدمات الطوائف الصوفية الشعبية ملابس بيضاء، وتلك شروط ضرورية أثناء طقس العادة. في انتظار انطلاق الموكب، يأخذ الزوار في الاستعداد والترقب.

في ذلك الجو من الترقب والانتظار وتعطش الزوار للمشاركة في موكب العادة، يشتغل رجال الدرك في خفاء شديد على طول المسار المخصص لمرور موكب العادة. يتحركون ذهابا وإيابا عبر سيارة "جيب - Jeep"، لإفساح الطريق الذي سيمر منه الموكب، وحوالي الساعة العاشرة صباحاً، انطلق الموكب من باب الضريح.

تتقدم حشود من زوار الموسم مصحوبين بمعزوفات موسيقية، وفي كل لحظة ترى فرار مجموعات صغيرة من المتفرجين عندما يقترب منهم شخص في حالة جذبة والمعروف لديهم بالمجذوب. يكون الرجال والنساء معا في حالة جذبة، يتخلفون باستمرار الموكب، ويندفعون نحو الجمهور، يركضون وينتزعون كل شيء ذو لون أسود أو أحمر، يهاجمون كل شخص حافي القدمين. في هذا الجو الغريب، يبادر بعض الأشخاص إلى التقدم، والانفصال عن الموكب، متوجهين نحو ضريح الولي، وعيونهم منهكة، وقد ملكهم الشيطان حسب تصريحهم.

يتوجه بعد ذلك بعض من حفدة الولي صوب الثور، يستعدون لذبحه، يحاولون إسقاط الثور المقاوم، وبضربة متقنة يتم قطع حلق الثور، وفك القيود عنه، يندفع منحنى الرأس، ينطلق الزوار لمطاردته، والطواف به حول الضريح، وتعتبر هذه اللحظات وقتا مناسباً لخروج المجاذيب من الضريح والركض نحو الذبيحة وقد أدخلوا أفواههم في عنق الثور للارتواء من دمها، ويتوجه المجاذيب ووجوههم ملطخة بالدماء، نحو الجماهير، وخاصة النساء، يقبلونهن ويتلمسونهن لنقل بعض بركة ذبيحة الولي الشرقاوي لهن.

وعندما يرتوي كل المجاذيب من موكب الذبيحة، يقتحم بعض الأشخاص من الجمهور ذلك المكان، ومن جملة ما شاهدته في موسم سيدي امحمد الشرقي، ركض امرأة بطفل مشلول تفرك أطرافه بهذا الدم المبارك، ولنفس الغاية فعلت امرأة أخرى مع طفلتها المشوهة. وفي تلك الأجوائية الاحتفالية، يبقى حفدة الولي سيدي بوعبيد الشرقي، على مسافة من الزوار، ويشرعون في تقطيع لحم الثور، الذي

يقسم فورا، أو يباع لفائدة الزوار " كباروك" ¹¹³.

تكون النهاية الحتمية للموسم، بانقضاء طقس الذبيحة العادة، وتفرغ ساحة الموسم بشكل نهائي، ويشهد التنافس بين أصحاب وسائل النقل لنقل الزوار لمنازلهم. تتميز نهاية طقوس الذبيحة الذي يؤشر لنهاية الموسم، بازدهام كبير في مداخل الموسم، وفي زيادة تعسفية لأسعار التنقل، مما يخلق لدى الزوار تدمر عارم، ومن تم تتراجع مشاعر التضامن الأخوة من جديد.

إن المشاركة في موسم سيدي امحمد الشرقي بالنسبة لبعض النساء من الطائفة الحمدوشية ¹¹⁴ اللواتي التقيتهن هناك، صرحن أنهن مواظبات على زيارة موسم سيدي امحمد الشرقي، رغم أن الزيارة حسب تعبيرهن، ليست واجبا روحيا بالنسبة إليهن، وليست لهن روابط مع شيخ الزاوية والقبيلة. وعلى الرغم من ذلك، فإنهن لا يزلن يقدمن هدايا من قبيل الشموع وبعض القطع النقدية. والواضح أن زيارتهن في الأيام العادية تناسبهن أكثر من الزيارة خلال الموسم لنيل البركة. وقد عبرت لي إحداهن عن قلقها وضيقها بسبب تدافع الحشود، واعترفت لي أنها تفضل مكانا خارج نطاق الموسم، إن الهدف الأول بالنسبة لهن، زيارة الموسم وليس الاحتفال الجماعي بالولي.

تقصد هذه النساء أساسا الموسم لحضور طقس العادة "التعركيبة". وتعتبر المشاركة في موسم سيدي امحمد الشرقي كباقي الموسم المشهور وطنيا بطقوس العادة، كما هو الحال بالنسبة لموسم مولاي إبراهيم بالقرب من مدينة مراكش، ومولاي إدريس في مدينة فاس، وسيدي محمد بن عيسى في مدينة مكناس. وفي هذا السياق صرحت لنا بعض النساء، اللواتي أجريت معهن حوارا في هذا الموضوع، أنهن عندما تكون لديهن الوسائل المادية، يفضلن الذهاب إلى المواسم الوطنية المشهورة المشار إليها. وأكدت هذه النساء إلى أن الذبيحة عند الطائفة الكناوية والحمدوشية والعيساوية لا تقتصر فقط على المواسم الكبرى جهويا ووطنيا، وإنما يتم تنظيم ليالي تمارس فيها طقوس عدة متشابهة بين الطوائف المشار إليها ¹¹⁵.

113 - تباع في الموسم ، ب 40 درهم للكيلوغرام، في حين أن السعر الحالي هو 32 درهم للكيلوغرام الواحد.

114 - مقابلة شفوية، ثلاث نساء يمارسن الذبيحة الصوفية ويشاركن في المواسم التي تتضمن طقوس جيلالة وحماذشة وكناوة وعيساوة.

مستقرات بمدينة بني ملال . مقابلة بتاريخ 13 يناير 2017م.

115- Fenneke REYSOO, Des moussemes ... , op. cit. p. 103,104.

6 - واقع طقوس الذبيحة بمواسم الأطلس المركزي وردود الفعل

6 - 1 واقع طقوس الذبيحة بمواسم الأطلس المركزي مطلع القرن 21م

مازالت بعض المواسم بالأطلس المركزي تعرف انتشار طقوس الذبيحة إلى يومنا، رغم أن معظم المواسم في المنطقة توقفت فيها طقوس الذبيحة، بفعل عوامل عدة أولها: تراجع الأدوار السياسية والاجتماعية لمؤسستي القبيلة والزاوية ومعها الولي. والعامل الثاني، يتمثل في كون مؤسسات الدولة الحديثة هي التي تنظم المجال في إطار سياسية إعداد التراب. والعامل الثالث، يكمن في التحولات الثقافية التي يعرفها الشعب المغربي، بفعل المدرسة، والإعلام، والاحتكاك بالبلدان الأخرى. أما العامل الرابع والأخير، يتجلى في المد الإسلامي المتشدد، غير المتسامح مع مثل هذه الطقوس، التي يعتبرها أنصار هذا التيار من البدع التي يجب محاربتها.

الجدول رقم 9: المواسم التي تعرف طقوس الذبيحة بالأطلس المركزي

اسم الموسم	التوطين الجغرافي	تاريخ التنظيم
موسم مولاي بوعزة	إقليم خنيفرة جماعة مولاي بوعزة	ينظم ابتداء من 21 مارس
موسم سيدي علي بن إبراهيم	دوار أكرط، جماعة بني عياط إقليم أزيلال	يقام من 15 إلى 18 ربيع الأول.
موسم سيدي عبد الله بن أحمد	جماعة أفورار إقليم أزيلال	خلال شهر أكتوبر
موسم عيساوة وحمادشة	مدينة دمنات إقليم أزيلال	يقام خلال شهر غشت من كل سنة عن طريق التناوب بين الطائفتين.
معروف الساقية	دوار أيت أمغار / دمنات إقليم أزيلال	شهر غشت
موسم الولي الصالح سيدي الطيبي	ناور جماعة القصيبة إقليم بني ملال	شهر شتنبر

قادر على الانتقاد لخوفه وشكه في خوارق وكرامات ممارسي هذه الطقوس، وبين الإنسان المثقف العارف الذي يعتبر البعض منهم طقوس الذبيحة رمزا من رموز التخلف والشعوذة والشرك، خاصة المتشبعين بالفكر الأصولي والسلفي، وبين بعض المثقفين الذي يعتبر هذه الطقوس رمزا للهوية الوطنية وتراثاً مادياً وغير مادي، يتطلب الحفاظ عليها واستثمارها في تحقيق التنمية المحلية.

والملاحظ أن رفض طقوس الذبيحة بالمواسم لم يكن وليد اليوم، وإنما لم يتوقف ربما منذ الفتح الإسلامي للمنطقة كما أشرنا إلى ذلك في السياق التاريخي، غير أن هذا التنديد الاجتماعي الصارم لطقوس الذبيحة، ارتبط بالمد الوهابي السلفي خلال القرن 19م، خاصة بعد تبنيه من قبل السلطان مولاي سليمان والفقهاء¹¹⁹ باعتبار ذلك من البدع¹²⁰.

عملت الدولة بعد حصول المغرب على استقلاله سنة 1956م، على رعاية للعديد من الطقوس والعادات كطقوس الذبيحة والاهتمام بها باعتبارها تراثاً وطنياً، يستقطب فئة مهمة من المغاربة، حيث أن تشجيع طقوس هذه الفئة، يمكن أن يضمن التوازن بين السلفين المتشددين والمتصوفة المعتدلين. وهكذا، أصبحت طقوس الذبيحة تحظى بمتابعة إعلامية كبيرة وتسهر الدولة على ضمان إقامة هذه الطقوس.

إلا أنه في السنوات الأخيرة زاد استنكار العديد من الجمعيات لطقوس الذبيحة، بدعوى مخالفتها للدين الإسلامي، ولا تحترم مبادئ الرفق بالحيوان، وأمام تزايد هذا الرفض الواسع قررت السلطات المحلية منع بعض طقوس الذبيحة التي أثارت الرأي العام المغربي والدولي، وعلى سبيل المثال، منعت السلطات ممارسة طقوس ذبيحة الولي الصالح مولاي إبراهيم بمراكش سنة 2018.

لاحظنا من خلال التعليقات الواردة في المواقع الإلكترونية الإخبارية¹²¹ بخصوص الذبيحة في المواسم، أن أغلب هذه التعليقات تتضمن عبارات استنكارا ورفض لمثل هذه الطقوس، خاصة تلك

118- ترفض الطائفة التجانية جل الطقوس الممارسة في المواسم والزوايا باعتبارها بعيدة عن الكتاب والسنة.

119- أنظر : الشيخ امحمد المنالي الزبدي، سلوك الطريقة الوارية بالشيخ والمريد والزوايا، دراسة وتحقيق وتقديم نعيمة بنونة وأحمد الشراوي، المطبعة الورقية الوطنية، الجزء الأول، الطبعة 1، 2010.

120- البدعة عند المتصوفة ما حدده شيوخ التصوف في طريقة ما، بينما عند الفقيه كل من خالف التصور السني الذي شرعه الفقهاء، وهكذا الصوفية في طريقة معينة ليست بدعة، لكنها عند الفقهاء بدعة، والذبيحة عند أضرحة الأولياء محكوم فقهاً ببدوعيتها، لكنها عند المتصوفة سلوك ضروري... والحصيلة أن مفهوم البدعة ليس واحداً في كل التراث.

121- الموقع الإلكتروني Casapress.net، بتاريخ 18 يناير 2017.

الطريقة البشعة التي هاجم بها زوار موسم الوالي مولاي إبراهيم، جملا في نواحي مدينة مراكش باستعمالهم السواطير والسكاكين لنحره ثم التهام لحمه نيئا. ووصفت تلك الطريقة بالمتخلفة، والتي لا تساير التطور الذي يعرفه المجتمع المغربي على كافة المستويات، ودعا المسؤولين إلى التدخل لوضع حد لهذه الشعوذة التي يتعاطى لها بالخصوص بسطاء الناس.

استعرض موقع إلكتروني إخباري آخر¹²² بعض الطقوس في موسم (الوالي مولاي بوعزة)، من قبيل أداء رقصات غريبة، وشرب الماء المغلى، وانقضاض الجذابين على عنزة حية و تمزيقها بأسنانهم وأكلها حية دون أن يثير ذلك رد فعل من جانب صاحب المقال، كما يحدث في مواقع أخرى التي يرى أصحابها في مثل تلك الطقوس ضرباً من التخلف.

مجمل القول، يتضح أن الأضحية الجماعية التي تنحر بمناسبة المواسم الزراعية القديمة، كانت ظاهرة معروفة بالأطلس المركزي على غرار باقي بلدان شمال إفريقيا. وكانت مواعيد إقامتها يتزامن مع نهاية دورة الإنتاج، أو أثناء مراحل التحضير لسنة زراعية جديدة. وقد ارتبطت طقوس هذه الظاهرة بغايات تحقيق الخصوبة. وكان للحركة الصوفية دور كبير في إدماج جل الطقوس القديمة وخاصة الذبيحة الوثنية في مذاهبها الصوفية، والغالب أن البدايات الأولى لارتباط الذبيحة الوثنية بالحركة الصوفية، يعود إلى فترتي حكمي الموحدين و المرينيين، بيد أن الارتباط القوي والانتشار الواسع لطقوس الذبيحة، بالزوايا والطرق الصوفية حصل بعد القرن 15م.

علاوة على ذلك، لم يكن يقتصر دور الذبيحة الجماعية بمواسم بالأطلس المركزي، بما فيها مواسم الطائفة اليهودية، على ممارسة الطقوس الهادفة لتحقيق الخصوبة، بل لعبت أدواراً تاريخية مهمة قبل فرض الحماية على المغرب سنة 1912م، حيث أن جل القرارات الحاسمة والمعاهدات المبرمة بين القبائل، وتدبير أمورها اقتصاديا وسياسيا، ترافقها احتفالات وعمليات ذبح الذبائح.

وفي ختام هذا المبحث، نشير إلى أن طقوس الذبيحة بمواسم الأطلس المركزي، عرفت تراجعاً تدريجياً منذ النصف الثاني من القرن 20م لسببين على الأقل، يتمثل الأول، في التحولات السوسيواقتصادية التي شهدتها المغرب خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، والتي نتج عنها تغيير

122- الموقع الإخباري الإلكتروني، أنور بريس، بتاريخ 21 دجنبر 2019.

حاجيات الساكنة المحلية. في حين يكمن السبب الثاني في تنامي ظاهرة الإسلام المتشدد تجاه طقوس ذبيحة مواسم الأضرحة والزوايا. وقد خلف هذا الوضع ردود فعل سلبية تجاه تراث الذبيحة الجماعية بهذه المواسم، مما عجل بتراجع الظاهرة محليا وجهويا ووطنيا، ويهدد باختفائها.

خاتمة الفصل السابع

بعد تناول هذا الفصل المتعلق بالعبادات والطقوس الاحتفالية بمواسم الأطلس المركزي خلال القرن 20م وبداية القرن 21م. ظهر لنا أن تاريخ ارتباط المواسم الزراعية القديمة بكل من الحضرة والأضحية الصوفيتين كان منذ القرن 12م، إلا أن البداية الفعلية والرسمية لهذا الارتباط كانت خلال القرن 15م وبداية القرن 16م، حينما سمح بعض شيوخ الزوايا بالأطلس المركزي بممارسة العديد من الطقوس وخاصة الرقص والذبيحة.

بيد أن بداية الانتشار الكبير لظاهرتي الحضرة والذبيحة الصوفيتين بمواسم الزوايا والأضرحة بالأطلس المركزي كان منذ القرن 18م، نتيجة ظهور طرق صوفية شعبية معروفة بممارستها لمثل هذه الطقوس. وقد تزايد نفوذ هذه الطوائف الصوفية الشعبية على حساب الطرق الصوفية التقليدية كالناصرية، والحنصالية، المعروف عنهما معارضتهما لكثير من الممارسات الصوفية.

تقام ممارسة طقوس كل من الحضرة أو الرقص الصوفي، والذبيحة بمواسم الأطلس المركزي، وفق مراسيم وعبادات تبدو في مظهرها متشابهة، لكنها في نفس الوقت متباينة من حيث جوهرها وأهدافها حسب خصوصيات طقوس المنطقة والطريقة الصوفية، حيث أن لكل طقوس الرقص أو الحضرة والصوفية والذبيحة دلالاتها وأبعادها الروحية والرمزية، التي تمنح شرعة لممارسة هذه الطقوس.

وقد عرفت طقوس الحضرة الصوفية والذبيحة بمواسم الأطلس المركزي تراجعاً مستمراً منذ بداية القرن 20م، بفعل مجموعة من العوامل المرتبطة من جهة، بالمد الإسلامي المتشدد، بزعامة الفقهاء المنددين بمثل هذه الطقوس، ومن جهة أخرى، بفعل التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها المغرب خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، والتي أفرزت حاجيات جديدة للساكنة المحلية. لهذه الأسباب وغيرها دور كبير في تزايد المواقف العدائية تجاه طقوس الحضرة والرقص الصوفي والذبيحة المرتبط بالمواسم الاحتفالية، مما يهدد استمرار هذا الموروث الثقافي العريق.

الفصل الثامن

الفصل الثامن: الأدوار الاقتصادية للمواسم بالأطلس المركزي خلال ق 20 ومطلع ق21

الأدوار الاقتصادية للمواسم قبل الاحتلال الفرنسي

البحث
الأول

تطورات الأدوار الاقتصادية والتنمية للمواسم والهرجانات
خلال القرن 20 وبداية القرن 21

البحث
الثاني

دور المواسم والهرجانات في تحريك التجارة الرمزية المرتبطة بالبركة

البحث
الثالث

واقع البادلات التجارية في مواسم الأطلس المركزي

البحث
الرابع

مقدمة الفصل الثامن

تعتبر المواسم والمهرجانات الاحتفالية معارض وأسواق سنوية، تمارس فيها مختلف أنواع التجارة، وتشكل هذه التظاهرات فرصة سانحة للسكان المحلية للتزود بحاجياتها من السلع من جهة، وتصريف منتجاتها الفلاحية والحرفية من جهة أخرى. هذه الأدوار الاقتصادية التي لازالت المواسم الاحتفالية تلعبها، دفعنا إلى تخصيص فصل شامل في البحث، تطرقنا فيه إلى مختلف المظاهر الاقتصادية للمواسم والمهرجانات وأهميتها في تحقيق التنمية المحلية.

والظاهر أن الأدوار الاقتصادية التي تلعبها احتفالات المواسم عرفت تطورا كبيرا، خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، بفعل التحولات التي شهدتها المنطقة منذ سيطرت الاحتلال الفرنسي عليها. وتستمد المواسم أهميتها الاقتصادية من قدسية الفضاءات التي تعقد فيها، حيث لم تكن تتوقف فيها المبادلات حتى في فترات التوتر بين القبائل. وتشكل هذه المواسم أيضا دور مهما في انعاش موارد الزوايا والأضرحة، بفضل الهدايا والهبات التي يقدمها الزوار خلال انعقاد المواسم وغيرها من المناسبات.

حاول العديد من الباحثين تسليط الضوء على بالأبعاد الاقتصادية للمواسم بالمغرب خلال القرن 20م، باعتبارها أسواقا سنوية تشبه الأسواق الأسبوعية، رغم ما يلاحظ من تباين بينهما، والمتمثل أساسا في تنوع أهداف انعقاد المواسم مقارنة بالأسواق الأسبوعية، حيث تشكل المواسم إلى جانب أدوارها التجارية آلية من الآليات الموروثة والمعتمدة بالأطلس المركزي لتدبير المجال القبلي اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا....

إلى جانب ذلك، تعتبر المواسم والمهرجانات مناسبة لازدهار بعض الأنشطة التجارية المرتبط بالجوانب الرمزية والروحية، كالبركة، والتداوي الشعبي، وكل ما يتعلق بالمقدس...، نظرا للقيمة الرمزية لهذه المبادلات في ذهنية زوار الأضرحة والزوايا. ورغم الأهمية الاقتصادية والتنموية لهذه المواسم والمهرجانات، إلا أن أدوارها الاقتصادية التضامنية في تراجع مستمر بسبب التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي شهدتها المغرب خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، ومع ذلك لابد من دعوة السلطات الوصية إلى دعم هذا التراث الثقافي، في أفق استغلاله كأسمالي رمزي في خدمة التنمية المحلية المندمجة.

المبحث الأول: الأدوار الاقتصادية للمواسم قبل الاحتلال الفرنسي.

كانت للمواسم بالأطلس المركزي أدوار اقتصادية مركزية قبل سيطرة الاحتلال الفرنسي على المنطقة، حيث كانت هذه الاحتفالات بالنسبة للقبائل، مناسبة لتصريف منتوجاتها الفلاحية والحرفية، وملتقيات للتبادل بين القبائل في السهل والدير والجبل، في مسعى منهم لتحقيق التكامل والتضامن الاقتصاديين. وكان التبادل في هذه الفترة يطغى عليه طابع التضامن والتكامل، ولم تكن هذه المبادلات تعرف توقفا شاملا حتى في فترات التوتر بين القبائل.

وتعتبر المواسم مناسبة للرفع من موارد الزوايا والأضرحة، من خلال الهدايا والهبات التي يقدمها الزوار خلال مناسبات انعقاد المواسم أو غيرها من المناسبات، وكانت هذه الموارد تستغل في تحقيق خدمات اجتماعية وثقافية وسياسية لمعوزي القبائل. علاوة على دور هذه المواسم في تدبير الموارد الاقتصادية المحلية، باعتماد آليات وأعراف ناجعة تحل مختلف الإشكالات التي يطرحها تدبير الموارد المحلية وتتماشى مع الخصوصيات المحلية.

1- الأدوار الاقتصادية للمواسم قبل سيطرت الاحتلال على الأطلس المركزي

كانت المواسم بما فيها المواسم اليهودية قبل الاحتلال الفرنسي للأطلس المركزي، مناسبة تستغلها القبائل لتصريف إنتاجها الحرفي والفلاحي، وتبضعها بما تحتاجها من مواد فلاحية وحرفية صناعية أخرى، حيث كانت تعتبر المواسم أسواق سنوية كبرى، على غرار الأسواق الأسبوعية، تروج فيها المنتجات الفلاحية والحرفية، خصوصا وأن المنطقة كان اقتصادها يرتكز على الرعي والزراعة والحركة المرتبطة بالأنشطة الفلاحية خصوصا جلود وأصواف الأغنام والماعز¹. وتشير المصادر إلى أن الأطلس المركزي كان يوفر إنتاجا فلاحيا متنوعا ومهما، كالقمح والشعير، والخيول، والبغال والحمير...². هذا الإنتاج الفلاحي ساهم في ازدهار الأنشطة الحرفية في العديد من المناطق بالأطلس المركزي، وعلى سبيل المثال، كان بناحية دمنات حرفيون يعالجون جلد الماعز الذي تصنع منه الأحذية النصفية،

1 - محمد حجاج الطويل، م. س. ص. 40.

2 - الحسن الوزان، م. س. ص. 175.

وأغطية السروج المطرزة...³، وللإشارة، كانت حرفة الجلود بخلاف الحرف الأخرى غير مشتتة بل كانت مركزة فيما يسمى ب"دار الدباغ"، "كدار الدباغ بني ملال"، "ودار الدباغ تاونزة آيت عتاب" ودار الدباغ دمنات...⁴. وكانت الأسواق الأسبوعية والمواسم والمهرجانات السنوية فرصة سنوية لحرفيي المنطقة لتصريف منتوجاتهم، محليا، بل كانت المنطقة تزود الأقاليم المجاورة بهذه المواد ليصل إلى السودان والأندلس وإفريقية⁴.

من بين المنتوجات الحرفية الأخرى، التي كانت المواسم فرصة لتسويقها، حرفة الخزف أو الفخار، التي تتميز بها بعض القبائل في الأطلس المركزي، وخاصة دمنات، وآيت عتاب، وانتيفة، وآيت بولي... إلى جانب حرفة الفخار، كانت حرف أخرى مزدهرة، كتلك المرتبطة بالخشب والمعادن المنتشرة في العديد من القبائل وخاصة لدى قبائل انتيفة⁵. إلى درجة أنها كانت مشهورة بصناعة الفرجون والقرشال الذي يندف به الصوف، وصناعة المنفاخ (الرابوز)، وكانت من أكثر الصناعات اتقانا بهذه المناطق⁶.

أما بخصوص الحرف المرتبطة بالفروسية، كانت دمنات نهاية القرن 19م في عهد مولاي الحسن الأول، يتواجد بها على الأقل ثمانية من يهود عائلتي ابن شلول، معروفين بإتقانهم لصنع زناد البنادق، وكان صنع البارود والرصاص معلوما عند بعض الإينولتانيين، وكانت الذخيرة المحلية مقتصرة على حشو البارود بقطع صغيرة من جذور الدوم⁷ أو جذور الدفلة "أليلي"، مخلط مع الملح "ملح البارود"⁸. أما حرف النسيج المتعلقة بزبي الفرسان والخيل من البرانيس والجلاليب والسروج، فد ظلت في جل قبائل الأطلس المركزي منزلية وعائلية بالدرجة الأولى، وتعتبر مدينة ابزو وزيان مركز إشعاع بالنسبة لهذه الحرف⁹.

كانت المواد الأولية المستعملة في صناعة هذه المنتجات كاملة، إما تستخرج من عين المكان، أو تجلب من قبائل بعيدة، وتعتبر هذه المنتجات الحرفية بالأطلس المركزي في أغلبها من الضروريات

3 - مارمول كبريخال، م. س. ص. 106.

4 - البيضاوية بلكمال، م. س. ص. 11، 12.

5 - الهادي الهروي، م. س. ص. 80.

6 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 233.

7 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 35، 36، 37.

8 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 241، 242.

9 - الحسن الوزان، م. س. ص. 117.

مرتبطة بالأنشطة الممارسة داخل القبيلة مثل: (المحراث، صفائح الدواب، المناجل، المعاول، الفؤوس وترميم الأواني المكسورة، وكل ما يتعلق بالحداثة). وهكذا تشكل المواسم بالنسبة للحرفيين فرصة لتصريف منتوجاتهم وجلب المواد الأولية التي يحتاجونها.

والجدير بالملاحظة، أن للمواسم بأعالي جبال الأطلس المركزي خصوصيات، تتمثل في كون هذه المواسم ملتقيات سنوية لتبضع قبائل أعالي الجبال التي تعاني عزلة لمدة طويلة، قد تصل إلى 4 أشهر بسبب الثلوج، كما هو الحال عند قبائل آيت بوكماز، وقبائل آيت امحمد، وقبائل آيت عباس، وقبائل غدامة، وقبائل فطاوكة، وقبائل آيت سخمان الشرق، وقبائل آيت حديد¹⁰.

في هذا السياق تحدث القبطان الجزائري عن السوق السنوي لأكدود بأسييف ملول بإملشيل، وأشار إلى دوره الاستراتيجي، بحيث كان يعتبر معرضا حقيقيا ينعقد مدة ثلاثة أيام حوالي 10 شتنبر من كل سنة. ويعد الموسم فرصة للقبائل لتسويق إنتاجها والتبضع بما تحتاجها لمدة تصل إلى أربعة أشهر. كما يغتنمها الشبان لاختيار زوجة من بين الفتيات اللاتي يأتين لأكدود في أبهى زينتهن أملا في إتارة الانتباه والظفر بزوج¹¹.

الصورة رقم 23: نوعية المبادلات التجارية بموسم املشيل خلال الثمانينات¹²



10 - Michaux Bellaire, Archives marocaines ...,op. cit- p.p.112

11 - القبطان سعيد كنون، م. س، ص. 172.

12- Agoudal Que J'aime,

ولم يكن الموسم والسوق مكانا للتزود والتبضع فحسب، بل كان أيضا ناديا سياسيا بامتياز، ففيه تعرض كل المسائل والنزاعات التي تتطلب تدخل الجماعات، أو اللجوء إلى أمغار، وفيه أيضا تعقد وتفسخ العقود والمواثيق، وتنتقل الأخبار، فضلا عن المعلومات المتصلة بسياسة القبيلة والفخدة. وفي السوق والموسم تحضر العناصر المحاربة عملياتها ضد القبائل المجاورة أو أعداء أجانب¹³.

وللإشارة، كانت القبائل الجبلية غير الخاضعة لسلطة المخزن في بعض الفترات التاريخية، تنظم مواسمها، وأسواقها الأسبوعية لغايات اقتصادية وسياسية، وفي الغالب فإن ساكنة هذه القبائل غير الخاضعة للسلطة المركزية المعروفة بـ"أهل السيبة"، لا يتسوقون أسواق القبائل التي كانت خاضعة للسلطة المركزية، بل وينصبون أشياخا منهم مكان العامل، والشيخ يتولى قيادتهم¹⁴.

وعموما، كانت القبائل بالأطلس المركزي تعقد ملتقيات تجارية، مرة واحدة أو عدة مرات سنويا، في نقط على طول الطرق التجارية بجوار الأضرحة، حيث يتجمع فيها الناس من مختلف المناطق، بهدف تصريف منتجاتهم الحرفية والفلاحية، وفي نفس الوقت يعرض بعض التجار الأجانب سلعا من خارج المنطقة. ولعبت الطائفة اليهودية، دورا مهما في تطوير وتنشيط مختلف الحرف بالمنطقة، وتسويقها¹⁵.

الصورة رقم 24: سوق املشيل خلال الثمانيات من القرن 20¹⁶



13 - نفسه، ص. 48.

14 - محمد نجيب الدمناتي، م. س، ص. 36.

15 - أحمد التوفيق، م. س، ص. 244.

2 - أهمية المواسم في تعزيز عائدات الزوايا والأضرحة

لعب الأولياء وشيوخ الزوايا منذ القرن 16م، إلى غاية مطلع القرن 20م، دورا كبيرا في ضمان إقامة المبادلات التجارية خلال انعقاد المواسم، حيث كانت تعتبر فترات انعقاد المواسم فترة سلم وحرمة. لذلك ساهموا في استمرار حرية التجارة والمبادلات، التي كانت القبائل في حاجة إليها¹⁷. واستغل الأولياء وشيوخ الزوايا البعد الرمزي لاحتضان المواسم باعتبارها سوقا سنويا، تتقاطر عليه الحشود من كل القبائل، محملة بهدايا نقدية وعينية، طالبة البركة والشفاء من الأمراض.

لقد حققت الزوايا مكاسب اقتصادية هامة، بفضل الزيارات الموسمية، حيث تتلقى الزيارات والهدايا المتنوعة من القبائل وأتباعها ومريدها، مثل: الزروع والمواشي...، الشيء الذي ساعد شيوخها على تحصيل الأملاك وتكديس الثروات، بل أصبحت بعضها تملك العبيد، ولعل ذلك ما مكن شيوخها من تقديم المساعدات للناس أثناء الأزمات الدورية¹⁸.

لقد كانت أغلب زوايا الأطلس المركزي، تعيش ازدهار اقتصاديا بفضل تلك الهدايا والضرائب التي تقدمها القبائل بعد جني المحصول، وخصوصا في مواسمها الاحتفالية، ومن بين الزوايا بالأطلس المركزي التي استطاعت تكديس الثروات وامتلاك الأراضي الشاسعة، زاوية سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط، وزاوية تانغمت بانتيفة، وزاوية سيدي عبد الخيفتي بآيت اتفركال بأزيلال، وزاويتي أحنصال بأكديم، وآيت مضريف بواويزغت، وزاوية سيدي يحي أويوسف بالقرب من تونفيت...¹⁹.

ومن الحيل التي لجأ إليها بعض شيوخ الزوايا والمتصوفة، للحصول على موارد مادية، الحديث عن كرامات المتصوفة وقدرتهم على تخليص الناس من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، إضافة إلى ممارستهم التسول، حيث لجأ أحد شيوخ الطائفة الدرقاوية إلى طلب من مريديه أن يخرجوا للتسول لمدة معينة حتى يخلصهم من العجب والأنانية²⁰.

17- كان المجال المغربي قبل فرض الحماية تنظمه كل من مؤسسة المخزن ومؤسسة القبيلة، ومؤسسة الزاوية. لكن منذ فرض الحماية على المغرب سنة 1912م، تراجعت أدوار المؤسسات المشار إليها وأصبحت تدخلاتها صورية ورمزية. وبعد استقلال المغرب سنة 1956م، أصبحت الدولة بمؤسساتها الحديثة هي المنظمة للمجال.

18- نفيسة الذهبي، الرباطات والزوايا... م. س. ص. 196.

19 - أحمد التوفيق، م. س. ص. 457.

20 - زكية زوانات، م. س. ص. 294.

وقد استغلت بعض الزوايا هذا الربيع الاقتصادي لبناء مشروعها سياسي بديل، كما وقع مع كل من للزاوية الدلائية والزاوية الناصرية وبعدها الزاوية الحنصالية²¹، حيث استفادت هذه الزوايا من الزيارات والهبات ومواسم بالأطلس المركزي، مما خلق لديها موارد مالية مهمة، حاولت استثمارها لتنفيذ مشروعها السياسي الرامي للسيطرة على الحكم²².

وفي هذا السياق، فقد ساهمت سياسة المخزن أحيانا في تزايد موارد بعض الزوايا التي شجعها، لكونها لا تشكل خطرا سياسيا عليه، و يمكن الاستفادة من قوتها، كما هو الشأن بالنسبة للزاوية الشرقاوية التي تخرى لها المخزن عن جزء من الضرائب²³. لذلك، استفاد الشيخ امحمد الشرقي من دعم السلطات خلال حكم عبد الله الغالب 1557-1574، وعمل على ترسيخ وتوسيع نفوذ زاويته في المجال التادلي. وهكذا، أصبح يمتد نفوذ الزاوية الشرقاوية حتى بلاد الشاوية وتامسنا، بل وتدخل شيوخها في تهدئة صراعات قبلية ووصولهم في طوافهم السنوي من أجل توزيع البركة، وأخذ الفتوح حتى أسفي²⁴. بفعل الأهمية الاقتصادية للمواسم في الرفع من موارد الزوايا، يلجأ المخزن أحيانا إلى منع المواسم والزيارات وحصار الزوايا اقتصاديا، وخاصة الزوايا التي تشكل خطرا على نظام الحكم، وعلى سبيل المثال: حينما تدهورت العلاقة بين السلطة العلوية في عهد المولى سليمان والزاوية الدرقاوية خلال العقد الثاني من القرن 19م، بسبب تنامي نفوذ الطريقة الدرقاوية في الأطلس المركزي خاصة آيت أمالون بعد تبني الطريقة من قبل آل امهاوش وخلفاء أحنصال، أقدم السلطان على مهاجمة الطرق الصوفية وإدانة ممارستها، ومنع مواسمها²⁵، لأن الزوايا الكبرى بفضل مواردها الاقتصادية، أصبحت قوى منيعة تنافس المخزن في بعض الجهات، وخاصة الأطلس المركزي²⁶.

لذلك، شدد السلطان مولاي سليمان حصاره الاقتصادي، بمنعه إقامة المواسم، لإرغام الزوايا على الخضوع، ومنع القبائل من الانخراط في الزاوية الدرقاوية، بل فرض سنة 1813م على قبائل زعير وزمور

21 - Michaux Bellaire, , Archives marocaines ..., op. Cit. p.106

22 - Ibid.

23 - عبد الكريم الجويطي، م. س. ص. 152.

24 - نفسه.

25 - أنظر: خطبة مولاي سليمان. -Fenneke REYSOO, Des moussemes...op, cit, p p 281.752-

26 - قاسم الحادك، م. س. ص. 242.

وورديغة غرامات ثقيلة عقابا لهم على بيعهم الحبوب لآيت أمالو²⁷.

3 - الأدوار التجارية للمواسم والزوايا والأضرحة

كانت مواسم الأطلس المركزي قبل السيطرة الاستعمارية، عبارة عن أسواق تجارية سنوية، ساهمت في خلق رواج تجاري، وكانت تحقق مكاسب اقتصادية للزوايا والأضرحة التي تنظم في الغالب بجوارها. ولم يكن يقتصر هذا الأمر على الأولياء والزوايا الإسلامية، وإنما كان يشمل الأضرحة والمزارات اليهودية²⁸، حيث كان منظمو المواسم يسمحون للتجار اليهود بممارسة أنشطتهم، إلا أنهم كانوا يلزمون بالمكوث في مخيم بالأحواز المجاورة طوال أيام انعقاد الموسم²⁹.

كانت أغلب العمليات التجارية الموسمية في المنطقة تتم في محيط الضريح، الذي يعتبر جزيرة سلم وأمن، وكل شخص ينتهك هذا المكان الآمن يكون عرضة لعقوبات تأديبية، وبفعل قدسية مكان الضريح المحتضن لتظاهرات المواسم التي تعتبر فضاء مناسباً بامتياز للتعاطي للتجارة، يكون التجار محايدين، وغالبا ما يتموقعون على الحدود الجيوسياسية، حيث يستمتع التجار فيها بالحماية الرمزية للأولياء.

ولا غرابة إذن، في كون المواسم تنظم بجوار الأضرحة، لأن الأولياء كانوا يسهرون على حماية الطرق التجارية والتجار خلال انعقاد المواسم في الأطلس المركزي، وقد تحدث ابن الزيات التادلي عن هذه الوظائف التي كان يلعبها الأولياء، ومن بين ما تحدث عنه، أن أبو صالح عبد الحليم بن هارون الهسكوري من بلاد تادلة كان إذا سمع اللصوص تقدم إليهم وطردهم، وكان يؤمن السبيل بإزالة عراقيل اللصوص³⁰.

وتجدر الإشارة، إلى أن تنظم القبائل للمواسم بجوار الأضرحة، كان في الغالب مناسبة لتعليق النزاعات والدخول في فترة هدنة تسمح للزائرين على اختلاف مقاصدهم وانتماءاتهم بتخطي حدود القبائل

27 - محمد المنصور، م. س، ص. 303.

28 - دانييل شروتز، م. س، ص. 188.

29 - نفسه، ص. 189.

30 - ابن الزيات التادلي، م. س، ترجمة رقم 172، ص. 339.

الواقعة في طريق الموسم دون خوف³¹. وكان التبادل يتم في مواسم تعقد سنويا بحرم الصلحاء³²، يزدود التجار الأسواق والمواسم بمواد كانت تجلب من الصويرة أو أكادير على يد سماسرة يهود ومسلمين³³. من جهة أخرى، كان يعيش الأولياء وسيوخ الزوايا بالأطلس المركزي، على الهدايا والصدقات التي تواظب الساكنة المحلية على تقديمها "لإكرام" خلال المواسم السنوية بعد جني المحصول، حيث تنصب خيم "إكرام"، وتتوالى الأطعمة والمؤن عليهم، فيكثر الزرع والسمن والعسل والسكر والشاي والشعير، توفر القبائل هذه المؤن وفق توزيع موضوع مسبقا من طرف أمغار ولجماعت، وتتدفق الهبات الخاصة من طرف المحاربين الباحثين عن حماية "أكرام"، أو من المتخصصين الراغبين في عرض نزاعهم عليه، أو من أعيان طامحين فقط في نيل رضا. وعندما يحين موعد سفره يكون محملا بالهدايا من جياذ عتاق وبنادق رفيعة، وتلايس من القمح والشعير والسكر والشاي، وأحيانا ترافق القافلة واحدة أو أكثر من أحمل عذارى المكان سعيديات بإعطائهن للولي³⁴.

4 - أدوار المواسم في تدبير الموارد الاقتصادية المحلية

تعتبر المواسم خلال القرن 19م وبداية القرن 20م، آلية من آليات المساهمة في تدبير المجال الاقتصادي بالأطلس المركزي، إذ كانت هذه المواسم تساهم في ترسيخ التحالف بين القبائل من جهة، وضمن استمرار الاستفادة من بعض الموارد الطبيعية الاستراتيجية، مثل: الموارد المائية والمجالات الرعوية.

يشكل موسم الساقية بقبيلة آيت أمغار بدمنات، نموذجا لدور المواسم في المساهمة في تدبير الموارد الاقتصادية للقبائل، حيث ينظم الموسم بمناسبة رجوع الساقية لمجراها بعد نكسها وتطهيرها من أحوال الأمطار وأزبال الطرقات، ويحتفل بذلك مرة كل سنة قبل منزلة الدراع، في مدشر آيت أمغار بجوار ضريح سيدي أبي البخت. يجتمع الناس على اختلاف طبقاتهم فينشرون حائكا، نقول له

31- أحمد التوفيق، "من التاريخ الاجتماعي للمغرب: مؤسسة النزائل والمواصلات الداخلية والتدخل الأجنبي خلال القرن 19م"، في: ندوة التجارة في عداقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ج. 1، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب الدار البيضاء 1992، مطبعة

فضالة المحمدية، ص. 187.

32- نفسه.

33- نفسه.

34- سعيد كلون، م. س. ص. 43.

"أشضاض"، فتمر الخلائق، ويطرحون فيه من الدراهم ما يسره الله، يأخذ أهل زاوية آيت أمغار ومعهم مقدم الساقية الذي يعرف قواعدها وقوانينها، فيؤدون من تلك الدراهم ثمن البقرة أو الثور، وما بقي يضعونه في مصالح الساقية³⁵.

إلى جانب دور المواسم في تدبير الموارد المائية، كانت المواسم مناسبة للقبائل لعقد تحالفات والتي تضمن التجارة بين القبائل المتحالفة، وتقاسم المجالات الرعوية³⁶، وعلى سبيل المثال، كانت قبيلة آيت عتاب وآيت شكر العطاوية تجمعهما تحالف "تاضا" أي الرضاعة، بموجبه تضمن القبيلتان حرية التجارة واستغلال المجالات الرعوية المشتركة. ولازال هذا الموسم السنوي تحتفل به القبيلتين إلى يومنا هذا³⁷.
مجمل القول، تلعب المواسم الاحتفالية قبل الاحتلال الفرنسي للأطلس المركزي أدوارا اقتصادية طلائعية، فهي مناسبة سنوية بالنسبة للقبائل المنطقة لتسويق إنتاجها الحرفي والفلاحي، والتزود بحاجياتها من السلع، خاصة بالنسبة للقبائل المستقرة بأعالي الجبال، التي تواجه عزلة الثلوج في فصل الشتاء، لمدة تتجاوز أحيانا أربعة أشهر. وبفعل ارتكاز الأنشطة الاقتصادية لسكان هذه المناطق على الرعي والزراعة، والحرف المرتبطة بها، كانت تهيمن على المنتجات المتداولة في مواسم المنطقة المواد الفلاحية، والمنتجات الحرفية الخاصة بتلك الأنشطة الفلاحية.

كانت المواسم بالأطلس المركزي قبل سيطرة الاحتلال على المنطقة، أهمية بالغة في انتعاش موارد الزوايا والأضرحة والمزارات بما فيها الخاصة بالطائفة اليهودية، وقد حققت الزوايا والأضرحة بفضل تلك الموارد مكاسب اقتصادية هامة، بفضل ما كانت تتلقاه من الزيارات والهدايا من لدن القبائل وأتباعها ومريديها، وفي المقابل كان لهذه المراكز الدينية أدوارا اجتماعية وثقافية واقتصادية... ويضمنون إقامة المواسم والمبادلات بين القبائل، إذ كانت أغلب العمليات التجارية تتم في محيط الضريح، الذي يعتبر جزيرة سلم وأمن نظرا لقدسية المكان، الذي يشكل فضاء مناسباً للتعاطي للتجارة، يتمتع فيها التجار فيها بالحماية الرمزية للأولياء.

علاوة على ذلك، كانت المواسم آلية من الآليات التي كانت القبائل تعتمد عليها في تدبير مواردها

35- محمد نجيب الدمناتي، م. س، ص. 220، 221.

36- سعيد كنون، م. س، ص. 85.

37- لحسن آيت لفيقيه، إملشيل، جدلية الانغلاق والانفتاح، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، يونيو 2001، ص 5-37.

الاقتصادية المحلية، وتضمن بها استغلال موردها بطرق معقلنة، كما تلعب هذه المواسم دورا في تفادي القبائل النزاعات والصراعات التي قد تؤدي إلى توقف أو سوء استغلال تلك الموارد كالثروة المائية والمجالات الرعوية.

المبحث الثاني: تطورات الأدوار الاقتصادية والتنموية للمواسم والمهرجانات خلال القرن 20 وبراية القرن 21

يعالج هذا المبحث الأدوار التنموية الاقتصادية للمواسم بالأطلس المركزي خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، ومن جملة ما وقفنا عليه، التطورات التي عرفتها الأبعاد الاقتصادية للمواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي خلال فترة الحماية ما بين 1912-1956م، وبعد استقلال المغرب سنة 1956م، مع إبرازنا مختلف الآليات الموروثة والمعتمدة بالأطلس المركزي لتدبير فضاءات الأضرحة والزوايا المرتبطة بالمواسم الاحتفالية، وكل ما يتعلق باقتسام عائداتها بما فيها مواسم الطائفة اليهودية.

1- الأدوار الاقتصادية للمواسم في بعض الدراسات خلال القرن 20م

تناول العديد منا الباحثين³⁸ موضوع المواسم من الناحية الاقتصادية خلال القرن 20م، وتعددت مقاربات هؤلاء الباحثين لهذا الموضوع المتشعب، وقد أجمعت هذه الدراسات على أطروحة مفادها أن المواسم مناسبة للاحتفال والراحة والتسوق بعد سنة من العمل والكد، ينتظره الناس لوقت طويل، حيث تباع فيه كل المواد الفلاحية والصناعية، يكون فيه كل شيء معروض تحت الخيام المنتصبة. غير أن الأبحاث التي عالجت موضوع المواسم من الناحية الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن 20م³⁹، ركزت على الأهمية الاقتصادية التي تلعبها مؤسسة الضريح، وخاصة اقتسام عائدات الضريح

38 - Fogg Walter, op. cit. p 04- 100 ; Troin Jean-François, Les souks marocains: marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc, Aix-en-Provence, Edisud, 2 vol, 1975 ; KRIEM Abdelhamid, et Préface à Marie-Rose RABATE, Les beaux moussems du Maroc: Imlilchil, Casablanca Maroc, Editions, 1970.

39 - PASCON Paul, La maison d'Igh et l'histoire sociale du Tazerwalt, SMER, Rabat, 1984, p p. 141-222.

- CRAPANZANO Vincent, Les Hamadcha: «Une étude d'ethnopsychiatrie marocaine», in : [Archives de sciences sociales des religions](#) [En ligne], octobre-décembre 2000, document 112.68, mis en ligne le 19 août 2009; Fenneke REYSOO, Des Moussems du Maroc Une approche anthropologique de fêtes patronales, Enschede: Snelndruh, 1988.

بين حفدة الولي خلال إقامة المواسم الذين خلصوا إلى صعوبة إعطاء معطيات إحصائية دقيقة، لكون عملية تقسيم تلك العائدات يتم بحذر شديد⁴⁰. ويعترفون بصعوبة البحث في هذا الموضوع، نظرا لحساسيته بالنسبة للسلاسل المنحدرة من شجرة نسب الولي، حيث يعد ذلك سبب خلافات بين مختلف سلاسل المنحدرة من نسل الولي⁴¹.

في هذا السياق، أوردت الباحثة الهولندية "فانك ريسو"، معطيات ميدانية حول قسمة صندوق ضريح الولي سيدي إبراهيم بولعجول بمنطقة الغرب، الذي تقتصر القسمة على أسرتين سليلتين من حفدته، وذلك باتباع نظام التناوب. وأشارت نفس الباحثة، إلى الجشع الذي يتميز به حفدة الولي عموما، والذي تأكد لها خلال تواجدها بضريح سيدي إبراهيم بولعجول بأولاد نهلة نواحي مدينة القنيطرة، وأثناء زيارتها لضريح سيدي بوعبيد الشرقي بأبي الجعد، إذ حدث لها في هذا الأخير شجار عنيف بينها وبين وحارس الضريح، بسبب مطالبتها بمزيد من الصدقات⁴².

ومما خلصت إليه الباحثة فانك ريسو المشار إليها، عدم استطاعتها الحصول على معلومات كافية حول اقتسام عائدات ضريح مولا قبتين بالغرب، حيث منعتها القبيلة بلطف من الاقتراب من "المزوار"، إذ يؤكد جميعهم أن سيصاب بالغيب، إذا ما اقتربت منه امرأة غير مسلمة، وبعد بعض المحاولات الفاشلة أجبرت على الخضوع لقانون النهليين⁴³.

ومن الدراسات الجادة التي تناولت هذا الموضوع، أبحاث الباحث المغربي عاريف⁴⁴، التي خصصت لدراسة لعائدات ضريح سيدي أحمد أموسى بسوس، والذي أكد فيها، أن عملية فتح صندوق ضريح الولي، تجرى بسرية وتحفظ كبير من قبل حفدة الولي، مع صعوبة التدقيق الإحصائي لعائدات لهذا

40 - من بين الدراسات التي تطرقت لنظام القسمة، مؤلف حسن رشيق سيدي شمهروش... م. س. ص. 20-192. - EICKELMAN Dale, op. cit.

41 - أشارت الباحثة Fenneke REYSOO. أن معظم المصادر المعتمدة في موضوع عائدات الأضرحة غير موثقة، بسبب سرية، وعدم رغبة حفدة الولي حضور الأجانب خارج سلالة الولي. Fenneke REYSOO, Des moussems..., op. cit. p p. 115-117. واعترف Crapanzano Vincent - أن حفدة سيدي علي بن حمدوش يرفضون تقديم الأخبار حول عائدات الضريح أنظر: Crapanzano Vincent, op. cit, P. 67. والقراء أن النقاش الحقيقي حول موضوع عائدات زاوية تزروالت يدور في سرية تامة

بعيدا عن الأعين في إحدى زوايا الضريح. أنظر:

- PASCON Paul, La maison d'Illigh... op. cit. p. 196.

42 - Fenneke REYSOO, Des moussems..., op. cit. p p. 115-117.

43 - Fenneke REYSOO, Des moussems..., op. cit. p p. 115-117.

44 - PASCON Paul, La maison d'Illigh, op. cit, p p.193-9 .

الضريح، بفعل وجود أغلاط في العمليات الحسابية.

يؤكد الباحث "عاريف" أن هذه الأخطاء الحسابية، وتحفظ حفدة الولي على إعطاء معطيات حسابية دقيقة، يشكل عائقا حقيقيا في معرفة بالضبط مقدار الأموال المحصلة، وحصّة كل فرد وكل قبيلة من هذه العائدات. تكمن أهمية هذه الدراسة، في معرفة المصادر الثلاثة التي تعتبر مداخيل الضريح، وموردا أساسيا لحفدة الولي، وهي عائدات بيع المواشي للجزائرين التي يقدمها الزوار كأضحية للضريح، ومداخيل صندوق الضريح ومداخيل الموسم⁴⁵.

وفي دراسة أخرى بالريف الشرقي، خصص الباحث Marcus صفحات مهمة من بحثه، للحديث عن كيفية تدبير عائدات ضريح الولي سيدي امحمد بن أحمد، التي تمنح ثلثها الأول إلى النساء الحوامل، والثلث الثاني للفقراء، والثلث الأخير لطلبة القرآن بقريّة الضريح⁴⁶. وتلعب هذه الموارد حسب Marcus، دورا اقتصاديا هاما بالنسبة لمداخيل حفدة الولي⁴⁷. وهذا ما جعل عدداً كبيراً من الناس يحرصون على استمرار تبجيل الأولياء، وتنظيم المواسم، نظرا لاستفادتهم المباشرة من عائدات الزيارات⁴⁸.

وفي دراسة أخرى قام بها Marcus، تناول فيها المداخيل الأساسية للضريح في بعض أضرحة قبائل شمال المغرب، والتي تتشكل أساسا من عائدات بيع المواشي للجزائرين، والتي يقدمها الزوار كأضحية للضريح، ومداخيل صندوق الضريح، حيث تباع الهدايا العينية في المزاد العلني، وتوزع أكياس العلب من الشموع غير المستهلكة والقطع النقدية بين الحفدة. في حين توزع القطع النقدية أقل من 50 سنتيما كصدقات على المتسولين في عين المكان⁴⁹.

هذه بعض الدراسات التي وقفنا عندها، وخصت جزءا من أبحاثها للحديث عن الأدوار الاقتصادية التي تلعبها المواسم، والتي تشكل موردا مهما لحفدة الولي، وحاولنا الاستفادة من المنهجية التي تناول هؤلاء الباحثين هذا الموضوع، لكن حاولنا التمييز بين مظهرين اقتصاديين مختلفين من حيث تحليلهما، اقتسام عائدات الولي الصالح، التي ينتفع بها حفدة الولي، والمبادلات التجارية المتعلقة بالتجارة

45 - Ibid.

46 - MARCUS Michael, "The Saint has been stolen Sanctity and Social Change" in: *a Tribe of Eastern Morocco American Ethnologist*, Vol 12, no 3, 1985 , pp 455-67

47 - تسمى هذه المداخيل أحيانا بالزيارات أو الزيارات المناسبة.

48 - MARCUS Michael, op. cit. p p. 455, 67.

49 - Ibid.

بالجملة والحرف التقليدية، والدورة الرمزية للسلع المرتبطة ببركة الولي.

2- الفرق بين المواسم والأسواق الأسبوعية

عادة ما نتساءل ما الفرق بين الأسواق الأسبوعية والمواسم، وما يلاحظ منذ الوهلة الأولى أن الفرق الوحيد بين السوق والموسم، هو أن السوق يقام مرة واحدة في الأسبوع، بينما يعقد الموسم مرة واحدة في السنة، فكلتا الحالتين، تعتبران مرجعية تحقيبية، الأولى أسبوعية، والثانية سنوية. بينت لنا التحريات الميدانية، أن تشبيه المواسم بالأسواق الأسبوعية مقارنة غير صحيحة، نظرا للاختلافات العميقة بينهما في ذهنية الساكنة المحلية⁵⁰. صحيح أن الموسم يتضمن سوقا، وهذا أمر طبيعي، لأنه ينبغي تموين زوار الموسم بحاجياتهم المختلفة. غير أن سوق الموسم ليس كالسوق الأسبوعي من حيث عدد الزوار ودرجة العرض والطلب.

وعلى سبيل المثال، في موسم مولاي بوعزة بزيان، يحتشد حوالي ستين ألف شخص لمدة تزيد عن سبعة أيام⁵¹، يفضل تجار المنطقة ممارسة أنشطتهم في الموسم مقارنة مع الأسواق الأسبوعية المحيطة، لكون سوق الموسم أكثر تحقيقا للربح، حيث يرتفع الطلب على السلع المعروضة خاصة في الأطوار النهائية للاحتفال ومعه ترتفع الأسعار بسرعة، إلى حد يصل قلق الزوار من غلاء سعر بعض المواد المعروضة.

يفضل التجار ممارسة تجارتهم في المواسم مقارنة بالأسواق الأسبوعية، لذلك يقع تحول في المدار التجاري المعتاد لتجار الأسواق الأسبوعية، إذ عوض عرض سلعهم في السوق من الصباح حتى المساء، يجدون أنفسهم خلال انعقاد الموسم يعرضون سلعهم لمدة تتراوح بين ثلاثة إلى سبعة أيام. تحتم المواسم على التجار الانتقال أحيانا بعيدا عن منطقة نشاطهم المعتاد. ففي موسم مولاي بوعزة صادفنا تجارا من منطقة زيان، وتجارا من خارج المنطقة من أبي الجعد، والفقيه بن صالح، وأزيلال... وقد يحدث تراجع لأنشطة الأسواق الأسبوعية في فترات انعقاد المواسم في بعض المناطق، بفعل

50- تصريح للسيدة حادة التي تنحدر من قبيلة آيت امحمد. قالت "ليس السوق كالموسم. فالسوق يقام مرة واحدة في الأسبوع والغرض الأول منه التسوق. بينما الموسم سوق سنوي يقام مرة واحدة في السنة. والغرض الأساسي من انعقاده الاحتفال الجماعي بذكرى لولينا الصالح.

51- إحصاءات تقديرية. تعود لتصريح لأجد أعضاء جماعة مولاي بوعزة.

اهتمام التجار بالمواسم، خاصة خلال شهري مارس وأبريل⁵².

انتبه الباحث TROIN إلى هذا التراجع الذي تعرفه الأسواق الأسبوعية بفعل تأثير المواسم، لذلك حاول القيمون على تنظيم المواسم أن يتزامن انعقاد مواسم منطقة الأطلس المركزي مع أيام انعقاد الأسواق الأسبوعية، ومن ذلك أن موسم مولاي عيسى بن إدريس يبدأ يوم الأربعاء، الذي يتزامن مع يوم السوق الأسبوعي لقبيلة آيت عتاب. وأشار Fogg⁵³ إلى أن انعقاد موسم سيدي اليميني في جنوب شرق مدينة أصيلا تزامن مع يوم انعقاد السوق في المنطقة المجاورة للضريح.

في السنوات الأخيرة تغير مواعيد إقامة العديد من المواسم، لأسباب مرتبطة بالمؤسسات التعليمية، حيث حاول منظمو المواسم أن تتزامن مع العطلة سواء الصيفية أو الربيعية، لذلك تغيرت مواعيد العديد من المواسم بالمنطقة⁵⁴. وفي هذا الإطار، تشير بعض عينات من الساكنة المحلية المستجوبة، أن الموسم بالنسبة لهم ليس مكاناً للتسوق فحسب، وإنما الموسم احتفال بالولي الصالح لنيل بركته، وخلال الاحتفال، يشتري الناس (صغارا أو كبارا، رجلا أو نساء) أشياء خارج احتياجاتهم الأساسية (كالمواد الغذائية). تسمى جميع السلع المتضمنة في الموسم، "باروكا"، أي اقتناء مواد استهلاكية لنيل البركة، إن شراء الباروك في المواسم هو ما يمكن تسميته بالمدار الرمزي للسلع.

من خصوصيات المواسم مقارنة بالأسواق الأسبوعية، أن أغلب العمليات التجارية تتم في محيط الضريح، الذي يعتبر جزيرة سلم وأمن نظرا لقدسية المكان الذي يشكل فضاء مناسباً بامتياز للتعاطي للتجارة، حيث يكون التجار فيه محايدين، يستمتعون فيها بحماية الولي، وغالبا ما يتموقعون على الحدود الجيوسياسية للقبائل⁵⁵. والملاحظ أن جميع المنتجات المتوفرة في الأسواق الأسبوعية متواجدة في المواسم، وأن نشاط السوق في الموسم، يبدو متشابها شكليا مع الأسواق الأسبوعية، حيث يقيم

52 - TROIN Jean-François, Les souks marocains..., op. cit. p. 98, 121.

53 - Fogg Walter, op. cit. p. 101.

54- ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، تغيير موعد انعقاد موسم الفقيه بن صالح، وموسم مولاي عيسى بن إدريس، اللذان كانا يقامان في منتصف شهر مارس بداية مارس الفلاح، وأصبحا اليوم يقامان تزامنا مع العطلة البينية شهر أبريل.

55- هناك نقاش حول أسبقية الأسواق أو المواسم يؤكد Troin. أن مسألة الأولوية ليست لها أهمية، بل الأهم هو فهم كيف تعقد كل من المواسم والأسواق في أماكن بنفس المواصفات. حيث غالبا ما تكون أماكن انعقادها في مناطق حدودية بين القبائل أو قرب مراكز لسلطات سياسية أو رمزية معينة (ضريح، منزل قائد...)، ويفسر ذلك، بحرص الجماعات على استمرار وحدة المجموعة القبلية وتماسكها، وتعزيز بناء الهوية المجتمعية، واستمرار الترسيم الرمزي للمنطقة الحدودية بواسطة معالم مقدسة أنظر:

- TROIN Jean François, Les souks marocains..., op. Cit. p. 243.

الباعة المتجولون محلات الجزارة والخضر والبقالة والملابس المستعملة والأحذية. يقوم مومونو الخدمات ببناء المقاهي والمطاعم الخاصة بهم، إلى جانب تجارة المواشي والحبوب، وخدمات أخرى تتمثل في الحدادة والنجارة، ويوجد التجار والصناع - الذين يتاجرون في المنتجات المرتبطة بالفارس والفرس - في الموسم متنفسا وموردا أساسيا يضمن لهم مزيدا من الدخل المادي. ورغم التباين الواضح بين المواسم والأسواق الأسبوعية في ذهنية الساكنة المحلية، إلا أن ما يميز هذه المواسم أكثر أنها، عبارة عن أسواق سنوية امتزجت فيها العناصر المقدسة مع الأنشطة الاقتصادية، ويظهر لنا ذلك في العديد من أوصاف الرحالة والدراسات الأجنبية المعاصرة⁵⁶، كما تمتاز المواسم باستمرار تنظيمها، حتى في حالة الصراع المسلح، حيث تسهر القبائل على عقد ملتقيات تجارية مرة واحدة أو عدة مرات سنويا رغم عدم الاستقرار.

إلى جانب ذلك، يتميز الموسم بتواجد رواد الفرجة بالضرورة، عكس الأسواق الأسبوعية، حيث ينتقل صناع الفرجة من موسم لآخر بحثا عن جمهور مبتهج، حيث تضمن هذه التجمعات الموسمية في مختلف المناسبات الاحتفالية جزءاً كبيراً من المداخل السنوية لصانعي الفرجة. ففي موسم الولي مولاي عيسى بن إدريس بقبيلة ايت عتاب، صرح لي بعض صانعي الفرجة والتسليّة، القادم معظمهم من مدينة بني ملال والفقيه بن صالح وسوق السبت، أن أرباحهم تتراوح ما بين 20.000 و40.000 درهم في السنة، وبالتالي تشكل المواسم مصدر دخل مهم لهذه الفئة المهن - اجتماعية.

3 - الأدوار الاقتصادية للمواسم خلال فترة الحماية

كانت سلطات الحماية تشجع تنظيم احتفاليات المواسم منذ 1912م، نظرا لدور هذه المواسم كإحدى المداخل الأساس لعملية التهدئة، ودورها كذلك في تنفيذ السياسة الإسلامية الفرنسية المتبعة من قبل المرشال ليوطي بالمغرب، علاوة على دورها في الترويج للسياسة الفلاحية الفرنسية في المنطقة، وتشجيعهم على الانخراط إلى جانب المعمرين للاهتمام بالفلاحة التسويقية، والتخلي على الرعي والزراعة المعاشية التي كانت سائدة في المنطقة⁵⁷.

56 - Fogg Walter, op. cit. ; TROIN Jean-François, op. cit. ; Eickelman Dale, op. cit.

57 - جريدة السعادة، العدد 1054، 31 غشت 1917.

إن ما يميز ظاهرة المواسم بالأطلس المركزي خلال فترة الحماية، إقامتها لغايات وأهداف اقتصادية جديدة، مع استمرار أدوارها الروحية والتجارية والفلكلورية التقليدية، حيث أن العديد من المواسم تحولت إلى معارض سنوية عصرية خلال هذه الفترة، وأصبحت وظيفتها الترويج للسياسة الاستعمارية في المنطقة، والملاحظ أن أدوارها الاقتصادية التقليدية عرفت تراجعاً، بسبب نمو وظيفة التجارة في المدن، وتطور في وسائل الاتصال والمواصلات⁵⁸.

حسب شهادة مجموعة من الشيوخ بالأطلس المركزي، فإنه بالرغم من التشجيع الذي كانت تبديه سلطات الحماية لإقامة المواسم بداية الأربعينيات، إلا أن إقبال كاهل الساكنة المحلية بضريبة الترتيب، حال دون تنظيم المواسم بالطرق المعتادة، حيث لم يبق لدى السكان ما يقدمونه كهدايا للزوايا والأولياء. وعلى سبيل المثال، فقد كانت قبائل آيت عتاب وانتيفة، يجمعون الحبوب وزيت الزيتون، ويهدونها لزاوية تانغملت في موسم الزيارة، بيد أن إنشاء سلطات الحماية معصرة الزيتون بآيت وابيت بآيت عتاب سنة 1931م⁵⁹، ومصادرة إنتاج الزيت والزيتون والحبوب، زاد من معاناة الساكنة والزواوية التي لم تعد تتلقى الهدايا كما كان الحال في السابق، وهذا ما أكدته جريدة السعادة⁶⁰.

إن اهتمام الإقامة العامة بتشجيع وإحياء ظاهرة المواسم، يمكن تفسيره في أبعادها الاقتصادية، لرغبة سلطات الحماية الداعية للتحويلات الاقتصادية التي تحاول إحداثها في المغرب، وخاصة القطاع الفلاحي في أفق توسيع المساحات المزروعة، ومضاعفة إنتاج المواشي، وتحسين نوعية الإنتاج، وإدخال مزروعات جديدة، ومكننة الفلاحة، وإنشاء مؤسسات للقرض الزراعي⁶¹. ونظراً لكون تنظيم أغلب المواسم يتوافق زمن الإنتاج الفلاحي، فقد وجدت الإقامة العامة فيها فرصة سانحة لحث الفلاحين على التأقلم مع الواقع الإيجابي الجديد، الذي ستكون له انعكاسات إيجابية على الوضع الاقتصادي والاجتماعي

- نفسه، العدد 1566، 04 شتنبر 1917.

- نفسه، العدد 1054، 31 غشت 1915.

- نفسه، العدد 1099، 13 نونبر 1915.

58 - TROIN Jean-François, Les souks marocains..., op. Cit. p p. 251, 258.

59 - JEAN Mothes, « les huileries coopératives en milieu autochtone Marocin » in : B. E. S. M. N° 57, 1953, p p. 197. 206.

60 - جريدة السعادة، العدد 4609، 24 شتنبر 1938؛ العدد، 4616، 11 أكتوبر 1938؛ العدد، 5631، 08 شتنبر 1942؛ العدد 5792، 30 مارس 1943؛ العدد

4728، 31 غشت 1939؛ العدد 4626، 05 نونبر 1938؛ العدد 5631، 08 شتنبر 1942؛ العدد 5630، 29 أبريل 1941؛ العدد 5236، 06 شتنبر 1942.

61 - جريدة السعادة، العدد 3147، 15 شتنبر 1927.

للساكنة المحلية⁶².

ركزت الدعاية الاستعمارية على المواسم التي تقام بأهم المناطق الفلاحية بالمغرب، كموسم بني سمير في واد زم، وموسم سيدي امحمد الشرقي بأبي الجعد، إضافة إلى مواسم في جهات أخرى من المغرب. كموسم مولاي عبد الله أمغار بدكالة، وموسم سيدي الغلومي بالشاوية، وموسم سيدي سليمان بزعيير، وموسم سيدي محمد بن لحسن أجانا بتياسة. وكانت هذه المواسم مناسبة لإقامة مباراة ومعارض لتربية الماشية، حيث توزع عدة جوائز تشجيعا على زيادة الاعتناء بتربية الماشية وتحسين حالتها⁶³.

في هذا السياق، أشارت جريدة السعادة إلى أن سلطات الحماية كانت تنظم حفل توزيع عدة جوائز لتشجيع سياستها الفلاحية في المغرب، وعلى سبيل المثال: نظم رئيس المراقبة بتادلا حفلا لتقديم جوائز على التلاميذ الناجحين في المدرسة الفلاحية، بمناسبة موسم سيدي محمد الشرقي بأبي جعد⁶⁴. وكانت تشكل المواسم أيضا فرصة للتنبؤ بمدى تقدم السياسة الفلاحية الفرنسية بالمغرب، ففي هذا الإطار، وجه المقيم العام "جوان" تنويها حارا إلى جميع فلاحي الشاوية الجنوبية الذين أتت أعمالهم بنتائج طيبة خلال افتتاح موسم سيدي الغلومي⁶⁵.

الملاحظ أن سلطات الحماية، كانت تولي أهمية كبرى لتربية الماشية، وتحرص على تنظيم معارض لها بمناسبة انعقاد المواسم، وخاصة تربية الخيول التي شجعتها بشكل كبير في سهل تادلا والغرب...، في المقابل، عمدت إلى تهمش هذا النشاط في جبال الأطلس المركزي، وهو ما يفسر اليوم تضاعف عدد الخيول وانتشار الفروسية بسهل تادلا، مقابل تراجعها في جبال الأطلس المركزي⁶⁶.

وعموما، كانت الغاية المتوخاة من تنظيم المواسم القروية أولا، تنفيذ السياسة الفرنسية الإسلامية الأهلية التي تضمن التهدئة بأقل الخسائر، ومواجهة المقاومة خاصة الحركة الوطنية، وثانيا، تنفيذ المشاريع الاستثمارية المراد منها استغلال الموارد المحلية، وذلك بدفع الفلاحين المغاربة للتأقلم مع مستجدات الأوضاع بالبوادي، التي تجسدت مظاهرها في تفكك البنى القبلية، وتجزئ البنية العقارية

62 - نفسه، العدد 3147، 15 شتنبر 1927.

63 - نفسه، العدد 3147، 15 شتنبر 1927.

64 - نفسه، العدد 7590، 28 يونيو 1949.

65 - نفسه، العدد 7369، 27 شتنبر 1948.

66 - Archives du Maroc, boîte n° b68, rapports politique mensuel, Avril 1926.

وتعقيدها، وتوجيه الإنتاج الفلاحي في اتجاه سد حاجيات المتروبول من المواد الغذائية والخام، وتحصيل المزيد من الجبايات⁶⁷.

4 - عائدات مواسم الأضرحة والزوايا بالأطلس المركزي

تتضمن عائدات الأضرحة بالأطلس المركزي، هدايا وتبرعات الزوار سواء النقدية أو العينية، من "شموع، وأغطية، وقماش..."، يقدمها الزوار للولي، وتتضمن هذه التبرعات أيضا عائدات مبيعات المواشي المضى بها والمهداة من طرف الزوار، إضافة إلى مداخيل مرفقية ثانوية وعائدات من ممتلكات وأراضي الأحباس⁶⁸. تلعب كل هذه المداخيل أدوارا تنموية مهمة، حيث يحقق بعض الأضرحة بالأطلس المركزي رقم معاملات يقدر يصل إلى حوالي 30 مليون سنتيم خلال تظاهرات المواسم، مرتبطة فقط بعائدات الضريح.

ومن أهم الأضرحة التي خصصناها بدراسات ميدانية، ووقفنا على عائداتها خلال انعقاد مواسمها السنوية، ضريح سيدي أحمد ألمغني باملشيل، وضريح مولاي بوعزة بزبان، وضريح سيدي الطيبي بناور بآيت ويرا، وضريح سيدي امحمد أمحمد بواويزغت آيت عطا، وضريح سيدي علي بن إبراهيم بني عياط، وضريح سيدي عيسى بن إدريس بآيت عتاب، وضريح سيدي أحمد بن ناصر بآيت أم البخت. لقد أظهرت لنا التحريات الميدانية أن القيميين على أضرحة بعض المواسم يستغلون عائدات أخرى، كمداخيل السكن في الضريح، وموقف السيارات، وبعض مؤن الزوار. غير أن عائدات موقف السيارات تعود في بعض الأحيان إلى صندوق الجماعات المحلية. وقد يستفيد من عائدات السكن ملاك لا يقطنون بالقرب من الضريح، ولا ينتمون لحفدة الولي، وإنما يكترون منازلهم للزوار.

تتعدد طرق قسمة عائدات أضرحة المواسم، ويعتبر حفدة الولي من بين أهم المستفيدين من عائدات الضريح خلال الموسم، مقابل حراستهم وسهرهم على نظافة وصيانة الضريح طيلة السنة. وتتوقف أيام هذه الحراسة للضريح غالبا خلال الشهر الذي يعقب الموسم، وخلال شهر انعقاد الموسم. يجمع "المزوار" الهدايا أثناء هذه المدة، الذي يشترط فيه أن يكون من كبار حفدة الولي، يتكلف بتسيير

67 - جريدة الوداد، العدد 321، 07 شتنبر 1953.

- جريدة العلم، العدد 194، 26 أبريل 1947.

68 - هي أراضي حبسها ووهيها أشخاص أو جماعات لمؤسسات دينية كالمساجد والزوايا والأضرحة.

الضريح وصيانتته وحراسته، وتدبير أراضي "الخبوس"، وتقسيم هدايا الزوار خلال انعقاد الموسم. تتكون فئة ذوي الحقوق من الرجال والنساء والأطفال المنحدرين من آباء ينتسبون للولي، أما الحفيدات الأرامل والمطلقات دون أطفال، لهن الحق في غالب الأحيان في الحصول على نصف حصة العائدات الموزعة. وعندما يكون عدد المنتسبين للولي مرتفعا ممن لهم الحق في العائدات، تخضع عملية القسمة لنظام التناوب بين عناصر هذه الفئة، يحصل كل منتسب أو حفيد على حصته. غير أن لكل ضريح خصوصيته في اقتسام وتدبير عائدات الضريح كما توضح الأمثلة التالية .

في موسم سيدي بن داود بإغرم لعلام بدير القصيبة، ينعقد هذا الموسم أواخر شهر غشت أو بداية شتنبر، وتنظمه قبيلة سيدي بن داود بالشاوية التابعة لقيادة كيسر، التي تهدي كل سنة ذبيحة ثور لشرفاء سيدي بن داود المستقرين بإغرم لعلام، أو تمنحهم ثمن الأضحية نقدا الذي يقدر بحوالي ما بين 5000 درهم إلى 10000 درهم سنويا. يتم اقتسام عائدات هذا الضريح على شرفاء قبيلة سيدي بن داود بإغرم لعلام، إلا أن البواب يستفيد من ثلثها، والتي تتضمن قيمة مبيعات لحم الذبيحة، والهدايا التي يقدمها زوار الموسم، وخاصة من قبائل الشاوية.

بيد أن تدبير عائدات هذا الموسم شهد تطورات في السنوات الأخيرة، حيث أصبحت تلك العائدات تستغل في تدبير أمور الضريح والمسجد والمقبرة، ولم تعد تقسم على حفدة الولي. وتجدد الإشارة، إلى أن ضريح سيدي بن داود، لا يستفيد من الهيبة الملكية، ولا تتدخل الجماعة القروية لإغرم لعلام في شؤونه، ولا يستفيد من دعم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

أشار القيمين على ضريح سيدي بن داود، أن هناك تدبداً وتراجعا في عائدات الضريح، ففي موسم سنة 2018م بلغت قيمة الهدايا المقدمة للضريح 11500 درهم، بينما بلغت مجموع عائدات الضريح خلال الموسم السنوي لسنة 2019م ما مجموعه 8580 درهم، دون احتساب الهدايا العينية التي يستفيد منها بواب أو حارس الضريح. ويتم تقسيم حراسة الضريح إلى ست فترات حراسة في السنة، ثلاث حراسات للفخدة الكبيرة آيت ويزا، وثلاث حراسات للفخذات الثلاث الأخرى: آيت بن قدور، وآيت لمعطي،

وآيت سي احمد، والثلاثين لباقي فخذات الشرفاء.⁶⁹

في موسم سيدي أحمد المغمي باملشيل، يسمى هذا الموسم أيضا "السوق عام" - "أكدود"، الذي تحضنه قبيلة آيت عمر "الشرفاء"، المتضمنة لثلاث فخذات وهي: آيت أمليل، وآيت عمر - أويكو، وآيت ابوض، وإوناش. تستقر قبيلة آيت عمر في مجال قبائل "آيت حديدوا"، المنضوية تحت اتحادية "آيت يفلمان"، والتابعة إداريا لجماعة بوزموا، إقليم ميدلت.

يبدأ انعقاد موسم املشيل، ابتداء من يوم كل جمعة أخيرة من شهر شتنبر، ويدوم من ثلاثة إلى أربعة أيام. يعتبر هذا الموسم سوق سنوي لبيع الإنتاج الفلاحي والحرفي، كما أنه عرس جماعي، وملتقى الشعر، وموعد للاحتفال وممارسة طقوس العادة عند الطائفتين العيساوية والحمدوشية المنتمية لزاوية سيدي حمزة، المعروفة بالزاوية العياشية أو الحمزاوية، والمتواجدة في السفح الجنوبي لجبل العياشي بالأطلس الكبير، والتي أسسها محمد بن أبي بكر العياشي المتوفي عام 1067هـ / 1656م، وهو من طلبة ومريدي الزاوية الدلائية البكرية.⁷⁰

يستفيد حفدة ضريح سيدي احمد المغمي من هدايا عديدة، منها: أعطيات عينية" كالشعير والدجاج، والأغنام، والماعز، والصوف، والسكر، والشمع، إضافة إلى هدايا نقدية. كان هذا الموسم في الأصل ملتقى لقبائل "آيت مرغاض" وقبائل "آيت حديدو" الرحل، التي كانت تهدي الذبائح ومختلف الهدايا وتقيم الولائم لوليها الصالح، الضامن لوحدها وتماسكها، والساھر على استمرار اتحادها.

جرت العادة، اتباع أسلوب القرعة لاختيار المزوار، الذي يسمى عندهم ب"المقدم" أو صاحب المفتاح "بوتساروت"، ويشترط فيه، أن يكون من القبيلة الشريفة آيت عمر، وأن يكون ذكرا، وبالغ، وسويا. تمتد مدة الحراسة سنة واحد، من أكتوبر إلى غاية انعقاد الموسم شهر شتنبر، وتخصص أجرة الحارس من الصدقات الخارجة عن الصندوق، أما الهدايا التي تدخل الصندوق، فهي ملك القبيلة. ويتم فتح الصندوق

69 - رواية شفوية، المهدي الدواوي المزاد سنة 1954، وهو بواب الضريح سيدي بن داود ومن حفدة الولي، ينحدر من فخذة آيت ويزا؛ ورؤساء الفخذات المنظمة لموسم سيدي بن داود القادمين من الشاوية وهم كالتالي: جبراني محمد، من فخذة القدارة؛ الحاج بن داود، من فخذة أولاد المامون؛ كريم بوشعيب، من فخذة الشهيبيات؛ البصيري إدريس، من فخذة الشهيبيات؛ عبد الله الرويشد، من فخذة الدخاشنة؛ حليمي الطاهر من فخذة الحلاملة؛ حكيمي لكبير؛ من فخذة الحلاملة؛ حليمي أحمد، من فخذة النزلة؛ وأخيرا شيخ القبيلة والجماعة، محمد بلعربي، بتاريخ 2019/09/08.

70 - محمد حجي، م. س. ص. 57.

مرة واحدة في السنة.

أكدت لنا التحريات الميدانية أن المبالغ المالية المحصلة بصندوق الضريح خلال المواسم القليلة الماضية تتراوح ما بين 7500 درهم إلى 10000 درهم، وأقر لنا شرفاء القبيلة أن عائدات ضريح سيدي أحمد الممغني في تراجع مستمر، سواء تعلق الأمر بالهدايا النقدية أو العينية "كالحبوب، والمواشي.." ويحرص القيمين على الضريح على اقتسام تلك العائدات على جميع أفراد الفخذات الأربع ذكورا وإناثا. غير أنه أصبحت تنفق هذه الموارد في السنوات الأخيرة في إصلاح السواقي، ومواجهة فيضانات أسيف ملول، ومساعدة بعض الأسر خلال الوفاة أو الزواج ...

وللإشارة، فقد استفاد حفدة سيدي أحمد الممغني في السنوات القليلة الماضية، من بعض الهدايا والهبات من جهات عليا في البلاد، في إطار رغبتها في استمرار هذا التراث الثقافي العريق، وعلى سبيل المثال: وهبت وزارة الأوقاف سنة 2010م عشرة ملايين سنتيم لشرفاء آيت عمر خارج أيام الموسم، كما استفادت كل أسرة شريفة خلال الموسم في نفس السنة من هبة قدرها ما بين 1000 و 2000 درهم لكل أسرة⁷¹. غير أن هذه العائدات قد تلعب دورا في اندلاع أعمال عنف بين حفدة الولي، بسبب خلافات حول قسمة العائدات، وقد تؤكد لنا ذلك من خلال ما صرح به حفدة سيدي احمد الممغني بإملشيل، ومزوار ضريح سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط، وبواب سيدي بن داود الشاوي بإغرم لعلام بدير القصيبة، ومزوار ضريح سيدي أمحمد الشرقي بأبي الجعد.

5 - عائدات مواسم الأضرحة اليهودية بالأطلس المركزي

في موسم "هيلولوة" سيدي مول البرج بأبزو، يقام هذا الموسم في تشرين الأول "أكتوبر" أو تشرين الثاني نونبر من كل سنة. ويعرف هذا الولي عند اليهود ب"ربي اتسحاق اسرائيل هليلفي"، يعتبر مشتركا ومزارا من المسلمين واليهود.

حسب الرواية الشفوية اليهودية عاش ربي اتسحاق خلال القرن 15م، وقد قدم من فلسطين إلى منطقة ابزو، بهدف القيام بأعمال خيرية، ونشر الثقافة اليهودية في الملاحات اليهودية، ومحاربة الأمية

71 - رواية شفوية، أرني حدو، من قبيلة آيت عمر الشرفاء فخذة آيت وابوض: - أشكو باسو من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة إوناش: عدي محمد من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت عمر أويكو: نبارك أوجا من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت أمديد: موحى أوطيب من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت عمر أويكو. في إملشيل، بتاريخ الأحد 22 شتنبر 2019 بضرخ سيدي احمد الممغني.

في بلاد انتييفة. يعتبر ضريح هذا الولي قبلة لزوار من الطائفة اليهودية المغربية في الخارج من إسرائيل فرنسا الولايات المتحدة ... يستمر انعقاد الهيلولة لمدة ثلاثة أيام، وكان يصل عدد الزوار اليهود لهذا الموسم في الستينات والسبعينات إلى 1000 فرد، بينما لا يتعدى عدد زواره حالياً ما بين 50 إلى 100 أو 150 فرد فقط .

كانت الهيلولة قبل هجرة اليهود المغاربة لإسرائيل، موسماً سنوياً كباقي المواسم المقامة حول الأضرحة بالمنطقة، حيث تعمل كل أسرة بذبح أضحيتها بالضريح تستهلك جزء منها، أو تمنحها كلية للزوار. ويعتبر مقدم الضريح، المسمى عند اليهود ب"باقيد -pakid" حارساً للضريح، أو بواباً، يؤدي مهامه بالمجان، وهو الساهر على ترميمه وصيانته، والضامن لراحة الزوار خلال مناسبة هيلولة أو الزيارات المنسبانية. لازال اليهودي مخلوف أبي تبول جزانا وبوابا ومسؤولاً على ضريح مول البرج ببلدة ابزو، والذي صرح لنا أنه يحاول تحويل فضاء الضريح إلى ما يشبه فندق يرقد فيه الزوار بعدما كانوا ينامون في الخيام .

يسمي اليهود الصندوق المخصص لعائدات الضريح "بالقوية"، وتستغل عائدات هذا الصندوق والضريح والموسم للقيام بأعمال الترميم والبناء والصبغة واستخلاص فاتورة الماء والكهرباء للضريح. ولإشارة أن هذا الضريح يزار طيلة السنة، وآخرها زيارة لحافلتين من اليهود المغاربة للمنطقة، غير أن أوج الزيارة تكون بمناسبة احتفالية هيلولة.

يستفيد الزوار خلال الهيلولة من الأكل والمبيت بالمجان لمدة ثلاثة أيام، إلا أنهم يحرصون على تقديم هدايا متنوعة للضريح، التي أصبحت اليوم نقدية في الغالب، بعد هجرة اليهود لإسرائيل ودول الغرب، حيث تبلغ مساهمات الزوار اليهود حالياً ما بين 100 درهم إلى 3000 درهم للفرد الواحد، إضافة هدايا من نوع آخر، عبارة عن أواني، وأفرشة، بينما كانت تلك الهدايا في الماضي تغلب عليها الهدايا العينية من قبيل: الحبوب، السمن، العسل، الزيت الصوف ...

تعرف بلدة ابزو رواجاً كبيراً خلال انعقاد موسم هيلولة مول البرج، حسب ما صرح لنا به تجار المنطقة سواء أصحاب الدكاكين، وبائعي الخضر واللحوم، وحتى أصحاب الحرف التقليدية وخاصة الفخارين. وقد أكدوا لنا تضاعف أرباحهم خلال الموسم، بل يعتبر الموسم عند بعض الشباب للاشتغال، حيث يعمل مقدم الضريح بتشغيل أفراد من القبيلة في إنجاح هذا الاحتفال، لمدة لا تقل عن أسبوع خلال الهيلولة، كما يستعين الجزان بممّون الحفلات، لتقديم خدماته، بمبلغ لا يقل عن 80000 درهم في ثلاثة أيام.

حسب شهادة مخلوف أبي تبول مقدم ضريح مول البرج، كانت عائدات الضريح قبل هجرة اليهود

للخارج تصل إلى 50000 درهم سنويا، أما اليوم فلا تتجاوز 20000 درهم، وتصرف كلها في إصلاح الضريح وتسديد فاتورة الماء والكهرباء. ورغم عدم مساهمة وزارتي الأوقاف والشؤون الإسلامية ووزارة الثقافة ماديا في الموسم، إلا أن السلطات توفر دعما لوجسيتيا مهما للمواسم اليهودية وتحضر مراسيمها شخصيات دينية رسمية، وممثلي السلطات المحلية⁷². وعموما، تساهم المواسم اليهودية في تثمين وتحريك السياحة الثقافية، وتحقيق إشعاعا ثقافيا وسياحيا للمنطقة خاصة والمغرب عامة⁷³.

مجمل القول، إن المواسم بالنسبة لزوارها ليس مكانا للتسوق فحسب، وإنما احتفال بالولي الصالح، ينهلون منها البركة، إنها أسواق سنوية تمتاز فيها العناصر المقدسة مع الأنشطة الاقتصادية. وتلعب هذه المواسم والمهرجانات، وخاصة مواسم الأضرحة والزوايا، بما فيها هيلولة الطائفة اليهودية، أدوارا مهمة في توفير عائدات مهمة لحفدة الصلحاء بالأطلس المركزي بفضل تبرعات الزوار النقدية والعينية، والتي توفر دخلا لمجموعة من العائلات التي تدعي انتمائها لشجرة نسب الولي، بل أكثر من ذلك، يحقق بعض الأضرحة بالأطلس المركزي، رقم معاملات مهم خلال تظاهرات المواسم، وخاصة مواسم الأضرحة المشهورة بالأطلس المركزي.

غير أن الأدوار الاقتصادية للمواسم بالأطلس المركزي شهدت تحولات كبيرة بعد سيطرت الاستعمار الفرنسي على المنطقة، حيث تحولت غايتها من الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية التضامنية، إلى أهداف استعمارية متمثلة: في الترويج للمشاريع الاستعمارية، وتشجيع الفلاحين على الانخراط في السياسة الفلاحة الفرنسية، وتنفيذ المشاريع الاستثمارية المراد منها استغلال الموارد المحلية.

البصمة الثالثة: المبادلات التجارية المرتبطة بالبركة في الراضم

تلعب المواسم دورا كبيرا في خلق رواج تجاري، بالنسبة لبعض السلع والخدمات الطقوسية والروحية والرمزية المرتبطة بالمواسم، وقد قاربنا موضوع هذا المبحث بالوقوف عند الأدوار الاقتصادية للمواسم في شقها المتعلق بالتجارة الرمزية المرتبطة بالبركة والمقدس، وكذا الحديث عن القيمة الرمزية لهذه للمبادلات التجارية المتعلقة بمواسم البركة، ورمزيتها في ذهنية زوار مواسم الأضرحة والزوايا. كما وقفنا

72 - رواية شفوية مشار إليها، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج.

73 - رواية شفوية مشار إليها، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج ابزو.

عند بعض الأنشطة التجارية الرائجة بالمواسم الاحتفالية، التي تحمل في ثناياها بعدا رمزيا لدى الساكنة المحلية، ويتعلق الأمر هنا بالتجارة الخاصة بالتداوي الشعبي.

1 - القيمة الرمزية والروحية للمنتجات الرائجة في المواسم

ركزت في هذا المحور، على القيمة الرمزية للمبادلات التجارية عند الزوار خلال تنظيم المواسم، قصد التعرف على تمثيلات الساكنة المحلية للتجارة الرمزية، للوصول إلى معرفة دور المواسم في انتعاش بعض الأنشطة التجارية ذات الأبعاد الروحية، ولا نهدف من وراء هذا المبحث دراسة اقتصادية، تتناول مستوى المبادلات التجارية خلال تنظيم المواسم.

اهتم العديد من الباحثين بموضوع الوظيفة التجارية الرمزية والروحية في المواسم⁷⁴، وقد أجمع هؤلاء الباحثين، أن ما يميز ظاهرة المواسم المرتبطة بالمزارات والأضرحة والزوايا، انتشار مظاهر التجارة ذات الأبعاد الرمزية والروحية، التي يمكن أن نسميها تجارة البركة، حيث نادرا ما تصادف زائرا للموسم عائدا إلى منزله بيد فارغة، إذ يعود الجميع محمليين بكيس أو أكثر من الفواكه الجافة، مثل: اللوز، الثمر، والزبيب، الجوز، وبعض القنينات الزجاجية المليئة بالمياه المستخرج من جب الولي الصالح... هذه المواد يصطلح عليها ذكرى الزيارة المباركة أو البركة والباروك⁷⁵.

تحتل الفواكه الجافة والمكسرات والحلويات والمأكولات، مكانة بارزة في طقوس المواسم والطهارة والخصوبة بالأطلس عموما⁷⁶. كما تستخدم هذه المواد في طقوس الميلاد والزواج والجنائز، لما لها من بركة، فهي تجعل الوجبات أكثر لذة وعافية، وتجلب السعادة والازدهار، وتعد وسيلة للطهارة.

ترجع العوامل المفسرة للحمولة والقيمة الرمزية والروحية الكبيرة لبعض المواد الغذائية لدى الساكنة المحلية في المنطقة إلى احتواءها على البركة، وتعتبر الفواكه الجافة حسب (Westermarck)⁷⁷، أطعمة ذات قيمة رمزية مهمة في الأطلس، حيث يرمز تقديمها للضيوف على الكرم حفاوة الاستضافة.

74 - Fogg Walter, 1940, op, cit. ; TROIN Jean-François, 1975, op, cit. ; Eickelman Dale, 1976, op, cit. P.P. 172-7.

75 - وللمزيد حول هذا الموضوع، أنظر :

- BEN TALHA Abdelouahed, Moulay-Idriss du Zerhoun, quelques aspects de la vie sociale et familiale, Editions techniques nord-africaines, Rabat, 1965, p p. 117, 124.

76 - Westermarck Edward, op. cit. Volumes II, p p. 106-07.

77 - Ibid, p p.106-07.

ترمز التمور واللوز للبركة والمقدس، لذلك، تحظى هذه المواد بنوع من التقديس والاحترام، حيث يتم تقديمها للضيوف في جميع المناسبات، وتوزع على الفقراء كصدقات في المقبرة خلال مناسبات معينة. ويعتبر الزيتون الأسود أيضا رمزا من رموز البركة، ونجده حاضرا في طقوس الطوائف الصوفية الشعبية، وخاصة: كناوة، وجيلالة، وعيساوة، فاللون الأسود لون الطائفة الكناوية، ولون الجنية لآلة عائشة البحرية، من هذا المنطلق، نجد المغاربة عموما يعتبرون أشجار النخيل والزيتون مقدّسة، ويقال إن زيت الزيتون تحتوي على البركة لدى تستخدم كمرهم للدهن، ونجدها حاضرة في جل الوصفات العلاجية. غير أن الزيتون الأسود يأتي في المرتبة الثانية من حيث احتوائه على البركة، مقارنة بالتمور⁷⁸. وتجدر الإشارة، إلى أن الأشياء الحلوة تحظى بتقدير كبير من قبل الساكنة المحلية، خصوصا قبل انتشار السكر الصناعي بشكل كبير في الأسواق⁷⁹، إذ تتميز المواد الغذائية الحلوة وخاصة التمور والعسل، بارتباطها بكل ما له علاقة بالخير والبركة، إذ تساهم في صناعة مستقبل أفضل بالنسبة للرجال العزب، وتجعل البنات أكثر لطفا تجاه عائلة زوجهن المستقبلي، وتدفع التلاميذ للتحصيل المدرسي، وتشكل شفاء لكل الأمراض.

بفعل الأهمية الكبيرة لهذه المواد الحلوة، لا تتردد الساكنة المحلية في إدخالها في نمطها الغذائي، خصوصا الثمر والزبيب، التي تجعل الأطعمة حلوة ومفيدة وصحية. ونظرا لكون الأشياء الحلوة تتضمن البركة، يلاحظ إقبال زوار المواسم على افتناء الفواكه الجافة والمواد الغذائية الحلوة، كالحلويات الملونة المصنعة من السكر، وهي ربما امتدادات ثقافية لهذا الاعتقاد في بركة الحلويات والسكريات. من بين المنتوجات الأخرى التي تعرف رواجاً تجارياً خلال انعقاد المواسم، نجد في مقدمتها، الحناء وماء الورد، والبخور، التي تتميز بقيمتها الرمزية وسماتها التطهيرية والهادئة والنافعة. وتستمد هذه المواد قدسيّتها من ثقافة الحضارات القديمة ومن الثقافة الإسلامية، فالحناء مثلا: تسمى ب"نور الرسول"، حيث وكانت زهرتها مفضلة عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويعتبرها "ملكة الزهور بنكهتها الطيب"⁸⁰. وللحناء بركة عظيمة، ولا تستخدم نبتة الحناء باعتبارها مستحضرات التجميل فقط، وإنما تمثل وسيلة للطهارة والحماية من الأرواح الشريرة.

78 - Ibid, P. 107.

79- Ibid, P P. 193, 22, 376, 312.

80 - Ibid, Volumes I, P. 113.

ومن مميزات هذه النبتة المباركة - الحناء - أنها تستخدم في كل الطقوس بالأطلس المركزي، حيث بها تزين العرائس أيدهن وأقدامهن بالحناء، وتحيي الطوائف الصوفية الشعبية طقوسها ولياليها، وخاصة طقوس موكب "العادة الذبيحة"، والهدف من استعمال الحناء خلال طقوس الذبيحة والجدبة والميلاد والزواج... تحقيق الطهارة، وطرد الأرواح الشريرة، ربط الاتصال بالجن عند كناوة وجيالة وعيساوة.

ومن المنتوجات التجارية الروحية، التي تزدهر تجارتها خلال المواسم والزيارات الجماعية للأضرحة والزوايا، "ماء الورد أو ماء الزهر"، والذي يستخدمه الفقهاء لإعداد "الطلاسم، ويستعمله الزوار لتحقيق الطهارة، برشه على الملابس والضريح وكل ما له علاقة بقدسية المكان، حيث تتدفق البركة بخلط الحناء والقرنفل بماء الورد.

يستخدم المجازيب أثناء ممارسة طقوس الجدبة بالمواسم خليط ماء الورد والقرنفل والحناء كشراب لتهدئتهم بعد سقوطهم أرضاً، كما يستخدم هذا الخليط لرش الضريح والجدران وبعض الزوار المتواجدين في المكان، الذي يعلق بعضهم ملابسهم المرشوشة بهذه المواد في أشجار بجوار الضريح. والهدف من استعمال هذه المواد، وممارسة كل هذه الطقوس استرضاء الجن وتطهير مكان الولي، والتخلص من ندير الشؤم، وطرد الأرواح الشريرة⁸¹.

من بين المواد التي تعرف تجارتها رواجاً كبيراً خلال انعقاد مواسم الزوايا والأضرحة والمزارات، نجد البخور، التي تلعب دوراً كبيراً في جميع الطقوس والمعتقدات الشعبية المتعلقة بالجن، إذ تستخدم روائح البخور لتطهير المساحات التي يرتادها الجن لاسترضائه. والملاحظ أن استخدام البخور في جل الطقوس والمناسبات عادة قديمة معروفة في كل الحضارات، وفي هذا السياق أشار Westermarck إلى أنه لا يجب فصل طقوس البخور وأهميتها الرمزية في الأطلس عن تلك المرتبطة بالحج في مكة، حيث يعود الحجاج بدون استثناء من مكة بهدايا مباركة، كالبخور وماء زمزم المقدس، والمسبحات، والعمائم المطرزة⁸².

إن الطبيعة المتشابهة بين الباروك وبين هدايا حج مكة، مرتبطة بقيمة هذه الهدايا وسياقاتها ...

81 - Ibid, p p. 133, 213, 217.

82 - Ibid, p. 137.

إذ تلعب جميعها دورا في طقوس التطهير والخصوبة والرخاء، وتمنح قوة وحيوية، لذلك يعد توزيع باروك الحج على الأصدقاء والعائلة والفقراء أمر في غاية الأهمية. إن إعطاء هذه الصدقات المباركة هو عمل تطهيري، تشدد عليه العقيدة الإسلامية، وهكذا نفهم أن طقوس الموسم تحاكي تلك التي نلاحظها في فريضة الحج، فالمواسم إذن هي استمرارا ووفاء لهذا الواجب الإسلامي.

إلى جانب المواد الغذائية والمنتجات المشار إليها، يعتبر الزوار حلي المواسم منتوجات مباركة، تفوق قيمتها الرمزية قيمة استخدامها وجودتها، وترمز هذه الهدايا لبركة الولي، وتعزز العلاقات الاجتماعية، حيث يذكر وضع الخواتم والأساور بصلات الجماعة بالولي. وللإشارة، يرتدي الزوار قطع الحلي الصغيرة لبعض الوقت، مع العلم أن جودتها رديئة جداً، فالخواتم والأساور تتكسر بسهولة كبيرة.

بعد انتهاء الموسم تستهلك الحلويات التي جلبها الزوار معهم على الفور، وتقدم الأطعمة والهدايا "الباروك" لأفراد العائلة والجيران والأصدقاء، الذين لم يتمكنوا من الذهاب للموسم، وتساهم هذه الالافاتة في تعزيز التماسك الاجتماعي. وفي هذا الإطار، يحرص بعض الزوار على تقديم شموع الموسم لأولياء محليين، فالشموع، التي يحتفظ بها بعض الزوار للزيارات الأخرى، تجعلهم، يدركون علاقتهم مع العالم الخارق وجماعة الأولياء.

بناء على هذه الأبعاد الرمزية والروحية للمبادلات التجارية، نفهم سبب تعريف الزوار للمواسم بتلك الأمكنة الذي تؤثت فضاءاتها الحلويات، والتمور و الجزارين، فعندما تسألهم عن مشترياتهم المفضلة أثناء انعقاد المواسم، يجيبونك أن مشترياتهم تشمل كل شيء، وخاصة الحناء، والحلويات، التمور، واللوز، والمكسرات، وكل ما يتعلق "بالباروك"، ويتكون هذا الأخير من جميع ما يتم شراؤها في نهاية أيام المواسم للعودة بها إلى منازلهم، وتقديم البعض منها إلى أناس لم يتمكنوا من حضور الموسم.

وعموما يشتري الزوار كمية كبيرة من الباروك مقابل الكثير من المال، هذا المبلغ له أهمية كبيرة، ويشكل فجوة كبيرة في ميزانيتهم الشهرية، ومع ذلك فهذه الهدايا، لها قيمة رمزية كبيرة، إذ يحرص الناس على شراء هذه الأشياء خلال الموسم، لما فيها من بركة الولي.

2- تجارة التداوي الشعبي بمواسم الأطلس المركزي

تعتبر المواسم بالأطلس المركزي مناسبات مهمة لممتهني طب الأعشاب والتداوي الشعبي لممارسة أنشطتهم، حيث يبيع أصحاب هذه المهن كل الأعشاب من أصل نباتي أو حيواني (مثل جلود القنفذ أو جلود الشعابين...)، ويعرضون سلعهم فوق حصائر وحتى على الأرض. ويعد هؤلاء المعالجون بالأعشاب

أطباء شعبيون في تصورات الساكنة المحلية، يقدمون في بعض الأحيان دروساً طبية في التشريح باستخدام ألواح بها هيكل عظمية بشرية، كما يقدمون أنفسهم كصانعي الفرجة والتسلية ومستشارين في الطب. ولا يقتصر تواجد هذه المهن "الطب بالأعشاب والتداوي الشعبي" على المواسم فقط، وإنما أيضاً في الأسواق الأسبوعية وساحات المدن.

يعد الطب التقليدي الشعبي جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المغربي، ويحظى باهتمام كبير من قبل زوار المواسم، ويعتبر نشاطاً مربحاً بالنسبة لبعض أصحاب المشاريع الصغار المتخصصين في الطب البديل والتداوي الشعبي، غير أن بعض هؤلاء "أصحاب المشاريع" يستغلون صراحة سداجة زوار الموسم، للنصب عليهم ببيعهم وصفات علاجية وسحرية فعالة.

ففي موسم إميلشيل بالأطلس المركزي، وقفنا على هذه الظاهرة بالفضاء الخاص بالطب البديل والتداوي الشعبي، حيث يلاحظ حشود الزوار هنا وهناك، يستمعون لنصائح ممتھني الطب الشعبي. لقد وقفنا في حشد من تلك الحشود، وكانت مجتمعة حول سيارة لرجل يرتدي جلباباً أبيض من القطن، يتحدث في مكبر الصوت "الميكروفون"، ومن حين لآخر يقرأ آيات قرآنية، يبدو من خلال هنام الرجل، وقراءته آيات قرآنية وأحاديث نبوية، أنه يبحث عن شرعنة دينية وسلطة الرمزية لبيع منتوجاته .

تمكن هذا الرجل فعلاً، من جمع حشد كبير من الزوار وجعلهم "يشاركونه في الترويج لفعالية سلعه الاستشفائية"، وذلك باندهاشهم من كلامه، وبرفعهم أيديهم نحو السماء من حين لآخر، وهمسهم بكلمات من قبيل (آمين، آمين). مباشرة بعد هذه التلاوات والدعوات، يأخذ الرجل علبة صغيرة صفراء اللون من سيارته، ويقول: "إذا كنت تعاني من الصداع في الرأس، ضع هذا الدواء في الموضع الذي يؤلمك، وكل شيء سيكون على ما يرام، وإذا كان لديك ألم في الأسنان ضعه على خدك، وسيكون كل شيء على ما يرام، وإذا كنت تعاني من الألم هنا وهناك، هذه الوسادة ستساعدك على استرجاع عافيتك...، أيها الزوار الأعزاء، لا تترددوا في شراء هذا الدواء فهو لا يكلف سوى عشرة دراهم فقط.

تسلم الرجل قطع نقدية بقيمة عشرة دراهم من عدد كبير من الزوار المؤمنين بخطابته، مقابل حصولهم على تلك الوصفة الصفراء، إنها "علاج لجميع الأمراض"، ومن حين لآخر يمسك نفس الرجل حفنة كبيرة من خليط عناصر سحرية ويبيعهها لبعض الزوار الراغبين في الشفاء من أمراض معينة. بعد نهاية هذا العرض، ينتظر الرجل بعض الوقت قبل أن يبدأ في إتارة اهتمام الحشد بقراءة بعض الآيات القرآنية.

تكرر نفس العرض ونفس الكلام تقريبا، وبعد مرور حوالي ساعتين نفذ مخزونه من السلع ولم يعد

لديه المزيد، يقوم الرجل بإغلاق سيارته ويترك الموسم حالا. لقد تفاجئ الزوار من هذا المشهد "المؤقت"، ملابس رجل متدين، ومظهره كأحد العارفين بقراءة وتجويد آيات قرآنية، ويقدم اقتراحات لحل المشاكل الحقيقية للناس، تماشيا مع الاعتقاد السحري من الشفاء من المس والعيين. لقد حقق هذا الرجل الذكي في غضون ساعات قليلة، رقم معاملات مهم وحقق أرباحا كبيرة من خلال النصب على الناس باقتراحاته وسلعه دون قيمة تذكر مستغلا سذاجة الناس.

إن الرجل الذي تحدثنا عنه في موسم املشيل، كان يزاوج بين نظامين متقاربين من الاعتقاد، خلق بها فجوات في أنشطته الغامضة، حيث يظهر الرجل بمظهر اجتماعي راقي، تدل عليه سيارته، جلبابه الأبيض، ومعرفته لبعض آيات قرآنية. إنه يعمل على المزاجية بين حقلين دينيين، أحدهما أرثوذكسي أصيل، والآخر شعبي خاص به، وهكذا تمكن من إقناع الزوار بالقيمة العلاجية لهذه الوصفات السحرية التي يبيعهها بسعر لا يتناسب مع قيمتها العلاجية.

الصورة رقم 25: تجارة الأعشاب والطب البديل بموسم مولاي بوعزة⁸³



إن ممتهني طب الأعشاب يبيعون أيضا هذه الأشياء التي تدخل حقا ضمن النظام السحري، من أهمها:

كفوف فاطمة (خميسات) التي تباع على نطاق واسع في المواسم⁸⁴، "وهي مصنوعة من جميع أنواع المواد، سواء مواد معدنية من علب التصبير، أو من اللباد أو البلاستيك، وليس هدفها التزين فحسب، وإنما إبعاد العين الشريرة والسحر، وهي مظهر من مظاهر (الباروك). هذه المواد تعرف رواجاً واسعاً خلال تظاهرة المواسم، اعتقاداً من الزوار أنهم سيحصلون بفضلها على بركة الولي.

تجدر الإشارة أن المصاريف الرمزية، لا تحظى بتقدير كل ساكنة الأطلس المركزي، خاصة الذين يتبنون نظام الإنتاج الذي يستمد مرجعيته من المنطق العقلاني النفعي، بل يرفضون إقامة المواسم، ويعتبرونها هدراً للمال. وفي هذا الصدد، قال لنا أحد زوار الموسم "...يهدر المزارعون أموالهم أثناء انعقاد المواسم التافهة. وقال لنا آخر، "... لا تجد أحداً يشتغل في الحقول خلال أيام الموسم، من سلبيات هذه أنها هدر لزمان الإنتاج والأموال".

هذه بعض ردود فعل الساكنة المحلية تجاه احتفالات المواسم، وتوضح أننا مرة أخرى بين نظامين متناقضين، حيث أنه بالرغم من الانتقادات الموجهة للمواسم من قبل البعض، باعتبارها هدر للمال والزمن الإنتاج. يعتبر البعض الآخر المواسم احتفالات ترمز للوفرة والخصوبة والبركة تضمنها وساطة الولي بين الله وعباده المؤمنين، وتعمل هذه البركة المحصل عليها، بحمايتهم ومساعدتهم في ما تبقى من السنة. لذلك لا يتردد الزوار في اقتناء كل رأسمال رمزي، يسمح لهم بنيل البركة، وضمان الخصوبة خلال كل دورة زراعية واجتماعية جديدة.

مجمل القول، تلعب المواسم الاحتفالية دوراً في خلق رواج تجاري كبير، خاصة المبادلات التجارية الروحية والرمزية أو تجارة البركة، والمرتبطة بالمزارات والأضرحة والزوايا، وتتضمن هذه المنتوجات التجارية المواد الغذائية كالفواكه الجافة والمواد التطهيرية كالبخور والحناء... وتعد هذه المواسم فضاءً مناسباً للعديد من تجار طب الأعشاب أو التداوي الشعبي لممارسة تجارتهم بالقرب من الضريح. وللإشارة، أن مثل هذه الأنشطة التجارية والمهنية لا تحظى بتقدير كل سكان الأطلس المركزي، خاصة الذين

84 - يقصد "بالخميسة" تلك التميمة التي يعلقها بعض الأشخاص في أعناقهم لرد العين الشريرة. والخميسة أو التميمة، هي كلمة مشتقة من خمسة وهي على شكل كف، وترمز للحماية ورد عين البشر السيئة لمزيد من التفاصيل حول العين الشريرة. انظر: - Fenneke REYSOO, Des moussems..., op. cit. p. 115-117.

يتبنون نظام الإنتاج الذي يستمد مرجعيته من المنطق العقلاني النفعي.

المبحث الرابع: واقع الأدوار الاقتصادية والتنموية للمواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي.

يتميز واقع المبادلات التجارية بمواسم ومهرجانات الأطلس المركزي، بتحويلات في بنياتها السوسيواقتصادية والثقافية، حيث تراجعت المبادلات التقليدية بالمواسم وخاصة التجارة المرتبطة بالبركة والرأسمال الرمزي، مقابل تحول العديد من مواسم ومهرجانات المنطقة لمعارض محلية وجهوية لعرض المنتوجات الفلاحية والحرفية. وتعزى هذه التحويلات إلى التطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية التي شهدتها المغرب خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م.

1 - المنتوجات الراهنة في المواسم والمهرجانات الراهنة

تعتبر المواسم والمهرجانات الراهنة، تجمعا تجاريا يعرض فيها التجار والحرفين منتجاتهم بكل أصنافها، سواء المواد الغذائية أو منتجات حرفية حسب خصوصية كل منطقة، كما تعرض فيها منتجات صناعية متنوعة. وفي المقابل، تشكل هذه التجمعات الاحتفالية مناسبة للسكان المحلية للتزود بحاجياتها من جميع المنتوجات والسلع.

وتشكل المواسم والمهرجانات الراهنة أسواق سنوية تشبه في مورفولوجيتها الأسواق الأسبوعية، حيث يقيم الباعة المتجولون محلات الجزارة والخضر والبقالة... ويحمل بعض زوار المواسم منتوجات فلاحية وحرفية لبيعها في المواسم لتوفير نفقات التسوق والترفيه والتنقل في الموسم، لذلك، فإن هذه التظاهرات الراهنة أسواق سنوية، تؤشر على مدى رواج أو ركوض اقتصاد محلي أو جهوي.

من بين الأنشطة التجارية التي تعرف حضورا قويا في المواسم والمهرجانات الراهنة بالأطلس المركزي، تجارة النسيج والأحذية وألعاب الأطفال، فالمواسم في ذهنية نساء أطفال المنطقة سوق مفضل لاقتناء حاجياتها من الملابس الجديدة والأحذية وألعاب أطفالها، ويفضل الجميع الجديد الذي يرمز إلى الطهارة والنقاء.

وتعد هذه المواسم والمهرجانات مناسبة سانحة للجزائرين للقيام بأنشطتهم التجارية، حيث أن استهلاك اللحوم، وإعداد وجبات الشواء الجماعي من العادات التي تنفرد بها المواسم والتي ترمز للبركة. بل أكثر من ذلك، تعمل بعض العائلات أو جماعات على نحر مواشي خاصة بها حسب إمكانياتهم المادية،

سواء تعلق الأمر: بثور، أو كبش، أو ديك، بينما لا تتردد الأسر التي لا تستطيع شراء كبش كامل في إثراء وجباتها بكلوغرامات من اللحم، لكون وجبات اللحوم ذات قيمة رمزية كبيرة في تحضير الأطباق بالمواسم. تتضمن المواسم على خلاف الأسواق الأسبوعية، عددا كبيرا من باعة الحلي والتحف والهدايا المتنوعة من قبيل: الخواتم، والأساور، أو حلي على شكل "كف فاطمة" (خميسة) المصنوعة أساسا من المعادن أو البلاستيك أو القماش، بالإضافة إلى التماثيل بجميع أنواعها. إلى جانب الشموع، والبخور، الورود، والحناء، وقنينات زجاجية من ماء الورد، وكلها مواد تحمل في طياتها أبعادا رمزية هدفها تحقيق الخصوبة ونيل البركة... وللإشارة، تعرف بعض المواد رواجًا تجاريًا كبيرًا في المواسم الراهنة مقارنة بالأسواق الأسبوعية، منها على سبيل المثال: الفواكه الجافة، والحلويات السكرية بألوان مختلفة، صفراء، وردية... إلى جانب الوصفات المقدمة من قبل ممتهنو طب الأعشاب والتداوي الشعبي. ويرجع إقبال الزوار على هذه المنتجات لرمزيتها الروحية واحتوائها على البركة.

وعموما، تتضمن المواسم الراهنة كل المنتوجات التي نصادفها في الأسواق، إلى جانب منتوجات يمكن تصنيفها ضمن التجارة الرمزية والبركة والخصوبة، كما أن المواسم والمهرجانات فضاءات مناسبة يحقق فيها كل من ممارسي أنشطة التداوي الشعبي، ورواد تجارة الخدمات مكاسب اقتصادية مهمة.

2 - الواقع التجاري للمواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي

يتميز الواقع التجاري للمواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي، باستمرار هذه التظاهرات في القيام بأدوار تجارية مهمة على المستوى المحلي والجهوي، غير أن الوظائف التجارية التقليدية عرفت تراجعًا ملحوظًا منذ سيطرت سلطات الحماية على الأطلس المركزي، بسبب مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية. وفي المقابل، أصبحت المواسم والمهرجانات الراهنة عبارة عن معارض محلية وجهوية لتثمين المنتوجات الفلاحية والحرفية المحلية، ومناسبة الترويج للعديد من المنتوجات الصناعية الأخرى، سواء من قبل الشركات أو المقاولات أو تعاونيات أو جمعيات من المجتمع المدني.

إن حدوث هذه التحولات التي شهدتها المواسم والمهرجانات الراهنة المتمثلة في تحول العديد من المواسم إلى معارض جهوية ومحلية، وتراجع المبادلات التجارية التقليدية للمواسم باعتبارها أسواق لتصريف الإنتاج المحلي، وسوق تتزود بها الساكنة المحلية بمختلف حاجياتها، تجد تفسيرها في عدة عوامل أهمها: انفتاح المناطق النائية بالأطلس المركزي على اقتصاد السوق، وارتباط هذه المناطق بالشبكة التجارية الوطنية والدولية، بفضل بناء شبكة مهمة من المواصلات الحديثة، علاوة على عامل

انتشار الأمن⁸⁵.

إلى جانب هذه العوامل، وقف الباحث Troin⁸⁶، على عوامل أخرى مؤثرة ساهمت في هذه التحولات منها: خلق الدولة مؤسسات اقتصادية حديثة، بفضلها أصبحت المبادلات التجارية شيئاً فشيئاً أكثر خضوعاً لمراقبة الدولة، وأصبح الأمن والنظام مضمونين من طرف مصالح الدولة. وهكذا حلت مراقبة وسلطة الدولة محل سلطة الأولياء وزعماء القبائل. ومن تم انفصل تلقائياً تحديد مواقع الأسواق الأسبوعية والسنوية عن التأثير القوي المقدسة⁸⁷.

غير أنه لا بد من الإشارة، أن لكل جهة خصوصيتها فيما يتعلق بالأدوار التجارية للمواسم، فهناك العديد من المواسم كموسم إملشيل بايت حديدو، احتفظ بأدواره التجارية التقليدية إلى غاية نهاية القرن 20م، رغم تدخل الدولة المشار إليه والتطورات التي عرفها المغرب منذ 1912م وتأثيرات العولمة. حيث كان هذا الموسم خلال التسعينيات من القرن الماضي سوقاً كبيراً للماشية من الأغنام، والماعز، والجمال، والخيول النادرة... وكان هذا الموسم من أكثر الأسواق المغربية ازدحاماً⁸⁸.

يبدو أن عزلة منطقة ايت حديدو كان لها دور كبير في استمرار البعد التجاري التقليدي لموسم إملشيل، كسوق استراتيجي وحيوي بالنسبة لبعض قبائل الأطلس المركزي، وهذا ما يفسر منافسة وصراع التجار من رواد هذا الموسم للحصول على بقعة فيه لممارسة تجارتهم⁸⁹. إن الموقع الهامشي لمنطقة ايت حديدو، يفسر في جزئياته استمرار الوظائف التجارية التقليدية لبعض في الأطلس المركزي، كموسم إملشيل المشار إليه، وفي بعض مواسم جهات أخرى، كالتى أشار إليها بول باسكون في سوس⁹⁰.

يمكن القول إجمالاً، إن الأدوار الاقتصادية التقليدية للمواسم في تراجع مستمر، ويمكن فهم هذا التراجع إلى جانب ما أشرنا إليه سابقاً، بتطور وظيفة التجارة في المدن، الذي ساهم في خلق انجذاب نحوها، والذي شمل ميادين أخرى عديدة، كالترفيه والتسوية والتسوق، ومن تم أصبحت المدن قبلة

85 - PASCON Paul, La maison d'Illigh..., op. cit.

86 - TROIN Jean François, op. cit. p p. 251, 258, 307.

87 - Ibid, p. 82.

88 - Michael Peyron, Ait hdidou..., op. cit. p p. 32,78-83.

89 - TROIN Jean François, op, cit, P P. 143, 44.

90 - Pascon Paul, op. cit. p. 142.

للباعة المتجولين، تركز فيها وسائل الإنتاج والنقل، وتتوزع منها المنتجات والخدمات لمختلف القرى. لذلك أضحت المبادلات التجارية بين مختلف القرى والمدن والجهات المغربية تكاملية، فحل اقتصاد السوق محل الاقتصاد المحلي، مما أفقد المواسم أدوارها الاقتصادية التقليدية، وأصبحت معارض محلية وجهوية منخرطة في منظومة اقتصاد السوق.

إلى جانب ذلك، تتميز المواسم والمهرجانات الراهنة بازدواجية الأنشطة التجارية، فهي من جهة سوق لتصريف المنتجات المحلية بكل أصنافها، ومصدر تتزود منه الساكنة المحلية بما يحتاجوها من مواد وبيع. تعد هذه المواسم والمهرجانات الراهنة معارض جهوية ومحلية للترويج للمنتجات الصناعية والحرفية العصرية، ومكان لإبرام الصفقات بين الشركات والمقاولات والتعاونيات ومن جهة ثانية.

إن هذه التحولات الملحوظة بخصوص الأدوار الاقتصادية للمواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، يمكن تفسيرها بمجموعة من العوامل، أهمها انفتاح المناطق النائية بالأطلس المركزي على اقتصاد السوق، بفضل بناء شبكة مواصلات الحديثة، إضافة إلى تطور وظيفة التجارة في المدن، وخلق الدولة لمؤسسات اقتصادية حديثة. وقد نتج عن ذلك، تراجع تدريجي لتأثير القوى المقدسة في المواسم والأسواق الأسبوعية، مما ساهم في تراجع الوظائف التجارية التقليدية للمواسم، وخاصة تلك المرتبطة بالزوايا والأضرحة.

خاتمة الفصل الثامن

يتضح أن المواسم عبارة عن أسواق سنوية على غرار الأسواق الأسبوعية، غير أن المواسم تمتزج فيها العناصر المقدسة مع الأنشطة الاقتصادية، فالفرق بين المواسم الاحتفالية والأسواق الأسبوعية تحدده مجموعة من المؤشرات أبرزها، المرجعية التحقيبية، الأولى سنوية، والثانية أسبوعية، كما أن موسم الزوايا والأضرحة ليس مكاناً للتسوق فحسب، وإنما احتفال بالولي الصالح، حيث يعتبر الزوار السلع الرائجة فيها "باروكا".

تتميز مواسم الأضرحة والزوايا والمزارات عن غيرها من الأسواق، كونها مناسبة تعرف فيها بعض المواد رواجاً تجارياً كبيراً، ويتعلق الأمر بتجارة البركة أو التجارة الروحية والرمزية، ومن بين هذه المنتوجات: الفواكه الجافة، والبذور، والحناء... إلى جانب ذلك، تعد المواسم مناسبة لتجار طب الأعشاب أو التداوي الشعبي لممارسة أنشطتهم المستغلين للبعد الرمزي للأضرحة والزوايا، لإقناع الزوار بجدوى هذه المواد العلاجية.

ونظرا للمكانة الروحية والرمزية التي تحظى بها مواسم الزوايا والأضرحة في ذهنية ساكنة الأطلس المركزي، كانت القبائل تحرص أن تكون هذه المواسم آلية من آليات تدبير الموارد الاقتصادية والبشرية المحلية، كاستغلال الموارد المائية والمجالات الرعوية، والفصل في النزاعات بين القبائل والأفراد، ونشر القيم، والتعاطي للتجارة...

إن المواسم بالأطلس المركزي مناسبة تعزز بها الزوايا والأضرحة مواردها وإمكاناتها المادية ومكانتها الاجتماعية، بفضل وهدايا وتبرعات الزوار من القبائل وأتباع الزوايا ومريديها. لقد ساهمت هذه التبرعات في تراكم الثروات بهذه المراكز الدينية، لذلك، يحقق بعض مواسم الأضرحة والزوايا رقم معاملات مهم، وخاصة المواسم المشهورة، وهو ما يوفر عائدات مهمة لحفدة الصلحاء التي تدعي انتمائها لشجرة نسب الولي.

وتجدر الإشارة إلى أن الأدوار الاقتصادية للمواسم والمهرجانات شهدت تحولات مهمة منذ سيطرت سلطات الحماية على المنطقة، حيث كانت المواسم قبل الاستعمار الفرنسي للأطلس المركزي مناسبة تستغلها القبائل لتصريف إنتاجها الفلاحي والحرفي، وسوق للتبضع بحاجياتها من السلع والمواد الفلاحية والحرفية التي تتماشى مع نمط عيش هذه القبائل.

بيد أن الغايات والأهداف من تنظيم المواسم والمهرجانات خلال فترة الحماية تغيرت بشكل ملحوظ، بحيث أصبح الهدف الأسمى من وراء تنظيم هذه المواسم خلال هذه الفترة، تنفيذ المشاريع الاستثمارية الاستثمارية والاستعمارية واستغلال الموارد المحلية، والترويج للسياسات الاستعمارية الفرنسية. أما الغايات والأهداف الراهنة من تنظيم المواسم والمهرجانات يمكن إجمالها في التثمين والترويج للمنتجات الصناعية والحرفية والفلاحية المنتجة من قبل الشركات والمقاولات والتعاونيات...

خاتمة

ومن أهم الخلاصات التي توصل إليها البحث أن مجال مجال الأطلس المركزي يتميز بمؤهلات طبيعية مهمة، متمثلة في تنوع التضاريس والمناخ والغطاء النباتي، ووفرة الموارد المائية. ويضم هذا المجال، موارد بشرية من خصوصياتها التنوع والغنى اللغوي والثقافي والإثني، حيث أن أصول أغلب ساكنة المنطقة تعود إلى القبيلتين الأمازيغيتين، صنهاجية ومصمودية، إضافة إلى عناصر بشرية من أصول عربية هلالية، وبعض الأقليات اليهودية والمسيحية. يبدو أن هذا التنوع الطبيعي والثقافي والبشري، ساهم في تشكل وتطور العديد من الأنماط الثقافية بما فيها المواسم والمهرجانات، التي كانت فرصة ومناسبة للقبائل لممارسة التجارة، والتزود بحاجياتها من المواد الفلاحية والحرفية، خاصة وأن مجمل الأنشطة الاقتصادية التي تمارسها الساكنة المحلية تركز على الفلاحية وبعض الحرف والتجارة.

وقد خلصنا أن المواسم والمهرجانات تعتبر احتفالات أساسية في الحياة اليومية لساكنة الأطلس المركزي، وتتميز بماضيها العريق وبطبيعتها المركبة والمعقدة، وتشكل هذه التظاهرات خصوصية من خصوصيات المجتمعات المغاربية والحضارات والشعوب القديمة. ويرجع الباحثون أن تكون أصول هذه المواسم مرتبطة بالمعتقدات والطقوس التعبدية الوثنية القديمة، الهادفة إلى وقاية الحقول، وتحقيق الخصوبة والاستسقاء.

واتضح لنا أن المواسم والمهرجانات عرفت تطورات كبرى بعد الفتح الإسلامي للمغرب، ارتبطت أساسا بمحاولات المسلمين الأوائل تكيف المواسم الزراعية القديمة مع الدين الإسلامي. ورغم قلة المعطيات حول هذه الفترات التاريخية الأولى، يبدو أن الذي تمكن من تدليل الصعاب وإدماج المواسم القديمة في المشروع الإسلامي هي الحركة الصوفية، التي بدأت هذا المشروع منذ الفترة الموحدة خلال القرن 12م، حيث كان شيوخ الحركة الصوفية يتسامحون مع العامة لممارسة الطقوس والعادات، بل وجعلها من بين الممارسات الإسلامية الصوفية المحمودة.

وقد تبين لنا أن عادات ارتباط المواسم الزراعية القديمة بالأولياء والأضرحة والزوايا بدأت تترسخ تدريجيا الطرقية منذ القرن 6هـ - 12م. وكان للزوايا الكبرى بمجال الأطلس المركزي خلال القرنين 16م و17م دور في تسهيل ارتباط المواسم الاحتفالية بالزوايا والأضرحة وإدماج طقوسها وعاداتها المواسم بالدين الإسلامي. لذلك، لا نستبعد أن يكون سبب انتشار الواسع لمواسم الزوايا والأضرحة بالأطلس المركزي خلال القرنين 18م و19م على غرار باقي مناطق المغرب، مرده اتساع السلطة الروحية والسياسية

للأولياء وشيوخ الزوايا خلال هذه الفترة، مما مهد لظهور طرق صوفية جديدة، وتشجيعها للمواسم والطقوس الاحتفالية المصاحبة لها.

لقد خلصنا أيضا أن الأدوار التاريخية التي لعبها الأولياء، قيد حياتهم أو بعد مماتهم، سواء الأولياء اليهود أو المسلمين، تفسر في جزئياته أسباب انعقاد المواسم الاحتفالية بجوار الأضرحة، وتبني الطرق الصوفية لهذه التظاهرات الاحتفالية، ومحاولتها إعطائها صبغة صوفية إسلامية أو يهودية، سواء كانت هذه الأدوار روحية أو نفسية أو اجتماعية أو سياسية واقتصادية، أو عسكرية جهادية. وللإشارة فإن، الأولياء الذين لعبوا أدوارا كبيرة في الأطلس المركزي لا ينحدرون كلهم من سلالة شريفة، حيث أن البعض منهم معروفين قيد حياتهم بتقواهم وبركاتهم، وهم أيضا موقرون ومشهورون، يزورهم السكان.

كما أن هذه الأدوار التي لعبها الأولياء وشيوخ الزوايا ترتب عنها، اندماج أغلب المواسم الفلاحية القديمة في المشاريع الدينية والسياسية للحركة الصوفية، خاصة بعدما أصبحت مؤسسة الولي قاعدة أساسية في ثقافة ساكنة الأطلس المركزي، التي رسخت اعتقاد السكان في بركة الأولياء. وهذا ما يمكن أن يفسر إشراف العديد من الزوايا والأضرحة على تنظيم أغلب مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي نهاية القرن 19م ومطلع القرن 20م، سواء المتعلقة بالمسلمين أو اليهود.

لقد ظهر لنا من خلال جرد وتصنيف المواسم والمهرجانات الاحتفالية بالأطلس المركزي خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، أن هناك تزايد عدد المواسم المنعقدة بالمغرب عموما، ومجال الأطلس المركزي على وجه الخصوص، ويمكن تصنيف المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، إلى عدة أصناف أبرزها: مواسم الزوايا والأضرحة والمزارات الإسلامية واليهودية، والمواسم المرتبطة بتدبير الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، كمواسم الأسواق السنوية ومواسم فتح المراعي الجماعية وتنظيم حفلات الزفاف والختان الجماعيين. ومواسم هدفها تنظيم المجال القبلي وتدبيره، من قبيل: مواسم تعيين شيخ القبيلة "أمغار ن تقبيلت"، وأعضاء "الجماعة". وأخيرا مواسم ومهرجانات مستحدثة وفلكلورية، غايتها تثمين المنتوجات الفلاحية والحرفية، والحفاظ على التراث والترفيه.

والملاحظ، أن هناك تشابه كبير في التنظيم المورفولوجي لهذه المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي خلال هذه الفترة، غير أن هذا التنظيم عرف تحولات وتطورات خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، بسبب تحول البنيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للأطلس المركزي، حيث كانت احتفالات المواسم إلى غاية مطلع القرن 20م، يوكل تنظيمها في المقام الأول إلى حفدة وخدام الأولياء، وأعضاء

الزوايا والطوائف الدينية. بيد أنه منذ فرض الحماية على المنطقة إلى يومنا هذا، أصبحت السلطات المحلية ووزارة الداخلية تتدخل في تنظيم المواسم، وتتكلف بمراقبة النظام والأمن.

لقد اتضح لنا أن المواسم والمهرجانات تشكل بالنسبة للسكان المحلية حدثاً مهماً لضبط إيقاع الزمن، وقطيعة مع الروتين اليومي، حيث تتميز أيام المواسم بالمزاوجة بين نمط حياة الترحال، وحياة الاستقرار، وتداخل النهار والليل، وغزارة عروض الفرجة، وتجاوز غالبية الرموز التقليدية المحافظة، والقيود الاجتماعية، مما يسمح بإعادة التجديد، والانفراج والتخفيف من التوترات الاجتماعية المتجدرة ووضعتها في دورة جديدة.

وفي هذا الإطار تبين لنا أن من بين مظاهر الاحتفال والطقوس والترفيه والتسلية التي تتضمنها مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي عروض الفنتازيا، التي كانت في الأصل مناورات عسكرية واحتفالات تواضب القبائل على تنظيمها قبل هيمنة سلطات الحماية على المنطقة، والتي ترمز للنضال ضد قوى خارجية وداخلية، يمارسها فرسان عارفين بضوابطها وطقوسها ومراسيمها.

غير أن عروض الفنتازيا شهدت تحولا كبيرا خلال القرن 20م، تمثل في انتقال الفنتازيا من أبعادها العسكرية المشار إليها، إلى أبعاد فنية فولكلورية، بعد إفراغ سلطات الحماية هذا التراث من أدواره الحقيقية. ورغم ذلك، تحظى الفنتازيا باهتمام كبير من قبل زوار المواسم والمهرجانات، مقارنة بباقي الطقوس ومظاهر الاحتفال المعروفة في المواسم، مما دفع السلطات إلى تشجيع هذا التراث الوطني، والزيادة في عدد بالمهرجانات والمواسم المرتبطة بالفروسية رغم المشاكل التي تواجه هذا التراث.

ومن بين المظاهر الاحتفالية الأخرى الحاضرة في احتفالات المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي عروض الرقص والغناء التي ترجع أصوله إلى حقب تاريخية قديمة مرتبطة بنمط الترحال، ولها علاقات بموضوعات الخصوبة، ومن سمات هذا الموروث الثقافي، الغنى والتنوع والأصالة التاريخية، وتعدد الموضوعات التي يعالجها. ومن أهم هذه الرقصات التراثية رقصتي "أحيدوس" وأحواش، ورقصة بوغانيم، التي يلعب فناني هذا النمط الغنائي دورا مهما في صناعة الرأي العام المحلي والجهوي، حيث كانوا ينقلون الأخبار ويعبرون عن معاناة وهموم القبائل خلال احتفالات المواسم، أو غيرها من المناسبات الاحتفالية.

لقد خلصنا كذلك أن الرقص والغناء بمواسم ومهرجانات الأطلس المركزي شهد تحولات كبيرة خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، متمثلة من جهة، في تحول اهتمام زوار المواسم، وخاصة فئة الشباب

بأنماط وأشكال أخرى من الرقص والغناء منها: ما يعرف بـ"الفراجة" أو "الشيخات" عند الساكنة المحلية. ومن جهة ثانية، اهتمام السلطات في العقود الأخيرة بتراث الرقص والغناء، رغبة منها في تثمين هذا الموروث الثقافي والحفاظ عليه، باعتباره جزء من الهوية المحلية، يمكن استغلاله للمساهمة في تحقيق التنمية المحلية.

وكانت عروض ومعارض التسلية والترفيه معروفة قبل الاحتلال الفرنسي بمواسم الأطلس المركزي، بأدوات ووسائل وتقنيات تقليدية، بما في ذلك المواسم اليهودية، وكانت متنفسا حقيقيا لزوار المواسم والمهرجانات بعد عام من العمل والجد في الأنشطة الفلاحية، وفي ظل انعدام فضاءات الترفيه خاصة في العالم القروي. وقد شهدت عروض التسلية تطورات كبيرة خلال القرن 20م وبداية القرن 21م، بفعل التحولات التقنية التي شهدتها منطقة الأطلس المركزي والمغرب عموما، الشيء الذي نتج عنه ظهور أصناف جديدة من التسلية العصرية التي تشبه مدينة الألعاب في الدول المتقدمة.

أما بخصوص الطقوس والعادات الاحتفالية بمواسم الأطلس المركزي، يبدو أن هناك اختلاط وتكامل وتفاعل بين الطقوس والعادات التي كانت تمارسها القبائل في مواسمها الفلاحية القديمة، وبين طقوس الحركات الصوفية الإسلامية وخاصة الشعبية، وقد بدأ هذا الاندماج منذ القرن 12م، واستمرت معالمه في الترسخ خلال القرنين 15م و16م، حينما سمح بعض شيوخ الزوايا بالأطلس المركزي لأتباعها بممارسة العديد من الطقوس وخاصة الرقص والذبيحة في مواسمها. وهكذا انتشر الرقص والذبيحة الصوفيتين بمواسم الزوايا والأضرحة بالأطلس المركزي، خاصة بعد ظهور طرق صوفية شعبية معروفة بممارستها لمثل هذه الطقوس التي تزايد نفوذها على حساب الطرق الصوفية التقليدية كالناصرية، والحنصالية، المعروف عنهما معارضتهما لكثير من الممارسات الصوفية.

ونشير إلى أن طقوس الرقص الصوفي، والذبيحة بمواسم الأطلس المركزي، تنظم وفق مراسيم وعادات تبدو في مظهرها متشابهة، لكنها في نفس الوقت متباينة من حيث جوهرها وأهدافها حسب خصوصيات طقوس المنطقة والطريقة الصوفية، حيث أن لكل طقس من طقوس الرقص الصوفي والذبيحة دلالاتها وأبعادها الروحية والرمزية، التي تمنح شرعنة ممارستها.

وللإشارة، فقد عرفت طقوس الرقص الصوفي والذبيحة بمواسم الأطلس المركزي تراجعاً مستمرا منذ بداية القرن 20م، بفعل مجموعة من العوامل المرتبطة من جهة، بالمد الإسلامي المتشدد، بزعامة الفقهاء المننديين يمثل هذه الطقوس، ومن جهة أخرى، بفعل التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي

شهدها المغرب خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م، والتي أفرزت حاجيات جديدة للسكان المحلية. وقد لعبت هذه الأسباب وغيرها دورا كبيرا في تزايد المواقف العدائية تجاه طقوس الحضرة والرقص الصوفي والذبيحة المرتبطة بالمواسم الاحتفالية، مما يهدد استمرار هذا الموروث الثقافي العريق. يمكن فهم التباين الواضح في اهتمامات مختلف فئات المجتمع لهذه الطقوس والعروض الاحتفالية التي تتضمنها ساحات المواسم والمهرجانات، بغزارة الطقوس وعروض الفرجة، حيث تفضل النساء الطقوس الاحتفالية المتعلقة بالضريح، في حين ينحصر اهتمام الشباب المراهق والأطفال في التجول في الموسم، والاستمتاع بعروض الفرجة، بفعل كثافة الأنشطة الترفيهية والألعاب، والمأكولات التي تحقق لديهم السعادة.

إلا أن هناك نفورا وتراجعا واضحا لأهمية زيارة الأضرحة والزوايا والمزارات خلال انعقاد المواسم منذ النصف الثاني من القرن 20م، ويمكن تفسير ذلك في ظهور مؤسسات وأجهزة جديدة وحديثة تنظم المجال المغربي، قامت مقام المؤسسات والأجهزة التقليدية المتمثلة في الزاوية والقبيلة، إضافة إلى انفتاح المغرب على اقتصاد السوق، الذي أفرز بروز حاجيات اقتصادية وثقافية واجتماعية جديدة عوضت الحاجيات التقليدية المرتبطة بمؤسسات الولي.

كما شكل توقف الزاوية والضريح عن تأطير المجتمع روحيا ودينيا، وتعويضها بوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي والمدرسة، عاملا أساسيا ساهم في تراجع اهتمام المجتمع بهذه المؤسسات الدينية، مما يفسر اليوم انتشار المواسم والمهرجانات المستحدثة، التي غالبا ما ترتبط بتمثيّن المنتجات الفلاحية والحرفية والصناعية، وبالتنمية المحلية، ولا تقام بالضرورة بجوار الأضرحة والزوايا. ولا بد من الاعتراف أن أقلية من سكان المنطقة لا يهتمون بالمواسم، ويتعلق الأمر هنا بأناس محافظين من جهة، يعتبرون هذه الممارسات الدينية منحي مخالفا للعقيدة الصحيحة، ويعتبرونها خرافات وغير مقبولة. من ناحية أخرى، ينبذ الحداثيون هذه الظاهرة، لأنها تقليدية وغير عقلانية، وهناك أقلية معتدلة من السكان المتعلمين يتعاملون مع المواسم بشكل إيجابي، لكنهم يواجهون صعوبة في الاعتراف بذلك.

أما فيما يتعلق بسياسات السلطات الحاكمة تجاه المواسم والمهرجانات، فقد اتسمت بالتباين والاختلاف حسب ما تقتضيه كل ظرفية تاريخية من تطورات ومصالح سياسية لكل سلطان، ودرجة استقرار البلاد. واتضح أن سياسات الدول المتعاقبة على المغرب قبل المرينيين تجاه المواسم الزراعية

التقليدية القديمة لم تكن واضحة. ولا يستبعد أن تكون هذه الأسر الحاكمة، واجهت إكراهات عدة لتحقيق غاياتها في محاربة المواسم الطقوس والعادات المحلية، ونشر الإسلام الصحيح في كل مناطق المغرب.

بيد أن علاقات السلطات تجاه المواسم عرفت تحولا كبيرا منذ فترة حكم المرينيين الداعمين للحركة الصوفية، التي استغلت بدورها دعم السلطات، لدمج المواسم الفلاحة القديمة في مشاريعها الروحية والاقتصادية والسياسية، وتمكنت من تكييف الدين الإسلامي مع معتقدات وطقوس الساكنة المحلية، وربطت المواسم الزراعية القديمة بالزوايا والأضرحة.

وتعاملت السلطات مع مواسم الزوايا والأضرحة خلال فترة حكم الدولة العلوية إلى غاية 1912م، بسياسات من خصائصها الإزدواجية، إذ كان ينهج سلاطين الدولة أحيانا، سياسة تطويق حركة الزوايا المتطلعة للحكم، وشن حرب على أنشطتها وخاصة المواسم والمهرجانات. بينما لا تتردد السلطات أحيانا أخرى في تشجيع أنشطة الزوايا والأضرحة التي تناصر نظام الحكم، بل كانت تبارك تأسيس طرق صوفية جديدة مساندة للنظام.

لكن تزايد شعبية الحركات الصوفية واستمرار هيمنتها على مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية الدينية للقبائل خلال القرنين 18م و19م، دفع السلطة إلى تبني سياسات متباينة تجاه المواسم والزوايا والطرق الصوفية والأضرحة، اتسمت في بعض الأحيان بالتسامح والتحالف لتفادي المواجهة، وأحيانا أخرى بالتشدد والصرامة، كما حدث في عهد السلطان مولاي سليمان الذي شن حربا على الزوايا وأنشطتها.

وفي فترة الحماية اتسمت سياسات السلطات تجاه المواسم بالدعم والتشجيع في الغالب، وذلك من خلال الحضور الشخصي للمقيمين العامين وأعاونهم من المخزن للمواسم والمهرجانات الاحتفالية، وإشرافهم على تنظيمها، وإلقائهم خطبا بهذه المناسبة. ويعزى هذا الدعم والتشجيع في رغبة السلطات الفرنسية اتخاذ مواسم مناسبة للترويج لسياستها الإسلامية بالمغرب، وإحداث تحولات اقتصادية كبيرة، خاصة في القطاع الفلاحي، في أفق تسهيل الاستيطان والاستغلال الاستعماري، وإضعاف مخططات الوطنيين والسلفيين المناهضة للاستعمار الفرنسي.

لقد استنتجنا أيضا أن السياسة الفرنسية تجاه المواسم الاحتفالية، لم تكن دائما تسير في اتجاه التشجيع والدعم، وإنما يطبعها المنع والحظر في بعض الأحيان، حيث منعت سلطات الحماية تنظيم

بعض المواسم الاحتفالية، لأسباب ترى فيها تهديدا لمصالحها الاستعمارية، خاصة بعض المواسم التي استغلها الوطنيون لإشاعة ونشر الأفكار المناهضة للإستعمار.

كما أن مواقف قادة الحركة الوطنية من هذه التظاهرات، كان يغلب عليها طابع الرفض لكل الطقوس وأنشطة الزوايا والمواسم الاحتفالية، باعتبارها بدعة تتنافى مع الدين الإسلامي، وتخدم مصالح الإستعمار. هذا الوضع دفع سلطات الحماية إلى اتخاذ موقف مناهض للحركة الوطنية والتيار السلفي المناهضين بدورهما للزوايا والمواسم والاستعمار .

أما سياسة الدولة بخصوص احتفالات المواسم المهرجانات خلال النصف الثاني من القرن 20م ومطلع القرن 21م، فقد عرفت تحولات عميقة، حيث قدمت السلطات كل الدعم المادي والمعنوي لهذه الاحتفالات رغبة من السلطات استغلال هذه المواسم والمهرجانات لتنمية الشعور القومي المغربي، والمساهمة في تحقيق التنمية المحلية والمحافظه على التراث، وإبراز سلطة الدولة ومؤسساتها الجديدة، التي عوضت المؤسسات الموروثة. يظهر أن السلطات تراهن على استغلال هذه المواسم والمهرجانات، لربط الساكنة المحلية بالجماعات المحلية، والملكية الدستورية، بدل ارتباط الساكنة بالقبيلة والزواوية ومؤسسات المخزن التقليدي.

ومنذ تولي الملك محمد السادس عرش المملكة المغربية 1999م، عرفت سياسات السلطات تجاه المواسم والمهرجانات تغييرات مهمة بحيث أصبحت السلطة تولي أهمية كبرى للأبعاد التنموية للمواسم والمهرجانات، من خلال التعريف بالتراث الثقافي المحلي بما فيه التراث اليهودي المغربي وتثمينه، واستغلال كل ذلك في تحقيق التنمية المندمجة المحلية.

غير أن السياسات الجديدة للسلطات تجاه التراث تواجهه مجموعة من التحديات أهمها: تنامي مواقف مجتمعية قوية معارضة للعديد من طقوس المواسم، كزيارة الأضرحة والذبيحة، وهو ما يهدد تراثنا المحلي والوطني، ويحول دون تحقيق غايات الدولة من تشجيع ظاهرة المواسم والمهرجانات.

إن اهتمام السلطات بالمواسم الراهنة، وخاصة مواسم الزوايا والأضرحة، يمكن تفسيره بكون التقاليد الكبرى في المملكة المغربية، تضم رموزا وعناصر ثقافية منبثقة عن الثقافات المحلية تمنح طابع الشرعية للدولة والنظام. وعلى سبيل المثال: فالسلطان المغربي يأخذ بعض صفات شخصه المقدسة المستوحاة من عالم تقديس الأضرحة، فهو ليس فقط شريفا كبيرا، مثل مولاي إدريس، لكنه صاحب بركة يمنحها وينتزعها كيفما يشاء. لذلك، يتم تشييد قبب على قبور سلاطين المغرب، وتحرص السلطة

أن يتلى القرآن الكريم على قبورهم، وتنظيم طقوس زيارة إلى أضرحتهم، كما يمارس العامة ذلك في أضرحة أوليائهم المحليين. وفي المقابل، فإن التقاليد المهيمنة التي تمثلها الدولة، تضخ رموزها في الأشكال الثقافية المحلية السائدة، كترزين السلطات المحلية ساحات المواسم بالإعلام الوطنية، والقيام بالصلوات في المساجد القريبة باسم الملك، ومن تم يتأكد الولاء للعرش العلوي بتقليد الولاء للولي المحلي، عبر وساطة المسؤولين المنتخبين.

وفي الأخير، نشير أن المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي تلعب أدوارا اقتصادية وتنموية مهمة باعتبارها أسواق سنوية على غرار الأسواق الأسبوعية، تعرف رواجاً تجارياً من مختلف السلع والخدمات، غير أن ما يميز المواسم عن غيرها من الأسواق، تداخل العناصر المقدسة مع الأنشطة الاقتصادية، فالمواسم ليس مكاناً للتسوق فحسب، وإنما احتفال بالولي الصالح، تصبح معها السلع الرائجة "باروكا". إلى جانب ذلك، تعتبر مواسم الأضرحة والزوايا آلية من آليات تدبير الموارد الاقتصادية والبشرية المحلية، كاستغلال الموارد المائية والمجالات الرعوية، والفصل في النزاعات بين القبائل والأفراد، ونشر القيم، ومناسبة تعزز بها الزوايا والأضرحة مواردها وإمكاناتها المادية الناتجة عن وتبرعات الزوار من القبائل وأتباع الزوايا ومريديها. كما تلعب هذه التبرعات دوراً كبيراً في تراكم الثروات بهذه المراكز الدينية، مما يجعل بعض المواسم تحقق رقم معاملات مهم، وهو ما يوفر عائدات ودخل مادي لحفدة الصلحاء التي تدعي انتمائها لشجرة نسب الولي.

وتجدر الإشارة، إلى أن الأدوار الاقتصادية للمواسم والمهرجانات شهدت تحولات مهمة منذ سيطرت سلطات الحماية على المنطقة، حيث كانت المواسم قبل الاستعمار الفرنسي للأطلس المركزي مناسبة تستغلها القبائل لتصريف إنتاجها الفلاحي والحرفي، وسوق للتبضع بحاجياتها من السلع والمواد الفلاحية والحرفية التي تتماشى مع نمط عيش هذه القبائل، خصوصاً إذا علمنا أن أغلب المواسم تنعقد بعد جمع المحصول.

غير أن الغايات والأهداف الاقتصادية من تنظيم المواسم والمهرجانات عرفت تحولات كبيرة خلال فترة الحماية، بحيث أصبح الهدف الأسمى من وراء تنظيم هذه المواسم خلال هذه الفترة، تنفيذ المشاريع الاستثمارية الاستعمارية واستغلال الموارد المحلية، والترويج للسياسات الاستعمارية الفرنسية. أما الغايات والأهداف الراهنة من تنظيم المواسم والمهرجانات يمكن إجمالها في الترويج وتثمين والمنتجات الصناعية والحرفية والفلاحية المنتجة من قبل الشركات والمقاولات والتعاونيات... ويعزى

هذا التحول في اعتقادنا، إلى انفتاح المنطقة على اقتصاد السوق، بفضل تطور وسائل الاتصال والمواصلات، وتطور وظيفة التجارة في المدن...مما عجل بأقول تأثير القوى المقدسة على الأسواق الأسبوعية والسنوية، وساهم في تراجع الوظائف التجارية للمواسم، خاصة المرتبطة بالزوايا والأضرحة. وفي الختام لابد أن نشير، إلى أن كل بحث مقدمة لأبحاث جديدة، ولا ندعي أننا استوفينا الموضوع حقه، وحسبي أنني قد اجتهدت، فإن أصبت فمن عون الله وفضله، وجهود أستاذي المشرف محمد العاملي، وتوجهات كل من أستاذتي الكريمة سعاد بلحسين، والأستاذ لحسن بودرقا، وإن أخطأت فذلك من عوائد البشر.

وأقدم شكري الجزيل الصادق مرة أخرى للأستاذ المشرف والأستاذة الفاضلة على دعمهم لنا طيلة إنجاز هذا البحث، كما أوجه شكري وامتناني لجميع أساتذة وموظفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببي ملال. وأشكر كذلك لجنة المناقشة الموقرة على تفحصها وقراءتها لهذا البحث. وأتمنى أن نكون عند حسن ضنكم جميعا.

لائحة البيبليوغرافيا

1- الوثائق والأرشيفات

- أرشيف المغرب بالرباط
- أرشيف وزارة السياحة المغربية، سنة 1973م
- أرشيف وزارة الداخلية المغربية (سنة 1982م)
- أرشيف المكتب الوطني المغربي للسياحة (سنة 1986م)
- أرشيف المديرية الجهوية لوزارة الثقافة المغربية جهة تادلا أزىلال لسنتي 1999م؛ 2000
- وثائق عائلية خاصة.

2- المصادر والمراجع

1-2 المصادر والمراجع باللغة العربية

- إبراهيم القادري البودشيشي، المجتمع، الذهنيات، الأولياء: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط. 1993.
- إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب قرنين ونصف قبل الحماية، مطبعة الرشاد، الدار البيضاء، 1985.
- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج1، ج. 3، منشورات دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2009
- ابن عداري المراكشي، البيان في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد بن إبراهيم الكتاني ومحمد زنيبر ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، منشورات دار الثقافة، ط. 1، البيضاء 1985.
- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشا في صناعة الإنشا، تحقيق، نبيل خالد الخطيب، دار الفكر للطباعة - دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 1، 1987.
- أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، 1987م.
- أبو القاسم الزياتي، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1991.
- أبو بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، مطبعة دار المنصور، الرباط، ط. 1971.
- أبو عبد الله محمد ابن الدراج، كتاب الإمتاع والانتفاع في مسألة سماع السماع، تحقيق محمد بن أحمد بن شقرون، منشورات كلية الآداب، محمد الخامس الرباط.

- أبي الربيع سليمان الحوات الشفشاوني، السر الظاهر في من أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر، دراسة وتحقيق حسن بلحبيب. دار الكتب العلمية، بيروت، 2017.
- أبي بكر بن علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، مطبعة دار المنصور، الرباط، طبعة 1971.
- أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق. 1984.
- أحمد التادلي الصومعي، المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، تحقيق علي الجاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1996.
- أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، اينولتان 1850-1912، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط. 2، 2011.
- أحمد المكاوي، المغرب في تاريخه المنسي، جوانب من تاريخ المغرب الحديث، منشورات جذور النشر، الرباط، 2006.
- أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1956.
- أحمد نجيب الدمناطي، القول الجامع في تاريخ دمناط وما وقع فيها من الوقائع، تحقيق أحمد بن محمد عمّالك، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ط. 2012.
- إدمون دوتي، السحر والدين في إفريقيا الشمالية، ترجمة فريد الزاهي، دار رؤية للنشر والتوزيع، 2018.
- إدمون دوتي، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغربي خلال القرن 19م، ترجمة محمد ناجي بن عمر، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء 2014.
- البيير عياش، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعود، مطبعة دار الخطابي للطباعة والنشر، ط. 1، 1985.
- البيضاوية بلكمال، مخطوط "نوازل ابن الحاج"، مصدر جديد في تاريخ المجال القروي بالمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، البادية المغربية عبر التاريخ، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، ط. 1، 1420 / 1999.
- تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق، محمد زينهم؛ مديحة الشرقاوي، منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، ط. 1، 1997.

- حاييم الزعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، تاريخ، ثقافة، دين، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم. ط. 1، الدار البيضاء 1987.
- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، مطبعة دار الغرب الإسلامي بيروت، ج. 1، ط 2، 1983.
- حسن رشيق، سيدي شمروش: الطقوسي والسياسي في الأطلس الكبير، ترجمة عبد المجيد جحفة مصطفى النحال، إفريقيا الشرق، 2010.
- حسن مروة، النزاعات المادية في الفلسفة العربية، ج. 2، دار الفرابي، بيروت 1979.
- دانييل شروتر، تجار الصويرة، ترجمة خالد ابن الصغير، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، مطبعة النجاح، البيضاء، ط. 1، 1997.
- رحمة بورقية، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة بيروت لبنان، ط. 1، 1991.
- رشيد يوسف أبو رشد، الحضارة الإسلامية: نظم، علوم، فنون، مكتبة العبيكان الرياض، ط. 2، 2005.
- زكية زوانات، ابن مشيش شيخ الشاذلي، ترجمة أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، 2006.
- سعيد كنون، الجبل الأمازيغي آيت أمالو وبلاد زيان، المجال الإنسان والتاريخ، تعريب محمد بوكبوط، منشورات الزمن، الرباط، 2014.
- شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1888 - 1884، ترجمة المختار بلعربي، مطبعة النجاح الجديدة، ج. 1، الدار البيضاء، 1999.
- الشيخ امحمد المنالي الزبادي، سلوك الطريقة الواربية بالشيخ والمريد والزاوية، دراسة وتحقيق وتقديم نعيمة بنونة وأحمد الشرقاوي، المطبعة الورقية الوطنية، الجزء الأول، الطبعة 1، 2010.
- صالح بن عبد الحليم الأيلاني، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، ط. 2، 2008.
- عبد الجليل بادو، السلفية والإصلاح، منشورات سيليكسي إخوان، طنجة، ط. 2007.
- عبد الحفيظ بن محمد الطاهر الفاسي، معجم الشيوخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج. 6، 1983.
- عبد الفتاح صديق، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، القاهرة، ط. 1، 1414هـ / 1994م.
- عبد الكريم الجويطي، تاريخ بلاد تادلا تحيين وتركيب، الجزء الثاني، مطبعة البيضاوي، 2017.

- عبد الكريم كريمة، المغرب في عهد الدولة السعودية، دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، منشورات جمعية المؤرخين المغربية، ط. 3، الرباط، 2006.
- عبد الله حمودي، الأضحية وأقنعتها، بحث في الذبيحة والمسخرة بالمغرب، ترجمة عبد الكبير الشرفاوي، دار توبقال للنشر، ط. 1، 2010.
- عبد المجيد القدوري، المغرب وأوروبا ما بين القرنين 15م و-18م "مسألة التجاوز"، المركز الثقافي العربي، البيضاء، 2000.
- عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية الرباط، ج. 1، ط. 1968.
- عرفان محمد حمور، المواسم وحساب الزمن عند العرب قبل الإسلام، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، ط. 1، 2000.
- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، منشورات عبد السلام جسوس، طنجة 1948، pdf.
- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، منشورات دار المنصور الرباط، ط. 2، 1972.
- علي زيعور، التحليل النفسي للذات العربية، الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط. 3، 1982.
- عيسى العربي، قبيلة آيت عتاب السكان وحياتهم الدينية عبر التاريخ، دار الخطابي للطباعة والنشر، مطبعة الأفق، ط 1، البيضاء 1992.
- الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي للطباعة والنشر، ط. 3، 1987.
- لحسن ايت لفيقيه، إملشيل، جدلية الانغلاق والانفتاح، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، يونيو 2001، صص 5-37.
- مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي، أحمد التوفيق وآخرون، دار نشر المعرفة، ج. 2، ط. 1989.
- محمد ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996.
- محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، تاريخ الدولة السعودية، نشر دار المآثورات، الرباط، 1986.
- محمد الغجدامي، التسلي عن الأفات بذكر الأحوال وما فات، تحقيق أحمد التوفيق.
- محمد القبلي، الدولة والولاية والمجال في المغرب الوسيط، علائق وتفاعل، دار طبقال، الدار البيضاء، 1997.
- محمد القبلي، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال، ط. 1، 1987.

- محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار المجتمع والدولة والدين 1792-1822، ترجمة محمد حبيدة، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2006.PDF.
- محمد المنوني، "ورقات عن حضارة المرينيين"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 20، ط 2، 1416هـ / 1996م.
- محمد بن أحمد أكنسوس، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تحقيق وتقديم أحمد بن يوسف الكنسوسي، مراكش، ط 1994.
- محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، منشورات المعهد الثقافي الفرنسي، دمشق، 1967م.
- محمد بن البشير بوسلام، تاريخ قبيلة بني ملال 1854-1916، مطبعة المعارف الجديدة، سنة 1991.
- محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق: محمد حجي وأحمد توفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر وتوزيع مكتبة الطالب، ج 2، ط 1، الرباط 1982.
- محمد بن عبد الله الخليفتي، الدرّة الجليّة في مناقب الخليفة، دراسة وتحقيق أحمد عمالك، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2014.
- محمد بن علي بن عسكر الشفشاوني، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط 3.
- محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة الجديدة، ط 2، 1988.
- محمود عبد الله عبان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج 2، ط 1964.
- مصطفى عربوش، أحمد بن أبي القاسم، شيخ زاوية الصومعة ومعه زوايا المنطقة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998.
- مصطفى عربوش، الزاوية الصومعة.
- مصطفى فرحات، طقوس وعادات أهل بزو، مطبعة المعارف، الرباط، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ط 2007.
- مفيد رائف العابد، دراسات في تاريخ الإغريق، مطبعة دار دمشق سورية، 1979.
- المكي الناصري، إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة، تحقيق، محمد برعيش الصفريوي، منشورات السبيل، تونس، 1925.pdf.

- مولاي التقي العلوي، أصول المغاربة، مراجعة، علال ركوك وحفيظة الهاني، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الطبعة الثانية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2019.
- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجاب الأمصار، وصف مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق، سعد زغلول عبد الحميد، 2012.
- نفيسة الذهبي، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط. 1997م.
- نور الدين الزاهي، الزاوية والحزب، الإسلام السياسي في المجتمع المغربي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط. 1، 2003.
- نور الدين الزاهي، المقدس الإسلامي، دار توبقال للنشر، ط. 1، 2005.
- نور الدين الزاهي، المقدس والمجتمع، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012.
- الهادي الهروي، القبيلة الإقطاع والمخزن مقارنة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، منشورات إفريقيا الشرق، 2005.

2-2 المصادر والمراجع باللغات الأجنبية :

- AKHMISSE Mustapha, Médecine, magie et sorcellerie au Maroc, ed. Edimed, Casablanca, 1985.
- Auguste Guillaume, les berbères marocains et la pacification de l' Atlas central, ed . renejuillard, Paris, 1946.
- Azeddeian sossie, Expériences du divin dans l'Algérie contemporaine, Adeptes dans saints dans la région de Tlemcen, CNRS Editions, Paris, 2001.
- Bellaire Michaux, Archives marocaines, publication de la Mission scientifique du Maroc, V. 27 . ed. P. Geuthner, Paris, 1927.
- BEN TALHA Abdelouahed, Moulay-Idriss du Zerhoun, quelques aspects de la vie sociale et familiale, Editions techniques nord-africaines, Rabat, 1965.
- BERGSON Henri, Le rire: essai sur la signification du comique, Paris, PUF, 1978.
- BOUDHIBA Abdelwahab, La sexualité en Islam, collection Quadrige, PUF, Paris, 1986.
- BOURDIEU Pierre, Esquisse d'une théorie de la pratique, précédé de, Trois études d'ethnologie kabyle, Genève, Librairie Droz, 1972.
- BRIGNON Jean. Histoire du Maroc, Librairie nationale, Casablanca, 1967.
- BROWN Kenneth, People of Salé: Tradition and Change in a Moroccan City 1830-1930. Manchester: University Press , 1976.
- BROWN Kenneth, People of Salé: Tradition and Change in a Moroccan City 1830-1930, Manchester: Manchester University Press, 1976.
- BRUNEL Paul, Essai sur la confrérie religieuse des Aïssàoua au Maroc, Geuthner, Paris, 1926.

- Brunel Paul, le monachisme errant dans l'islam: Sidi Heddi et les Heddawa, Librairie Larousse, Paris, 1955.
- CHEVALIER Jean, Le soufisme, collection Que sais-je , Paris PUF, 1984.
- David HART, Islam in Tribal Societies, from the Atlas to the Indus, Routledge and Kegan Paul, London, 1984.
- Dermenghem Emile, J'ai vu les Aissaouas d'Afrique du Nord Jouer mystiquement avec le fer et avec le feu, Sciences et voyages, 1949.
- Dermenghem Emile, le culte des saints dans l'islam maghrébin, Gallimard, Paris, 1954.
- DRAGUE Georges, Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Peyronnet, Paris, 1951.
- DWYER Daisy, Women, Sufism, and Decision-Making in Moroccan Islam in BECK, Lois and Nikki KEDDIE, édition the Muslim World Cambridge Harvard University Press, 1978.
- Fenneke Roysso, Pèlerinages au Maroc, Fête Politique et échange dans l'islam populaire, EDIEN, Paris, 1991.
- Fogg Walter, A Moroccan Tribal Shrine and its Relation to a Nearby Tribal Market, Man nos, 1940.
- GEERTZ Clifford, The Interpretation of Cultures: Selected Essays, Basic Books, New York, 1973.
- Geertz Clifford, Meaning and order in Moroccan Society, Cambridge, CUP, 1979.
- Gsell Stéphane, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Tome VIII, ed. Hachette, Paris, 1928.
- HUBERT Henri, mélanges d' histoire des religions, étude sommaire de la représentation du temps dans la religion et la magie, Ecole pratique des hautes études, section des sciences religieuses, PARIS, 1906.
- KRIEM Abdelhamid, et Préface à Marie-Rose RABATE, Les beaux moussems du Maroc: Imllchil, Casablanca Maroc, Editions, 1970.
- Laoust Emile , L'habitation chez les transhumants du Maroc central, Larousse, Paris, 1935.
- LAOUST Emile, Mots et choses berbères, notes de linguistique et d'ethnographie, Société Marocaine d'Édition, collection Calques, Rabat, 1983.
- MAUCLAIR Camille, La Fantasia, pub. Maroc Pierres étames, Casablanca, non daté.
- Mazel Jean, Enigmes du Maroc, édition Robert Laffont, Paris 1971.
- MERNISSI Fatima, Sexe, Idéologie, islam, Les Éditions maghrébines Casablanca, volumes 2, 1985/ pdf.
- Pascale Ranzier Marie, Moussems et fêtes traditionnelles au Maroc Courbevoie, ACR Edition, paris, 1997.
- PASCON Paul, La maison d'Iligh et l'histoire sociale du Tazerwalt, SMER, Rabat, 1984.
- REYSOO Fenneke, Des Moussems du Maroc Une approche anthropologique de fêtes patronales, Enschede: Sneldruh 1988 pdf.
- SEGONZAC Marquis de, Voyages au Maroc 1899-1901, Armand Colin, Paris, 1903.

- SMITH ROBERTSON William, Lectures on the Religion of the Semites, Adam & Charles Black, London, 1907.
- TRIMINGHAM John, The Sufi Orders in Islam, Clarendon Press, Oxford, 1971.
- Troin Jean-François, Les souks marocains: marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc, Aix-en-Provence, Edisud, 2 vol , 1975.
- TURNER Victor , The Ritual Process, Structure and Anti-Structure, Routledge and Kegan Paul, London, 1969.
- VOINOT Louis, Pèlerinages judéo-musulmans du Maroc, Larose, Paris, 1940.
- WATERBURY John, Le commandeur des croyants: la monarchie marocaine et son élite, Traduit de l'anglais par : Aubin, PUF, collection Pays d'Outre-Mer, Paris 1975.
- WATTIER Cap, Le carnaval à Marrakech, Lectures pour Tous, 1917.
- Westermarck Edward, Ritual and Belief in Morocco, Volumes II, Mac Millan , London, 1926.

3- المجلات والدوريات والندوات وغيرها

3-1 المجلات والدوريات والندوات وغيرها باللغة العربية

- أحمد التوفيق، "من التاريخ الاجتماعي للمغرب: مؤسسة النزاييل والمواصلات الداخلية والتدخل الأجنبي خلال القرن 19م"، في: ندوة: التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ج. 1، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب، مطبعة فضالة المحمدية الدار البيضاء، 1992.
- أحمد المكاوي، مادة "العالية"، معلمة المغرب، ج. 25، ملحق ج. 2.
- أحمد زروال، مادة "واد العبيد"، معلمة المغرب، ج. 18، مطابع سلا، 2003.
- أحمد عمالك، مادة "زاوية أحنصال"، معلمة المغرب، ج. 1.
- بوشمة الهادي، "الوعدة والتمثل والممارسة، دراسة انثربولوجية بمنطقة أولاد نهار"، في: مجلة إنسانيات، عدد مزدوج، 39-40، يناير - يونيو 2008.
- بول باسكون، "في علم الاجتماع القروي"، ترجمة محمد بولعيش، في: مجلة بيت الحكمة، العدد 3، أكتوبر 1986.
- جاك بيرك، "الإصلاحية الإسلامية في المغرب العربي فضاءات وأزمة"، ترجمة العربي الوافي، في: مجلة المناهل، العدد، 61، 2000.
- خوان غويتيسولو، "أضرحة وزوايا وطوائف، طقوس زيارة الأولياء في الإسلام المغربي"، ترجمة إبراهيم الخطيب، في: مجلة المناهل، العدد 81، 80، فبراير 2007.

- روني باصي، أبحاث في دين الأمازيغ، ترجمة حمو بوشخار، في: مجلة دفاتر وجهة نظر، مطبعة النجاح الجديدة، ط. 1، 2012.
- روني برونييل "الطرقية والزوايا بالدار البيضاء خلال فترة الحماية"، ترجمة صالح شكاك، في: مجلة المناهل، العدد 82، 83، 2007.
- الزبير مهداد، "الاحتفاء بالفنون الشعبية في عيد المولد النبوي في المغرب"، في: مجلة الثقافة الشعبية، السنة 4، العدد 13.
- صديقي محمد الناصر، "تواصلية أعياد الخصب البشري في عادة النفاضة"، في: مجلة الحياة الثقافية، العدد 217، 2010.
- عبد الرحيم بن علي، مادة "قصة تادلا"، معلمة المغرب، ج. 19.
- عبد العزيز الضعيفي، مادة "بني موسى"، معلمة المغرب، ج. 21.
- عبد العزيز بنعبد الله، معلمة التصوف الإسلامي، التصوف المغربي من خلال رجالته، ج. 2
- عكاشة برحاب، "الزوايا والطقية في مخطط الإقامة العامة"، في: مجلة أمل، عدد مزدوج 22، 23، 2001.
- علي صدقي أزيكو، مادة "أكرم"، معلمة المغرب، ج. 2.
- قاسم الحادك، "الانتشار الدرقاوي في الأطلس المتوسط: الخلفيات والتجليات"، في "ندوة" التصوف التادلي في العصر الحديث عصر الأوج والقوة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 16، مطبعة وورك بيرو، بني ملال 2018.
- المالكي الملكي، مادة "انتيفة"، معلمة المغرب، ج. 22.
- المحفوظ أسمهر، "بعض مظاهر الفرجة ببلاد الأمازيغ قبل الإسلام، الفرجة والتنوع الثقافي في مقاربات متعددة الاختصاصات"، في: (ندوة)، منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة، ط. 1، 2008.
- محمد المهنائي، "الولي والمجتمع، مدخل لدراسة تاريخ الخوف بالمغرب الحديث"، مجلة كلية الآداب الجديدة، العدد 11-12.
- محمد آيت حمزة، مادة "آيت أمالو"، معلمة المغرب، ج. 2، مطابع سلا، 2003.
- محمد حجاج الطويل، "النشاط الاقتصادي في تادلا خلال العصر الوسيط"، في: تادلا، التاريخ، المجال، الثقافة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993.

- محمد حقي، "المواسم بين الفلكلور والتاريخ في اقليم ازيلال"، في: مجلة المناهل، العدد 88، 2011.
- المصطفى الرئيس، "اضاءات حول الزوايا والطرقية زمن الحماية"، في: سلسلة شرفات، العدد 74، شتنبر 2016م.
- الملكي المالكي، مادة "بني عمير"، معلمة المغرب، ج. 5.
- هوبس بيجين، "تنظيم المجال المغربي"، في: مجلة علم الاجتماع السياسي، العدد 7-8، السنة 1988.

2-3 المجلات والدوريات والندوات وغيرها باللغات الأجنبية

- ABES Mohamed, « Les Ait Nahir (Beni Mtir) », in: Archives Berbères, vol. 2, Leroux, Paris, 1917.
- AHERDAN Mahjoubi, « Sur les traces de notre culture », in: Amazigh, n° 3-4, Rabat, 1980.
- BALINT Michael, « Fêtes foraines et frissons », in: Les voies de la régression, Petite Bibliothèque Payot, Traduit de l'anglais Thrills and Regressions, The International Psychoanalytical Library, Paris, 1959.
- BEROQUE Jacques, « Les capteurs du divin: marabouts et oulémas », in : La Revue de la Méditerranée, Tome 10, mai - juin, 1955.
- CRAPANZANO Vincent, The Hamadsha a Study, in: Moroccan Ethnopsychiatry Berkeley The University of California Press, 1973.
- CRAPANZANO Vincent, Les Hamadcha: «Une étude d'ethnopsychiatrie marocaine», in: Archives de sciences sociales des religions [En ligne], octobre-décembre 2000, document 112.68, mis en ligne le 19 août 2009.
- David Samuel Margoliouth, Encyclopaedia of Islam, 1934.
- DRAGUE Georges, « note sur la zaouia d'Ahançal », in: Archives Berbère, VXXVII, Paris 1927.
- EICKELMAN Dale, Moroccan Islam Tradition and Society in: a Pilgrimage Center Austin University of Texas Press, 1976.
- GEERTZ Clifford et Lawrence ROSEN, Meaning and order in: Moroccan Society, Cambridge, CUP. 1979.
- GELLNER Ernest, Saints of the Atlas, Weldenfeld & Nicolson, London, 1969.
- Gluckman Max, «Order and Rebellion» in: Tribal Africa, Cohen & West, London 1963.
- Henri Basset et Henri Terrasse, « sanctuaires et forteresses, almohades TINMEL », in: Hespéris, Archives marocaines, volume 4, premier trimestre, Ed. Edaraf, 1924.

- JEAN Mothes, « les huileries coopératives en milieu autochtone Marocin » in : B. E. S. M. N° 57, 1953, p p. 197. 206.
- LAOUST Emile, « Le mariage chez les Berbères du Maroc », in: Archives Marocaines, Rabat, 1915 – 1916.
- Les guides blues du Maroc, Hachette, Paris, 1954.
- LEVI PROVENCAL, « Evariste, Pratiques agricoles et fêtes saisonnières des tribus djebala de la vallée moyenne de l'Ouarghah », in : Archives Berbères, publication de l'Institut des hautes études marocaines, V. 3, fascicule 1, 1918.
- Levi Provençal, « Le Maroc en face de l'étranger à l'époque moderne », in: Bulletin Enseignement public au Maroc, 1925.
- MARCUS Michael, « The Saint has been stolen Sanctity and Social Change », in: a Tribe of Eastern Morocco American Ethnologist, Vol 12, no 3, 1985.
- Michaux Bellaire, et Salmon Georges, « Les tribus arabes de la vallée du Lekkoùs », in: Archives Marocaines, Vol. IV , 1905.
- Michaux bellaire, « note sur les Amhaouch et ahançal », in: les Archives berbères, vol. 2, fasc 3, 1917.
- MONTAGNE Robert, « Coutumes et légendes de la côte berbère du Maroc », in: Hespéris, Vol. IV, 1er trimestre, 1924.
- Peyron Michael, « Fantasia », in: Encyclopédie berbère, Volume, no 18, 1997, mis en ligne le 01 juin 2011.
- Peyron Michael, « Ait Ferroukh « Danse », in : Encyclopédie berbère, « Volumes », n° 14, 1994.
- Peyron Michael, «Le mariage en milieu Ait Yafelman», in: Etudes et Documents Berbères, n. 17, Rabat, 1999.
- Peyrone Michael, Le mariage chez les Ayt Yafelman de l'Atlas marocain, in: études et Documents Berbères, n.17, Rabat, 1999.
- RABATÉ Marie Rose, Les peintures naïves des théâtres forains au Maroc, in: Maroc Tourisme, Rabat, no 53, 1969.
- SALMON Georges, « La vie religieuse au Maroc: le grand moussem de Moulay-Idriss et la signification des fêtes musulmanes ». in: Bulletin d'Information et de Documentation, n° 15 septembre, 1938.
- SALMON Georges, « Le cult e de Moulay Idris e t la mosquée des Chorfa à Fès ».in Archives marocaines, Vol. III, 1904.
- SEFRIOUI Ahmed, « Les tradition guerrières », in: Le Mémorial du Maroc, Vol. VIII, 1985.
- TUALBI Noureddine, « La circoncision: blessure narcissique ou promotion sociale », in : Bulletin de Psychologie, Vol. XXVV, 1974.
- VOINOT Louis, « Les Zaouia de Marrakech..., Société de géographie marocaine », in: revue de géographie marocaine, 21 eme année , n.1, 1937.
- WESTERMARCK Edward, Rituel and Belier in: Morocco, Mac Millan, 2 Volumes, London, 1926.

3 – الأطروحات والرسائل الجامعية

- لحسن بودرقا، الثروة الحيوانية بشمال إفريقيا القديم، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2001-2002.
- لطيفة شراس، الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10 و11هـ / 16 و17م. أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ بكلية الآداب بالرباط، سنة 2004.
- المحفوظ أسمهر، جوانب من حضارة شمال إفريقيا القديم والصحراء من خلال النقوش والرسوم الصخرية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2003-2004.
- محمد العنزي، الفرس ببني عمير، بحث مرقون لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال، سنة 2012.
- حسن آيت علي، الموروث الثقافي بجهة تادلا أزيلال المواسم نموذجاً، بحث مرقون لنيل شهادة الماستر المتخصص في التاريخ والتراث الجهوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال، سنة 2013.
- محمد بن لحسن، نظرية المقاومة من خلال مخطوط كباء العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، دراسة تنظيرية مع توثيق النص، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بني ملال جامعة القاضي عياض، ج. 3، 1997.
- المصطفى الرايس، الزوايا والطرق الصوفية، من خلال الصحافة الصادرة بمنطقة الحماية الفرنسية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب الجديدة، سنة 2012م.

5 – الجرائد والمواقع الإلكترونية

5-1 الجرائد والمواقع الإلكترونية باللغة العربية

أ – الجرائد باللغة العربية

- جريدة السعادة، العدد من سنة 1912 إلى 1956م.
- جريدة "المصري اليوم"، 11 ابريل 2015.
- جريدة الأطلس، العدد 34، 07 أكتوبر 1937.
- جريدة الأطلس، العدد 28، 26 غشت 1937.
- جريدة الرأي العام، العدد 166، 01 شتنبر 1950.

- جريدة الرأي العام، العدد 71، 08 شتنبر 1948.
- جريدة الرأي العام، العدد 71، 08 شتنبر 1948.
- جريدة الرأي العام، العدد 71، 08 شتنبر 1948؛ العدد 103، 17 يونيو 1949؛ العدد 225، 11 يناير 1951
- الجريدة الرسمية، تقرير رقم 135، بتاريخ 24 ماي 1915.
- الجريدة الرسمية، تقرير عن الوضعية السياسية والعسكرية في منطقة الحماية الفرنسية، رقم 128 بتاريخ، 03 أبريل 1915.
- جريدة العلم، العدد 1169، 8 يونيو 1950.
- جريدة العلم، العدد 1274، 08 أكتوبر 1950.
- جريدة العلم، العدد 1278، 13 أكتوبر 1950.
- جريدة العلم، العدد 138، 19 فبراير 1947.
- جريدة العلم، العدد 147، 01 مارس 1947؛ جريدة الرأي العام، العدد 42، 19 فبراير 1948.
- جريدة العلم، العدد 176، 1 نونبر 1950.
- جريدة العلم، العدد 1924، 29 شتنبر 1952
- جريدة العلم، العدد 194، 26 أبريل 1947.
- جريدة العلم، العدد 194، 26 أبريل 1947.
- جريدة العلم، العدد 21، 05 أكتوبر 1946.
- جريدة العلم، العدد 725، 06 يناير 1949.
- جريدة العلم، العدد 926، 28 غشت 1949؛ العدد 1349، 04 يناير 1951؛ العدد 225، 12 يناير 1951.
- جريدة العلم، العدد 929، 01 شتنبر 1949.
- جريدة العلم، العدد، 1919، 24 غشت 1952.
- جريدة المساء، العدد 795، 11 - 12 أبريل 2009.
- جريدة المغرب، العدد 78، 05 أكتوبر 1937.
- جريدة الوداد، العدد 321، 07 شتنبر 1953.

- جريدة الوداد، العدد 469، 26 فبراير 1953؛ العدد 482، 13 مارس 1953.
- جريدة الوداد، العدد 469، 26 فبراير 1953؛ العدد 482، 13 مارس 1953.

ب- الجرائد باللغة الفرنسية

- Le petit marocain, N° 5867, 08 Mars 1934.
- La liberté, N° 54, 20 December 1953.
- Le Petit Marocain, N° 27, 12 Décembre 1966.
- Le Matin du Sahara, 12, 05, 1984
- Le Matin du Sahara, Le 3, 3, 1987.
- Le Matin du Sahara, 6 Juin 1987.

ج- المواقع الإخبارية والإلكترونية

- الموقع الإلكتروني الإخباري، هسبريس، فيديو، 3 مارس 2019.
- قناة الأولى المغربية، بمشاركة القناة الفرنسية TV5، برنامج مرحبا بكم، سنة 2013.
- القناة الثانية المغربية، نشرة الأخبار، حول موسم أبي الجعد، 19 شتنبر 2019.
- الموقع الإخباري الإلكتروني، أنور بريس، بتاريخ 21 دجنبر 2019.
- الموقع الإخباري الإلكتروني، Casapress.net، بتاريخ 18 يناير 2017.
- الموقع الإخباري الإلكتروني، أنفاس بريس، بتاريخ 08 غشت 2016.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، azilal24.com، 01 أبريل 2017.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، تكتة انفو، 24 يونيو 2019.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، azilal24.com، 27 أبريل 2016.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، belpress.com، 9 أبريل 2019.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، trtarabi.com، 12 غشت 2019.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، almassaraljadid.com، 25 مارس 2018.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، ar.welovebuzz.com، نقلا عن موقع أسفي بريس، بدون تاريخ.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، atlas24.ma، 18 يناير 2016.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، Atlascoop.com، بتاريخ 21 شتنبر 2019.

- الموقع الإلكتروني الإخباري، azilal24.com، 27 يونيو 2013.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، benimellal.press.com، 28 مارس 2016.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، noonpost.com، 18 شتنبر 2017.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، taxinews.ma، 17 أبريل 2019.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، trtarabi.com، 12 غشت 2019،
- الموقع الإلكتروني الإخباري، wasat.ma، 08 ماي 2015.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، أخبارنا المغربية، 18 أكتوبر 2015.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، أخبارنا المغربية، 24 دجنبر 2013
- الموقع الإلكتروني الإخباري، العمق المغربي، 06 دجنبر 2017 .
- الموقع الإلكتروني الإخباري، العمق، نقلا عن وكالة المغرب العربي للأنباء، 07 مايو 2016.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، هسبريس، 15 يناير 2016
- الموقع الإلكتروني الإخباري، هسبريس، 26 شتنبر 2017.
- الموقع الإلكتروني الإخباري، أنور بريس، 21 دجنبر 2019.
- قناة الأولى المغربية، "نشرة الأخبار"، تصريح عينة من اليهود المغاربة سنة 2019، بمناسبة هيلولة دا ويد دراع.

- <https://fb.watch/7ZZqDztYJu>

6- الرواية الشفهية والتحريرات الميدانية

- رواية شفوية، محمد الغياط، من مدينة قلعة السراغنة، أحد عناصر طائفة جلالة بالسراغنة، عمره 70 سنة، بتاريخ 23 ماي 2021.
- رواية شفوية، إبراهيم بن شهيد دوار آيت إغرم آيت عتاب، عمره 70 سنة، بتاريخ 06 أبريل 2019.
- رواية شفوية، أحمد أناصر من بلدة زاوية الشيخ؛ وعلي بن إبراهيم، من منطقة لقباب؛ مصطفى كعروس، من مدينة قصبه تادلة...
- رواية شفوية، أرني حدو، من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت وابوض، عمره 60 سنة؛ وأشكو باسو، من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة إوناش، عمره 65 سنة؛ واعدي محمد من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت عمر أويكو، عمره 41 سنة. نبارك أوجا من قبيلة آيت عمر

- الشرفاء، فخذة آيت أمديد، عمره 48 سنة. موحى أوطيب من قبيلة آيت عمر الشرفاء، فخذة آيت عمر أويكوا، عمره 35 سنة . بتاريخ الأحد 22 شتنبر 2019 الساعة 10 صباحا بضريح سيدي احمد المغني، المتزامن مع انعقاد موسم إملشيل 2019م.
- رواية شفوية، أطيح موحى ، بواب ضريح سيدي احمد أولمغني بإملشيل .
- رواية شفوية، الزاهدي المعطي، من دوار أولاد الطرش واد زم، 45 سنة، بتاريخ، 08، شتنبر 2012.
- رواية شفوية، المقدم صالح آيت أمرغاض، من قبيلة آيت أمعلا آيت عتاب، عمره 80 سنة، رواية بتاريخ 04 أبريل 2013.
- رواية شفوية، المنصوري محمد، رئيس جمعية الموضع؛ وبوطالب عبد الرحمان، رئيس جمعية تمشكضان آيت تكلا إقليم أزيلال.
- رواية شفوية، المهدي الدواوي المزداد سنة 1954م بواب الضريح أو المقدم حاليا، من شرفاء سيدي بن داود من فخذة آيت ويرا
- رواية شفوية، المهدي شوقي، وعمره 48 سنة، حاصل البكالوريا عاطل عن العمل؛ الدحمان صالح من موليد سنة 1947م؛ وجعفر أحمد، من مواليد سنة 1939 م، كلهم من حفدة سيدي علي بن إبراهيم تم إجراء المقابلة يوم 01 ماي 2019.
- رواية شفوية، أنزور لوسبور، أحد شعراء آيت إحيى آيت حديدو، موسم إملشيل، شتنبر 2019.
- رواية شفوية، بوهادي محمد، من مجاديب العهد، من دوار أولاد إعلا، إقليم الفقيه بن صالح، عمره 60 سنة.
- رواية شفوية، تصريح السيد عمر، عضو جماعة مولاي بوعزة، بمناسبة انعقاد الموسم بتاريخ 15 أبريل 2018.
- رواية شفوية، سيدي محمد بن إبراهيم، بواب ضريح سيدي أحمد بن ناصر بآيت أم البخت.
- رواية شفوية، صالح ماضي، قبيلة آيت عتاب، عمره 80 سنة، بتاريخ 13-07-2013
- رواية شفوية، عائشة بنت محمد، ناشطة في حرفة النسيج بابزو، عمرها 63 سنة، بتاريخ 07 أبريل 2018.
- رواية شفوية، عبد الغاني آيت لخديم، بواب ضريح سيدي الصغير بالمنيار بابزو، من حفدة الولي ، ينحدر من فخذة آيت لخديم الشرفاء.
- رواية شفوية، عبد الكريم الساييسي، مقدم فرقة الخيل، من عشاق الفنتازيا، ومن قدماء الممارسين لهذا الموروث الثقافي.

- رواية شفوية، فاطمة، إحدى حفيدات الولي سيدي أبي البخت، عمرها 68 سنة، بتاريخ 01 / 07 / 2019.
- رواية شفوية، محمد أسدي، عون سلطة سابق بجماعة أزيلال.
- رواية شفوية، محمد القادري أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي متقاعد، أحد حفدة الولي، بتاريخ 12 مارس 2019.
- رواية شفوية، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا ببزو، عمره 70 سنة، بتاريخ، 03 غشت 2019 م.
- رواية شفوية، مخلوف أبي تبول، مقدم ضريح سيدي مول البرج إمين تاغيا ببزو، عمره 70 سنة، بتاريخ، 03 غشت 2019.
- رواية شفوية، ورؤساء الفخذات المنظمة لموسم سيدي بن داود القادمين من الشاوية وهم كالتالي: جبراني محمد، من فخذة القدارة؛ الحاج بن داود، من فخذة أولاد المامون؛ كريم بوشعيب، من فخذة الشهيبت؛ البصري إدريس، من فخذة الشهيبت؛ عبد الله الرويشد، من فخذة الدخاشنة؛ حليمي الطاهر من فخذة الحلامة؛ حكيمي لكبير؛ من فخذة الحلامة؛ حليمي أحمد، من فخذة النزلة؛ وأخيرا شيخ القبيلة والجماعة، محمد بلعربي، بتاريخ 08 / 09 / 2019.

فهرس الخرائط

الصفحة	عنوان الخريطة
20	الخريطة رقم 1 : موقع مجال الاطلس المركزي
106	الخريطة رقم 2: أهم المواسم والمهرجانات المنظمة بالأطلس المركزي خلال فترة الحماية
122	الخريطة رقم 3: المواسم والمهرجانات الراهنة بالأطلس المركزي
302	الخريطة رقم 4: المواسم التي لا تتضمن عروضاً للفروسية
370	الخريطة رقم 5: المواسم التي لا زالت تمارس فيها الحضرة والرقص الصوفي
391	الخريطة رقم 6 المواسم التي ما تزال تحافظ على طقوس الذبيحة

فهرس المبيانات والجدول

الصفحة	عنوان المبيان أو الجدول
105	جدول رقم 1: عدد المواسم والمهرجانات المنظمة بالأطلس المركزي وتادلا خلال فترة الحماية
107	الجدول رقم 2: عدد المواسم والمهرجانات المنظمة بالمغرب في النصف الثاني من القرن 20م
108	المبيان رقم 1: عدد المواسم والمهرجانات المنعقدة بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن 20م
109	الجدول رقم 3: مجموع المواسم المنظمة في لكل من غشت وسبتمبر وأكتوبر
110	الجدول رقم 4: عدد المواسم ببعض أقاليم الأطلس المركزي وتادلا خلال سنتي 1982 – 1986
111	المبيان رقم 2 عدد مواسم الأطلس المركزي وتادلا خلال سنتي 1982م – 1986م
112	الجدول رقم 5: أهم المواسم بالأطلس المركزي خلال سنتي 2018م – 2019م
300	الجدول رقم 6: المواسم غير المتضمنة للفروسية أو التبوريدة
308	الجدول رقم 7: ترتيب الخيول حسب جودتها بالنسبة لرواد التبوريدة بناء على اللون
369	الجدول رقم 8: المواسم التي تمارس فيها طقوس الرقص والحضرة الصوفية بالأطلس المركزي
390	الجدول رقم 9: المواسم التي تعرف طقوس الذبيحة بالأطلس المركزي

فهرس الصور

الصفحة	عنوان الصورة
193	الصورة رقم 1: حفدة سيدي علي بن إبراهيم بالضريح خلال انعقاد الموسم
195	الصورة رقم 2: زوار موسم و ضريح مولاي مولاي بوعزة بزبان
224	الصورة رقم 3: فارس من زعير إلى جانب المقيم العام الفرنسي شارل نوكيس، بموسم شراكة الرماني 1941
227	الصورة رقم 4: استعراض الخيول بتادلا سنة 1942
260	الصورة رقم 5: تشجيع السلطات لفلكلور التبوريدة

262	الصورة رقم 6: توزيع الهبات الملكية على بعض الزوايا
263	الصورة رقم 7 : عامل إقليم أزيلال يزور ضريح وموسم مولاي عيسى بن إدريس بأيت عتاب
268	الصورة رقم 8: التوجهات التنموية الجديدة للمواسم والمهرجانات
271	الصورة رقم 9: صور تبين أهمية المواسم الأمجاد الوطنية
282	الصورة رقم 10: التبوريدة من خيمة القائد أمهروق خنيفرة 1951
285	الصورة رقم 11 : استعراض عسكري من قبل القائد أشطو قائد قبائل انتيفة بداية القرن 20م
298	الصورة رقم 12: الفروسية ببني ملال سنة 2012
306	الصورة رقم 13: الفروسية بأحد مواسم الأطلس المركزي مطلع القرن 20م
316	الصورة رقم 14: رقصة أحيديوس بزيان خلال الأربعينيات من القرن 20م
320	الصورة رقم 15: فرقة أحيديوس بموسم سيدي عبد الله بأفورار سنة 2012
324	الصورة رقم 16: فرقة بوغانيم بداية القرن 20م
325	الصورة رقم 17: صورة فرقة بوغانيم ايت بوكماز
337	الصورة رقم 18 : صورة تبين بداية بناء معرض التسلية والألعاب
359	الصورة رقم 19: طقوس الجذبة بموسم مولاي بوعدة بزيان
360	الصورة رقم 20: الرقص الصوفي بموسم العهد بني شك달 بإقليم الفقيه بن صالح
368	الصورة رقم 21: فرقة المسيح احمر براوية الصومعة ببني ملال 1941 بمناسبة الموسم
385	الصورة رقم 22: الذبيحة بموسم سيدي علي بن إبراهيم ببني عياط
400	الصورة رقم 23: نوعية المبادلات التجارية بموسم املشيل خلال الثمانينات
401	الصورة رقم 24: سوق املشيل خلال الثمانينات من القرن 20
426	الصورة رقم 25: تجارة الأعشاب والطب البديل بموسم مولاي بوعدة

الفهرس

1	كلمة شكر
2	مقدمة
15	الفصل الأول: مجال الأطلس المركزي: الخصوصيات الطبيعية والبشرية والاقتصادية
16	مقدمة الفصل الأول
16	المبحث الأول: مجال الأطلس المركزي وخصوصياته الطبيعية
16	1 - أصل تسمية الأطلس
18	2 - موقع مجال الأطلس المركزي
21	3 - خصوصيات المجال الطبيعي للأطلس المركزي
23	المبحث الثاني: التركيبة القبلية للأطلس المركزي
23	1 - أصول ساكنة الأطلس المركزي
25	2 - الخريطة القبلية للأطلس المركزي
32	المبحث الثالث: الأنشطة الاقتصادية بالأطلس المركزي
32	1 - الأنشطة الفلاحية
34	2 - الأنشطة الحرفية والتجارة
38	خاتمة الفصل الأول
39	الفصل الثاني: السياق التاريخي لظهور وتطور المواسم والمهرجانات
40	مقدمة الفصل الثاني
41	المبحث الأول: تعريف الموسم والمهرجان
41	1 - تعريف الموسم
46	2 - تعريف المهرجان
47	المبحث الثاني: الإرهافات الأولى لظهور المواسم قبل الفتح الإسلامي
48	1 - احتفالات المواسم في الحضارات القديمة
50	2 - أصول طقوس وعادات احتفالات المواسم
53	المبحث الثالث: المواسم بالأطلس المركزي من الفتح الإسلامي إلى غاية مطلع القرن 20 م
53	1 - مواقف الفاتحين من المواسم الزراعية القديمة
54	2 - الحركة الصوفية والمواسم خلال حكم المرابطين والموحدين
57	3 - المواسم والحركة الصوفية خلال حكم المرينيين
63	4 - المواسم والحركة الصوفية خلال حكم السعديين وبداية تشكل الدولة العلوية
68	5 - تطورات المواسم بالأطلس المركزي ما بين القرنين 18م والقرن 20م
99	خاتمة الفصل الثاني

101	الفصل الثالث: المواسم بالأطلس المركزي، جردها وتصنيفها وتنظيمها المورفولوجي.....
102	مقدمة الفصل الثالث
102	المبحث الأول: جرد لأهم مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م
103	1 - جرد لأهم مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي خلال النصف الأول من القرن 20م
107	2 - جرد لأهم مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي خلال النصف الثاني من القرن 20م
111	3 - جرد لأهم مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي مطلع القرن 21م.....
123	المبحث الثاني: تصنيف مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي
123	1 - المعايير المعتمدة في تصنيف المواسم والمهرجانات.....
124	2- التحقيب الزمني المتبع في تنظيم المواسم والمهرجانات.....
126	3- تصنيف مواسم الأطلس المركزي
128	المبحث الثالث: التنظيم المورفولوجي للمواسم بالأطلس المركزي خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م.....
128	1 - وصف التنظيم المورفولوجي للمواسم والمهرجانات.....
132	2- التطور المورفولوجي للمواسم والمهرجانات خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م.....
135	3 - الدلالات الرمزية والاجتماعية في مورفولوجيا المواسم والمهرجانات
139	المبحث الرابع: اهتمامات الزوار في مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي.....
140	1 - اهتمامات النساء في المواسم والمهرجانات.....
142	2 - اهتمامات الشباب المراهق في المواسم والمهرجانات
145	3 - اهتمامات الأطفال في الموسم والمهرجانات.....
146	خاتمة الفصل الثالث.....
148	الفصل الرابع : التطورات التي عرفتها مواسم ومهرجانات الأطلس المركزي خلال القرن 20م ومطلع القرن 21م
149	مقدمة الفصل الرابع
150	المبحث الأول: أهمية مؤسسة الولي ودورها في تنظيم المواسم بالأطلس المركزي إلى غاية النصف الأول من القرن 20م.....
150	1- المبادئ الأساسية لتحقيق الولاية والصالح.....
155	2- الأدوار الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية والعسكرية للأولياء.....
181	3- الأدوار المتعددة للأولياء اليهود بالأطلس المركزي
184	المبحث الثاني: التطورات التي عرفتها المواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي خلال النصف الثاني من القرن 20م ومطلع القرن 21م
184	1 - تطورات زيارة أضرحة المواسم خلال النصف الثاني من القرن 20م وبداية القرن 21م.....

187	2 – آليات وأعراف تدبير مواسم الأضرحة والزوايا.....
189	3 – آليات وأعراف تدبير مواسم وأضرحة وزوايا الطائفة اليهودية.....
189	4 – الصراع بين حفدة الولي حول عائدات الموسم والأضرحة
190	5 – طقوس زيارة الأضرحة خلال انعقاد المواسم الراهنة بالأطلس المركزي
197	خاتمة الفصل الرابع
200	الفصل الخامس: سياسات السلطات تجاه المواسم والمهرجانات.....
202	المبحث الأول: سياسات المخزن تجاه المواسم قبل فترة الحماية
202	1 – سياسات الأدراسة والمرابطون والموحدون تجاه المواسم
203	2 – سياسات السلطات المرينية تجاه المواسم
204	3 – سياسات الوطاسيين والسعديين تجاه المواسم
206	4 – سياسات المخزن العلوي تجاه المواسم والمهرجانات إلى غاية 1912م
218	المبحث الثاني: سياسات سلطات الاحتلال تجاه المواسم خلال فترة الحماية
218	1 – مظاهر دعم الإقامة العامة للمواسم والزوايا والطرق الصوفية
223	2 – أهداف اهتمام الإقامة العامة بالمواسم والمهرجانات.....
231	3 – مظاهر ودوافع منع بعض المواسم خلال فترة الحماية
234	4 – مواقف الحركة الوطنية من المواسم خلال فترة الحماية
237	5 – واقع المواسم بعد تحالف الحركة الوطنية مع السلطان.....
239	6 – مواقف التيار السلفي من المواسم والزوايا والطرقية.....
243	المبحث الثالث: الدولة والمواسم والمهرجانات خلال النصف الثاني من القرن 20م
244	1 – سياسة الدولة تجاه المواسم والمهرجانات من سنة 1956 إلى غاية سنة 2000م.
255	2 – سياسات السلطات تجاه المواسم والمهرجانات مطلع القرن 21م
273	3 – سياسات السلطات تجاه المواسم اليهودية الراهنة
275	خاتمة الفصل الخامس
	الفصل السادس: مظاهر الاحتفال بمواسم ومهرجانات الأطلس المركزي خلال القرن 20 ومطلع
278	القرن 21م
279	مقدمة الفصل السادس
279	المبحث الأول: التبوريدة بمواسم ومهرجانات الأطلس المركزي.....
280	1 – التبوريدة من الأدوار العسكرية إلى الأدوار الفلكلورية
	2 – التطورات التي عرفتها التبوريدة خلال النصف الثاني من القرن 20 ومطلع القرن 21م
289
299	3 – آفاق التبوريدة بمواسم الأطلس المركزي والإكراهات التي تواجهها.....
312	المبحث الثاني : الرقص والغناء بمواسم الأطلس المركزي خلال القرن 20 ومطلع القرن 21م .

- 1- رقصات "أحيدوس" بمواسم الأطلس المركزي خلال القرن 20م 313
- 2- رقصات "أحواش" بمواسم الأطلس المركزي 321
- 3- رقصات "بوغانيم" بمواسم الأطلس المركزي 323
- 4- "الشيخات أو الفراجة" بمواسم الأطلس المركزي 326
- 5- رقصة "عبيدات الرمي" أو "العامت" بمواسم الأطلس المركزي 330
- 6- الرقص والغناء بالمواسم اليهودية بالأطلس المركزي 331
- 7- الرقص والغناء في المواسم بين المقدس والمدنس 332
- المبحث الثالث: عروض التسلية والترفيه بمواسم الأطلس المركزي 334
- 1- عروض التسلية والترفيه بمواسم بالأطلس قبل فترة الحماية 334
- 2- عروض التسلية والترفيه بالمواسم الاحتفالية خلال القرن 20م 336
- 3- عوامل اهتمام الساكنة المحلية بالتسلية خلال انعقاد المواسم 341
- 4- اهتمامات زوار المواسم بالتسلية حسب الفئات العمرية 343
- 5- تجليات التحولات الذهنية والتقنية في تسلية المواسم 344
- خاتمة الفصل السادس 346
- الفصل السابع : الطقوس والمعتقدات بمواسم الأطلس المركزي 348
- مقدمة الفصل السابع 349
- المبحث الأول: الحضرة والرقص الصوفي بمواسم الأطلس المركزي 349
- 1- السياق التاريخي لارتباط الحضرة والرقص الصوفي بالمواسم 350
- 2- طقوس الحضرة الصوفية بالمواسم المعاشة بالأطلس المركزي 357
- 3- مواقف الفقهاء من الحضرة والرقص الصوفي في المواسم 363
- 4- واقع الحضرة الصوفية بمواسم الأطلس المركزي 365
- المبحث الثاني: الأضحية بمواسم الأطلس المركزي 371
- 1- الذبيحة من المواسم الزراعية القديمة إلى مواسم الزوايا والأضرحة 372
- 2- الأدوار التاريخية للذبيحة بمواسم الأطلس المركزي 376
- 3- الذبيحة بمواسم الطوائف الصوفية الشعبية 381
- 4- الذبيحة بالمواسم اليهودية وأدوارها الاجتماعية 382
- 5- طقوس الذبيحة بالمواسم الراهنة بالأطلس المركزي 383
- 6- واقع طقوس الذبيحة بمواسم الأطلس المركزي وردود الفعل 390
- خاتمة الفصل السابع 394
- الفصل الثامن: الأدوار الاقتصادية للمواسم بالأطلس المركزي خلال ق 20 ومطلع ق 21 395
- مقدمة الفصل الثامن 396
- المبحث الأول: الأدوار الاقتصادية للمواسم قبل الاحتلال الفرنسي 397

397.....	1- الأدوار الاقتصادية للمواسم قبل سيطرت الاحتلال على الأطلس المركزي
401.....	2- أهمية المواسم في تعزيز عائدات الزوايا والأضرحة
403.....	3- الأدوار التجارية للمواسم والزوايا والأضرحة
404	4- أدوار المواسم في تدبير الموارد الاقتصادية المحلية
20	المبحث الثاني: تطورات الأدوار الاقتصادية والتنموية للمواسم والمهرجانات خلال القرن
406	وبداية القرن 21
406	1- الأدوار الاقتصادية للمواسم في بعض الدراسات خلال القرن 20م
409.....	2- الفرق بين المواسم والأسواق الأسبوعية
411	3- الأدوار الاقتصادية للمواسم خلال فترة الحماية
414.....	4- عائدات مواسم الأضرحة والزوايا بالأطلس المركزي
417	5- عائدات مواسم الأضرحة اليهودية بالأطلس المركزي
419.....	المبحث الثالث: المبادلات التجارية المرتبطة بالبركة في المواسم
420.....	1- القيمة الرمزية والروحية للمنتوجات الرائجة في المواسم
423.....	2- تجارة التداوي الشعبي بمواسم الأطلس المركزي
427	المبحث الرابع: واقع الأدوار الاقتصادية والتنموية للمواسم والمهرجان بالأطلس المركزي
427	1- المنتوجات الرائجة في المواسم والمهرجانات الراهنة
428	2- الواقع التجاري للمواسم والمهرجانات بالأطلس المركزي
430.....	خاتمة الفصل الثامن
432.....	خاتمة
441.....	لائحة البيبليوغرافيا
458	فهرس الخرائط
458	فهرس المبيانات والجداول
458	فهرس الصور